المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية - مكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية

للعـولمة

بحث مكمّل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

مقدم من الطالب

صلاح بن ردود بن حامد الحارثي

إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد عيسى فهيم

الفصل الدراسي الثاني

لعام ١٤٢٢هـ

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ } .

[سورة آل عمران : الآيتان ١٤٩-١٥٠]

الإهداء

إن أولى من يحق أن يهدى إليه هذا العمل على تواضعه وقلّة بضاعته ؛ والدي الكريم ، فهذا العمل ما هو إلا ثمرة من ثمار تربيته وحسن توجيهه ورعايته ، ورمزاً من رموز طموحاته . كيف لا وهو الذي غرس في أبنائه علو الهمة وحب الخير .

ثم إلى الوالدة الحانية التي كانت دائماً تحيط الباحث بدعائها المبارك ، وابتهالاتها الندية التي هي بمثابة غذاء قلبي للباحث بعد عناية ا وتوفيقه .

ثم إلى الزوجة الوفية والحرم المصون ، التي ما فتئت تعمل جاهدة من أجل تهيئة الجو النفسي والاستقرار الأسري ؛ بغية المساهمة في إنجاز هذه الدراسة .

ثم إلى أبنائي وبنتاي ، الذين حرصوا على توفير مناخ الدراسة الهادئ للباحث ، وضحوا من أجل ذلك بالكثير من مرحهم ، وتنازلوا عن وقت ترفيههم .

ثم إلى كل محب للخير وناشد للفضيلة ، وعلى الأخص منهم من شغف حباً بالإسلام وأهله ، فناضل بنفسه أو بفكره أو بقلمه من أجل ثقافة الإسلام وتربية الإسلام ؛ لدحر كل صور التحديات التي توجه إلى الإسلام وأهله عبر بوابة الثقافة والتربية ..

إلى كلّ هذا الجمع المبارك وهذه الثلة الخيرة .. اسمحوا لي ، فإني محدثكم عن العولمة .. عسى أن آتيكم منها بخبر !!.

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله وليّ كل نعمة ، ودافع كل نقمة ، وصاحب كل فضل ، القائل ﷻ :

{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ }[1].

وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمةً للعالمين ، وقدوة الشاكرين وإمام المتقين ؛ محمد بن عبد الله ، القائل ﷺ : « مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله »[2].. أما بعد :

فانطلاقاً من هذه النصوص القدسية وتفعيلاً لها ، واستدامة للودّ ، وعرفاناً بالفضل ، فإنّ الباحث ليهتبل هذه الفرصة الشريفة ليبعث بالشكر الجزيل والثناء المبجل - بعد شكر الله - إلى كلّ من :

صاحب المعالي مدير جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة ، الأستاذ الدكتور : ناصر عبد الله الصالح ، على جهده في الارتقاء بمستوى وسمعة هذه الجامعة الرائدة .

ثم إلى سعادة الأستاذ الدكتور : ثامر حمدان الحربي ، عميد الدراسات العليا بهذا الصرح العلمي الشامخ .

وإلى عميد كلية التربية الأستاذ الدكتور : محمود محمد كسناوي .

وكذلك رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، سعادة الدكتور : نايف بن همام الشريف .

كما لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر إلى كل من الدكتورين الفاضلين : محمود عطا ، والدكتور : محمد علي أبو رزيزة ، اللذّين شرفا الباحث بتحكيم خطة دراسته ، وأفاضا على الباحث من توجيهاتهما الموفقة ، التي أثرت هذه الدراسة .

والشكر إلى كل من سعادة الدكتور : عابد بن محمد السفياني ، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

وسعادة الدكتور : صالح بن سليمان العمرو ، من كلية التربية ،

---

(١) سورة إبراهيم : الآية (٧) .
(٢) الترمذي ، جامع الترمذي ، ١٤٢٠هـ .

قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، اللّذَين تفضلا - مشكورَين - بقبول مناقشة الباحث في هذه الدراسة .

والشكر موصول كذلك إلى كل أساتذتي ؛ أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة بلا استثناء ، فهذا العمل ما هو إلا بعض مما لديهم ، وغيض من فيض علمهم المبارك - بإذن الله تعالى - .

كما أن الباحث لينتهز هذه الفرصة السانحة ليبعث رسالة شكر عاطر إلى سعادة الدكتور : حسن عايل أحمد ، وكيل كلية المعلمين بجدة ، وأستاذ مادة المناهج وطرق التدريس العامّة بها ، الذي أحاط الباحث خلال دراسته هذه بكلّ عناية ، وفتحَ للباحث مكتبته الخاصة ، فله جزيل الشكر سابقاً ولاحقاً .

وكذلك كلٍّ من الدكتور : عثمان جمعة ضميرية ، والأستاذ محمد عبد الله النمر ، اللذَين لم يبخلا على الباحث بنصح وتوجيه ومؤازرة .

ثم هذه باقة من الشكر المفعم بعاطر الذكر ، والمطرز بجميل الثناء ، والمتوّج بنظرة إجلال ، إلى سعادة الدكتور : محمد عيسى فهيم ؛ المشرف على هذه الدراسة ، الذي كان للباحث بمثابة الصديق والأستاذ ، فقد فتحَ للباحث قلبه وعقله وبيته ومكتبه ومكتبته ، وأنفق من وقته وجهده الكثير ؛ وقوفاً مع الباحث ، ومآزراً له ، وقارئاً وموجّهاً ، بل ومعلّماً .. أشكره على كل توجيه أسداه ، وعلى كل رعاية بذلها . كما أشكره شكراً مضاعفاً على دماثة خُلقه وسعة صدره ، ليس مع الباحث في هذه الدراسة فحسب ، بل مع جميع طلابه الذين تتلمذوا على يديه ، أو الذين أشرف على دراساتهم . فجزاه الله خير الجزاء .

ثم الشكر مزجى ومبثوث إلى كلّ صديق وأخ وقريب ساهمَ مع الباحث برأي أو مشورة ، أو قدّم خدمة للباحث ، شاكراً لهم حُسن صنيعهم ، ومثمناً للكل نظرتهم إلى هذه الدراسة بعين الاعتبار ..

والله المسؤول وحده أن يجعل هذا العمل قربة صالحة وصدقة جارية بين يديه ، وأن ينفع به الإسلامَ وأهله .

اللهم إني سائلك من غُنم هذه الدراسة ، وعائذ بك من غُرمها .. سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علّمتنا .. وصلى الله وسلّم وبارك على نبيّ الرحمة والمرحمة .

ملخص الرسالة

موضوع الرسالة : دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة .

الهـــــــــــــــــدف : محاولة الوعي بحقيقة ظاهرة العولمة واستشراف آثار الظاهرة على المجالين ؛ الثقافي والتربوي .

فصول الرسالة : تتكوّن الرسالة من ستة فصول على النحو التالي :

الفصل التمهيدي : (الإطار العام) ، وتضمن الحديث فيه عن : المقدمة ، موضوع الدراسة ، تساؤلات الدراسة ، أهداف الدراسة ، مبررات الدراسة ، أهمية الدراسة ، منهج الدراسة ، حدود الدراسة ، مصطلحات الدراسة ، الدراسات السابقة .

الفصل الثاني : (مفهوم العولمة) ، حيث تَمّ الحديث خلال هذا الفصل عن : ١- مفهوم العولمة لغة واصطلاحاً ، وكذلك تناول الحديث عن مترادفات العولمة لغة واصطلاحاً . ٢- مرتكزات العولمة ، والمتمثلة في الاقتصاد الرأسمالي ، والتقنيات والثقافة . ٣- آليات العولمة ، حيث شمل الحديث بعض المنظمات الفاعلة ، مثل : هيئة الأمم وما تفرع منها ، مثل : البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي ، ومنظمة التجارة العالمية ، ومنظمة اليونسكو .

الفصل الثالث : (تحديات العولمة في المجال الثقافي) ، وشمل الحديث في هذا الفصل عدداً من المباحث : ١- تعريف الثقافة لغةً واصطلاحاً . ٢- دور التكنولوجيا في نقل الثقافة التي يراد عولمتها . ٣- ثم تطرق الحديث إلى قنوات العولمة ، والمراد بها بعض المؤتمرات والندوات واللقاءات التي تصب في خدمة الظاهرة . ٤- اختزال بعض القيم الثقافية ، وقد حاول الباحث إيضاح الآتي : أ / صور الاختزال ، مثل : التمركز حول الذات الغربية ، وذلك بتعظيم شأن العنصر الآري الذي ينتسب إليه الغرب ، وتهميش ما سواه . ب/ الاختزال المعرفي في المجال المادي فقط . جـ/ الاختزال الديني في المجال التعبدي . ٥- المشترك الثقافي . في هذا المبحث حاول الباحث إيضاح نظرة الغرب حول بعض مكوّنات المشترك الثقافي بين البشر . ومن الأمور التي تطرق إليها الباحث هنا هي : النظرة الغربية إلى الدين ، والنظرة إلى الإنسان ، والنظرة إلى مفهوم الحرية . ٦- الثقافة والهوية الخصوصية . في هذا المبحث حاولَ الباحث إبراز أهمية تعزيز الانتماء إلى الهوية الإسلامية في كل شؤون الحياة للحفاظ على استقلال المسلمين وتميزهم .

الفصل الرابع : (دور التربية الإسلامية في مواجهة تحدّيات العولمة الثقافية) ، تحدث الباحث في هذا الفصل عن الدور المناط بالتربية الإسلامية من أجل تحجيم آثار ظاهرة العولمة السلبية ، والاستفادة من المفرزات الإيجابية ، وإبراز عالمية الإسلام ، وذلك في تسعة مباحث ، هي : ١- طبيعة البيئة المدرسية في عصر العولمة ، محاولاً إبراز شكل ومدى التغيرات المتوقع حدوثها في البيئة المدرسية . ٢- تفعيل دور الأسرة المسلمة . ٣- الأخذ بمبدأ استمرارية التعليم . ٤- التعليم التعاوني . ٥- الأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي . ٦- إعداد الطالب لسوق العمل الملائم . ٧- ترشيد وسائل الإعلام . ٨- الحفاظ على الهوية الإسلامية . ٩- إبراز عالمية الإسلام .

الفصل الخامس : (الخاتمة) ، وقد تضمّن هذا الفصل خاتمة الرسالة ، مضمناً بها بعض النتائج والمقترحات ، ومنها : ١- أن العولمة ظاهرة غربية بزعامة أمريكية تطمح في تعميم نموذجها الحياتي

الشامل . **٢**- أن المحصلة النهائية لآثار العولمة تتجسد في المنظومة الثقافية . **٣**- أن هناك آثاراً إيجابية لهذه الظاهرة ، خاصة بفعل الخصخصة ، كما أن لها بالمقابل آثاراً سلبية خطيرة لا يُستهان بها . **٤**- أن على التربية دوراً كبيراً في توعية الناس بحقيقة الظاهرة وكيفية التعامل معها ، مع تقديم النموذج الإسلامي كحلّ وحيد وبديل فريد لظاهرة العولمة ؛ لأنّه رسالة عالمية .

الباحث	**المشرف**	**عميد الكلية**
صلاح بن ردود بن حامد الحارثي	**د. محمد عيسى فهيم**	**أ. د. محمود محمد كسناوي**

قائمة المحتويات

الفصل الثاني : مفهوم العولمة ٢٠-٦٩

الموضــــوع	الصفحة

@ @ @

الفصل التمهيدي

(الإطـــــار العـــــــام)

- المقدمة .
- موضوع الدراسة .
- تساؤلات الدراسة .
- أهـــداف الدراسـة .
- مبـررات الدراسة .
- أهميـــة الدراســة .
- منهـــج الدراســة .
- حـــــــدود الدراســـــة .
- مصطلحات الدراسة .
- الدراسات السابقة .

الفصل التمهيدي

(الإطـ ـ ـار العـ ـ ـام)

المقدمة :

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مضلّ له ، ومَن يضلل فلن تجدَ له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - ﷺ - .. أما بعد :

فلقد كثر الحديث والحوار ، وثار الجدال عن قضية عصرية استطاعت أن تستحوذ على أنظار النقاد والمحلّلين والمفكّرين في شتى المجالات ، كما استطاعت أن تفرض عليهم نفسها عبر وسائل الإعلام المختلفة لدرجة أنه لم يعد يخفى على أحد حجمها وأهميتها ، إنها ما أصبح يُعرف بالعولمة ، فقد طرحت تساؤلات عدّة عن هذه الظاهرة من حيث ماهيّتها ؟. آلياتها ، ومجالاتها ... وما موقف الثقافات المحلية منها ؟...

وفي محاولة للإجابة على الكثير من الأسئلة المطروحة السابقة وغيرها ، عقدت عدّة مؤتمرات وندوات مختلفة الاتّجاهات والتخصصات ، من أجل تحديد ماهية هذا المصطلح (العولمة) ، ومحاولة استشراف أبعاده وآفاقه . وقد خرجت هذه اللقاءات والندوات والاجتماعات والمحاولات الفردية منها والجماعية برؤىً كثيرة وكثيفة حول مفهوم هذه الظاهرة (العولمة) ، وكذلك بآراء متباينة ومتشعّبة بين مؤيد وشاجب ومتحفّظ . ولقد كان لهذه المواقف المتباينة مساهمة كبرى في ازدياد عمق التشوّش والالتباس الذي أحدثه صدى المفهوم في أذهان العامّة ، وعلى جميع المستويات البشرية والشرائح الثقافية ، ولم يكن هذا القلق الذي سيطر على كثير من الناس متركزاً في بقعة من الأرض ، بل كان قلقاً وتوجّساً مضطرباً شهدته أكثر بقاع الأرض ، كما طرحت آراء كثيرة ومختلفة في محاولة للتعريف بهذه الظاهرة المسمّاة (العولمة) ، ولا شكّ أنّ المتأمل والمستقرئ لأكثر هذه التعاريف ، يستطيع أن يلحظ خلالها شبه اتفاق حول معنى واحد تتضمّنه أغلب التعاريف التي قدمت عن الظاهرة ، إذ أنّ أغلبها يتمحْوَر حول معنى مفاده أنّ العولمة كظاهرة

تعني محاولة دمج المجتمعات الإنسانية وضغطها وتوحّدها في نموذج واحد وفي شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية ... ومن بين تلك التعاريف والآراء التي تؤيد هذا الاتّجاه ، ما يشير إليه (رونالد روبرتسون) الذي قال فيه : " تشير العولمة كمفهوم إلى ضغط العالم وتصغيره من ناحية ، وتركيز الوعي به ككل من ناحية أخرى "(١).

وبنفس الرأي السابق ، قال صاحبا كتاب (فخ العولمة) بأنّ العولمة " هي انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالمي شمولي واحد ، لا مكان فيه للخاملين ، بل يقوده أولئك الذين يقدرون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء "(٢).

وبنظرة إلى مفهوم العولمة بالمنظار التاريخي - الزمني - ، يلاحظ أنّ المفهوم الذي يستند على عملية التوحّد والاندماج والتجانس بين مختلف الشعوب والقوميات والمطروح حالياً باسم (العولمة) ، ما هو إلا امتداد تاريخي لعدة محاولات سابقة للتعولم . فقد شهدت البشرية عدة محاولات ، وخاضت عدّة تجارب من أجل دمج وتوحيد الشعوب ، وذلك ضمن أطر مختلفة المشارب ، فمنها ما كان بدافع ديني - عقائدي - ، ومنها ما كان بهدف فكري ، ومنها ما كان بسبب ودافع سياسي أو عسكري أو جغرافي أو اقتصادي .. إلخ .

وتدليلاً على أن للظاهرة جذوراً تاريخية سابقة وقديمة ، يقول الخضيري : " إن العولمة ليست ظاهرة حديثة أفرزتها آحادية القطب ، وهيمنة الولايات المتحدة ، بل إنها ظاهرة ذات جذور ، لها أصولها التاريخية ، ولها أسبابها الموضوعية ، ولها عواملها التي دفعت إليها "(٣).

لذا يرى الباحث أن (العولمة) كمصطلح ، هي نداء قديم قِدم التاريخ الإنساني ، وهو ما يؤكّده برهان غليون وزميله ، إذ قالا : " إن الاتجاه نحو دمج العالم في منظومة واحدة قديم قِدم الحركات والتوسعات

---

(١) روبرتسون ، العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية ، ١٩٩٨م ، ص٢٧ .
(٢) هانس وهارالد شومان ، فخّ العولمة الاعتداء الديمقراطية والرفاهية ، ١٤١٩هـ ، ص٤٩ .
(٣) الخضيري ، العولمة مقدمة فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، ٢٠٠٠م ، ص٥٠ .

الإمبراطورية "[١].

ولكن يظهر أن هذا المصطلح (العولمة) قد يكون قديماً في مضمونه ، ولكنه متجدد ومتميِّز من حيث الآليات والمرتكزات والأساليب والأدوار . ويرى الباحث أنّ هناك مجموعة من السمات والخصائص التي تميز (العولمة) المعاصرة عمّا سبقها ، ويمكن ذكرها حسب الترتيب التالي :

أولاً : أنّ هناك أيادٍ جديدة تحرّك الظاهرة - خِفْية - ، وهي أقوى من سُلطة الدول والحكومات ، ولا يعترضها حاجز من الحواجز الماديّة أو المعنوية ، وهم ملاّك الشركات العملاقة .

ثانياً : الثورة المعلوماتية - الصارخة - المصاحبة لهذه الظاهرة ، والتي قلبت موازين القوى في العالم ، وحوّلت العالم إلى قرية صغيرة يعرف كل ما يحدث فيها من أحداث في حينها ، ويعرف كذلك كل ما تحتاجه الأسواق من أجل إشباع رغبات المستهلك ، ويمثل هذه القوّة الساكنة على أرض الواقع الأقمار الصناعية وشبكات المعلومات - الإنترنت - والحاسبات العملاقة .

يقول توماس فريدمان : " بفضل ديمقراطية التكنولوجيا نستطيع جميعاً الآن أن يكون لنا بنك في منازلنا ، أو مكتب عمل في منازلنا ، أو صحيفة في منازلنا ، أو محلّ بيع الكتب في منازلنا ، أو شركة سمسرة في منازلنا ، أو مصنع في منازلنا ، أو شركة استثمار في منازلنا ، أو مدرسة في منازلنا "[٢].

ثالثاً : الاقتصاد الحرّ بصورته الرأسمالية : فالاقتصاد اليوم يمثل عصب الحياة ، لذا يلاحظ أنّ أصحاب رؤوس الأموال المتضخّمة وملاّك الشركات العملاقة ، هم مسيروا ظاهرة العولمة .

يقول يحيى اليحياوي : " إن الشركات المتعدِّدة الجنسيّات قد دفعت بالدول وبالأمم أيضاً إلى تبني منطقها وتيسير الطريق لها ، لقد أصبحت الفاعل الجديد في الاقتصاد والمال وفي التكنولوجيا والثقافة "[٣].

وبسيطرة أصحاب رؤوس الأموال ومُلاّك الشركات على الأسواق العالمية وعلى منابر الإعلام ووسائط الاتصال ، يتمكّنون من تجسيد

(١) غليون وزميله ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، ١٤٢٠هـ ، ص١٢ .
(٢) فريدمان ، السيارة ليكساس وشجرة الزيتون ... ، ٢٠٠٠م ، ص٨١ .
(٣) اليحياوي ، العولمة أية عولمة ، ١٩٩٩م ، ص١١ .

واقع العولمة ، ومِن بَثّ ثقافتها التي تتبنى منطق السوق ، فتسعى إلى تسليع كل شأن بغية الربح المادّي من حيث أتى .

رابعاً : الإعلام - بكل وسائله ووسائطه - : حيث تستطيع هذه الآلية إحداث أثر فعّال في سلوك الناس ، وإن كان المفعول يبدو بطيئاً ، لكنه أكيد . كما يمكن لهذه الآلية سحب خيوط الرأي العالم ونسجها وتشكيلها حسب مقاسات أصحاب الشركات وصناع العولمة ، كما يمكن للإعلام أن يساهم بشكل قوي في إحداث تغيير جذري في هويات الناس ، وكذلك الاتّجاه بهم نحو تقمص هويات أخرى تتميّز بالتجانس والتوحّد حسب هدف العولمة الساعي إلى توحيد الأذواق والآراء .

يقول عباس أبو شامة : " إن نظام العولمة قد لعب في تكوينه التقدم في المعلومات ووسائل نقلها ، مما أوحى بظاهرة القرية العالمية "(١).

خامساً : انكماش دور الدولة وتخلّيها عن تغذية كثير من القطاعات الاجتماعية ، وتسليم أمرها لأصحاب الشركات التجارية ، بدعوى الخصخصة ، والتي تعني استثمار هذه القطاعات من قِبل مُلاّك الشركات العملاقة ، مما يرهق كاهل المستهلك .

يقول خالد غازي : " بالفعل في نظام العولمة يتقلّص دور الدولة كمراقب وموجّه "(٢).

سادساً : ظهور بعض المنظمات الدولية على ساحة الأحداث ، وبروزها كقوى ضغط كبير وفعّال ، يمثّلها عصبة الأمم ، ثم هيئة الأمم ، التي تملك الإطار السياسي للعولمة بمسميات ، منها : الشرعية الدولية ، حقوق الإنسان ...

منظمة اليونسكو والتي تضطلع بمهمة الجانب الثقافي للعولمة ، وكذلك بروز قوى تنفيذية متمكنة ومتحكّمة لم تكن موجودة من قبل ، مثل : منظّمة التجارة العالمية ، والمنبثقة عن منظمة الجات ، وصندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي .. وغير ذلك من أذرع وآليات العولمة من أجل فتح الحدود الجغرافية والثقافية ، وإلغاء الحواجز الجمركية أمام السلع والثقافات ، وبناء الأسواق الحرّة التي لا تخضع لسيادة بلد محدّد .

---

(١) أبو شامة ، مجلة كلية خالد العسكرية ، (عدد ٥٨ ، صفر ١٤٢٠هـ) ، العولمة وآثارها الأمنية ، ص٣٩ .

(٢) غازي ، الطوفان ، العولمة فكّ الثوابت ... ، ١٩٩٨م ، ص١١ .

يقول الخضيري منوّهاً بدور هذه المنظّمات الجديدة : " لقد لعبت الأمم المتحدة ومنظماتها التابعة دوراً رئيسياً في تأكيد أهمية العولمة "[(١)].

وبناءً على ما تقدّم من حيثيات وتصوّرات عن ظاهرة العولمة ، ولكونها ظاهرة شمولية تمددية تريد الوصول إلى كل جانب من جوانب الحياة المختلفة ؛ لتُلقي عليه بظلالها ، وتصبغه بصبغتها الغربية ، فإنه من المتوقع - واللهُ تعالى أعلم - أن يتأثر المجال التربوي والثقافي بمفرزات العولمة سلباً وإيجاباً .

موضوع الدراسة :

تناولَ كثير من الباحثين والعلماء - المشتغلين بالعلوم الإنسانية وغيرها - دراسة ظاهرة العولمة في محاولة منهم لاستشراف أبعاد هذه الظاهرة ، ومدى تأثيراتها على الحياة الإنسانية .

ولعلّ من أبرز الدوافع التي دفعت أولئك المفكّرين والباحثين من علماء وغيرهم لدراسة هذا الموضوع الحيوي الهامّ ، هو تماس هذا الموضوع مع خصوصيات الأمم ، وسيطرة الدولة ، وتميّز الحضارات . لذلك فقد توقّع الجميع أن يناله من أثر تلك الظاهرة نصيب ، بقَدر تعرّضه لتيار العولمة . وعلى جراء ذلك التوقع أثارَ البعض تساؤلات ذات دلالات معينة للكشف عن ماهية وأبعاد وآليات ومقوّمات ومجالات هذه الظاهرة ، وهل هي ظاهرة ذات خلفية تاريخية قديمة ، أم أنها جديدة وليدة عصر الآلة ؟. وما هي مظاهر هذه الظاهرة في الواقع المعاش ، وكيف يتمّ التعولم ؟. وهل هذه الظاهرة حتمية لا مفرّ من قبولها ؟. وما أبعاد هذا الرأي ؟. وما هو مصير الهوية والثقافة المحلية في عصر العولمة ؟. وما الدور المتوقع والمطلوب من أصحاب الثقافات والتربويّات الأخرى ، وعلى وجه الخصوص ، ما دور التربية الإسلامية المنتظر في التعامل مع هذه الظاهرة ؟...

واقتناعاً من الباحث بأهمية الموضوع وجدارته بالبحث ، قام الباحث - حسب جهده - بدراسة آراء كثير من الذين كتبوا عن ظاهرة (العولمة) بمختلف المشارب أو المنطلقات التي انطلقوا منها للحديث عن الظاهرة . وقد حاولَ الباحث إجراء عملية ربط لتلك الآراء بما يمكن أن تحدثه من آثار مختلفة على المجالَين : الثقافي والتربوي

---

(١) الخضيري ، مرجع سابق ، ص٧١ .

الإسلامي ، مع محاولة استخلاص بعض الدلالات والتطبيقات التربوية لهذه الظاهرة .

لذلك سيكون محور هذه الدراسة هو محاولة الإجابة على التساؤل المحوري التالي :

س/ ما دور التربية الإسلامية في مواجهة التحدّيات الثقافية للعولمة ؟.

تساؤلات الدراسة :

يرى الباحث أنه من أجل الإجابة على التساؤل السابق ، فإنه يتعين قبل ذلك الإجابة على التساؤلات التالية :

س١/ ما العولمة ؟.

س٢/ ما نوعية التحديات التي يُتوقع أن تحدثها العولمة على المجال الثقافي ؟.

س٣/ ما طبيعة التحديات التي يُتوقع أن تفرضها العولمة على المجال التربوي ؟.

س٤/ كيف يمكن أن تواجه التربية الإسلامية تحدّيات العولمة ، والمتوقع حدوثها في مجالّي الثقافة عموماً والتربية بوجهٍ خاصّ ؟.

أهداف الدراسة :

تحاول الدراسة الوصول إلى تحقيق الأهداف التالية - بإذن الله تعالى :-

١- محاولة فهم حقيقة العولمة من خلال دراسة مصطلحاتها وآلياتها ومرتكزاتها ومجالاتها .

٢- محاولة معرفة طبيعة التحدّيات التي من المتوقع أن تُحدثها العولمة على المجال الثقافي .

٣- محاولة الكشف عن طبيعة التحدّيات التي من المتوقّع أن تُحدثها العولمة على المجال التربوي .

٤- محاولة إبراز دور التربية الإسلامية للتصدي للتحدّيات التي

ستفرضها العولمة .

مبررات الدراسة :

من المبررات التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع ، ما يلي :

١- شعور الباحث بأنّ مفهوم العولمة أصبح يشكّل قلقاً وغموضاً عند الكثير من الناس ، لدرجة اختلطت فيه الآراء بين مؤيد وناقد ومتخوِّف ، خاصة عند الترويج لمقولة أنّ العولمة ما هي إلاّ مرحلة استعمار جديد .

٢- تفشّي بعض المظاهر الثقافية السلبية في المجتمع الإسلامي ، نتيجة إغفال دور التوعية بأهمية الحفاظ على الثقافة الإسلامية ، وخطورة الثقافة المعولمة والوافدة على الهويات الإسلامية ، خاصة إذا رُوِّج القول بأنّ العولمة هي محاولة (اغتصاب ثقافي) .

٣- الشعور بأن الدراسة حول مضمون العولمة ذات صِلة بالواقع التربوي المعاش في المؤسسات التربوية المختلفة .

أهمية الدراسة :

أولاً : أهمية نظرية :

١- حاجة الميدان التربوي والثقافي إلى معرفة حقيقة ظاهرة العولمة ، والوقوف على بعض آثارها الإيجابية والسلبية بشكلٍ عامّ ، وعلى المجالَين : الثقافي والتربوي بوجه خاصّ .

٢- تؤكّد الدراسة وتبرز أهمية التربية الإسلامية في تعاملها على التعرّف على الظاهرة ، وزيادة الوعي بها سلباً أو إيجاباً .

٣- توضّح الدراسة بعض الدعائم والمرتكزات والآليات التي تقوم عليها ظاهرة العولمة ، بما يفيد المربين والمشتغلين في المجال الثقافي والتربوي ، وتثري معارفهم .

ثانياً : أهمية عملية :

١- إن هذه الدراسة تفيد المربين ؛ لأنّ المربي الذي يعرف أصالة ثقافته وتربيته الإسلامية ، ودعائم كل منهما ، وخطورة العولمة - بوجهها الغربي - على ذلك المجال الذي يعمل فيه ، سيكون مختلفاً في تعامله مع تلاميذه ومَن هم تحت يده عن غيره .

٢- يطمح الباحث أن تكون دراسته إضافة جديدة ، ومساهمة بنّاءة في مجال الثقافة الإسلامية للوعي بمدى التحدّيات التي ستفرضها ظاهرة العولمة .

٣- يطمح الباحث أن تساهم هذه الدراسة في الحثّ على توظيف بعض مفرزات العولمة التطبيقية في المجال الثقافي والتربوي الإسلامي .

٤- يأمل الباحث - وبإذن الله تعالى - أن تمتدّ فوائد هذه الدراسة إلى المجتمع الإنساني بعامّته ، والإسلامي بوجه خاصّ ، من أجل المساهمة في تخريج ناشئة من أبناء المسلمين تعتزّ بولائها الخالص لدينها ، وتتقبل تربية الإسلام وتطبقها قولاً وعملاً ، وتحتفي هذه الناشئة بتراثها الإسلامي الأصيل ، وتحافظ على تميّزها واستقلالها الحضاري بين الأمم .

منهج الدراسة :

بما أنّ الظاهرة التي هي مجال الدراسة (العولمة) ظاهرة إنسانية ، وذات علاقة مباشرة بحياة الناس وأنماط حياتهم ومعيشتهم وسلوكياتهم واتّجاهات ثقافاتهم ، فإن ذلك يقتضي استخدام المنهج الوصفي بشكلٍ عام .

ولكون المعلومات عن هذه الظاهرة لا تؤخذ إلا عن طريق الوثائق المختلفة والمتنوّعة ، فإنه يستحسن عند ذلك استخدام أحد فروع المنهج الوصفي ، وهو المنهج الوثائقي .

ولكون الدراسة لا تهدف إلى مجرّد توصيف الظاهرة وصفاً كيفياً فقط ، بل تتعدّاه إلى تحديد الآثار والأبعاد المستقبلية وتحليل المعلومات والنصوص ، وتوقع الانعكاسات المستقبلية على المجالين : الثقافي والتربوي ، فإن هذا يستدعي استخدام المنهج الوصفي (الوثائقي) ، وهو كما ذكر العساف : " الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع أو مشكلة البحث ، ومِن ثَمّ التحليل الشامل

لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلّة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث "[1].

من هنا فإنّ الباحث سيقوم بدراسة بعض النصوص المتعلقة بظاهرة العولمة دراسة بحثية محللة متفكرة لمرتكزاتها وآلياتها وتجلياتها ، ومحاولة الوقوف على آثار ذلك كله في المجالين : الثقافي والتربوي ، وتحديد موقف التربية الإسلامية حيال هذه الظاهرة .

حدود الدراسة :

سوف تقتصر هذه الدراسة الحالية في حدود الثقافة ، وعلى الأخصّ منها عنصر التربية ، وذلك لِملاءمة كل من الثقافة والتربية لمجال عمل الباحث واهتماماته .

مصطلحات الدراسة :

يفيد تحديد المصطلحات في ضبط الخطوات البحثية ، وبخاصة للمبتدئين من الباحثين ، مما يسهم في انسياب عملهم الكتابي والبحثي ، وضبط اتجاهات ذلك العمل وتفريعاته ، وينقل المعلومة للقارئ بوضوح .

وفي ذلك يقول جميل صليبا : " إن تثبيت الاصطلاحات العلمية لا يفيد العلماء وحدهم ، بل يفيد المعلّمين والمتعلمين ، كما يفيد جمهور القراء ، فله - إذن - فائدة تربوية وفائدة اجتماعية . أما الفائدة التربوية فهي : أن تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها ، فلا يستعمل اللفظ إلا فيما وضع له ، ولا يدلّ على المعنى الواحد إلا بلفظ واحد . أما الفائدة الاجتماعية ، فهي : أن تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم ، فلا يتكلّمون بما لا يعلمون ، ولا يمارون فيما لا يتّضح لهم من المعاني "[2].

وسيحاول الباحث ضبط وتحرير كل مصطلح من مصطلحات الدراسة الحالية من حيث المدلول اللغوي والاصطلاحي .

وأول هذه المصطلحات في هذه الدراسة هو مصطلح :

---

(١) العساف ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، ١٤١٦هـ ، ج١ ، ص٢٠٦ .
(٢) صليبا ، المعجم الفلسفي ، ١٩٧٨م ، ج١ ، ص١٠ .

دور :

من حيث اللغة : فقد جاء في كتاب مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني قوله : " الدائرة عبارة عن الخيط المحيط ، يقال : دارَ يدور دوراناً ، ثم عُبِّر بها عن المحادثة والدورة والدائرة في المكروه "[١]، قال تعالى : { نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ }[٢].

ويقول خليل الجر : " دار دوراً ، الشيء تحركَ وعادَ إلى مكانه "[٣].

اصطلاحاً : أما كلمة (دور) في الاصطلاح ، فقد جاءت على النحو التالي :

قال الجرجاني : " الدور : هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح كما يتوقف (أ) على (ب) "[٤].

أما جميل صليبا ، فهو يعرّف الدور منطقياً فيقول : " والدور في المنطق : علاقة بين حدّين يمكن تعريف كلّ منهما الآخر ، أو علاقة بين قضيتين يمكن استنتاج كل منهما من الأخرى ، أو علاقة بين شرطين يتوقف ثبوت أحدهما على ثبوت الآخر "[٥].

ويقصد الباحث بكلمة دور في هذه الدراسة هو الجهد والعمل المتوقع من التربية والواجب عليها للحفاظ على الهوية الخصوصية لدى الناشئة بكافة مستوياتهم العلمية والعمرية .

أما المصطلح الثاني في هذه الدراسة فهو :

التربية الإسلامية :

وسيبدأ الباحث بتعريف التربية بشكل عامّ .

التربية لغةً : قال ابن منظور في لسان العرب : " وتربية وأرتبه ورباه تربية وترباه : أحسنَ القيامَ عليه ووليه حتى يفارق الطفولية ، كان ابنه أو لم يكن "[٦].

---

(١) الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ١٤١٢هـ ، ص٣٢١ .
(٢) سورة المائدة : الآية (٥٢) .
(٣) الجر ، المعجم العربي الحديث ، ١٩٧٣م ، ص١١٣ .
(٤) الجرجاني ، التعريفات ، ١٩٧٨م ، ص١١٠ .
(٥) صليبا ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٥٦٦ .
(٦) ابن منظور ، لسان العرب ، د.ت ، ج٤ ، ص٤٠٠ .

وبنفس الرأي قال الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن ، إذ يقول عن التربية من حيث اللغة : " الرب في الأصل : التربية ، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام ، يقال : ربَّهُ ، وربَّاه ، وربّبه ، فالربّ مصدر مستعار للفاعل ، ولا يقال الربّ مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات ، نحو قوله تعالى : { بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ }(١). ويقال : ربُّ الدار وربُّ الفرس لصاحبها "(٢).

التربية اصطلاحاً : أما ما جاء في شأن التربية اصطلاحاً ، فالتربية بشكلٍ عامّ ، يُعرِّفها أحمد زكي بدوي بقوله : أنها " نظام اجتماعي يحدد الأثر الفعّال للأسرة والمدرسة في تنمية النشء من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية ، حتى يمكنه أن يَحيَا حياة سويّة في البيئة التي يعيش فيها "(٣).

وبالنظر في التعريف الاصطلاحي السابق للتربية ، يرى الباحث أنها عملية تنبثق من المجتمع ومبادئه التي يؤمن بها ، بمعنى أنها ذات صبغة وضعية ، مما يجعلها عُرضة للتغيير والتحوّل . أما التربية بشكلٍ خاصّ - والذي يقصده الباحث هنا - ، فهو ما يتعلق بالتربية الإسلامية ، والتي يُعرّفها أحمد بن ناصر الحمد بقوله : أنها " عملية إرادية في إطار الإيمان بالله ، لتوجيه الفرد والجماعة الإنسانية إلى النافع ، والتحذير من الضّارّ "(٤).

كما يُعرّفها النحلاوي بقوله : " تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه وعواطفه ، على أساس الدين الإسلامي ، وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة ، أي في كلّ مجالات الحياة . فالتربية الإسلامية على هذا ، عملية تتعلق قبل كل شيء بتهيئة عقل الإنسان وفِكره وتصوّراته عن الكون والحياة "(٥).

ومن خلال ما سبق من تعاريف عن التربية بشكلٍ عامّ ، والتربية الإسلامية بشكلٍ خاصّ ، يظهر للباحث أنّ التربية الإسلامية إنما تنبثق من إيمان الفرد بربّه إيماناً مطلقاً ، وتستمدّ تشريعاتها وتصوغ أهدافها من

(١) سورة سبأ : الآية (١٥) .
(٢) الأصفهاني ، مرجع سابق ، ص٣٣٦ .
(٣) بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، ١٩٨٢م ، ص١٢٧ .
(٤) الحمد ، التربية نبع العقيدة ، ١٤٠٩هـ ، ص٢٧ .
(٥) النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، ١٩٨٣هـ ، ص٢٧ .

مصادر التشريع الإسلامي ، بهدف بناء الإنسان الصالح لكل زمان ومكان ، وكذلك الحفاظ على هذا الإنسان من الانحرافات السلوكية بعمومها ، وحماية عقله من الجمود ، وفكره من التبعية ، وتعويده النظر في الكون ، متأمّلاً مستقرئاً لآياته وعِبَره وعِظاته ، مع ضبط حركة عقله من التفلت ، أو تجاوز الحدود المشروعة .

ولعلّ هذا مما يُميِّز التربية الإسلامية عمّا سواها من نماذج تربوية أخرى ، والتي تستند إلى مرجعيات وضعية إقليمية كانت أو قومية أو غربية وافدة ، أو غير ذلك من طُرق وسُبل الأهواء والبدع . لذلك ترى الدراسة بأنّ أفضل مَن يقوم بدور المواجهة لمجابهة تحديات ظاهرة العولمة هي التربية الإسلامية الحقة .

أما المصطلح الثالث في هذه الدراسة ، فهو اصطلاح :

مواجهة :

المواجهة لغةً : جاء في مختار الصحاح ، في مادة (و ج هـ) قوله : " والمواجهة : المقابلة "[١].

والذي يقصده الباحث هنا في هذه الدراسة من معنى المواجهة ، أي العمل الوقائي الذي يمكن أن تقوم به التربية الإسلامية من أجل إيقاف التقدم والمد الثقافي والتربوي للعولمة ، والقادم عبر وسائط ومنافذ متعددة الأشكال .

أما المصطلح الرابع ، فهو اصطلاح :

التحديات :

التحدّيات لغةً : جاء في مختار الصحاح ، في مادّة (ح د ا) قوله : " وتحدّيتُ فلاناً : إذا باريته في فعل ، ونازعته الغلبة "[٢].

وبما أنّ الباحث يرى أنّ العولمة ظاهرة تحمل تحدّياً جدّياً بشقّيه : الإيجابي والسلبي ، فإنّ ذلك يستدعي التعامل مع مفرزات هذه الظاهرة بحذر ومهارة ، وهذا ما يقودنا إلى تعريف المصطلح الخامس في هذه الدراسة ، وهي :

---

(١) الرازي ، مختار الصحاح ، د.ت ، ص٧١١ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٢٧ .

الثقافة :

الثقافة لغةً : جاء في القاموس المحيط (فصل : الثاء ، باب : الفاء) قوله : " وثقف ككرم وفرح ، وثقفاً وثقفاً وثقافة : صار حاذقاً حقيقياً فطناً ، فهو ثقف "[١].

أما صاحب لسان العرب فيقول في (فصل : الثاء ، باب : الفاء) أيضاً : " ثقف ، ثقف الشيء ثقافة وثقافاً وثقوفة : حذقه ، ورجُل ثقف وثقف : حاذِق فهم ، وثقِفَ الرجُل ثقافة : أي صارَ حاذقاً خفيفاً ، مثل : ضَخِمَ "[٢].

وهذا أغلب ما ورد في معنى الثقافة لغةً ، حيث وجد الباحث أنها تدور حول معانٍ متقاربة ، مثل الفهم ، الحذق ، والإدراك ..

الثقافة اصطلاحاً : فإنّ هناك عدد من التعاريف لكثير من العلماء في العلوم الاجتماعية يُعرِّفون بها الثقافة ، من ذلك :

ما قاله أحمد بدوي في تعريف الثقافة ، بأنها " البيئة التي خلقها الإنسان[*] بما فيها المنتجات المادية وغير المادّية ، التي تنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ آخر ، فهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز ، والذي يتكوّن في مجتمعٍ معيّن من علوم ومعتقدات وفنون وقِيَم وقوانين وعادات ، وغير ذلك "[٣].

وهذا تعريف يتّسم بالعمومية ، إذ أنه تعريف عامّ للثقافة المنبثقة من بيئة تحمل مبدأً خاصّاً بها ، تصوغ من خلاله أنماطها الثقافية .

أما الثقافة من وجهة النظر الإسلامية ، فيعرّفها أبو لاوي بالقول : أنها " جميع الأفكار الجزئية عن الكون والإنسان والحياة المنبثقة من العقيدة الإسلامية "[٤].

وهذا هو التعريف الذي سيتبنّاه الباحث وينطلق منه في هذه الدراسة - بإذن الله تعالى - .

---

(١) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، د.ت ، ج٣ ، ص١٢٥ .
(٢) ابن منظور ، مرجع سابق ، ج٩ ، ص١٢٥ .
(*) يرى الباحث أنّ هذه العبارة تحتاج إلى ضبط شرعي ؛ لأنّ الخلق من صفات الباري وحده ، وحبذا لو استبدلت بكلمة : (صنعها الإنسان) .
(٣) بدوي ، مرجع سابق ، ص٩٢ .
(٤) أبو لاوي ، مَعْلَم الثقافة الإسلامية ، ١٤١٩هـ ، ص١٤ .

أما آخر المصطلحات في هذه الدراسة ، فهو مصطلح :

العولَمة لغةً : لم يعثر الباحث - وحسب جهده ومقدار علمه - على ما يقابل كلمة (عولمة) في قواميس اللغة العربية المعتبرة والتي رجع إليها ، مثل : لسان العرب ، لابن منظور ، ومختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ، وكذلك القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، وأيضاً كتاب التعريفات ، للشريف الجرجاني .. وربما يعود ذلك ويُعزى إلى كون لفظ (عولمة ، أو العولمة) من الألفاظ المستحدثة ، وهذا ما حدا بالدكتور عبد الصبور شاهين - وهو عضو بمجمّع اللغة العربية بالقاهرة - إلى أن يقترح لمصطلح (العولمة) مصدراً قياسياً عن طريق التوليد ، وهو (عولمية) ، حيث قال في سلسلة كتاب المعرفة السعودية : " إذا جاءت كلمة (العولمة) ، وجبَ حملها على معنى الإحداث أو الإضافة في مقابل (**Globalization**) ، ويرى أنّ أصل الكلمة هو (عالَم) ، كما افترض للكلمة فعلاً ، هو (عَوْلَم ، يُعَوْلِمُ ...) ، وذلك عن طريق التوليد القياسي من المصدر الصناعي (عَوْلَمِيّة) "(١) .

أما العولَمة اصطلاحاً : تعدّدت تعاريف العلماء والباحثين لمفهوم (العولمة) ، وذلك ناتج عن حداثة المفهوم وجدّته ، وتوسّع مجالاته ، وتسارع تطبيقاته ، واتّسام بعض آلياته بعدم الشفافية لدرجة لم يتمكن أحد من صياغة أو بلورة مفهوم محدد للعولمة ، كما أنّ هناك اعتبارات أخرى ستذكر في موطنها من هذه الدراسة - إن شاء الله - ، ربما أنها ستوضّح سبب عدم التمكُّن من بلورة وصياغة مفهوم محدد للعولمة .

ولكن مع ذلك ، فمن ضمن الجهود التي شاركت في محاولة التعريف بظاهرة العولمة ، هناك تعريف يرى الباحث - في هذه الدراسة - أنه ربما يكون هو الأقرب إلى حدود وتوجيهات هذه الدراسة ، والتي تُعنَى ببيان أثر العولمة على المجال الثقافي والتربوي ، وهذا التعريف هو الذي قال به عبد الله أبو راشد ، إذ يرى أن العولمة هي " مرحلة ما بعد الاستعمار ، وهي مرتبطة عضوياً مع وسائل الاتّصال الحديثة لنشر ثقافتها القائمة على الاختراق "(٢) .

وحتى نقترب خطوات أكثر نحو تحديد معنى الثقافة العولمية أو الكونية ، فإن الباحث ينقل ما ورد في جريدة الوطن السعودية نقلاً عن الجارديان

---

(١) شاهين ، كتاب المعرفة السعودية ، عدد ٧ ، ص٣٥ .

(٢) أبو راشد ، العولمة في النظام العالمي ... ، ١٩٩٩م ، ص١٠ .

، إذ يقول الكاتب معرّفاً بالثقافة المعولمة : " الثقافة العولمية تعني ببساطة : احتلال المفاهيم كافة ، التي تقرّها الحدود الجغرافية لكل ثقافة "(١) .

الدراسات السابقة :

حاولَ الباحث قَدر استطاعته الاتصال بكثيرٍ من الجهات البحثية ذات العلاقة ، بغية الاطّلاع على أهمّ ما كتب في هذا الموضوع الذي هو بصدد طرقه والبحث فيه .

ومن تلك الجهات التي تَمّ الاتصال بها ما يلي :

١- مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

٢- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض .

٣- معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أُمّ القرى بمكة المكرمة .

٤- مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي بالرياض .

وقد أفاد الجميع بعدم وجود أيّ أبحاث أكاديمية غير منشورة عن ظاهرة العولمة في أيّ مجال من مجالاتها .

● الدراسة الأولى :

اسم البحث : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية - رؤية نقدية من العالم الثالث - .

اسم الباحث : أحمد مجدي حجازي .

نوع البحث : بحث علمي منشور بمجلة عالم الفكر - العدد الثاني - المجلد الثامن والعشرون - سنة ١٩٩٩م .

أهداف البحث :

لم يذكر الباحث أهدافاً صريحة لدراسته ، ولكن يظهر أنه يهدف إلى الوصول إلى بعض الإجابات عن بعض الأسئلة التي يثيرها المهتمّون بالنشاط الثقافي من النخب الثقافية الوطنية في الوطن العربي ، فهو يقول

---

(١) جريدة الوطن السعودية ، صفحة الثقافة ، عدد ٥٢ ، ص٦ .

: " تسعى الدراسة الراهنة إلى طرح مجموعة من القضايا والتساؤلات المثارة بين المثقفين والمهمومين بقضايا الهوية والشخصية الوطنية في ظلّ تجليات العولمة "[1].

<u>المنهج العلمي المتّبع في الدراسة :</u>

لم يحدّد الباحث منهجه العلمي الذي سارَ عليه في دراسته .

<u>أبرز النتائج :</u>

من أبرز النتائج التي توصّل إليها الباحث ما يلي :

١- أنّ هناك تنميطاً متزايداً من السلوك البشري في اتّجاه ثقافة معمّمة ، أو ما يسمى بثقافة الأمركة .

٢- اندماج الثقافة في العملية الاقتصادية التجارية الجديدة ، أسوة بغيرها من المنتوجات ، إذ تحررت من القيود الجمركية ، وباتت قابلة للتداول على أوسع نطاق ، مما يعني أنّ الثقافة أصبحت سلعة شأنها شأن السلع المادّية الأخرى .

٣- يلعب الإعلام المعولم وتقنيات الاتصال تهديداً للتعددية الثقافية ، وطمس الهويات الثقافية .

<u>التوصيات :</u>

لم يحدّد الباحث توصيات أو اقتراحات مستقبلية للتعامل مع العولمة .

موقف الدراسة الحالية من الدراسة السابقة :

هناك عدد من النقاط تلتقي فيها الدراستان كما يلي :

١- أنّ العولمة هي محاولة لفرض منظومة ثقافية غربية وسحق ما سواها .

٢- أنّ الاقتصاد الرأسمالي هو مجرد الزاوية في ظاهرة العولمة .

٣- أنّ الإعلام والتقنية الاتصالية تساهم في تجسيد واقع العولمة .

كما أنّ هناك أوجه اختلاف بين الدراستين ، تتمثل فيما يلي :

أنّ الدراسة السابقة تقرّ بوجود التعددية الثقافية . وترى هذه الدراسة

---

(١) حجازي ، مجلة عالم الفكر ، عدد ٢ ، ١٩٩٩م ، ج٢٨ ، ص١٢٤ .

التي بين أيدينا أنّ الثقافة الصحيحة المتفقة مع المنظور الشرعي هي التي يجب أن تبقى لمصلحة الإنسان في كلّ مكان وزمان ، وهو ما يمثل ثقافة الإسلام فقط ؛ لأنّ الإقرار بأنّ من حقّ كلّ ثقافة أن تبقى ، يعني قبول سيل من الثقافات المتضادة ، والتي غالباً تكون مخالفة لِما هو مقبول شرعاً ، كثقافة الانحلال الخُلقي ، وثقافة الإلحاد ...



الفصل الثانـي

(مفهــوم العولمــة)

المبحث الأول : تعريف العولمة لغةً واصطلاحاً .

المبحث الثاني : مترادفات حول مفهوم العولمة .

المبحث الثالث : مرتكزات العولمة .

المبحث الرابع : آليات العولمة .

الفصل الثاني

(مفهـوم العولمـة)

المبحث الأول : تعريف العولمة لغةً واصطلاحاً :

أولاً : التعريف اللغوي :

العولمة لغةً : نظراً لكون لفظ العولمة لفظاً حادثاً ، وبالتالي فإنه بالرجوع إلى كُتب وقواميس اللغة العربية ومعاجمها المعتبرة في هذا المجال ، مثل : كتاب لسان العرب ، لابن منظور ، والقاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ومختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ، وكتاب التعريفات ، للشريف الجرجاني . فإنّ الباحث لم يقع على ما يقابل المصطلح في هذه الكتب أو المراجع .

ولعلّ مردّ ذلك يعود إلى كون هذا المصطلح - بهذه الصيغة - (العولمة) يعتبر من المصطلحات المستخدمة حديثاً .

وهذا ما حمل الدكتور : عبد الصبور شاهين - وهو عضو مجمّع اللغة العربية - على القول : " إنه إذا جاءت كلمة (العولمة) ، وجبَ حملها على معنى الإحداث أو الإضافة في مقابل (**Globalization**) ، ويرى أنّ أصل الكلمة هو (عالَم) ، وافترض للكلمة فعلاً ، هو (عَوْلَم ، يُعَوْلِمُ ...) ، وذلك عن طريق التوليد القياسي من المصدر الصناعي ، والذي يرجّحه ، وهو كلمة (عَوْلَمِيّة) "[(١)].

وبناءً على ذلك يصبح الفعل (عَوْلَم) هو الفعل الذي تُبنى عليه الدراسة من الناحية اللغوية ، وهو فعل رباعي مجرد على وزن (فَعْلَلَ) . وفي ذلك يقول ابن هشام : " وقياس (فَعْلَلَة) كدحرَجَ دحرجةً ، زلزلَ زلزلةً ، بيطرَ بيطرةً ، وحَوقَلَ حوقَلَةً "[(٢)].

وعلى ذلك فإنّ الفعل ومصدره لهذه الدراسة يكون : (عَوْلَم ، يُعَوْلِمُ ، عَوْلَمَةً) . وانسياقاً مع ما ذكره الدكتور شاهين ، فإنّ صيغة (الفعللة) التي تأتي منها (العَوْلَمَة) إنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الإحداث والإضافة ، فيكون معنى (العولمة) الإشارة إلى حدث عالَمي ، أو سيشمل العالم كلّه .

---

(١) شاهين ، مرجع سابق ، ص٣٧ .

(٢) ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ١٣٩٩هـ ، ج٣ ، ص٣٩ .

وهذا الذي ذكره الباحث يعضده بعض معاني كلمة (**Globalization**) ، حيث إنها تعني من حيث اللغة : (جعل الشيء عالمي النطاق) كما وردَ ذلك في قاموس[١].

مترادفات العـولمة اللغـوية :

يودّ الباحث الإشارة أولاً إلى أنّ هذا المصطلح (العولمة) له مترادفات لغوية وأخرى اصطلاحية ، وسيُبدأ أولاً بالمترادفات اللغوية . فلعل مما عمّق الفجوة بين المصطلح ومعناه في اللغة ليس فقط حداثة المصطلح وعصرانيته ، بل أيضاً كثرة المترادفات لكلمة (العولمة) . فقد استخدم كثير من الباحثين المعاصرين على مختلف مشاربهم مترادفات عدّة ، كلٌّ حسب رؤياه للظاهرة وما تمثله لديه . ومن تلك المترادفات اللغوية ما يلي :

١) **الكلية :** وذلك نسبة إلى الكُلّ . يقول الجرجاني : " والكل ما يتركب من أجزاء ، وقيل : الكلّ اسم لجملة مركّبة من أجزاء محصورة "[٢].

وربما يكون سبب إطلاق لفظ (الكليّة) بمعنى العولمة ، استئناساً من كلام الجرجاني السابق ، يرجع إلى كون ظاهرة العولمة (الكلية) تتكون من وحدات مترابطة ، مثل الاقتصاد ، التقنية ، الإعلام ، السياسة ... ، والتي تشكل في مجموعها هدف الظاهرة وواقعها .

٢) **الكوكبية :** نسبة إلى الكوكب . يقول الجرجاني : " الكواكب أجسامٌ بسيطة مركوزة في الأفلاك كالفصّ في الخاتم ، مضيئة بذاتها ، إلا القمر "[٣].

والذي يظهر ، أن مناسبة استخدام هذا اللفظ كمصطلح مرادف للعولمة ، هو أنّ العولمة ذات نظرة شمولية تعمّ كوكب الأرض بأسره ، وهو فضاء حركتها .

٣) **الكونية :** نسبة إلى الكون ، وهو كما يقول : الجرجاني : " عبارة

---

(١) The American Herilage` Dictianary - P. 562 .
(٢) الجرجاني ، مرجع سابق ، ص١٩٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص١٩٨ .

عن وجود العالّم المكوّن "[1].

أما من حيث العلاقة بين الكونية والعولمة ، فلأنّ القاسم المشترك بينهما واحد ، وهو العالّم المشاهد ، أو الكون المنظور والمشاهَد .

٤) العالَمية : وذلك نسبة إلى (العالّم) ، والعالّم - كما يوضّح ذلك الجرجاني - لغةً بأنه : " عبارة عمّا يُعْلّم به الشيء ، واصطلاحاً : كلّ ما سِوى الله من الموجودات ؛ لأنّه يعلم به (الله) من حيث أسمائه وصفاته "[2].

وهذا اللفظ الأخير هو أقرب الألفاظ اللغوية إلى مصطلح العولمة ؛ لأنّها من فَعْلَلَ (عَوْلَم) ، والمأخوذ من (عالّم ، يُعَوْلِمُ ، عَوْلَمَةً) كما سبق .

كما أنّ كثيراً من الباحثين درجوا على استخدامه للدلالة على معنى هذه الظاهرة ، ويرون أنّ ذلك يعني أنّ العولمة سوف تسعى إلى تحقيق هيمنة عالمية لنمط واحد ، يتناول جوانب الحياة الإنسانية بعمومها المادّية منها والمعنوية ، الدينية والدنيوية ، والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ...

هذه أبرز تعاريف العولمة ومترادفاتها اللغوية ، وسيكون هناك مزيد من الإيضاح والإضافة عند الحديث عن العولمة في الاصطلاح الفني التخصصي - بإذن الله تعالى - ، مع محاولة الربط بين التعاريف اللغوية والاصطلاحية بما يحقق وعياً أكثر بحقيقة المفهوم واستشراف أبعاده من خلال دلائل الألفاظ ومعانيها ومترادفاتها .

ثانياً : مفهوم العولمة اصطلاحاً :

١/ تمهيد :

المصطلح : جاء في كتاب التعريفات أنّ الاصطلاح : " عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم (ما) ينقل عن موضعه الأول "[3].

ويقول الدسوقي : أن المصطلح هو " اللفظ الذي يطلق بمفهوم محدد أو مقيد في أحد العلوم ، بينما يكون له في الاستعمال العامّ معاني أوسع

(١) المرجع السابق ، ص١٩٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص٢٨ .

"[1].

من خلال التعريفين السابقين يتبين لنا أنّ المصطلح هو ذلك اللفظ الذي تواطأ وتعارف عليه مجموعة من أهل الاختصاص في فنّ من الفنون ، والذي يدور حول كلمة (ما) ، وأن من طبيعة المصطلح أنه أضيق مجالاً من المعنى اللغوي ، كما أن من طبيعته أنه يأتي للدلالة على ما تَمّ الاتّفاق عليه بين ذوي الاختصاص حول لفظ معين ، بحيث متى ما ذكر ذلك اللفظ تبادرَ إلى الذهن مباشرة المعنى الذي قد اتفق عليه القوم ، واصطلحوا عليه بما يزيل اللبس ويكشف الغموض .

وقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى واحد ، وذلك راجع إلى اختلاف رؤى العلماء في كل فنّ من فنون المعرفة ، بما يجعل للكلمة الواحدة عند أهل كل صنعة أو مذهب معنىً اصطلاحياً يوافق فنّهم الذي يشتغلون فيه .

والذي يظهر من خلال ما تَمّ جمعه من تعاريف حول مفهوم العولمة من الناحية الاصطلاحية : أنَّ المصطلح يواجه اختلافات كثيرة تصل في بعض الحالات إلى حدّ التعارض حتى بين أصحاب التخصص الواحد .

فمثلاً : مصطلح (العولمة الثقافية) ، يرى بعض المهتمّين بالشؤون الثقافية أنّه يعني الانفتاح والثراء ، والتلاقح الثقافي بين الشعوب وثقافاتها المختلفة فيما قد يتّفقون على تسميته بالمشترك الثقافي البشري ..

بينما يرى بعض الباحثين أنّ المصطلح بهذا المعنى يمثل صورة من صور الغزو الثقافي والاختراق للخصوصيات ، وتذويب للهويات ، واستلاب فكري ... إلخ .

ويرى بعض المفكّرين أنّ هناك أكثر من سبب وتبرير لهذا الاختلاف والتعدّد في دلالة ومعنى (العولمة) اصطلاحاً ، ومن هذه التبريرات ما ذكره الدكتور السيد ياسين ، حيث قال : " إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً لتعدّد تعريفاتها ، والتي تتأثر أساساً بانحيازات الباحثين الأيديولوجية ، واتّجاهاتهم إزاء العولمة "[2].

كما أنّ الدكتور أحمد فؤاد باشا يؤيد ما ذهبَ إليه السيد ياسين ،

---

(١) الدسوقي ، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، ١٤٠٦هـ ، ج٢ ، ص١٤٧٣ .
(٢) السيد ياسين ، ندوة الإسلام والعولمة ، ١٩٩٩م ، ص١٠١ .

ولنفس الأسباب تقريباً[1] .

بينما نجد أنّ جيمس روزانا يضيف بُعداً آخر حول صعوبة وضع تعريف اصطلاحي للعولمة ، ألا وهو حداثة الظاهرة ذاتها ، فهو يرى أنّ ظاهرة العولمة برمّتها ظاهرة حديثة لم تتبلوَر أبعادها بالشكل النهائي الذي يمكن معه وضع إطار اصطلاحي يحدد ماهيتها وأبعادها وأهدافها بشكلٍ دقيق ، إذ يقول : " يبدو مبكراً وضع تعريف كامل وجاهز يلائم التنوّع الضخم لهذه الظواهر "[2] .

ويمكن تحديد أبرز أوجه الخلاف بين العلماء والمفكّرين حول مفهوم العولمة في النقاط التالية :

أولاً : تشعّب المفهوم وترامي أطرافه ، مما سبب عدم القدرة على السيطرة عليه ، فهو يضرب بسهم في كل منحى من مناحي الحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والتربوية ، والثقافية ، والأمنية ، والدينية ، والفكرية ... ففي كل مجال تكاد تجد للعولمة أثراً جلياً وبصمة لا تخفى ، مما يقتضي - بالتالي - تعريفاً مغايراً للآخر .

ثانياً : اختلاف زوايا النظر عند المفكّرين ، فلكل أهل اختصاص رؤياهم الخاصة عن المفهوم ، وذلك حسبما يمليه عليهم طبيعة التخصص . فكان ذلك سبباً مباشراً وقوياً نحو ترسيخ المشكلة ، فمن العلماء والمفكرين مَن يميل إلى اختزال الظاهرة في بُعد واحد لا تتجاوزه ، ومنهم مَن يرى ضرورة توسيع زاوية النظر .

ثالثاً : وجود الإسقاطات والقناعات المسبقة والمتشبعة بمختلف المشارب عن طبيعة المفهوم لدى كثير من الكتّاب والمفكّرين الذين راموا الكتابة أو الحديث عن ظاهرة العولمة . والحقيقة أنّ هذه الجاهزية المسبقة - سواء بالقبول أو الرفض - مسألة فيها نظر ؛ لأنّ الإنسان المسلم بالذات ، مأمور شرعاً بعدم التبعية في مثل هذه الأمور .

رابعاً : أما ما ذهب إليه جيمس روزانا من أنّ هناك بُعداً آخَرَ - وهو حداثة الظاهرة - ، فالحقيقة أنّ الباحث لا يميل إلى تأييد قوله ؛ لأنّ الشواهد التاريخية تثبت أنّ هناك محاولات عدّة مرّت بها البشرية

---

(١) باشا ، مجلة الموقف ، عدد ١٤١ ، ص٤١ .

(٢) ياسين ، وآخرون ، ندوة العرب والعولمة ، ١٩٩٨م ، ص٢٦ .

لعولمتها ، ولكن قد تختلف الأهداف والآليات والدوافع والوسائل فقط .

والذي خرج به الباحث بعد هذه التبريرات التي ذكرها المفكّرون والباحثون ، أنّ هناك غموضاً يكتنف الظاهرة (العولمة) ، حيث لم تتبلوَر بشكلٍ نهائي ، وأن هذا الغموض حول حقيقة المفهوم ناتج من اختلاف الآراء وتشعّبها ، وتداخل بعضها في بعض ، مما أحدث اللبس ، وكثّف الرؤيا بشكلٍ كبير . ولعلّنا نستطلع ذلك عند سرد الدراسة لبعض التعاريف عن الظاهرة بعد تصنيف هذه التعاريف إلى أبرز المجالات التي ذهب إليها كل صاحب تعريف .

٢/ تعريف العلماء للعولَمَة :

سيقوم الباحث في هذه الفقرة بذِكر أبرز التعاريف التي توصّل إليها بعض العلماء عن العولمة ، مع مراعاة عدم الإطالة في مناقشة هذه التعريفات إلا بِما دَعَت إليه الحاجة .

أولاً : تعريف العولمة من منظور اقتصادي :

يعتبر الاقتصاد حجر الزاوية في ظاهرة العولمة المعاصرة . لذلك نرى كثيراً من الذين كتبوا عن الظاهرة أشاروا في تعريفهم لها بأنها اتّجاه نحو فرض مبادئ الرأسمالية والاقتصاد الحرّ . ومن أولئك المفكّرين والباحثين : صاحبا كتاب (فخ العولمة) ، حيث قالا عن تعريف العولمة من المنظور الاقتصادي : " العولمة انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالّمي شمولي واحد لا مكان فيه للخاملين ، بل يقوده أولئك الذين يقدرون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء "[١].

ومنهم محمود المنير ، إذ يقول : " العولمة هي مصطلح ومفهوم وسياسات تدار من قِبل السياسات الاقتصادية والتفاعلات المالية ... "[٢].

ومن أولئك أيضاً : أبو زعرور ، إذ يقول معرّفاً العولمة : " إنها حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ، ورأس المال ، والمعلومات ، عبر الحدود الوطنية والإقليمية "[٣].

---

(١) هانس ، وهارالد شومان ، مرجع سابق ، ص٢٧ .
(٢) المنير ، العولمة وعالم بلا هوية ، ١٤١٨هـ ، ص١٢ .
(٣) أبو زعرور ، العولمة ، ماهيتها ونشأتها ، ١٤١٩هـ ، ص١٤ .

ويلاحَظ مما سبق ، أنّ هناك حصراً لمفهوم العولمة في البعد الاقتصادي فقط .

ثانياً : تعريف العولمة من منظور سياسي :

تعتبر السياسة الوحدوية التي تطمح العولمة إلى إنشائها ركناً مهماً من أركان الظاهرة ، لذلك يرى كثير من الباحثين أنّ العولمة ما هي إلا تفعيل لنظريات وفلسفات سياسية بحتة تتخذ من الاقتصاد وسيلة وذريعة لتحقيق سيادتها العالمية . ومن أولئك القائلين بهذا الرأي : دكتور شاهين ، إذ يقول : " العولمة يقصد بها اتّجاه الحركة الحضارية نحو سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة ، أو بعبارة أخرى : استقطاب النشاط السياسي والاقتصادي في العالم حول إدارة مركز واحد من مراكز القوة في العالم "(١) .

ومنهم أيضاً صاحب كتاب العولمة في النظام العالمي ، إذ يرى أنّ العولمة هي " مرحلة ما بعد الاستعمار ، وهي مرتبطة عضوياً مع وسائل الاتصال الحديثة "(٢) .

ومنهم أيضاً دكتور الحاجي ، إذ يرى أن العولمة هي " الهيمنة الغربية والأمريكية .. "(٣) .

وهذا أيضاً اختزال لمعنى الظاهرة حول المجال السياسي وحصرها فيه .

ثالثاً : تعريف العولمة من منظور اجتماعي :

يرى أصحاب هذين الاتّجاهين أنّ العولمة تهدف إلى إيجاد حضارة جديدة مؤثرة في سلوكيات الناس وأنماط حياتهم . ومن الذين يؤيدون هذا الرأي : الذين عرّفوا العولمة بأنها " اجتياح الشمال للجنوب ... اجتياح الحضارة الغربية ممثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى ، وهي التطبيق العملي لشعار نهاية التاريخ "(٤) .

ومنهم أيضاً دكتور إسماعيل عبد الله الذي يقول : " إن العولمة

---

(١) د. شاهين ، مرجع سابق ، ص٣٧ .
(٢) أبو راشد ، مرجع سابق ، ص١٠ .
(٣) د. الحاجي ، العولمة أم عالمية الشريعة الإسلامية ، ١٤٢٠هـ ، ص٨ .
(٤) د. عمارة ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، ١٩٩٩م ، ص١٤ .

ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك يكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية للدول ، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصعد تؤثر في حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان ... "[(١)].

رابعاً : تعريف العولمة من منظور ثقافي :

تعتبر الثقافة هي الإطار الذي يشكل شخصية الأمة ويحفظ هويتها ، لذلك يشعر بعض المفكرين والمحللين أنّ العولمة هي محاولة إقصاء متعمد للثقافات المحلية ، واستبدالها بثقافة مكتسحة ؛ هي ثقافة العولمة . ومن القائلين بذلك : صاحب كتاب (العرب والغرب) إذ يقول عن الكونية الثقافية : " إن الكونية الثقافية التي يدعو لها الغرب ، هي تلك التي لا تقفز بالشعوب إلى ممارسة دور متكافئ في حدود هذه الثقافة ، وإنما ستجد تلك الشعوب بالنتيجة نفسها تابعة أكثر لمركزية الغرب ؛ لأنّه روح تلك الثقافة الكونية "[(٢)].

ويفهم من الكلام السابق أن العولمة الثقافية هي عملية منهجية ، ومحاولة منظمة تهدف إلى إقصاء أو تهميش الثقافات المحلية أو الإقليمية ، واستبدالها بثقافة جديدة تتسم بالتجانس والتوحّد والاندماج ، ومرحَّلة عبر القنوات الإعلامية المختلفة ، وكذلك عبر وسائل الاتصال الحديث ، وشبكات المعلومات . ومما يؤكد ما يراه الباحث ، هو ما قاله أبو راشد ، إذ يقول : " العولمة الثقافية هي محاولة مجتمع تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة "[(٣)].

وأخيراً يرى بعض الكتّاب أن العولمة تعني ما يلي : " عملية من الاعتماد المتبادل المتنامي بين شعوب المعمورة . فالناس ترتبط جميعاً اقتصادياً واجتماعياً من خلال الحكومات والاستثمارات والتبادل التجاري ، ويتمّ تشجيع هذا الترابط بإيجاد سوق حرة وتبادل بينهم للمعلومات وتقنيات الاتصال والتنقل "[(٤)].

---

(١) د. عبد الله ، ندوة العرب والعولمة ، ١٩٩٧م ، ص٦٣ .
(٢) هاني ، العرب والغرب أية علاقة أي رهان ، ١٩٩٨م ، ص١٥٨ .
(٣) أبو راشد ، مرجع سابق ، ص١٤ .
(٤) مترجم عن شبكة الإنترنت موقع :
Http : llwww . itcilo . it / english / actrv / telearn / glolobe / new - ntm - page 1 of 18 .

وبعد هذا السرد لبعض تعريفات العولمة حسب مجالاتها ، يتّضح أن هناك غموضاً وضبابية تحيط بمفهوم العولمة . ناتج هذا الغموض من تعدد زوايا النظر ، وكثرة المجالات ، واختلاف وجهات النظر بين الباحثين .

❒ ❒ ❒

المبحث الثاني : مترادفات حول مفهوم العولمة اصطلاحاً .

أولاً : العولمة بمعنى النظام العالمي الجديد :

كما كان متوقعاً ، فإن كثرة تعاريف العولمة من الناحية الاصطلاحية أدّت إلى كثرة مترادفاتها أيضاً ، بل وإلى اختلافها بشكلٍ جلي وصريح إلى أبعد الحدود .

وكما سلك الباحث في المبحث الأول من حيث سرده لأبرز التعاريف الاصطلاحية ، فإنه سينهج نفس الأسلوب ، مع إعطاء توضيح مبسط حسب القدرة كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

ولعل من أبرز المترادفات لظاهرة العولمة من الناحية الاصطلاحية ، ما عُرِف باسم : (النظام العالمي الجديد) .

وكان هذا المصطلح قد سُمِع بُعيد نهاية الحرب العالمية الثانية ، تلافياً لحدوث مأساة إنسانية مشابهة لِما سبق ، كما بُرِّر به آنذاك ، ثم خمد ذلك المصطلح فترة الحرب الباردة إلى أن جاءت إرهاصاته المتمثلة في تفكيك الكتلة الشرقية ، وتلاشي الاتّحاد السوفييتي ، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب وحيد على الساحة الدولية ، وسقوط سور برلين ، ثم كانت قاصمة الظهر - حرب الخليج الثانية - ، وكانت فرصة لتحرير الكويت ، وإعلان ميلاد هذا النظام العالمي الجديد ، كما صرّح بذلك الرئيس الأمريكي جورج بوش لأول مرة ، وذلك في سبتمبر أيلول ١٩٩٠م ، حينما قال في خطابه أمام الكنجرس الأمريكي : " إننا نتطلّع إلى نظام عالمي جديد يصبح أكثر تحرراً إزاء التهديد بالإرهاب ، وأكثر مناعة في إقرار العدالة ، وأكثر أمناً في السعي من أجل السلام . إننا نتطلع إلى عالم جديد يسوده القانون بدلاً من شريعة الغاب ، وتعترف فيه الأمم بمسؤولياتها المشتركة في تحقيق الحرية والعدالة "[(١)].

ويُلاحظ على كلام الرئيس السابق ، أنه يمتاز بالدبلوماسية والحذر ، حيث إنه لم يشتمل على إعلان تفرّد أمريكا على قمّة هذا النظام العالمي الجديد ، بل هي مجرد فاعل مشارك مع الآخرين في صياغته . ولكن وبعد تريث زمني متعمَّد ، يظهر للباحث أنّ الهدف من وراء ذلك التريُّث هو قياس ردّة فعل الشعوب لمبدأ عولمة النظام الجديد ، حيث صدرت

---

(١) أبو شبانة ، مرجع سابق ، ص٢٨ .

تصريحات من الرئيس بوش بعد ذلك تعلن عن تبني أمريكا لهذا النظام الجديد نصاً وروحاً ، ومحاولتها فرض ذلك النظام على بقية شعوب العالم ، وهو ما يعطى صفة العولمية ، أو ما أطلق عليه اسم الأمركة ، وهو عنوان المبحث التالي .

ثانياً : العولمة بمعنى الأمركة :

بعد أن راج في الأوساط الثقافية والدبلوماسية على وجه الخصوص مسمى : النظام العالمي الجديد ، ولأنّ هذا المصطلح يتّسم بالعمومية والاتّساع . فقد كفاهم المؤونة المسؤولون في البيت الأبيض ، إذ لم تمضِ مدة طويلة إلا وخرج عليهم الرئيس الأمريكي السابق كاشفاً لهم عن هوية هذا النظام الذي سيعمّ العالم بقيادة أمريكية ، حيث صارحهم القول في خطابٍ ألقاه في إحدى القواعد العسكرية أثناء زيارته لها ، وذلك في يوم ١٣ إبريل ١٩٩١م ، إذ قال : " إنّ النظام العالمي الجديد لا يعني تنازلاً عن سيادتنا الوطنية أو تخلياً عن مصالحنا ، إنه ينمّ عن مسؤولية أملتها علينا نجاحاتنا "[١].

إذاً ومن خلال كلام بوش السابق ، يتضح أنّ النظام الذي أعلن عنه ، إنما هو بمثابة عولمة الوصاية الأمريكية ، أو بمعنى أكثر صراحة : أمركة العالم . ولعلّ هذا هو ما فهمه كثير من النقاد والمحللين من كلام الرئيس السابق ومن غيره من المسؤولين الأمريكيين . ومن أولئك الذين جزموا بأنّ (العولمة المعاصرة) ما هي إلا محاولة لأمركة العالم بمسميات عديدة ، لكنها لا تخرج عن مضمون الأمركة ؛ الدكتور عمر الحاجي ، حيث قال : " إنّ الغرب حينما أطلق شعارات الكوكبة ، العولمة ، الكونية ، القرية الصغيرة ، إنما هي تدور حول مصطلح واحد ملخّصه الهيمنة الغربية الأمريكية على العالم كله ... "[٢].

أما الدكتور عمارة ، فهو يرى أن النظام الجديد ما هو إلا إعلان حرب مبطن تقوده الولايات الأمريكية ، إذ يقول : " العولمة هي اجتياح الحضارة الغربية ممثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى ... "[٣].

---

(١) د. المصري ، النظام العالمي الجديد ملامح ومخاطر ، ص٦٥ .
(٢) الحاجي ، مرجع سابق ، ص٨ .
(٣) عمارة ، مرجع سابق ، ص١٤ .

ويذهب معهم في نفس الاتّجاه الكاتب : محمود محفوظ ، إذ يعلن بصراحة عن حقيقة النظام الجديد حسب تصوّره ، فيقول : " النظام الدولي الجديد في جوهره هو عبارة عن مشروع حضاري أمريكي ضخم ، يسعى نحو أمركة العالم في كل مجالاته وحقوله "[١].

ويبدو أن هيمنة النظام الجديد بصيغته المتأمركة قد وضعت لمساتها المشاهدة على كثير من ثقافات الأمم الأخرى ، حتى الغربية منها ، مما حَدَا بمؤلف كتاب (السيارة ليكساس) أن يقول : " في نظام العولمة أصبحت الولايات المتحدة الآن القوّة المسيطرة الوحيدة ، وكلّ الأمم الأخرى تابعة لها بدرجة أو بأخرى "[٢].

ومما يؤكد سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية الثقافية ومحاولة إقصاء ما سواها ، هو ما صرّح به ممثل كندا في اليونسكو مندّداً بهذا الهجوم الكاسح للثقافة الأمريكية ، وإقصاء الثقافات المحلية ، حيث قال شاكياً حال ثقافة بلده : " ... لم يعُد هناك موسيقى أو مسرح أو أفلام أو ثقافة أو لغة كندية ؟!!. لقد تأمركت جميعاً "[٣] !!.

إذاً ، فالذين أشاروا بأصبع الاتهام إلى الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تسعى من خلال فرض مبادئ وأسس النظام العالمي الجديد ، إلى فرض الهيمنة الأمريكية ونشر ثقافتها على كافة الشعوب الغربية وغير الغربية ، إنما هم ينطلقون من تحليلاتهم لتصريحات أولئك المسؤولين ، ومن مشاهداتهم للواقع المتضخّم بالثقافة الأمريكية المنتشرة في كل صقع ، والمكتسحة لأغلب وسائل الإعلام بكلّ صوره وآلياته . فالمنتجات الأمريكية تكتظ بها أسواق العالَم مزاحمة بذلك المنتج المحلي ، بل ومهمشة له ، وكذلك المطاعم الأمريكية التي أصبحت في بعض الدول مَعْلماً من معالم المدن (ماكدونالدز ، كنتاكي ...) ، والأفلام الأمريكية والروايات البوليسية التي اشتهرت بها الثقافة الأمريكية تكاد في تكون في شاشات العرض التلفزيوني في كل مكان .

وكل ذلك يكون على حساب المنتج المحلي الذي لا شكّ أنه سينسحب من المنافسة ؛ لضعفه أمام مواجهة تيار لا يقوى عليه ، وهذا ما يقلق الكثيرين من النقاد والمحللين ؛ لعلمهم أنّ هذه الهجمة ستترك - لا ريب -

---

(١) محفوظ ، الحظور والمثاقفة ، ٢٠٠٠م ، ص٩٦ .
(٢) فريدمان ، مرجع سابق ، ص٣٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص٣٠٧ .

لمساتها على نمط الحياة الاجتماعية والأخلاقية والتربوية ... عبر ثقافة الصورة وغيرها . ويتقبلها المتقبلون بوعي أو بغير وعي ، فهي ستفرض نفسها بلطف النسيم ، لذلك فلا غرابة أن يلتصق مفهوم العولمة بمفهوم الأمركة ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة ، خرجا تحت مظلة النظام العالمي الجديد ، وتأكيداً على أنّ هذا هو تفعيل لتوجّه الإدارة الأمريكية ، ننقل ما جاء على لسان الرئيس الأمريكي السابق (بل كلينتون) ونائبه (آل جور) ، وذكراه في أكثر من مناسبة عامّة من أن " أمريكا يجب أن تقود .. وواشنطن يجب أن تسود "(١).

ويلاحظ عبارات التحدي السابقة في كلمة (يجب) ، إذ أنها تعني عدم المقاومة من أحد .

ومِمّا يبرر به المسؤولون الأمريكيون محاولاتهم لتجيير العولمة باسمهم (الأمركة) هي ادّعاء امتلاكهم لمميزات ثقافية وحضارية واجتماعية وتقنية تؤهلهم - بزعمهم - لفرض نموذجهم الثقافي على سائر ثقافات الشعوب الأخرى .

فهذا الرئيس السابق (جورج بوش) يقول مزهواً : " لقد أنقذنا أوروبا ، وتغلبنا على الشلل ، ووصلنا إلى القمر ، وأضأنا العالم بثقافتنا .. والآن ونحن على مشارف قرن جديد ، نسأل : لمن سينسب هذا العصر ؟!! ثم يجيب هو : إنني أؤكد أنه سيكون عصراً أمريكياً آخراً "(٢).

ولنا أن نسأل : هل الذين قاتلوا في الحرب العالمية الثانية هم الأمريكان فقط ؟. هل الأبحاث التي توصل بها الأطباء إلى علاج الشلل هم أمريكان فقط ، أو من جنسيات ولغات وثقافات أخرى ؟. هل الذين وضعوا دراساتهم عن سطح القمر وصعدوا إليه ، فقط هم الأمريكان ؟. أم هناك باحثون وعلماء من كل شعوب الأرض شاركوا في ذلك الإنجاز الحضاري الذي تزعم أمريكا وتحاول ادّعاء ملكيته ، ونسيان جهود الآخرين ؟!. إنها صورة من صور الاستعلاء الأمريكي التي ترفض الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم ، بل تختزل كل ذلك في ذاكرة النسيان والتهميش .

ولا شكّ أنّ ما يقدّم من ثقافات أمريكية عبر الأسواق ، أو عبر

(١) جريدة المدينة السعودية ، ١٤٢٠/٨/٢٦هـ .
(٢) أبو شبانة ، مرجع سابق ، ص٣١ .

المطاعم ، أو عبر الإعلام ، سيترك آثاره وبصماته على سلوكيات الأفراد ، وسوف يكون نصيب التربية كبير التأثر من هذه الثقافة الوافدة ، لاسيما الأطفال والشباب وغيرهم ، مما يعمّق المسؤولية على التربية الإسلامية ؛ لكونها إحدى قلاع الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية .

ثالثاً : العولمة بمعنى الرَّسْمَلَة :

يعود المعنى اللغوي للرسملة إلى سيادة رأس المال ، ويجيء على وزن (فعللة) ، وهو من المصطلحات الحديثة ، كعولمة ، وأقصدة ... كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين في مصدر سابق له .

ومعلوم أن هناك علاقة عضوية لا تنفكّ بين العولمة والرأسمالية (الرَّسْمَلَة) ، فالاقتصاد هو العمود الفقري لظاهرة العولمة وأقوى مرتكزاتها ، لذلك وصفت العولمة بأنها دعوة إلى سيادة رأس المال ، وفرض منطق السوق الحرّ وأخلاقياته ، وهذا ما أكده أحد الباحثين الغربيين ، إذ يقول : " تعني العولمة محصلة التوظيف الرأسمالي للنتائج التي أرستها مسارات الصراع الساعي للهيمنة على العالم ، كما تدلّ شواهدها وتجلياتها "(١) .

وممن يؤيّد هذا التوجّه ، وأنّ العولمة ـ المعاصرة ـ ما هي إلا تطبيق عملي للمبادئ الاقتصادية الرأسمالية ، صاحبا كتاب (فخ العولمة) ، إذ يقولان معرّفين للعولمة : " العولمة هي انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالّمي شمولي واحد ... " كما سبق ذِكره(٢) .

ومن خلال التعريفَين السابقين ، يتّضح أنّ هدف العولمة في بُعدها الاقتصادي هو فتح أسواق العالم كله لقيم النظام الرأسمالي ذو الصبغة التنافسية المكتسحة والمدمّرة لِما سواها ، والتي ستعمل بشكلٍ مباشر أو غير مباشر على إذكاء روح التنافس المنطلق من قيود النزاهة ، والمتّسم بالشراسة في التعامل مع مَن يخرج على قانونه ، مما سيكون له انعكاسات خطيرة على المدى المنظور ، والمتمثل في ترسيخ قيم النفعية واللذة ، حتى لو كانت عبر امتصاص جهد الآخرين ، وسيجذّر الفقر ، ويلقي بالمهمشين ضحايا ، لينضموا إلى طوابير العاطلين على

---

(١) روبرتسون ، مرجع سابق ، ص٣٠ .
(٢) هانس ، مرجع سابق ، ص٥٧ .

مسمع ومرأى من أصحاب الشركات العملاقة وقوى السوق التي ألغت من قواميسها مبادئ الرحمة والشفقة والإنسانية ، ثم تزعم بعد ذلك أنها تنتمي إلى بني البشر ، في ظلّ نظام يريد أن يسلع كل شيء .

وسوف يتسع الحديث عن الاقتصاد المرسمل ، وذلك عند الحديث عن ركائز العولمة ، لنرى من خلال تلك النافذة أفلام الرعب ، ولكن على أرصفة الواقع ، بتوقيع المخرجين الرأسماليين ملاّك الشركات عابرة القارات ، إن استطاع الباحث إلى ذلك سبيلاً .

رابعاً : العولمة بمعنى الكونية والكوكبة :

يظهر من خلال قراءة الباحث لتعريفات الكونية والكوكبة اللغوية ، أنهما ينطلقان مباشرة إلى كوكب الأرض ، وإلى ما يتكوّن منه مباشرة من أشياء مادّية أودعها البارئ ﷻ فيه ، أو مادّية صنعها الإنسان بنفسه ، أو معنوية جاءت مع الأديان السابقة ، ثم أكدها الإسلام ، أو تعارف الناس عليها .

وكما سبق أن ذكرنا سلفاً أن العلاقة بين العولمة من جهة ، والكوكبية أو الكونية من جهة أخرى ، أنّ العولمة ظاهرة تتسم بالحركة والاتّساع داخل فضاء هذا الكوكب الأرضي ، متجاوزة الحدود الجغرافية والزمانية ، والحواجز الطبيعية أو المصطنعة .

لذا وُجد من الكتّاب والمفكرين مَن أخذ بهذا المنظور ، فأطلق مسمى الكونية كتعريف مرادف للعولمة . ومنهم صاحب كتاب (العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية) ، إذ يقول : " العولمة هي تبادل شامل إجمالي بين مختلف أطراف الكون ، يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها ، وهي نموذج للقرية الصغيرة الكونية التي تربط ما بين الناس والأماكن ملغية المسافات ، ومقدمة المعارف دون قيود ... "[١] .

وينساق مع أبي راشد في نفس الاتّجاه الدكتور أحمد حجازي ، حيث يقول عن نفس مسمى الكونية : الكونية " هي العملية التي يتمّ بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب التي تنتقل فيها المجتمعات من حالة

---

(١) أبو راشد ، مرجع سابق ، ص٩ .

الفرقة والتجزّؤ إلى حالة الاقتراب والتوحّد ، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق ، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل . وهنا يتشكل وعي عالمي وقيَم موحّدة تقوم على مواثيق إنسانية عامّة "[(١)].

ويلاحظ من كلام الدكتورين السابق ، أنهما يتسمان بالاتّساع والعمومية وعدم العمق ، ويميلان إلى التنظير المثالي للعولمة وأحلامها ، مما يشكل تضليلاً للرأي العامّ . فالعولمة ليس بمقدورها أن تصنع عالماً ملائكياً خالياً من نزوات البشر ، ولكن ليس المفروض أيضاً أن تأتي بالنقيض ، لتصنع عالماً مارداً متمرّداً يريد أن يفتك بكلّ شيء ، ويسلع كل شيء ، ويغتال مخالفيه أو يسحقهم ، فكِلا طرفي النقيض بغيض .

الخلاصة :

وبعد هذه الجولة المسهبة بين تعاريف ومعاني العولمة لغةً واصطلاحاً ومرادفات كلّ نوع ، فإنّ الباحث سيحاول أن يشارك في صياغة تعريف خاص به عن العولمة الثقافية ، مستوحٍ من جملة التعاريف السابقة وغيرها ، على النحو التالي :

العولمة الثقافية : (هي تلك الجهود المبذولة من أجل فرض منظومة ثقافية معينة لمجتمع معين على كافة المجتمعات البشرية بوسائل وأساليب مختلفة) .

❒ ❒ ❒

(١) حجازي ، مرجع سابق ، ص١٢٦ .

المبحث الثالث : مرتكزات العولمة .

المرتكز الأول : الاقتصاد :

يعتبر الاقتصاد هو أحد ركائز العولمة ، إن لم يكن هو حجر الزاوية الأساسي في ظاهرة العولمة برمّتها .

يقول طلال عتريس محدداً عناصر العولمة : " إنّ هذه العناصر توجد في مستويات ثلاثة متداخلة ، هي : الاقتصاد ، والسياسة ، والثقافة "[(١)] .

وبالرجوع إلى أحد مصطلحات العولمة السابقة ، وجد الباحث أن التعريف الذي أطلقه مؤلفا كتاب (فخ العولمة) يتلاءم مع طبيعة هذا المبحث ، فهما يقولان عن العولمة في وجهها الاقتصادي بأنها " انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالمي شمولي واحد لا مكان فيه للخاملين ، بل يقوده أولئك الذين يقدرون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء "[(٢)] .

وبالنظر إلى مضمون التعريف السابق ، نجد أنه يدلّ دلالة واضحة على أنّ العولمة الاقتصادية هي التطبيق الفعلي للنظام الرأسمالي الغربي . وبالرجوع إلى مكوّنات الرأسمالية ، نجد أنها تتكوّن من الأسس التالية : البحث عن الربح بكلّ وسيلة ، وفتح الأسواق أمام السلع والتنافس فيها .

وتجسيداً لهذه الميول ، فإنّ صاحب كتاب (السيارة الليكزس) ... يعلن عن مبدأ العولمة الاقتصادي ، فيقول : " أياً كان ما تملكه كبيراً كان أو صغيراً ، عليك أن تبيعه أو تقايض به ، أو تستفيد منه ، أو تؤجّره . أي شيء يمكن أن يتحقق لك فيه ربح ، وترفع فيه من مستوى معيشتك ، وأن تكون طرفاً في المباراة "[(٣)] .

إنه كلام لا تنقصه الصراحة يعكس نظر العولمة إلى أنّ الحياة مجرد سوق كبير يتنافس فيه تجار السلع . والغريب في كلام المؤلف السابق الذي يعلن فيه عن مبدأ الرأسمالية ، هو أنه يريد تسليع أي شيء .

وهنا تكمن الخطورة ، فهناك أشياء لا تقبل المساومة عليها مهما كان

---

(١) عتريس ، ندوة العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص٤٤ .
(٢) هانس ، وهارالد شومان ، مرجع سابق ، ص٢٠٢٧ .
(٣) فريدمان ، مرجع سابق ، ص٤٤٧ .

الثمن ، كالأخلاق والمبادئ والدين والمثل .

لكن يبدو من كلام المؤلف - وهو أحد المروّجين لفكرة العولمة بمفهومها الليبرالي الرأسمالي الغربي - أنّ هذه الأشياء لا بدّ أن تستجيب لمنطلق العولمة ولمبدأ السوق . ويعود ويؤكّد ذلك فيقول في موضع آخر : " نظراً لأنّ قوى السوق لا تعبأ بالأخلاق ، فإنها تكون في حاجةٍ إلى ذكاء واعٍ واجتماعي لمنع حالات الظلم الصارخة "[١].

وحتى لا يشعر تجار العولمة بالحرج أو التبرم ، فإننا نجد المؤلف يقدّم نصيحة بأن لا يعبَأوا بالأخلاق ؛ لأنّها ضدّ النجاح في منافسات السوق ، وهذا يدلّ على أنّ التنافس لاقتحام الأسواق العالمية من قِبَل ملاّك الشركات العملاقة المسيّرين للعولمة ، سوف يكون تنافساً شرساً يفتقد إلى النزاهة طالما أنه يضحي بالأخلاق ويسلع كل شيء . فأصحاب الأخلاق المتحفظون هم أولئك الخاملون الذين ستلقي بهم رياح العولمة وعواصفها خارج دائرة المنافسة ، بل ربما خارج الحياة التي يرى المؤلف أنها حسب منطق الرأسمالية ملعب تقام فيه المباريات ، ولكن بين أصحاب الثروة ملاّك الشركات المتعدية للجنسيات ، والذين لا يفكّرون إلا في شيءٍ واحد ، وهو الربح المستمرّ ، وهذا ما يؤكد عليه المفكر الفرنسي (كوز نيلبوس) ، فهو يقول : " أن شعار الرأسمالية يقول : اربحوا أكبر قَدر ممكن ، لا يهمّ كيف ، ولكن اربحوا ، فأنت كإنسان ، تساوي بقدر ما تربح من المال لو بعت كل شيء "[٢].

بهذا المنطق المحموم يندفع أصحاب الشركات الغربية العملاقة إلى أسواق العالم ، مكتسحين كل ما يقف في طريقهم ، كالمارد الذي لا يلوي على شيء ، بل همّه الجري بأقصى سرعة ، ولو دمّر في طريقه الأخضر واليابس ، ولو أهلكَ الحرثَ والنسل . فهو حُرّ ، والحرية عنده لا حدود لها ولا ضوابط . وقد زاد من حُمّى أصحاب الثراء الفاحش ، تراخي دور الدولة ، فاقتحموا الحدود بإذن أو بلا إذن من الدولة ، برضى منها أو بدون رضى ، وهكذا أخرجت لنا العولمة رؤساء دول فوق العادة ، فهم في الحقيقة تُجّار ، لكنهم بكنزهم للذهب والورق ، وسيطرتهم على اقتصاد العالَم ، استطاعوا خنق الدول وليّ أعناقهم إلى الأسفل ، والتحكّم

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٦٤ .
(٢) الميلاد ، المسألة الحضارية ، ١٩٩٩م ، ص١٤ .

في حركات أسواقها وسلعها ، بل ورخائها . إنهم ملاّك الشركات القاريّة ، الذين فرضوا وجودهم على الشعوب والأمم في عصر العولمة .

يقول اليحياوي : " أن الشركات المتعددة الجنسيات قد دفعت بالدولة وبالأمم أيضاً إلى تبني منطقها ، وتيسير الطريق لها ، لا لكونها ذات قوة استثمارية ضخمة وإمكانات فعل وتفعيل كبرى ، ولكن لكونها أصبحت الفاعل الجديد في الاقتصاد والمال ، في التكنولوجيا والثقافة ، وبالتالي فلم تعُد الدولة هي المسيّر والمتحكّم ، بل أصبحت التابع والمتأقلم "(١). بل وصل الحال بغطرسة ملاّك الشركات الكبرى أن حكموا بعض البلاد مباشرة .

جاء في آخر تقرير للأمانة العامّة لمؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والتجارة ٢٧ سبتمبر ١٩٩٩م : " إن الشركات المتعددة الجنسيات هي التي أصبحت تتحكم في الاقتصاد العالمي وتفرض قانونها وسياساتها عليه ، سواء فيما يتعلق بالاستثمار أو الإنتاج أو الاستهلاك ، وأنها لا تتردد من أجل تحقيق هذه الغاية في إعادة رسم خريطة العالم حسب ما تستهدفه بما يمكنها من أن تحتلّ المقام الأول في نظام الإنتاج العالمي المندمج "(٢).

أما الدول التي لم يستطيعوا حتى الآن احتواءها بدرجة كافية ، فنجد أنهم طالبوا من الدول التي تدور في فلك الرأسمالية أن تفعّل مفاهيم الرأسمالية الحقيقية كما يصفونها ، فيلحون على هذه الدول بأن ترفع يدها عن تغذية القطاعات الاجتماعية ، واعدين بمزيد من الرفاه للشعوب ، فرفعوا شعار الخصخصة كأحد مظاهر العولمة الاقتصادية ، ولكن إلى أيّ مدى يطمع ملاّك الشركات في استثمار القطاعات الاجتماعية ، لتحقيق مزيد من الازدهار ؟!!.

يقول اليحياوي : " تطمح العولمة إلى خصخصة كلّ مرافق الاقتصاد ما دامت الملكية والسلطة والمراقبة قد أصبحت في واقع الأمر في يدي الفاعل الخاص ، ومن ذلك : خوصصة قطاع الاتصالات السمعي والبصري ووسائل الإعلام والأبناك والمستشفيات والسكك الحديدية والطيران الجوي ، والتربية ، والمتاحف ، والجامعات ، والسجون ، والشرط ، وكلّ ما يصلح للخوصصة ، أو يدخل في إطار منطق السوق

---

(١) اليحياوي ، مرجع سابق ، ص١١ .
(٢) هاني ، المفارقة والمعانقة ، ٢٠٠١م ، ص٣١ .

والتحرير ... "[١].

وهكذا يريد صناع العولمة أن يضعوا أيديهم على كلّ مرافق الحياة من أجل أن تزيد أرصدتهم في البنوك ، لتصل إلى أرقام فلكية ، مما يزيد في شغفهم ولهاثهم خلف جمع الأموال من منظور - برغماتي - قطعي ، لا مجال فيه للأخلاق ولا للقيم ، بل إنّ هذه المثل والمبادئ سوف تستخدم كلما أمكن ذلك عبر التغرير الإعلامي والتشهير المزيف لزيادة الخداع والتضليل ، وإسكات وإلهاء الجماهير .

بل لقد امتدّت هذه الأيدي إلى قنوات الترفيه البريء ، لتجعلها مصدر استثمار . فالكثير من الأحذية الرياضية الغربية هي ملك لبعض أصحاب الشركات ، وهو ما يؤكده هذا الخبر الذي يبين مدى جشع ملاّك هذه الشركات المتعددة الجنسيات . وأورده صاحب كتاب (السيارة ليكزس وشجرة الزيتون) ، إذ يقول : " لقد جرت العادة أن يكون ملاّك الاتّحاد القومي لكرة السلّة رجال أعمال في المجتمع المحلي . واليوم أصبح ملاّك الاتّحاد القومي لكرة السلّة من الشركات الكبرى التي تحقق الدخل العالمي اللازم لدفع المرتّبات العالمية للرياضيين في رياضة عالمية . ومن تظنّ أنه يملك فريق نيويورك نيكس ؟. إنه شركة تايم وورنر . ومَن تظنّ يملك نادي بورنلاند تربل بليزرز ؟. إنه بول آلان ، أحد مؤسسي شركة مايكروسوفت ... "[٢].

بل إن وسائل ترفيه الأطفال لم تسلم هي الأخرى من تسلّط المستثمرين عليها ، فهذه شركة والت ديزني المتحدة للإنتاج الفني ، " تُعدّ من أكبر المشاريع الصناعية في أمريكا كلها بحجم مبيعات تجاوز (١٧٥) مليون دولار "[٣].

وهكذا يستمرّ الحال لملاّك الشركات العملاقة المسماة بالمتعددة الجنسيات ، والمتعدّية للحدود ، ويستمرّ حال أصحابها في لهث لا يقر ، وظمأ لا يروى ، وجبروت لا يهدأ وصدقَ الحق تبارك وتعالى إذ يقول : { **كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى** }[٤].

(١) المرجع السابق ، ص١٣١ .
(٢) فريدمان ، مرجع سابق ، ص٤٠٦ .
(٣) شيلر ، المتلاعبون بالعقول ، عن عالم المعرفة ، عدد ٢٤٣ ، ١٤١٩هـ ، ص١٣٥ .
(٤) سورة العلق : الآية (٦ ، ٧) .

يقول ابن كثير - رحمه الله - : " يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثُر ماله ... "[١].

وقد بيّن الإسلام أنّ المال وحبّه أمر فُطرت عليه النفس البشرية ، فقال تعالى :
{ وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبّاً جَمّاً }[٢].

وقال في موضع آخر من الكتاب العزيز : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ }[٣].

يقول العلاّمة ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " زيّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذّ من النساء والبنين ... وحُبّ المال كذلك يكون تارة للفخر والخيلاء ، وتارة يكون للنفقة وصلة الرحم والقرابات ووجوه البرّ والطاعات ، فهذا محمود شرعاً "[٤].

وفي آية أخرى يقول الحقّ سبحانه وتعالى : { المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً }[٥].

وفي الحديث المتّفق عليه : عن عمر بن عوف الأنصاري ﵁ (أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح ﵁ إلى البحرين يأتي بجزيتها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال :
« أظنّكم سمعتم أنّ أبا عبيدة قدم بشيءٍ من البحرين » ؟. قالوا : أجل يا رسول الله ، فقال : « أبشروا ، وآملوا ما يسرّكم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على مَن كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم »)[٦].

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٤١٣هـ ، ج٤ ، ص٥٦١ .
(٢) سورة الفجر : الآية (٢٠) .
(٣) سورة آل عمران : الآية (١٤) .
(٤) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٧٦-٣٧٧ .
(٥) سورة الكهف : الآية (٤٦) .
(٦) البخاري ، صحيح البخاري ، ١٤٢٠هـ ، حديث رقم : ٤٠١٥ .

إذاً بهذه النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، نرى أنّ الإسلام أقرّ بحبّ الإنسان للمال ، بل دعاه إلى الأخذ بنصيب منه ، فقال تعالى : { وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا }[1]، ولكنه لم يجعله غاية تطغى على الإنسان إذا استبدت به واستأثرت على جوانحه وجوارحه ، فيتحول لوحش كاسر لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً ، ولا يسعى إلا لإشباع غرائزه . والإسلام حينما يقرّ بحقّ الإنسان في التملك الفردي ، ينظّم ذلك التملك ، ويغرس في حسّ المسلم أنه محاسب عن هذا المال كسباً وإنفاقاً . فليست حرية التملك في الإسلام مصادرة نهائياً ؛ لأنّ ذلك يتصادم مع الفطرة البشرية ، ولا هي مطلقة بلا ضوابط ولا حدود ، ذلك من أجل أن تهدأ النفس البشرية في تملّكها للمال ، فلا تندفع نحوه بجنون (الرأسمالية وعولمتها) ، ولا يصل حدّ التنافس في الأسواق الإسلامية إلى حدّ الاحتكارات والتكتّلات الرهيبة التي تمارسها الشركات الكبرى في ظلّ العولمة ، محمية من الرأسمالية العالمية التي تمثل أبشع صور الجشع والظلم والقهر والطغيان .

وكأني بالرسول ﷺ قد فتح له من أنباء الغيب باباً ، حيث قال ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري - رحمه الله - : « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يُعطَ لم يرضَ »[2].

فهو هنا يحذّر المسلم من الوقوع في مثل هذه النزعات الانفرادية التي لا تفكّر إلا في نفسها ، ولا تسعى إلا لِما يحقق لها رغبة التملك ، لتشعر باللذة ، حتى ولو كان ذلك على حساب جهود وعرق مئات الملايين من العمّال المقهورين ، ومثلهم من الأطفال المشرّدين والرضّع الجياع ، وضعفهم من الشباب الحيارى والنساء الثكالى ، الذين شرّدتهم قوى الرأسمالية ونبذتهم .

وحتى لا يلقى الكلام على عواهنه ، نشير إلى ما ذكره صاحبا كتاب (فخ العولمة) محذرين من مغبة الاستمرار في هذا السباق المحموم بين الشركات الكبرى في العالم وبين المستثمرين ، مِن أنه إذا سارت الأمور على منوالها الراهن ، فستكون النتيجة - والله أعلم - أنّ هناك (٢٠%) من سكّان العالم الذين يمكنهم العمل والحصول على الدخل والعيش ، أما النسبة الباقية ،

---

(١) سورة القصص : الآية (٧٧) .
(٢) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٨٨٥ .

وهم الأكثرية (٨٠%) ، فهم في نظر أرباب العولمة يمثلون السكان الفائضين عن الحاجة ، وعليهم الانتظار في طوابير الإحسان وتبرعات المتبرّعين إذا رغب الأسياد في ذلك .

بل إنّ الفلسفة التي تقوم عليها الشركات (المتعدية للجنسيات) تفيد بأنّ " المجتمعات العاجزة عن إنتاج غذائها بنفسها أو شرائه بعائد صادراتها - مثلاً - لا تستحقّ البقاء ، وهي عبء على البشرية أو على الاقتصاد العالمي ، يمكن أن يعرقل نموّها ، لذلك يجب إسقاطها ، ولا ضرورة لوقف حروبها الأهلية "[1].

الخلاصة :

إذاً ، هذه هي العولمة في ثوبها الاقتصادي ، والذي لا يقوم إلا على الربا الذي حُرّم في جميع الأديان ، والاحتكارات للسلع أو الاغتصابات الاستثمارية والاقتصادية ، يقودها كبار ملاّك الشركات الغربيون غالباً ، ويُديرون عملياتهم من خلف تقنيات بلغت من التطوّر شأواً بعيداً ، ومن السرعة شوطاً كبيراً ، في ظلّ تراخٍ في دور الدولة التي غالباً ما تكون مغلوبة على أمرها ، بل وربما غارقة في ديونها لأصحاب هذه الشركات العملاقة ، الذين لا يتورّعون في ليّ ذراع الدولة كلّما أرادوا استثمار قطاع من قطاعاتها الاجتماعية ، ومَن أراد أن يتنمر أو يلوّح بالقوّة لهم ، فإنّ هذه الشركات وأصحابها سيحوّلونها عبر الفاكس والإنترنت إلى إحدى ضحاياهم ، ثم يرحلون ويجعلونها تصارع ومواطنيها تيارات الهلاك والتشرّد والفقر ، بل ويشهرون بها عبر وسائل الإعلام التي يمتلكونها . وما كارثة النمور الآسيوية إلا إحدى الشواهد .

إنّ العولمة في ثوبها ومظهرها الاقتصادي إنما تعتمد على القوّة الشرائية لدى المستهلك ، فمن يدفع أكثر يحصل على الخدمة الأسرع والأفضل ، ومَن لا يستطيع أن يدفع فعليه تحمّل مسؤولية نفسه وتبعات فقره . فالرأسمالية لا ترحم الفقير لفقره أو لعجزه ، ولا تحترم إلا مبدأ الربح السريع وبأيّ وسيلة كانت ، بغضّ النظر عن الجانب الأخلاقي أو الديني ، فهي جوانب لا يعترف بها النظام الاقتصادي الرأسمالي .

المرتكز الثاني : التقنية (التكنولوجيا) :

(١) أبو شنب ، مجلة شؤون عربية ، عدد ٩٩ ، ص١٣٠ .

كثيراً ما نسمع عبارة تعبّر عن مضمون ظاهرة العولمة مستوحاة من أثر التقنية ومستوحاة منها ، مثل مقولة : (لقد أصبح العالم قرية واحدة) . أو عبارة تكون أصغر حجماً ، تقول : (لقد أصبح العالم حياً واحداً) ، بل هناك من يزيد في تقزيم العالم وضغطه ، فيقول : (أصبح العالم في بيتك) ، بل يبالغ آخر في تحجيم العالم ، فيقول : (العالم في يدك) ، ثم يبلغ الوصف بالضغط والتحجيم أقصاه ، فيقول آخر : (إن العالم أصبح في جيبك الآن ...) ، وهي عبارات لها دلالاتها الواضحة والملموسة !!.

فمن خلال تقنيات العصر المذهلة في عالم الأقمار الصناعية والإنترنت والبثّ المباشر ، والنقل الحيّ ، والبريد الإلكتروني ، والهاتف ، والفاكس ، والهاتف الجوال ، والتلفزيون الرقمي ... ، تضاغطَ العالم وتقلصَ إلى أن أصبح يوحي ببعض دلالات وواقعية العبارات السابقة . فلقد أوجدت هذه التقنيات لنفسها واقعاً مغايراً ، وفرضت منطقها وذوقها ، بل وطعمها الخاصّ على واقع الحياة الإنسانية ، بل لقد استطاعت أن تميّز عصرها عن بقية العصور السابقة ، فأصبح مسمى العصر مشتقّ من ذاتية تلك الآلات ، فهو عصر الاتصالات ، أو عصر المعلومات ، أو عصر الحاسبات ، وأخيراً عصر الإنترنت ..

يقول توماس فريدمان : " إذا كان المنظور الذي يحدد عالم الحرب الباردة هو الانقسام ، فالمنظور الذي يحدّد العولمة هو التكامل . فقد كان الرمز لنظام الحرب الباردة هو السور الذي يقسم الجميع ، أما رمز العولمة ، فهو شبكة الإنترنت العالمية التي توحد بين الجميع "[(١)].

لقد استطاعت هذه التقنية أن تقتحم كثيراً من الحواجز المادية والمعنوية ، وأزالت كثيراً من العراقيل أمام البثّ الإعلامي وما يحمله في طياته من فكر وتوجيه وثقافة وتربية ... لقد أظهرت هذه الآلات التقنية العالم وكأنه كما قيل سابقاً (قرية واحدة) .

فمما لا شكّ فيه أن جانب الاتصال والمعلومات والبثّ المباشر جانب شديد الأهمية وبالغ الأثر ؛ فعن طريقه تسارعت تطبيقات العولمة في كثيرٍ من المجالات . ويقف الجميع مبهوراً أمام سرعة التطبيق لهذه الآلات ذات الحجم الصغير والملمس الناعم والأثر الرهيب في تجسيد واقع العولمة . يقول الدكتور الخضيري مبيناً دور هذه التقنيات في خدمة

---

(١) فريدمان ، مرجع سابق ، ص١٣٠ .

ظاهرة العولمة : " ... يصبح العالم يعيش بهوية واحدة وجنسية واحدة ، وبدون حدود .. "[١].

وهذا ما تطمح إليه ظاهرة العولمة ، بل هو لبّها وهدفها الذي تسعى إليه ، وهو رؤية العالم وقد توحّد في كل شيء .

ويؤكّد هذه العلاقة العضوية بين العولمة كظاهرة شمولية من جهة ، وبين التقنيات كمنفذ ومطبق لمنطق العولمة الداعي إلى التوحّد والاندماج ، ما يراه الدكتور أمين جلال ، وذلك عند توصيفه للظاهرة ، حيث قال : " تعني العولمة التضاؤل السريع في المسافات الفاصلة بين المجتمعات الإنسانية ، سواء فيما يتعلق بانتقال السلع أو الأشخاص ، أو رؤوس الأموال أو المعلومات أو الأفكار أو القيم "[٢].

وهذا التوصيف الإجرائي للعولمة الذي يراه الدكتور جلال لا يمكن أن يتحقق على أرضيّة الواقع دون وجود هذه التقنيات الحديثة التي تمتلك خصائص النفاذ والاختراق لأعتى الأسوار والموانع المادية والمعنوية ، وتجتاز حدود الزمان والمكان .

وممن يؤكّد هذا الدور التغييري الذي تضطلع به هذه التقنيات الحديثة ، ما قاله الرئيس الأمريكي (جورج بوش) الأب منوِّهاً بدور التقنية في إحداث التغيير بالشكل المطلوب : " إن ثورة المعلومات أدّت إلى تدمير أسلحة العزلة والجهل ، المعروفَين بالقوة . لقد تغلّبت التكنولوجيا في العديد من أنحاء العالم على الطغيان ، مثبتة بذلك أنّ عصر المعلومات يمكن أن يصبح عصر التحرير ... "[٣].

ويتفق مع هذا الرأي أيضاً الدكتور عباس أبو شامة ، إذ يقول : " إنّ نظام العولمة قد لعب في تكوينه التقدّم في المعلومات ووسائل نقلها ، مما يوحي بظاهرة القرية العالمية "[٤].

إذاً ، فالتقنية بكلّ صورها وأشكالها هي لسان العولمة الناطق ، ويدها الثانية بعد الاقتصاد .

وتجدر الإشارة هنا أننا نرمي من دراسة هذا المرتكز (التقنية) إلى

---

(١) الخضيري ، مرجع سابق ، ص٤٧ .
(٢) أمين ، مرجع سابق ، ص٧ .
(٣) غازي ، مرجع سابق ، ص٢٧ .
(٤) مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد ٥٨ ، صفر ١٤٢٠هـ ، ص٤٢ .

تحقيق هدفين :

الأول : المتمثل في محاولة نشر الوعي وزيادته عن مدى الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه التقنية في حياتنا ، والتعرف على مدى التأثير الذي يمكن أن تحدثه هذه القوة الرهيبة في سلوكنا وأنماط حياتنا بما يخدم متطلبات العولمة ويحقق واقعها .

الثاني : هو محاولة السيطرة على مجريات الأحداث التي تفرزها هذه التقنية ، مع محاولة لتوجيه تلك المعطيات بما يخدم مصالح الإنسانية جميعها بالمنظور الإسلامي ، وليس فقط ما يخدم مصالح صنّاع العولمة ويحقق رغباتهم المادّية .

وممن دعا إلى الرأي الذي نحاول تبنّيه هنا : مؤلف كتاب (ثورة الانفوميديا) ، إذ يقول : " إن فهم القوى التي تشكل حياتنا على المستوى المشترك والشخصي ، هي الخطوة الأولى للسيطرة عليها "[(١)].

إنّ مدلول المؤلف في كلامه السابق يوحي بأنّ التقنية الحديثة تحمل تحدّياً مهولاً في جعبتها لمن توجّه إليهم ويحتاج منهم إلى تكريس الوعي بخطورة التقنية على ثوابتهم ، وفي نفس الوقت حاجتهم الماسّة لها .

وسوف يلاحظ المستقرئ والمتأمّل لمفرزات التقنيات الحديثة ، أنّ لهذه الثورة العارمة مسارين استراتيجيَّين تخدم من خلالهما ظاهرة العولمة ، أو يمكن أن يُسمَّيا تحدّيين .

فالمسار الأول : هو المسار أو التحدّي التفكيكي .

والمسار الآخر - أو التحدّي الآخر - : هو المسار التركيبي .

● أولاً : المسار - التحدّي - التفكيكي لثورة التقنية :

لقد نجحت هذه التقنيات المعاصرة بمختلف أشكالها ومسمياتها في إحداث عملية اختراق لكثير من ثقافات الأمم والشعوب ، وتمكنت من زلزلة جُلّ ثوابتهم ، وغيّرت كثيراً من القناعات المتجذّرة في النفوس ، وأحدثت انقلاباً نوعياً في كثيرٍ من المفاهيم لدى تلك الشعوب التي وصلت إليهم . وبذلك تكون هذه التقنية بهذا الثوران المكتسح قد نجحت في تحدّيها ، وذلك عن طريق تمكنها من فكّ بعض الثوابت الراسخة ، وبالتالي تغيير النسيج الاجتماعي .

---

(١) كليش ، ثورة الأنفوميديا ، ١٤٢٠هـ ، ص٧ .

يقول كليش : " ستتحدّانا الأنفوميديا كي نعيد النظر في قيمنا الأخلاقية على كِلا المستويين : الشخصي والقومي ، فما دام في الإمكان مراقبة وتنظيم كل حركة أليكترونية نقوم بها ، فكيف يمكن الحفاظ على الخصوصية الشخصية ؟. وما دامت الألعاب ستحفل بعنف متزايد دوماً ، وأصبحت أفلام الإثارة الجنسية في متناول الجميع ، فكيف سيستعيد المجتمع اتّجاهاته الأخلاقية ؟. وكيف ستمتزج حرية التعبير مع قيم الأسرة في المجتمع الجديد "[١] ؟.

وسوف يلاحظ ذلك بوضوح عند عرض الآثار التقنية في عدّة مجالات .

● ثانياً : المسار التركيبي للثورة التقنية :

بعد أن نجحت الثورة التقنية في تحقيق هدفها الأول أو تحدّيها الأول ، والمتمثل في (تفكيك الثوابت) ، سوف تحاول وبنفس القوة واللحظة أن تقدّم البدائل لِما أحدثته من تغيرات جذرية في التركيبة الاجتماعية على أن تتسم هذه البدائل الجديدة بالاتّجاه بالبشرية نحو التوحّد والاندماج والتجانس ، وذلك انسجاماً مع رغبة صنّاع الظاهرة (العولمة) ، الداعي إلى الدمج والضغط ، وهذا يمكن تحقيقه عن طريق التقنية ذاتها ، إذ ستقوم هذه التقنيات الحديثة (بالذات) بترحيل أنماط فكرية وثقافية وتربوية واجتماعية وأخلاقية بدائلية ، مع الترويج والدعاية لها عبر الإعلام ، والدعاية لها من أجل أن يتقبلها المبهورون بنفس المستوى الذي تنازلوا فيه عن ثوابتهم السابقة ، وعند ذلك تكون هذه الثورة التقنية قد نجحت في تحدّيها للمرّة الثانية ، وبما يخدم مصالح العولمة ، حيث أعادت تركيب النسيج الاجتماعي بعد تنميطه بنمط حضاري متوحّد ، ونمط سلوكي متقارب ينتمي في جميع أنشطته إلى هوية وثقافة صنّاع العولمة والمستفيدين منها مادّياً وحضارياً . وهم كما تشير الدلائل والمعطيات الراهنة أنهم أسياد الحضارة الغربية ، وخصوصاً منهم (الأمريكيون) .

ولتأكيد صحّة ما ذهبَ إليه الباحث ، ينقل كلام الصحفي الأمريكي : توماس فريدمان ، إذ يقول : " إنّ التكنولوجيا إذا استخدمت الاستخدام السليم ، ووزعت بطريقة ليبرالية ، ليست قادرة على محو الحدود

---

(١) المرجع السابق ، ص١٨ .

الجغرافية فحسب ، بل والحدود البشرية "[١].

ويظهر أنّ الحدود البشرية التي يقصدها هي مجموعة القيم الاجتماعية أو الثوابت والمكتسبات الخصوصية لكل الشعوب ، حيث يرى المتأمّل أنّ التقنية قد أحدثت فيها ثقوباً وتصدّعات لا يُستهان بها ، بل وصل الأمر إلى إلغاء وإقصاء بعض تلك الثوابت ، واستبدالها بأنماط جديدة ، من غير اللجوء إلى قوّة عسكرية ، وهنا مكمن الخطورة أيضاً ، فإنّ الأسلوب الناعم الذي تعمل به هذه التقنيات الحديثة ، قد لا يستجيش المشاعر الساكنة ، وبالتالي فلن تكون هناك معوقات تُذكر ؛ لحدوث عمليتي الفكّ والتركيب ، وستتمّ العمليتان في سرعة خاطفة قد لا تدركها العقول والأبصار ، إنما هو أثر يسري بهدوء عبر تدفّق معلوماتي وتركيز إعلامي لا يتعمّد التحرّش العسكري ولا المواجهة العدائية .

المرتكز الثالث : الثقافة :

يمثل مصطلح الثقافة (**Cultura**) بعموم لفظه ووسع مدلوله الضلع الثالث لمثلث العولمة ، وبذلك يكتمل البناء الهيكلي لهذه الظاهرة ، لتصبح قائمة على ثلاثة مرتكزات ، يمثل كل مرتكز رأساً من رؤوس مثلث العولمة ؛ فالاقتصاد رأس ، والتقنيات رأس ، وتأتي الثقافة لتمثل الرأس الثالث .

وبهذا يظهر أنه لا يمكن إهمال الثقافة أو تهميشها إذا أرادت العولمة أن تحقق هدفها المنشود ، الدّاعي إلى التوحّد والدمج . وفي ذلك يقول صاحبا كتاب (فخّ العولمة) : " إن ثمّة جهود خارقة تبذل لكي يتّخذ العالم صورة واحدة ، ولا ريب في أنّ المحصلة النهائية لمثل هذا التطوّر ستكون في المجال الثقافي "[٢].

ونظراً لِما يمثله مفهوم الثقافة من أهمية قصوى في هذه الدراسة ، وبحُكم علاقته بظاهرة العولمة ، فقد رأى الباحث أن يُفرد له فصلاً خاصّاً في هذه الدراسة في محاولة الإجابة على بعض الأسئلة المثارة ، مثل : ما الثقافة ؟. ما علاقتها بظاهرة العولمة ؟. وما أثرها على التربية ؟.. وغير ذلك من الأسئلة المثارة .

لذلك نتوقع - بإذن الله - أن يكون الفصل الثالث كفيلاً بتجلية

---

(١) فريدمان ، مرجع سابق ، ص١٧ .
(٢) هانس ، وهارالد شومان ، مرجع سابق ، ص٤٩ .

بعض الحقائق والآثار المتوقعة من وعلى العولمة في جانبها الثقافي ، وتفرّع تلك الآثار لتصل إلى التربية .

❒ ❒ ❒

المبحث الرابع : آليـّات العـولمة .

إذا نظرنا إلى العولمة على أنها نظام دولي جديد يتّسم بالتوحّد والاندماج ، فإنّ تكوين وبناء ذلك النظام الجديد يحتاج إلى عدد من المنظمات والمؤسسات الدولية التي تستطيع أن تبرز أهمية التعولم الدولي ، وأن تبرز أيضاً مدى قابلية الشعوب لذلك الحدَث المتمثل في الاتّجاه نحو العولمة . وهو ما يعبر عنه بإيجاد آليات تُفعِّل ذلك التنظير المطروح عن العولمة .

وقد تَمّ التفكير جدّيّاً في هذا الأمر قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وهذا ما أشار إليه الدكتور حازم الببلاوي بقوله : " قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ الحلفاء التفكير في وضع أُسس لنظام دولي جديد يتّفق مع تصوّراتهم لعالم ما بعد الحرب "[1].

وقد تمخضت عن هذه الاجتماعات بين الحلفاء إنشاء عدد من المنظمات الدولية لتشرف على تجسيد وقيام النظام الدولي الجديد . وقد أُعطيت هذه المنظمات الجديدة حقوقاً وإمكانيات ضخمة لتفعيل دورها في إرساء قواعد النظام الدولي الجديد في كلّ المجالات . ومن أشهر هذه المنظمات :

أولاً : هيئة الأمم المتحدة :

لقد تَمّ إنشاء منظمة الأمم المتحدة ـ أو هيئة الأمم المتحدة ـ لتحلّ محل عصبة الأمم ، وذلك ضمن ميثاق الأطلنطي في شهر أغسطس عام ١٩٤١م ، وهي تضطلع بالمفهوم السياسي للعولمة ، والسعي الدَّؤوب لدى الدول الأعضاء لتقبُّل فكرة العولمة ، والعمل على تهيئة الشعوب نفسياً وذهنياً للانخراط في فكرة الحكومة العالمية . وقد أشار الدكتور الخضيري إلى هذا الدور الذي قامت به الأمم المتحدة ، إذ يقول : " لقد استطاعت الأمم المتحدة منذ إنشائها عام ١٩٤٥م ومنظّماتها التابعة لها أن تهيِّء الفكر الإنساني الحديث لتقبل فكرة الحكومة العالمية "[2].

وقد نجحت الأمم المتحدة ـ وخاصة بعد سقوط الاتّحاد السوفييتي ـ في ترسيخ مبادئ العولمة السياسية ، والعمل بوضوح من أجل تحقيق هذه

---

(١) الببلاوي ، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر ، ١٤٢١هـ ، ص٤٠ .
(٢) الخضيري ، مرجع سابق ، ص٧١ .

المبادئ ، فأصبحنا نسمع كثيراً عن تدخلات صارخة وسافرة في الشؤون الداخلية لكثير من البلدان من أجل تغيير واقعها السياسي نحو العولمة ، وذلك باسم بَرّاق وشِعار مضلل ومزيّف للحقائق ، أسموه (الشرعية الدولية) ، فباسم هذا الشعار وتحت هذه المظلّة الدولية المدعومة بالقوّة السياسية والعسكرية ... تَمّت خلخلة كثير من النظم السياسية أو عزلها عن العالم ، وحصارها الجزئي أو الشامل ، وتجويع شعوب كثيرة من أجل أن تضغط هذه الشعوب على ساستها لتقبل مبادئ الشرعية الدولية . وباسم (حقوق الإنسان) ودعوى حمايتها منحت هذه المنظمة لنفسها الحقّ في تغيير كثير من التشريعات الخاصة لكثير من الدول ، والضغط عليها بكلّ السُّبل لتقبل بالتخلي عن نظمها ودساتيرها الوطنية أو القومية ، والانخراط في منظومة (مبادئ حقوق الإنسان) الصادرة عن هذه المنظمة .

وهذا التحدي الصارخ الذي تمارسه هذه المنظمة وفروعها ، ما هو إلا فكّ للثوابت العقدية لنا كمسلمين . فالمسلم يعلم أنّ التشريع حقّ لله وحده سبحانه وتعالى ، القائل جلّ وعلا : **{ إنِ الحُكْمُ إلاَّ للهِ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القيِّمُ ولَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }**(١) .

وكذلك حقوق الإنسان جاء الإسلام بحفظها ، فقال تعالى : **{ إنَّ اللهَ يَأمُرُ بالعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }**(٢) .

فالمسلم ليس في حاجة إلى أن يستمدّ تشريعاته إلاّ من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، وكذلك حقوقه وواجباته الكلية كإنسان كفلها له الإسلام ، وذكرها الله في محكم التنزيل ، فالمسلم مأمور شرعاً بالاحتكام إلى كتاب الله وسنّة رسوله في كل أمر من أمور حياته ، وليس إلى أيّ مصدر وضعي آخر . قال تعالى : **{ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }**(٣) .

فالتحاكم لغير شرع الله هو رفضٌ له وتحدٍّ سافر لخصوصيات الأمم

---

(١) سورة يوسف : الآية (٤٠) .
(٢) سورة النحل : الآية (٩٠) .
(٣) سورة النساء : الآية (٦٥) .

المسلمة . وتريد الأمم المتحدة أن تجرّ الأمم والشعوب إلى ذلك طواعية أو قسراً .

ومما يؤكد أنّ الأمم المتحدة تسير في فلك صنّاع العولمة ، وتسعى لخدمة هذه الظاهرة ، ما قاله الأمين العامّ لهذه المنظمة (كوفي عنان) ، إذ يقول عن دور منظّمته : " أنه ينبثق في عهد العولمة الجديدة من عضويتها ونطاقها العالميين ومن القيم المشتركة المجسدة في ميثاقنا ... والأمم المتحدة ضرورية الآن أكثر من أيّ وقت مضى من أجل تذويب الفروق بين الدول في النفوذ والثقافة والحجم والمصالح بوصفها محفلاً لطرح قضية إنسانيتنا المشتركة ... "[١].

إذاً ، فالمنظمة وعبر قوانينها وتشريعاتها التي ابتدعتها من عند نفسها تسير بالشعوب نحو العولمة عن طريق الدمج للثقافات ، وضغط الدول لتصبح تحت مظلّة الحكومة العالمية ، التي تغرر الشعوب برفع شعار (الديمقراطية) ، والمناداة بالحرية والعدالة والمساواة ، وهي شعارات برّاقة تبهر المخدوعين الذين لم يعرفوا حقيقة ما يدور خلف هذه الشعارات من ظلم وقهر وإذلال وتعالٍ غير مبرّر . ومَن راقب سلوكيات هذه المنظمة العالمية وحاكمها إلى الواقع المشاهد ، سوف يكتشف مدى الزيف والخداع الذي تؤدّيه هذه المنظمة لخدمة حفنة من المتحكمين في صياغة القرار العالمي ، وهم الأعضاء الدائمون لمجلس الأمن ، أي : الدول الخمس الكبرى ، التي تمتلك حقّ الرفض أو الموافقة لأيّ قرار يصدر عن الجمعية العمومية لهذه المنظمة ، وذلك حسب رغبة أبناء الذوات أعضاء مجلس الأمن الكبار ، وعلى رأسهم سيدة البيت الدولي : الولايات المتحدة الأمريكية .

فكثير جداً ما تلجأ هذه المنظّمة - التي ما فتئت دوماً تتغنّى بقيَم الديمقراطية ، وأنها تعلي من شأن الحريات والعدل والمساواة - تُقدِم بنفسها على نسف مبادئها وحرق قيمها التي تعلنها ، وذلك إذا رأت أنّ هذه المبادئ والقيَم سوف تضرّ بأسياد مجلس الأمن أو أحدهم .

فكم شاهدَ العالم من هتك للحريات ومصادرة لها باسم الشرعية الدولية ، وكم شاهدَ العالم من إجحاف لهذه المنظمة التي أصبح العالم يعرف ويدرك أنها تكيل بمكيالين في تعاملها مع القضايا الإنسانية ،

---

(١) جريدة الرياض ، عدد ١١٩٩٨ في ١٤٢١/٤/٢هـ .

وتبرّر ذلك بدعوى الشرعية الدولية أو حقوق الإنسان .

وكم شاهدَ العالم من فوارق صارخة تنفذها الأمم المتحدة ضدّ الشعوب ، وبخاصة المسلمة منها ، فأين الديمقراطية والحكومة العالمية من هذا الواقع المأساوي الذي تعيشه الشعوب ، والتي تعيش تحت مظلّة الأمم المتحدة ؟!.

لقد كشف الواقع زيف الدعاوى المضللة لهذه المنظمة ، حيث زادت الفوارق الاجتماعية بين البشر في ظلّ العولمة التي تحميها هذه المنظمة ، وتناءت المستويات العلمية بين الشعوب لدرجة غير مقبولة ، مع أنّ الجميع ينضمون رسمياً إلى هذه المظلة التي وعدت الجميع بمستويات متقاربة في كلّ المجالات . فالعالم يشهد صوَراً من هذه الفوارق المفزعة ، فأمّة تتفنن في تكنولوجيا العِلْم لدرجة محاولة فكّ الشفرة الوراثية للإنسان والحيوان ، وأمّة أخرى في نفس المنظّمة لا تعرف شيئاً عن ثورة الاتصالات ، ولا عن الهندسة الوراثية ، ولا عن أيّ تقدّم علمي . فأين المساواة الذي كانت تَعِد به المنظّمة هذه الشعوب ؟!. وأمّة يعيش أفرادها في أعلى درجات الرفاهية ورغد العيش إلى درجة البذخ والإسراف ، وأمّة أخرى عضو في نفس المنظّمة يعيش أفرادها تحت خطّ الفقر ، فالأمراض تفتك بهم ، والجوع يلهب أكبادهم ، والجهل يعود بهم إلى عصر التخلف المطبق ، فأين المساواة والعدل ؟!. وأمّة تتفلت من كل قيم وضوابط الحرّيات ، وأمّة تصادر حرّيتها من قِبل هذه المنظمة ، وتكمم أفواه أبنائها ...

إن البشرية التائهة اليوم والمغرر بها ، لن يصلح حالها ويستقيم أمرها - سواء مسلمها أو كافرها - إلاّ بالرجوع إلى حُكم خالقها ، فهو الأجدر بأن يكون حاكمها ؛ لأنّه سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح لهم ، وهو القائل جلّ شأنه : { أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }[(١)]. فعندما يكون حُكم الله هو الحاكم ، ستجد البشرية أمنها وأمانها ، حتى وإن اختلفت عقائدها ، وإلا فالمزيد من الجهل والجوع والمرض والإرهاب والعنف .

ثانياً : البنك الدولي :

من المنظمات التي تلعب دوراً بارزاً في عملية العولمة : البنك الدولي للإنشاء والتعمير . وقد أنشئت هذه الآلية عام ١٩٤٥م كمنظّمة دولية ذات

---

(١) سورة المُلك : الآية (١٤) .

نفوذ واسع ودور فاعل .

يقول حسين أبو شنب : " أنّ العولمة تتأثر بالمنظمات الدولية ذات النفوذ ، وفي مقدّمتها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، فهي ترتبط بالنظام الدولي الجديد "[1].

وقد كان الدافع لإنشاء هذا البنك هو أنّ الحلفاء بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وجدوا أنّ حجم الخراب والتدمير الذي حلَّ بأوروبا هائلاً ، ففكروا في إيجاد آلية لتلبية وتوفير رأس المال الضروري من أجل تمويل وإعادة إعمار أوروبا .

يقول الببلاوي : " بدأ البنك تمويل الجهود الرامية إلى إعادة بناء الاقتصادات المهدّمة في أثناء الحرب ، ثم جهود التنمية ... أما عن موارد البنك المالية التي يستخدمها في الإقراض ، فإنها تأتي من اقتراض البنك من أسواق رأس المال الدولية ، وبعبارة أخرى : فإنّ جلّ موارد البنك هي موارد مُقترضة من الأسواق المالية "[2].

ثم توسّعت نشاطات البنك الدولي بعد ذلك لتشمل دول العالم الثالث .

أما عن علاقة البنك بظاهرة العولمة ، فكما سبق ذِكره ، أنّ العولمة في بُعدها الاقتصادي تدعو إلى أن ترفع الدولة يدها عن تغذية القطاعات الاجتماعية والإنفاق عليها . وهو ما يعرف باسم الخصخصة . لذلك بدأ البنك يدعو الدول إلى تبني وتفعيل هذا الاتّجاه تحت مسمى إعادة هيكلة الاقتصاد ، أو التكييف الاقتصادي .

يقول الببلاوي : " بدأ البنك يدعو في الفترة الأخيرة - ومنذ نهاية الثمانينات - إلى تشجيع دور القطاع الخاص ، وتقليص دور الدولة ، والاهتمام بصناعات التصدير "[3].

وهي دعوة لها تَبِعات اجتماعية خطيرة على المدى القريب والبعيد . من أمثلتها : استثمار الشركات للقطاعات الاجتماعية ، مثل : الصحة ، والتعليم ، والهاتف ... وذلك بعد نقل ملكيتها إليها .

كما أن من تَبِعات ذلك : ازدياد عدد العاطلين عن العمل ، أو انتشار

---

(١) مجلة شؤون عربية ، عدد ١٠٢ ، ١٤٢٠هـ ، ص٦٣ .
(٢) الببلاوي ، مرجع سابق ، ص٤٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص٤٩ .

البطالة ، وتعميق الفقر . والذي كان السبب في تفشيه هو القروض الربوية التي يقدّمها البنك للدول التي تلجأ إليه تطلب مساعدته في تمويل مشاريعها التنموية أو غيرها ، ثم يستغلّ هذا الوضع البنك لإملاء شروطه على الدول المقترضة ، لتسير وفق خطط وطموحات نظام العولمة .

ثالثاً : صندوق النقد الدولي :

لقد عُهِدَ إليه - كما يقول الخضيري - " بوظيفة دعم استقرار أسعار الصرف والمحافظة على التدابير المنظمة للصرف بين الدول الأعضاء "[١] .

وكان الصندوق - ولفترة غير قصيرة - مهتمّاً بأمور الدول المتقدّمة ، على العكس من البنك الدولي الذي كان اهتمامه منصبّاً على الدول الفقيرة . ولكن منذ عقد الثمانينات الميلادي ، التقى البنك الدولي والصندوق في مهمّة واحدة تتمثّل في " تحويل الاقتصادات الاشتراكية إلى اقتصادات السوق في التسعينات "[٢]، وذلك بعد سقوط الاتّحاد السوفييتي ، وتفكّك الكتلة الشرقية .

أما عن علاقة الصندوق بظاهرة العولمة ، فهي نفس مبررات البنك الدولي ، حيث دعم الصندوق مع البنك الدولي كثيراً من الدول ، وأمدّها بالخبرات والمال الذي تحتاجه للخروج من وضعها الاقتصادي الذي تمرّ به ، ولكنه شرطَ على هذه الدول شروطاً يخدم من خلالها ظاهرة العولمة .

تقول زينب عبد العظيم : " مع حدوث الأزمة المالية الآسيوية اتّجه صندوق النقد الدولي إلى لعب دورٍ أساسيٍّ لمواجهة هذه الأزمة ، وتمثل أسلوب الصندوق في هذا الشأن في تقديم العون المالي السخي لمساعدة هذه الدول على تسوية مديونيتها الخارجية بشرط تعهّدها باتّخاذ مجموعة من الإجراءات الانكماشية التي تشمل رفع سعر الفائدة وتحقيق فائض في الموازنة العامّة بجانب إحكام الرقابة على الجهاز المالي ، وإلغاء جميع القيود على نفاذ رأس المال الأجنبي إلى هذه الدول "[٣].

وهكذا تحوّل كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء

---

(١) الخضيري ، مرجع سابق ، ص٥٧ .
(٢) الببلاوي ، مرجع سابق ، ص٥٢ .
(٣) عبد العظيم ، صندوق النقد الدولي والإصلاح الاقتصادي ، ١٩٩٩م ، ص٦ .

والتعمير ، تحوّلا إلى أداة لإفقار الشعوب والتحكّم في مقدراتها ، فقبل أن يمنح صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي أيّ قرض تمويلي لأيّة دولة ، لا بدّ أن يمليا شروطهما ويقدما وصفاتهما التقشفية التي يجب على أيّة دولة اضطرّت إلى اللجوء إليهما القبول المسبق بهذه الشروط والسير وفق الوصفات المعطاة ، والتوقيع على تلك الشروط التعسفية التي لا تخدم إلاّ الأطراف المتحكمة في سير البنك والصندوق من أصحاب
رؤوس الأموال المؤثرين . ومن هذه الوصفات : " ضعوا برنامجاً اقتصادياً جادّاً وسنساعدكم "(١) .

وهذا ما يؤكّد أنّ البنك والصندوق آليتان من آليات العولمة ، إذ أنه بمجرّد التوقيع على شروط الصندوق أو البنك فإنّ ذلك معناه تفعيل لإحدى سِمات العولمة المتمثلة في رفع الدولة يدها عن القطاعات الاجتماعية وخصخصتها من قِبل الشركات الاستثمارية بدعوى سداد الديون المستحقة على تلك الدولة للبنك أو للصندوق .

ولا شكّ أنّ لهذه السياسة الاقتصادية التقشفية التي يفرضها الصندوق أو البنك انعكاسات اجتماعية عنيفة ، وهذا ما يؤكّده صاحب كتاب : (عولمة الفقر) ، إذ يقول : " أدّت تدابير التقشف التي أوصى بها صندوق النقد الدولي إلى ذبول برامج الحكومة : تخفيض المصروفات على الصحة والتعليم ، وانهيار الإدارة المدنية في الأقاليم ... "(٢) .

كما يتّضح مما سبق أنّ الهدف من تقديم القروض الخارجية ليس حبّاً في المساعدة والشفقة ، بل لأنها تصبّ في النهاية لمصلحة أصحاب الاستثمارات ، ووسيلة لاختراق تلك الدول ، وتمهيداً لإحكام السيطرة عليها ، لتسير وفق توجّه صنّاع العولمة . وهذا ما يؤكّده عبد سعيد ، إذ يقول : " إنّ مشكلة المديونية الأجنبية قد أعطت الفرصة للدول الدائنة والمؤسسات المالية الدولية التي تهيمن عليها ، لكي تتدخل في شؤون الدول المدينة ، وتمسّ سيادتها ، وتهدّد استقلالها السياسي والاقتصادي ،

---

(١) دوفسكي ، عولمة الفقر ، ٢٠٠٠م ، ص٢٢٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

ولتفرض ما تراه مناسباً من جهة نظرها ... "[١] .

ولا يخفى أنّ الهدف هو تصريف البضائع وفتح عدد من الأسواق ، وبذلك يتّضح أيضاً مدى هيمنة هاتين الأداتين على الدول المحتاجة . ومن الأمثلة التطبيقية لهذه السياسة التي يتبعها كل من الصندوق والبنك : ما حصل لدول شرق آسيا التي كانت تعرف بالنمور الآسيوية التي سمحت للاستثمار الأجنبي أن يسيطر عليها ، ثم لما أحكم سيطرته على تلك البلاد حوّلها إلى قططٍ غارقة في ديونها .

وفي هذا الإطار أصبح زعماء كثير من الدول وشعوبهم يقعون تحت سيطرة أصحاب الشركات المتعدية الجنسية والمؤسسات الاستثمارية وقوى السوق الفاعلة .

وهذا ما صرّح به رئيس البنك الألماني (الفديرالي) إذ قال : " إنّ رجال السياسة أصبحوا - من الآن فصاعداً - تحت رقابة الأسواق المالية ، وهذا ما أكّده الزعيم النقابي الفرنسي (مارك بلونداك) في منتدى دافوس سنة ١٩٩٦م ، قائلاً : (إنّ السلطة الرسمية لم تَعُد تمثّل في أحسن الحالات سوى مقاولة داخلية تابعة للمؤسسة ، السوق يحكم والحكومة تسير) "[٢] .

وبذلك ينجح كلّ من الصندوق والبنك الدوليّيْن في تحجيم دور الدولة والقفز على خصوصياتها وسيادتها لخدمة أهداف ملاّك الشركات ومُسيّري ظاهرة العولمة من أجل فتح العديد من الأسواق ، وترويج أكبر حجم من البضائع الاستهلاكية ذات الأنماط المتجانسة والمنتمية في غالبها إلى الذوق الغربي ، وبالأخصّ من ذلك ؛ الذوق الأمريكي .

رابعاً : منظّمة التجارة العالمية :

بدأت فكرة تأسيس هذه المنظّمة قبل نحو خمسين سنة ، فهي إحدى المؤسسات التي تَمّ الاتفاق على إنشائها في مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد عام ١٩٤٦م . يقول عادل محمد : " في عام ١٩٤٦م دعا المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر للنظر في إنشاء منظمة للتجارة الدولية ؛ لتكون الضلع الثالث للنظام الاقتصادي الجديد

---

(١) عبد إسماعيل ، أزمة المديونية ، ١٤١٦هـ ، ص٤٤ .
(٢) اليوسف ، مجلة عالم الفكر ، يوليو ٢٠٠٠م ، ص٢٨ .

الذي بدأ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وأسفر عن إنشاء صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير "[١].

ولكن المنظمة لم تَرَ النور إلا في شهر يناير ١٩٩٤م ، بسبب الخلاف الناشئ بين المعسكرين ؛ الشرقي بزعامة الاتّحاد السوفييتي ، والمعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان الخلاف يتمحْوَر حول المجالين : الاقتصادي والسياسي . وإزاء هذا الفشل الذريع في قيام المنظمة بسبب الخلافات السابقة ، فقد رأت الدول الصناعية - وكما يقول الببلادي - : " الاتّفاق على حلٍّ مؤقت يتمثّل فيما عرف باسم : الاتّفاقية العامّة للتعريفات والتجارة . الجات (GTT) بالنسبة للدول الصناعية . أما بالنسبة للدول النامية ، فقد لجأت إلى الدعوة لتشكيل ترتيبٍ مقابل ، هو : مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية ، والمعروف باسم (الأونكتاد) ، الأول نادٍ للأغنياء ، والثاني تجمع للفقراء "[٢].

وقد تلا ذلك عدد من المفاوضات والمؤتمرات والجولات بين الدول ، من أجل صياغة وبلورة ميثاق منظّمة التجارة العالمية . واستمرّ الوضع على ذلك الحال . فالجات كانت حلاً بديلاً ، والجولات والمفاوضات مستمرّة ، حتى تَمّ الاتفاق والإعلان عن قيام هذه المنظّمة العالمية في شهر يناير ١٩٩٤م ، أي بعد سقوط زعيم الكتلة الشرقية وأيديولوجيته السياسية والاقتصادية التي تمثل عقبة كؤود أمام قيام المنظّمة التي تتبنّى سياسة الاقتصاد الحرّ والمفتوح .

وعن تعريف المنظّمة يقول سمير صارم : أنها " منظّمة ذات صفة قانونية مستقلّة لها كافّة الحقوق والامتيازات الممنوحة لوكالات الأمم المتحدة ، وهي تمثل الإطار التنظيمي والمؤسسي الذي يحوي كافّة الاتّفاقيات التي أسفرت عنها مفاوضات جولة الأرجواي "[٣].

أما عن مدى تأثير المنظّمة في الوضع الاقتصادي العالمي المعولم ، فيقول الخضيري : " هي أخطر المؤسسات المتعلقة بالعولمة باعتبارها المشرفة على نظام التجارة في النظام العالمي الجديد "[٤].

---

(١) خليل ، تبسيط الجات ، ٢٠٠٠م ، ص٥ .
(٢) الببلاوي ، مرجع سابق ، ص٤٢ .
(٣) صارم ، معركة سياتل حرب من أجل الهيمنة ، ١٤٢١هـ ، ص٢٥ .
(٤) الخضيري ، مرجع سابق ، ص٧٤ .

ويؤيّد هذا الرأي سمير صارم ، منوّهاً بقوة المنظمة ومدى تأثيرها على حياة الأمم والحكومات ، وتجاوزها لكلّ العقبات التي تقف في طريق تنفيذ مهامّها ، إذ يقول : " تُعدّ منظّمة التجارة العالمية التي تقع على شاطئ بحيرة جنيف السويسرية من أكثر المنظمات قوّةً في العالم ، إذ - وحسب تعبير صحيفة الإندبندت البريطانية - تتمتع بسلطات تفوق سلطات الحكومات ، حيث تؤثر قدراتها على حياتنا ، وتستطيع ضرب القوانين التي توافق عليها أقوى وأكثر الحكومات ديمقراطية ، كما تستطيع شنّ الحروب التجارية ، كما يمكنها جعل بنود الاتّفاقيات الدولية التي صدقت عليها دول العالم الثالث بلا قيمة ... "[١].

وهذا دليل واضح يبرز مدى هيمنة المنظمة كشخصية وآلية فاعلة ومؤثّرة في ظاهرة العولمة ، وهي تلتقي مع العولمة في العديد من وجهات النظر التي تفعّل من خلالها قيَم ومبادئ ظاهرة العولمة . ومن ذلك فتح الحدود ، وتحجيم دور الدولة ، وإقامة العديد من الأسواق الدولية . وفي هذا الصدد يشير سمير صارم إلى ذلك بقوله : " يرى كثير من الباحثين الاقتصاديين أنّ العولمة الاقتصادية هي نقل سُلطة التحكّم في الموارد وأسواق التقانة من الناس والمؤسسات المحلية والحكومات ، إلى أسواق المال والشركات متعدّدة الجنسيات ، إذ توضع هذه المؤسسات بعيداً عن إمكانية المساءلة العالمية "[٢].

ولا شكّ أنّ المنظمة - وهي التي تتمتع بهذا الحجم من القوّة والتأثير والزخم الدعائي والسُّلطة المستقلة ، وبخاصة على الدول الضعيفة - ، لا شكّ أنّ ذلك سيحدث له آثار متقلبة بين السلب والإيجاب على الدول ، وقبل أن نتعرض لآثار المنظمة ، يجدر بنا أن نرى ما هي وظائف المنظمة المناطة بها ؟.

وقد حدد عادل محمد في كتابه (تبسيط الجات) عدداً من الوظائف لهذه المنظمة ، منها :

١- الإشراف على تنفيذ الاتّفاقيات التي أسفرت عنها جولة أورجواي ، وأي اتّفاقيات يتّفق عليها مستقبلاً .

٢- أن تعمل المنظمة كمحفل أو جهاز دائم للتفاوض بين الدول

(١) صارم ، مرجع سابق ، ص٢١ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٠ .

الأعضاء حول الأمور التي تغطيها الاتفاقيات ، وأيّ قضايا جديدة تدخل تحت ولايتها ويتفق على إجراء مفاوضات حولها .

٣- تسوية الخلافات والمنازعات التي قد تنشأ بين الدول الأعضاء .

٤- مراجعة السياسات التجارية للدول الأعضاء دورياً[١].

وكطبيعة أيّ عمل بشري ، لا بدّ أن ينال حظّه من النقص والتقصير ، فيشتمل على جوانب إيجابية حسنة وأخرى سلبية سيئة .

وفيما يلي عرض لأبرز هذه الآثار التي يُتوقع حصولها بعد قيام منظّمة التجارة العالمية وهيمنتها الفعلية على مجريات الحركة التجارية العالمية :

أولاً : الآثار الإيجابية للمنظمة :

١- يرى بعض الباحثين أن تحرير التجارة من القيود الجمركية وغيرها ، سوف يؤدّي إلى زيادة حجم وحركة المبادلات بين الدول ، مما يؤدّي بدوره إلى تكثيف الإنتاج المحلّي لتلبية حاجات السوق .

٢- إذا نفذت الدول الصناعية وُعودها المتمثلة في إلغائها المتدرج للدعم على منتجاتها الزراعية بالذات ، فإنّ ذلك سوف يهيّء فرصة جيدة للدول النامية لزيادة صادراتها الزراعية إلى الدول المتقدّمة ، لتغطية العجز المتوقع هناك .

٣- سوف تجد الدول النامية فرصة لتطوير قدراتها التقنية عند تحرير تجارة الخدمات ، مما يسهل الوصول إلى التكنولوجيا المتطورة وامتلاكها .

٤- سوف يؤدي مبدأ إتاحة الفرصة للتنافس بين الدول ، إلى تشجيع الدول النامية من أجل زيادة قدرتها الإنتاجية وتحسين ذلك ، حتى تضمن لنفسها البقاء والمنافسة .

٥- من المتوقع أن يساهم تخفيض الرسوم الجمركية على السلع الأساسية في تخفيض تكلفة الإنتاج المحلي في الدول النامية ، كما قد يؤدي إلى زيادة الإنتاج فيها .

٦- يشمل نظام المنظّمة على نظام حلّ المنازعات التجارية بين الدول

(١) خليل ، مرجع سابق ، ص١٤ .

الأعضاء بالطرق السليمة ، مما يوفّر جوّاً من الهدوء والاطمئنان ، ويشير إلى الحيدة والموضوعية .

ثانياً : الآثار السلبية المحتملة لمنظّمة التجارة العالمية :

كتبَ كثير من الباحثين عن وجود احتمالات سلبية للمنظمة ، وقد حاولَ الباحث في هذه الدراسة تلخيص أبرز ما أشار إليه أولئك الباحثون ، وعرضها على شكل النقاط التالية :

١- يرى بعض الباحثين أنه من المتوقع أن يؤدي إلغاء الدول المتقدّمة - صناعياً - للدعم المقدم من قِبلها للمنتجات وصادراتها الزراعية ، أن يؤدي إلى زيادة أسعار السلع الزراعية بشكلٍ يثقل كاهل ميزانية الدول النامية ؛ لأنّها سوف يلحقها بعض الضرر من جرّاء ذلك .

٢- من المتوقع - كما يرى البعض - أن يؤدّي فتح الحدود أمام سائر السلع إلى تدفّق سلع استهلاكية على حساب سلع أهمّ ، بل والأخطر هو أن تكون هذه السلع ضارّة للفرد وللمجتمع .

٣- هناك اتّهام للمنظمة بأنها منحازة لمصلحة الشركات الكبرى ، مما يؤدّي إلى ضمور وذوبان المنافس الصغير .

٤- يتّهم البعض المنظَّمة بعدم وجود مرجعية ، وانعدام جهة المساءلة لتطبيقات المنظمة وأفكارها بما يخلق نوعاً من الفوضى وعدم الانضباط الاقتصادي .

٥- يرى البعض أن المنظمة مقصّرة إلى حدٍّ بعيد في عدم وضع ضوابط تتعلق بصحة الإنسان ، وخاصة بالنسبة للسلع المشتملة على أطعمة معالجة وراثياً أو جينياً ، أو احتوائها على بعض الموادّ الحافظة والضارّة بصحّة الإنسان .

٦- يرى البعض أنّ المنظمة بانحيازها لمصلحة الشركات الكبرى ودورانها في فلكها ، سوف تسهم على المدى القريب في زيادة البطالة ، كما أنّ ذلك الانحياز لتلك الشركات سوف يؤدّي إلى السكوت عن جرائم البيئة وتلوّثها ، التي تقوم به بعض الشركات العملاقة .

٧- يرى البعض أنّ المنظمة سوف تظلم الدول النامية في مجال

الملكية الفكرية وبراءات الاختراع ، خاصّة في مجال الصحة والأدوية .

٨- هناك اتّهام قوي للمنظمة بأنها ترضخ - بل وتنصاع - لطلبات وأوامر الدول الكبرى ، وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية التي شرطت انضمامها للمنظمة بعدم المساس بمصلحة أمريكا أولاً . وهذا ما يقدح في مصداقية مقولة أنّ المنظمة جهاز أو محفل مستقلّ ، بل وإذا ثبت هذا الاتّهام ، تصبح المنظمة جهاز مسيَّر من خلف الكواليس لتحقيق مصالح دول ، ومراعاة مصالحها على حساب مصالح دول أخرى .

٩- تتسم مناقشات المنظمة بالسرية وعدم توفر الشفافية بشكلٍ كامل ، مما يؤدّي إلى انعدام الثقة في مصداقية المنظمة ، ويجعلها عرضة للنقد والاختراق .

١٠- تشكل قرارات المنظمة أوامر إلزامية يجب تنفيذها من قِبل الدول الأعضاء ، ومَن لا يلتزم بالتنفيذ فإنه يكون عُرضة للعقوبات الاقتصادية ، مثل : زيادة الرسوم الجمركية على صادراته بشكل عقابي ، وهذا البند هو ما يميز منظمة التجارة العالمية عن سابقتها منظمة الجات التي لم تكن تتمتّع بهذا الشرط الإلزامي والجزائي .

١١- تتّهم المنظمة بأنها سوف تسعى إلى ترويج وتصدير ثقافات الدول الصناعية عن طريق الشركات المتعددة الجنسية ، مما سيلحق الضرر بثقافات الدول النامية ، ويؤدي إلى اختراق واضح للخصوصيات والهويات ، وتسير هذه الثقافات نحو رغبة صنّاع العولمة والمخطّطين لها في كلّ المجالات . ولعلّ في هذا البند الأخير ما يوضح علاقة المنظمة بمجال دراستنا هذه ، حيث إنه من المتوقع أن يحدث تشوّه ثقافي عامّ بفعل نشاطات منظمة التجارة العالمية ، وبالذات في الثقافات الإسلامية والعربية .

خامساً : منظّمة اليونسكو :

من المؤسسات والمنظّمات الدولية ذات العلاقة بموضوع الدراسة مباشرة ؛ منظمة اليونسكو ، والتي يقع مقرّها في باريس بفرنسا ، وهي إحدى المنظمات التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، والتي تطّلع بالجانب

الثقافي والتربوي ، تَمّ إنشاؤها في عـام ١٩٤٦م .

وعن علاقة المنظمة بظاهرة العولمة ؛ فالمنظمة وإن كانت منظّمة عالمية يشترك في تكوينها كل الدول التي وقّعت على ميثاقها ، إلاّ أنّ المنظّمة بسعيها إلى إيجاد وتكوين رؤية ثقافية واحدة تلتقي مع ظاهرة العولمة .

يقول اسكندر الديك : " إنّ نشوء منظمة اليونسكو جاء ليعزّز الرغبة الدولية الجامحة إلى منبر عالمي يكون جزءاً من نظام التعاون الدولي المعاصر في مسائل التعليم والعلوم والثقافة "(١).

وقد جاء في ميثاق المنظمة أن من ضمن أهداف المنظّمة ، " صون السِّلم والأمن الدوليّين ، وتعزيز التعارف والتفاهم والصالح المشترك بين الدول والأمم عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية "(٢).

سادساً : الشركات المتعدية للجنسيات :

تعددت أسماء هذه الآلية ذات الأثر البالغ ، فمرّة هي الشركات العملاقة ، ومرّة أخرى الشركات المتعددة الجنسيات ، ومرّة ثالثة هي الشركات الكوكبية . لكنها في الآخِر تمثل ذراع العولمة الاقتصادية ، وتمثل إحدى تطبيقات العولمة ، وذلك بتواجدها في كلّ مكان من الكوكب الأرضي ، وهذا ما يشير إليه أحد مُسمَّياتها .

وتقوم هذه الشركات على مبدأ وفكرة السوق ، فهدفها ربحي بالمقام الأول ، وكما هو معلوم أنّ الاقتصاد يمثّل العمود الفقري لظاهرة العولمة ، بل هو الذي يحرّك هذه الظاهرة ، بل يذهب بعض النقّاد والمحلّلين إلى أنّ أصحاب وملاّك هذه الشركات العملاقة هم في الحقيقة المحرّكون والمسيّرون لهذه الظاهرة - العولمة - .

يقول اليحياوي : " إن الشركات الكبرى هي الفاعل المركزي في العولمة والشمولية ، وهي مركز السُّلطة الأولى "(٣).

ومن أمثلة ممارسات وأنشطة هذه الشركات العملاقة التي تفعِّل من خلالها مفهوم العولمة ؛ ما نشرته مجلة العربي الكويتية على لسان محمد ذياب ، يقول : " إنّ شركة بيشنيه - مثلاً - تستخرج اليوكسيت من

---

(١) الديك ، اليونسكو - الصراع الدولي حول الإعلام والثقافة ، ١٤١٣هـ ، ص١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٣ .
(٣) اليحياوي ، مرجع سابق ، ص١٢٩ .

أستراليا ، وتحوّله لألومين في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتنتج الألمنيوم في الغابون باستخدام الألومين المنتج بواسطة فروعها في غينيا "[1] .

ومن أبرز سِمات هذه الشركات المتعدية للجنسية أو العابرة للقومية : تعدد الأنشطة التي تمارس عملها فيها دون وجود ترابط بين منتجات هذه الشركة ، حيث إنّ من الطبيعي أن تجد شركة تمارس عدداً من الأنشطة التي توحي بعدم التزام هذه الشركات بالتخصص في شيءٍ معيّن . فشركة التليفون والتلغراف الدولية تملك فندق شيراتون ، وشركة (تايم وارنر) تشتغل بعدد كبير من شركات النشر والإعلان والملاهي ، والذي يدفع هذه الشركات إلى الأخذ بمبدأ تعدّد الأنشطة لها ، هو السعي إلى تعويض الخسائر المحتملة في نشاط معيّن بأرباح متوقّعة من أنشطة أخرى ، مستغلّة في ذلك انفتاح الحدود ، ووجود الأسواق الدولية ، وتخفيض الجمارك . فلا غرابة بعد ذلك في أن تكون هذه الشركات وراء تنامي ظاهرة العولمة والتسويق لها .

كما أنّ من أبرز سِمات هذه الشركات ، هو ما يلاحظ من الاندماج بينها . ففي عالَم اليوم الذي أصبح فيه الضعيف عُرضة للابتلاع من قِبل القويّ ، تسعى الشركات العملاقة إلى التكتّل والاندماج فيما بينها ؛ لتكوِّن بذلك قوّة يصعب اختراقها أو الوقوف في طريقها ، أو المنافسة لها . فالمنافس المحلّي إما أن يقبل بالاندماج ، أو أنه سوف يخرج من السوق خاسراً ، وذلك في ظلّ منطق هذه الشركات التي لا تفكّر إلا في قيم الربح ، ولو كان على حساب قيَم المبادئ والأخلاق والشفقة . وقد أصبحت هذه الشركات قوّة فاعلة ومؤثرة تفرض نفسها وتعمّم رأيها ، غير آبهة بالحواجز المكانية والسياسية للدول ولتشريعاتها .

ومما يُبرز مدى هيمنة هذه الشركات على الوضع الاقتصادي والسياسي ، ما جاء في كتاب (بؤس المسلمين المتنامي في عالم الجنوب) ، إذ يقول المؤلف :

" في عام ١٩٧٣م أصدرت الحكومة البريطانية أمراً بتخفيض السعر الذي تدفعه إدارة الخدمات الصحية المؤقّتة لدواءَي (الفاليوم والليبريوم) ، وهما من صنع شركة (هوقمان

---

(١) ذياب ، مجلة العربي الكويتية ، عدد ٤٩٤ ، ١٤٢٠هـ ، ص٩٤ .

لاروش) ، والتي تتخذ سويسرة قاعدة أصلية لها . كما طالبت الحكومة البريطانية هذه الشركة بإعادة مليوني جنيه استرليني من فائض أرباحها التي جنتها من بريطانيا ، لكن الشركة لم تعد المال المطلوب ، ولا رضيت بتخفيض سعر الدواءَين ، بل قال أحد مسؤوليها : (إذا جرت محاولة لخفض الأسعار ، فإن الشركة ستمنع تصدير أيّ دواء لها مصنع في بريطانيا ، وستنقل صناعتها الدوائية واستثماراتها إلى بلدٍ آخر) "[١].

وبهذا النموذج السابق تتّضح عدّة أمور ، منها : قدرة هذه الشركات على الهيمنة الفعلية والاحتكار للأسواق ؛ لضمان عدم وجود منافس . وكذلك قدرة هذه الشركات على الضغط على الحكومات والقوى السياسية ؛ لتغيير مواقفها بما يخدم مصالح ملاّك هذه الشركات . كذلك قدرة هذه الشركات على المتاجرة بمشاعر الشعوب والأفراد ، ولَيّ أعناقهم ، مستغلّة في ذلك حاجة الناس إلى الدواء ، وهي حاجة أساسية ، وذلك للرضوخ لمطالب هذه الشركات .

كما أنّ هيمنة هذه الشركات بلغت إلى الحدّ في قدرتها على زيادة عدد العاطلين عن العمل في أيّ بلد ، وذلك بمجرّد نقل مصانعها من بلدٍ إلى بلد آخر ، مما يعني تسريح أعداد كبيرة من العمّال ، وذلك بحثاً عن أيادي عاملة أقلّ كلفة وأعلى جودة . وهذا ما يهمّ ملاّك هذه الشركات .

والأمر بالنسبة لهذه الإجراءات ميسور لا يحتاج إلا إلى بعض الإجراءات القانونية التي يمكن أن تجرى عبر وسائل الاتصال الحديث من فاكسات وأجهزة حاسب متطوّرة وغيرها . كما أشار إلى ذلك رئيس شركة (باتا) لصناعة الأحذية ، والتي تمتلك ستين فرعاً حول العالم ، وذلك عندما سئل عن مقرّ شركته ، فأشار إلى جهاز الحاسب الشخصي الذي يحمله .

وخلاصة الأمر : إنّ هذه الشركات قد أحدثت تبدلاً جذرياً في آليات السيطرة ، فاقتحمت سيادة الدولة ، غير آبهة بحدود الزمان والمكان ، بل أصبحت تلغي اسم البلد الذي صنعت فيه السلعة ، وتضع اسم الشركة بديلاً له . فقد اختفت من الأسواق - وعلى السلع - شعارات رنّانة ، مثل شعار (**Made in U.S.A**) ، أو شعار (**Made in Germany**) ، واستبدلت بأسماء وشعارات تحمل

---

(١) الطويل ، بؤس المسلمين المتنامي في عالم الجنوب ، ١٤١٤هـ ، ص٦٨ .

أسماء الشركات مباشرة ، مثل : (I B M) ، أو : هل البضاعة من صنع شركة (**Puma**) أم من شركة (**Nike**) .. إلخ .

وبذلك تحول السؤال من : أين صُنعت السلعة ؟. إلى صيغة ذات دلالة واضحة على شخصية الشركة المستقلة ، حيث أصبح السؤال الذي يردّده المستهلك هو : مَن صنعَ السلعة ؟.



الفصل الثالث

(تحديات العولمة في المجال الثقافي)

المبحث الأول : مفهوم الثقافة .

المبحث الثاني : الثقافة والهوية الخصوصية في عصر العـولمة .

المبحـث الثالث : تحديات العولمة الثقافية في مجال الإعلام ووسائل الاتصال .

المبحـث الرابع : قنوات العـولمة الثقافية .

المبحث الخامس : اختزال بعض القيم الثقافية في عصر العـولمة .

المبحث السادس : المشترك الثقافي في عصر العولمة .

الفصل الثالث

(تحديات العولمة في المجال الثقافي)

المبحث الأول : مفهوم الثقافة :

توطئة :

تمثّل الثقافة واجهة الحضارات القديمة والحديثة ، فهي التي تشكّل بناء الأمّة وتنسج حضارتها .

يقول مصطفى حجازي : " لم تقم نهضة في أمّة إلا وكانت الثقافة في قلب مشروعها ، كما لم تتعثر أمّة وتتخبط في حالات الانتكاس والتقهقر إلا وكان السؤال الثقافي ومحاولة الجواب عليه في قلب جهودها للخروج من عثراتها ، واستعادة مكانتها وانطلاقها "[١].

ونظراً لأهمية مفهوم الثقافة ، فإن الهدف من عقد هذا المبحث هو إلقاء الضوء على ما يحمله هذا المفهوم من دلائل لغوية واصطلاحية متعددة الرؤى .

وبداية ، فقد ورد لفظ (مادة : ث ق ف) في القرآن الكريم والسنّة النبوية .

ففي القرآن الكريم وردَ لفظ (ث ق ف) بعدّة صيغ وبعدّة معاني ، وذلك في ثلاثة مواقع من القرآن الكريم ، وذلك على النحو التالي :

١- في قوله تعالى : { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ }[٢].

قال السعدي - رحمه الله تعالى - : " هذا أمر بقتالهم أينما وُجدوا ، في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ زمان ، قتال مواقعة وقتال مُهاجمة "[٣].

٢- في قوله تعالى : { فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ .. }[٤].

قال السعدي في تفسيره : " أي : تجدنّهم في حال المحاربة بحيث لا

(١) حجازي ، حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية ، ١٩٩٨م ، ص٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية (١٩١) .
(٣) السعدي ، مرجع سابق ، ص٩٨ .
(٤) سورة الأنفال : الآية (٥٧) .

يكون لهم عهد ولا ميثاق "[١].

٣- في قوله تعالى : { مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً }[٢].

قال السعدي - رحمه الله - : " أي : مبعدين حيث وُجدوا ، لا يحصل لهم أمن ، ولا يقرّ لهم قرار ، يخشون أن يقتلوا أو يُحبسوا أو يُعاقبوا "[٣].

أما في السنّة النبوية الشريفة ، فقد ورد لفظ (ثقف) في حديث الهجرة ، حيث أورد ابن كثير - رحمه الله تعالى - في البداية والنهاية ، عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت : (.. ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شابّ ثقف لقن ...)[٤].

أولاً : تعريف الثقافة لغةً :

بالرجوع إلى قواميس اللغة المعتبرة للبحث عن معنى كلمة (ثَقُفَ) ، نجد أنّ لها معانٍ عدّة ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : جاء في لسان العرب لابن منظور - رحمه الله تعالى - (فصل الثاء ، باب : الفاء) ، قال : " ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة : حذقه . ورجلٌ ثَقْفٌ وثَقِفٌ ، وثَقُفٌ : حاذق فهم ، وثقف الرجل ثقافة : أي صار حاذقاً خفيفاً ، مثل ضخم "[٥].

ثانياً : جاء في مختار الصحاح - للرازي - في مادّة (ث ق ف) قوله : " (ثقف) الرجل من باب ظرف ، صار حاذقاً خفيفاً ، فهو (ثقف) ، مثل : ضَخُمَ فهو ضَخْمٌ ، ومنه (المثاقفة) ، وثقف كعضد . و(الثّقاف) ما تسوى به الرماح ، و(تثقيفها) تسويتها . (ثقفة) من باب (فهم) ، وخلٌ (ثقّيف) - بالكسر والتشديد - ، أي : حافظ جداً "[٦].

ثالثاً : جاء في كتاب مفردات ألفاظ القرآن - للراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى - قال : " (ثقف) الثقف : الحذق في إدراك الشيء وفعله

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ص٤٢١ .
(٢) سورة الأحزاب : الآية (٦١) .
(٣) السعدي ، مرجع سابق ، ص٩٢٦ .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤٠٥هـ ، ج٣ ، ص١٨٤ .
(٥) ابن منظور ، مرجع سابق ، ج٩ ، ص١٩ .
(٦) الرازي ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

. ومنه قيل : رجلٌ ثقف ، أي : حاذق في إدراك الشيء وفعله . ومنه استُعير : المثاقفة . ورمح مثقف : أي مقوم ، وما يثقف به : الثقاف ، ويقال : ثقفت كذا : إذا أدركته ببصرك ، لحذق في النظر ، ثم يتجوز به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثقافة "[1].

وخلاصة التعاريف اللغوية السابقة لمادة (ث ق ف) واستخداماتها ، يلاحظ أن (ثقف) في اللغة تأتي بمعنى الحذق والذكاء والفطنة والإدراك والظفر بالشيء ، والتسوية والتهذيب والتشذيب .

ثانياً : تعريف الثقافة في الاصطلاح :

لقد تعدّدت تعاريف الثقافة من الناحية الاصطلاحية ، وتوسّعت مدلولاتها ومضامينها بدرجة كبيرة .

يقول نعمان السامرائي : " من المفارقات الكبرى ، أنه لا توجد اليوم بلد بلا دولة ، ولا شعب بلا ثقافة ، فإذا بحثت في تعريف الدولة ، وجدت ما يقارب (١٥٠) تعريفاً ، وإذا تحوّلت إلى الثقافة وجدتَ أكثر من (١٦٥) تعريفاً . ومِن حُسن الحظّ ، فإنه لا أحد يجهل الدولة ولا الثقافة ، كما لا نجد مَن ينكرهما "[2].

ومن الأهمية بمكان - حسب رأي الباحث - أنه يجدر بنا أن نسوق بعض الأقوال التي تبيّن أهمية الثقافة بمفهومها العامّ في كيان كلّ أمّة ، وشعور كلّ فرد فيها . ومن تلك الأقوال نقتطف ثلّة منها :

> حيث يقول محمد محفوظ عن أهمية الثقافة : " الثقافة مرادفة لعملية الوعي والبناء والحرية ، وتوظيف إمكانات الإنسان في سبيل مشروع أسمى وأرقى ، وهي القنطرة الضرورية والجسر الذي لا غِنى عنه في مشروع ينشد التقدّم للأمة ، فهي التي تنقل مفاهيم التقدّم والحضارة من منطقة العاطفة إلى منطقة العقل ، ومن ردود الأفعال إلى الفعل ، ومن التطلّع المجرّد إلى الفعل المتواصل لصناعة الحقائق والوقائع . وبهذا تبقى الثقافة مركز الثقل الحقيقي في عمليات البناء والنهضة "[3].

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مرجع سابق ، ص١٧٣ .
(٢) السامرائي ، دراسة في المعرفة ، ٢٠٠٠م ، ص٩٦ .
(٣) محفوظ ، الحظور والمثاقفة - المثقف العربي وتحدّيات العولمة ، ٢٠٠٠م ، ص٥ .

ويقول مالك بن نبي في كتابه (مشكلة الثقافة) ، منوّهاً بشأن الثقافة بكلّ مضامينها المادّية والمعنوية ، وأنها تمثّل ذاكرة الأمة وسجلّ حياتها : " لا يمكن لنا أن نتصوّر تاريخاً بلا ثقافة ، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد - حتماً - تاريخه "(١).

ويتأكّد الحرص على الثقافة في حفظ هوية الأمّة في عصر العولمة ؛ لأنّها تمثّل أحد الأهداف الحيوية في نظر صنّاع القرار لدى الدول الكبرى ولدى المسيّرين لظاهرة العولمة . وفي ذلك يقول مصطفى حجازي : " أصبحت الثقافة إحدى الاستراتيجيات الأربع الموجّهة لقرارات وممارسات الدول الكبرى ... نعني بذلك استراتيجيات السياسة والمال والحرب والثقافة "(٢).

هذا بالنسبة للدول الكبرى صانعة النظام الدولي الجديد ، أو المشاركة فيه بفاعلية ، أما شأن الثقافة بالنسبة للدول في العالم الثالث أو عالم الجنوب ، ومنها العالم العربي والإسلامي ، فإن الثقافة تمثل الجبهة الدفاعية الأخيرة لحماية هويّتها من الذوبان ، وشخصيتها من التهميش .

ومن خلال ما تقدّم يتّضح أن الثقافة هي بمثابة المولّد في جسم الأمّة الذي يدفعها إلى الحركة لتأخذ مكانها اللائق بين الأمم ، فمتى فقدت أمّة ثقافتها فقدت مكانها ومكانتها ، وأضحت عبئاً على الآخرين تقتات على ما يقدم لها من غير أن يكون لها رأي في الأخذ أو الرفض . وهذا الوضع متى ما وجد في أمّة ألبسها الذلّة والصغار .

وبعد هذه التوطئة التي قصد الباحث منها إلقاء الضوء على ما للثقافة من أهمية قصوى في حفظ كيان الأمّة ، وإعزاز موقفها ، وإبراز مكانتها ، سيقوم الباحث بعد ذلك بسرد لعدد من التعاريف الاصطلاحية على النحو التالي :

أولاً : التعريف بالثقافة لدى علماء الاجتماع :

يبدو أنّ أكثر الذين كتبوا عن الثقافة وتعريفها ، هم علماء الاجتماع ، ولعلّ أوّلهم هو مؤسس علم الاجتماع : عبد الرحمن بن خلدون - رحمه الله تعالى - ، وإذا كان لم يصرّح باستخدامه لهذا المفهوم ، إلا أنه ألمحَ إلى

---

(١) ابن نبي ، مشكلة الثقافة ، ١٤٢٠هـ ، ص٧٦ .
(٢) حجازي ، مرجع سابق ، ص٥ .

وجوده ضمناً ، وذلك عند حديثه في مقدّمته المشهورة عن العمران البشري ، في عدد من فصول مقدّمته ، إذ يلاحظ أنه أعطى للثقافة معاني العمران مرتبطة بالعوامل المكوّنة للحياة الاجتماعية .

وإذا قلنا أنّ الثقافة هي أن يأخذ الإنسان من كل علم بطرف ، فسوف نجد بعض الكتب لمؤلّفِين مسلِمِين قدماء ، أُلّفت من هذا المنظور بمعنى أن الثقافة تتكفل بإعطاء قارئها نبذة مختصرة وجيّدة من كلّ العلوم أو أغلبها ، وبذلك يكون قارئ تلك العلوم والكتب - وعلى حسب مقياسنا السابق (مثقف) - ، وذلك إذا كنا نقيس الثقافة بسعة الاطّلاع ، وكانت تلك الكتب تسمى بكتب الأدب أو أبواب الأدب ، مثل كتاب (صبح الأعشى) للقلقشندي ، و(عيون الأخبار) لابن قتيبة .. وغير ذلك .

أما فكرة الثقافة كمفهوم مستقلّ وصريح ، فإنها لفظ معاصر وصلَ إلينا من أوروبا . يقول أحمد نوفل : " أما فكرة الثقافة الحديثة ، فقد جاءتنا من أوروبا كثمرة من ثِمار عصر النهضة ، حيث أدّى ازدهار الفكر والأدب والفنّ منذ القرن السادس عشر إلى استعارة الكلمة اللاتينية (**Cultur**) من الزراعة والعناية بالأرض إلى التعبير عن الواقع الاجتماعي مع نشوء وتقدّم علوم الإنسان "[١].

ومن تعاريف علماء الاجتماع الغربيين للثقافة ، فقد اشتهر بين الباحثين والدارسين تعريف العالِم (تايلور) ، حيث يرى أنّ الثقافة هي " ذلك الكل المركب الذي يتضمّن المعرفة ، المعتقدات ، الفنّ ، الأخلاق ، القانون ، الأعراف ، وأية قدرات وعادات يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في جماعة "[٢].

أما مالك بن نبي ، فإنه يذكر في كتابه (مشكلة الثقافة) تعريفاً ينسبه إلى (رالف لنتون) ، إذ يرى هذا الأخير " أن الثقافة كلٌّ تتداخل أجزاؤه تداخلاً وثيقاً ، ولكن من الممكن أن نتعرّف فيه على شكل بنائي معيّن ، أي أن نتعرّف فيه على عناصر مختلفة ، هي التي تكون الكل "[٣].

ويلاحظ أنّ تعريف (رالف) يتّفق مع تعريف (تايلر) السابق ، والفرق بينهما هو أنّ تعريف (رالف) لم يفصل في مكونات ذلك الكلّ ، كما فعل

---

(١) نوفل ، في الثقافة الإسلامية ، د.ت ، ص٧ .
(٢) نظرية الثقافة ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٢٢٣ ، ص٩ .
(٣) ابن نبي ، مرجع سابق ، ص٣٠ .

(تايلور) .

ويندرج مع التعريفين السابقَين تعريف محمد محفوظ الذي قالَ فيه : أنّ الثقافة " مجموعة النشاط الفكري والفنّي في معناها الواسع ، وما يتّصل بها من مهارات ، أو يعين عليها من وسائل ، فهي موصولة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الأخرى ، مؤثرة فيها متأثّرة بها ، معينة عليها مستعينة بها ، ليتحقق بذلك المضمون الواسع لها ، متمثلاً في تقدّم شامل للمجتمع في كلّ جوانب سعيهِ الحضاري "[١] .

وجاء في تعريف لمنظّمة اليونسكو - وهي الجهة الدولية المسؤولة عن الوضع الثقافي - حيث قال التعريف : " الثقافة هي جميع السِّمات الروحية والمادّية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه ، أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب ، وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات "[٢] .

ويلاحظ على التعريف الأخير اعترافه صراحة أنّ من حقّ أيّ شعب أو فئة أن تكون لها ثقافة تميّز هذا المجتمع عن غيره .

أما المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فلها تعريف خاصّ بالثقافة تشير فيه إلى أنّ الثقافة هي التي " تنظم جماع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنّية ووجدانية ، وتشمل مجموعة المعارف والقيَم والالتزامات الأخلاقية المستقرّة فيها ، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفنّي والمعرفي والتقني ، وسُبل السلوك والتصرّف والتعبير ، وطرز الحياة ، كما تشمل أخيراً تطلّعات الإنسان للمثل العليا ، ومحاولاته إعادة النظر في منجزاته ، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله ، إبداع كلّ ما يتفوّق به على ذاته "[٣] .

ويلاحظ أنّ هذا التعريف متوسع فيه ، وأنّ معانيه فضفاضة ، إذ مع أنه صادر عن جهة تمثل الأمّة العربية لم يلاحظ عليه تميّز للثقافة العربية أو الإسلامية ، بلساير التعاريف الأخرى .

---

(١) محفوظ ، مرجع سابق ، ص١٩ .
(٢) صابر ، قضايا الثقافة العربية المعاصرة ، ١٩٨٢م ، ص٩ .
(٣) مجلة عالم الفكر ، ١٩٩٩م ، ج٨ ، ص٢٢٩ .

وإذا عدنا إلى مالك بن نبي ، نجد له تعريفاً إجرائياً للثقافة ، يقول فيه : " الثقافة مجموعة من الصفات الخُلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي وُلد فيه "(١).

وهو يشير إلى أنّ الثقافة عملية تكتسب بالتربية الوالدية والأسرية ، وغير ذلك من قنوات التثقيف .

وهناك مَن يحدد للثقافة معنًى تربوياً ، إذ يرى بعض التربويّين أنّ الثقافة " مجموعة الأفكار والمُثل والمعتقدات والتقاليد والعادات والمهارات وطُرق التفكير وأساليب الحياة ، والنظام الأسري ، وتراث الماضي بقصصه ورواياته وأساطيره وأبطاله ووسائل الاتّصال والانتقال ، وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد "(٢).

ومن بين الذين أعطوا للثقافة معنًى اجتماعياً هو أحمد زكي في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، إذ يقول عن الثقافة الاجتماعية : " تعرف الثقافة في علم الاجتماع بأنها البيئة التي خلقها الإنسان بما فيها المنتجات المادّية وغير المادّية التي تنتقل من جيلٍ إلى جيل آخر ، فهي بذلك تتضمَّن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز ، والذي يتكوّن في مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيَم وقوانين وعادات .. وغير ذلك "(٣).

أما الذين يهتمون بدراسة الثقافة من ناحية فلسفية ، فهم يعرّفون الثقافة من هذا المنظور الذي ينطلقون منه ، ومن أولئك : توفيق السيف ، إذ يقول عن الثقافة :

" ثقافة أيّ شعب هي الثوابت الذهنية التي تؤسس عليها نظرته إلى نفسه وإلى الآخرين ، إنها نظام من القيم والمفاهيم وأساليب التفكير تشكل بمجموعها ذهنية عامّة ربما تختلف في بعض تفاصيلها بين فرد وآخر في نفس المجتمع ، لكنها في المحصلة تعبير عن توجّه واحد وإطار واحد ، ومن ناحية ثانية فإن ثقافة أيّ مجتمع هي خلاصة تجربته في

---

(١) ابن نبي ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

(٢) نوفل ، مرجع سابق ، ص٧ .

(٣) بدوي ، مرجع سابق ، ص٩٢ ، مع ملاحظة إبداء تحفظ حول لفظ (خلقها الإنسان) ، فهي عبارة غير منضبطة عقدياً ، ويحبذ استبدالها بعبارة : (صنعها الإنسان) .

الحياة ، ليس في عصر محدد ، بل خلال مراحل ممتدّة من التاريخ بالدرجة التي تسمح لأجيال متعاقبة في المشاركة في صنعها ، حتى ليمكن القول أنّ ثقافة مجتمع معيّن في لحظة معيّنة هي تعبير دقيق عن تاريخه بقدر ما هي تعبير عن واقعه "[١] .

ويرى فيها تركي الحمد أنها " معايير للعقل والسلوك ، تحدد معنى الحياة التي لا معنى لها بدون هذه المعايير . ورموزاً تحدد غايات الحياة التي لا غاية لها بدون تلك الرموز "[٢] .

كما ورد في المعجم الفلسفي الذي أصدره مجمع اللغة العربية في مصر تعريفاً للثقافة بأنها " كلّ ما فيه استنارة للذهن ، وتهذيب للذوق ، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع ، ويشتمل على المعارف والمعتقدات والفنّ والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم فيها الفرد في مجتمعه ، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية ، ولكلّ جيل ثقافته التي استمدّها من الماضي ، وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر ، وهي عنوان المجتمعات البشرية "[٣] .

ويقول جميل صليبا في المعجم الفلسفي معرّفاً الثقافة بأنها : " تنمية بعض الملكات العقلية ، أو تسوية بعض الوظائف البدنية ، ومنها تثقيف العقل وتثقيف البدن "[٤] .

ويقول الجابري في ندوة عن العولمة : " إن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمّة من الأمم عن نظرة هذه الأمّة إلى الكون والحياة ، والموت والإنسان ومهامّه وقدراته وحدوده ، وما ينبغي أن يعمل ، وما لا ينبغي أن يأمل "[٥] .

وإذا كانت الثقافة عادةً تؤخذ موصوفة أو منسوبة إلى شعب أو إلى مذهب ، فيقال : ثقافة إسلامية ، ثقافة عربية ، أو ثقافة غربية ، أو يقال : ثقافة قومية أو ديمقراطية أو اشتراكية ... وذلك بهدف تمييز الثقافات عن بعضها بعضاً ، لاسيما إذا أخذ في الاعتبار أنّ المكوّنات لجميع الثقافات - وبمختلف

(١) السيف ، هوامش ثقافية نقدية على واقعنا الثقافي ، ١٩٩٦م ، ص١١ .
(٢) الحمد ، مرجع سابق ، ص١٦ .
(٣) مجمع اللغة العربية بمصر ، المعجم الفلسفي ١٩٧٩م ، ص٥٨ .
(٤) صليبا ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٧٨ .
(٥) الجابري ، ندوة وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحدّيات ، ١٩٩٧م ، ص٢٩٨ .

الرؤى - تكاد تكون متشابهة في تلك المكوِّنات من حيث المسمّيات ، ولأنّ مشروع هذه الدراسة مهتمّ بشأن الثقافة القادمة مع ظاهرة العولمة ، لذا فإنّ الباحث سيعرض بعض التعاريف للثقافة منسوبة إلى العولمة ، في محاولة من الباحث لاستشراف أثر ظاهرة العولمة على الثقافة ، بما يمكن أن يوصف بأنه ثقافة العولمة أو عولمة الثقافة .

ومن الذين طرحوا تعريفاً للثقافة منسوباً إلى العولمة : عبد الله أبو راشد ، إذ يقول : " العولمة الثقافية هي محاولة مجتمع تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة "(١) .

من خلال التعريف السابق يمكن ملاحظة أن العولمة الثقافية تعني فرض ثقافة معينة على العالم أجمع ، أي محاولة دمج العالم في ثقافة واحدة ، في حين نجد أنّ هناك تعريفاً للعولمة من الناحية الثقافية بأنها تتيح فرصة للثقافة الداخلية والمغمورة للانتشار والامتداد على نطاق عالمي . وهذا ما يصرّح به فيذرستون ، إذ ينقل عنه التوم وآدم تعريفاً للثقافة في عصر العولمة ، إذ يقول : " تتضمّن العولمة الامتداد الخارجي للثقافات المعينة إلى أقصى حدودها ، أي العالم أجمع . تصبح الثقافات المختلفة منخرطة في الثقافة الغالبة التي سوف تغطي بعد حين جميع العالم "(٢) .

وبالتأمل في التعريف السابق الذي طرحه (فيذرستون) ، والذي يأمل فيه صاحبه أن تكون العولمة فرصة للتنافس بين الثقافات بعمومها ، ولكنه أكّد في آخر التعريف أنّ البقاء بين هذه الثقافات المتنافسة سيكون للثقافة الغالبة ، والتي تمتلك أساليب الغلبة . وفي المنظور القريب ومن خلال الواقع المشاهد فإن ثقافة الغرب هي التي سوف تكسب حلبة الصراع الثقافي لتعمم نموذجها على العالم أجمع .

بل إن كاتباً آخر هو (فريدمان) يصرّح بأنّ هوية ثقافة العولمة هي الأمركة بشكلٍ أو بآخر ، إذ يقول : " إن العولمة من الناحية الثقافية هي إلى حدٍّ بعيد ، ولكن ليس بصورة شاملة ، انتشار للأمركة بدءاً من (البيج ماك) و(الأيماك) ، وانتهاء بـ (الميكي ماوس) على نطاق يشمل العالم

---

(١) أبو راشد ، مرجع سابق ، ص١٤ .
(٢) التوم ، وآدم ، العولمة دراسة تحليلية نقدية ، ١٩٩٩م ، ص٢١ .

"[1].

وإذا أردنا تحديداً إجرائياً للعولمة الثقافية ، وما يترتب على الثقافات الأخرى بعد تعرّضها لرياح العولمة أو عولمة الثقافة ، فالجواب نلقاه في جريدة الوطن السعودية ، في زاوية : صحافة عالمية .

إذ تنقل الصحيفة السعودية عن زميلتها (الجارديان) مقالاً لكاتب يقول واصفاً حال العولمة الثقافية وثقافة العولمة : " إذا ما غصنا في الأعماق وفي داخل لفظ العولمة سنكتشف تماماً أنها لا تعني اليوم إلا تلك اليد النافذة لثقافة الكاكو كولا ، وديزني ، وروبرت ميردوخ . والشيء الواضح في تطبيقات العولمة أنها اكتساح فسيح وواسع ومخلوق عملاق أكبر من تصوّراتنا وآفاقنا الخاصة .

وإذا ما سرنا في الاتّجاه الجديد لاستخدام كلمة (الثقافة) كمصطلح محايد بتعريف (أنثربولوجي) ، فإن الثقافة العولمية تعني ببساطة احتلال المفاهيم كافة التي تقرّها الحدود الجغرافية لكل ثقافة "[2].

إذاً ومن خلال التعريف السابق يلاحظ أن العولمة الثقافية هي محاولة اختراق للثقافات الأخرى عبر منافذ متعددة وبأساليب متنوّعة قد تؤدي في نهاية المطاف - كما يقول أبو صقر - إلى " موت الثقافات الأخرى وعدميتها "[3].

والخلاصة : يرى الباحث بعد قراءته للتعاريف العامة عن الثقافة وعن ثقافة العولمة مما سبق أو غيره ، فإن ثقافة العولمة تعني ذلك النسيج من القِيَم والعادات والأخلاق والفنون ... والخاصّة بشعبٍ ما ، ومحاولة تعميم ذلك النمط على شعوب العالم ، لدمج العالم في نمط ثقافي واحد عبر منافذ التكنولوجيا والأسواق العالمية . وغالباً ما تنتمي هذه الثقافة الحديثة إلى شخصية الغالب ، وهو في المنظور القريب والواقع المشاهد الثقافة الغربية ، وعلى وجه التحديد الجانب الأمريكي منها بالذات ، وذلك على حساب تهميش الثقافات الأخرى ، أو بعبارة أخرى : إقصاء الثقافات الأخرى ، واحتلال مواقعها ، وإلغاء التعددية الثقافية أو اختراقها ، وتشويه مكوّناتها .

---

(١) فريدمان ، مرجع سابق ، ص٣١ .

(٢) جريدة الوطن ، عدد ٥٢ ، شعبان ١٤٢١هـ ، ص٣٦ .

(٣) أبو صقر ، العولمة التجارية والإدارية ، ٢٠٠٠م ، ص٥٥ .

مظاهر العـولمة الثقافية :

يتواكب مع تموضع الظاهرة (العولمة) بعض المظاهر التي تكشف حقيقتها وتبيّن هويّتها ، وبما أنّ هذه الظاهرة ليست خيراً محضاً ولا شرّاً محضاً ، لذلك فإنّ مظاهرها سوف تكون جامعة للأمرّين معاً ، ولكن بنسب مختلفة .

فأوّل تلك المظاهر الثقافية للعولمة التي تتوسل بالتكنولوجيا أداة لها :

- المظاهر الإيجابية للعولمة الثقافية :

١- ازدياد قدرة الإنسان المتلقي لما يطرح عبر الإعلام الفضائي والأرضي على تجاوز الدائرة الضيقة التي قد تفرض عليه من قِبل الإعلام الوطني ، مما يسمح للفرد بأن يجوب العالم شرقاً وغرباً من مكانه الذي هو فيه ، مما يمنحه قدرة على توسيع ثقافته ، بل وقدرته على المشاركة الفاعلة في الأحداث الجارية .

٢- تجاوز حدود المحذور محلياً ، وفتح ملفات لقضايا كان من الصعب الحديث عنها في ظلّ الاحتكار المحلي للإعلام ، وفي ذلك إثراء للمعرفة ، وتفهم لوجهات النظر المختلفة ، وتقبل للرأي والرأي المضادّ .

٣- أدّى وجود كَمّ كبير من ساعات البثّ التلفزيوني الأرضي والفضائي إلى توفّر مجالات للعمل أمام العمالة بكافة تخصصاتها الإعلامية والفنية .

٤- وعلى مستوى الاتصال عبر الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) ، توفّر تدفّق معلوماتي للمعرفة بشكلٍ غير مسبوق ، مما يشجّع الباحثين والمؤلفين على الإفادة الجادّة من تلك الخدمة .

٥- بالنسبة للمسلمين فقد أتاحت هذه التقنيات الإعلامية والاتصالية فرصة فريدة للدعاة والمفكّرين المسلمين من أجل الاطّلاع على أحوال الأقلّيات الإسلامية في شتى بقاع الأرض ، وتلمّس حاجاتهم ومعاناتهم ، وكذلك الاستفادة من تلك التقنيات في نشر الإسلام عبر وسائل تصل إلى كل صقع ، وتدخل كل بيت في أيِّ وقت ، ولكن رغم هذه الجوانب الإيجابية والمظاهر الحسنة

للعولمة الثقافية ، فإنّ هناك جوانب مظلمة وسلبيات تحملها معها العولمة الثقافية ، لاسيما وأنّ العولمة الثقافية تتّجه نحو تعميم نموذج ثقافي واحد يمتلك قدرات هائلة مادّية ومعنوية وتقنية ، وهذا الوجه القاتم للعولمة يمكن تسميته بـ :

- المظاهر السلبية للعولمة : والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

١- تسعى العولمة الثقافية بهويتها الغربية نحو تعميق التعلّق بمظاهر الحياة المادّية ، والانكباب على شهواتها الحسّية . وفي المقابل يتمّ إغفال الآخرة وازدراء الغيبيات ، ووصمها وأصحابها بالخرافة والخرافيين ، أو السذاجة والسذج .

٢- كسر حواجز الدين بدءاً بامتهان الذات الإلهية ... والنبوة والأنبياء ، والتلاعب بهذه المقدّسات ، وتحطيم هيبتها وقدسيتها لدى الناشئة ، مما يجعلهم يَنشَؤون وهم قد فصلوا عن دينهم ، وتباعدت الفجوة بينهم وبين تراثهم .

٣- انتشار التحلل الخُلقي ، وبالذات في ميدان المرأة التي عمد تجار العولمة إلى تسليع جسدها ، مما أجّج مشاعر الشباب ، وحرّك غرائز المراهقين والمراهقات ، مما يمكن تسميته بثقافة الإسفاف والتبذل التي لا تتحرّج بعض القنوات الفضائية الإعلامية والاتصالية من امتهان هذا المسلك الفاضح والماجن .

٤- إعلاء شأن الملكية الفردية والحرية المطلقة ، حتى لو أدّى ذلك إلى الخروج على حدود آدمية الإنسان وعلى ثوابته الدينية .

٥- صرف همم الشباب إلى الانغماس في ممارسة هوايات وضيعة ، كالرقص ، والغناء ، والاهتمام بالهوايات الهابطة التي من شأنها أن تستنزف الجهد والمال بلا فائدة تُرجى .

٦- الترويج للتقليعات الغربية ، وبثّها في المجتمع المسلم بما يمثل خروجاً على قيَمه وعاداته وتقاليده ، من أنواع الألبسة وأنماط المأكولات الغربية ، وطُرُق تناولها ، وأساليب التعامل في المناسبات وغيرها . والتي عادةً ما تكون دخيلة على أبناء المسلمين ، وتمثل غارة ثقافية وحشية على أنماط وأساليب وطرائق الحياة الثقافية الإسلامية .

❍ ❍ ❍

المبحث الثاني : الثقافة والهوية الخصوصية في عصر العـولمة :

تمهيد :

لا غرو في أنّ لكلّ أمّة - قديمة كانت أم حديثة - شخصيتها المستقلة المتجسّدة في هويتها المتميزة ، والتي تشكل منظومتها الثقافية والحضارية . فبدون الهويات المتمايزة تختلط أنساب الثقافات ، وتتداخل صور الحضارات . لذلك يعرّف عبد الكريم بكار الهوية في كتابه (العولمة ...) بأنها : " مجموعة الخصائص والمميزات العقدية والأخلاقية والثقافية والرمزية التي ينفرد بها شعب من الشعوب "(١).

والهوية لا يشعر الإنسان بوجودها كذات مستقلّة ، ولكنها كالصحة لا يشعر الإنسان بقيمتها وأهميتها إلا إذا فقدها . فالإنسان لا يشعر بالصحة وبوجودها إلا إذا سقم جسمه ، واعتلّت حالته ، فأصبح يبحث عن الصحّة بين عيادات الأطباء ...

وكذلك الهوية لا يشعر الإنسان بوجودها إلا إذا فقدها وتاهت منه ، فأصبح إنساناً بِلا هوية . عند ذلك يشعر الإنسان حقيقةً أنه بِلا ذات ، بِلا معنى ، فيقع في بيداء التيه والغربة ، وتثار في نفسه أسئلة واستفسارات عنيفة ، فيسأل نفسه : مَن أنا ؟. إلى أيّ أُمّة من أمم الأرض أنتمي ؟. ماذا يميزني عن الآخر ؟. ما هي طموحاتي وآمالي ؟ ...

لذلك تحرص الشعوب كافة - الراقية منها أو الأقلّ رقياً - على تجذير معاني الهوية في نفوس أتباعها ، وتنشئهم على صدق الانتماء إلى هذه الهوية بالتشبث بمنظومتهم الثقافية .

يقول النعيم : " ربما يكون أمراً طبيعياً أن تسعى الجماعات البشرية إلى المحافظة على هويتها وكينونتها "(٢). وما ذلك إلا لأنّ الأمّة إذا فقدت هويتها ضاعت بين الأمم ، وتشرّد أبناؤها ، وطواها النسيان ، وأسرع إليها الذوبان . لذلك تعتبر الهوية بمثابة الحصن لثقافة الأمة ، والقلعة التي تحفظ للأمم تواجدها وتميزها وشموخها وحضورها ، فهي كالإطار الذي يحمي مكوناته الداخلية ، سواء من البشر أو الثقافات أو القيَم ... من الضياع والتشرذم ، ويحصنها ضدّ التمييع والذوبان . كما أنه يمنع كلّ وافد غريب -

(١) بكار ، مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٢) النعيم ، مجلة المستقبل العربي ، تحولات الهوية العمرانية ، عدد ٢٦٣ ، يناير ٢٠٠١م ، ص٩٧ .

سواء كان فكراً أو سلوكاً ـ من التسلل أو الاقتحام .

إذاً فوظيفة الهوية كما يقول النعيم : " هي حماية الذات الجماعية من عوامل الذوبان والتعرية "[1].

فالهوية حاجز يقف ضدّ التمازج الذي يؤدي إلى التلاشي والذوبان . وهنا يقع التصادم بين الهوية كحارسة للثقافات وأصحابها ، وبين ظاهرة العولمة التي لا تطيق وجود الحواجز والموانع ، بل تسعى إلى الدمج والتوحّد . وهذا ما يؤكّد عليه علي حرب في كتاب (حديث النهايات) ، إذ يقول : " نعم ، إن العولمة تصدم الهوية بقدر ما تحدث خلخلة أو خربطة في الرؤية والعقيدة أو في القيمة والوجهة "[2].

ومن المعلوم سلفاً أنّ سبب هذا التصادم المتوقع سوف يكون مردّه أنّ العولمة الزاحفة والمتلفعة برداء الاقتصاد تمتلك إمكانيات عاتية تهدف إلى احتواء الثقافات ، وتعمل على تكييف حاجات الجماهير ، وتوحيد أذواقهم .

يقول صاحب كتاب (العولمة وعالم بلا هوية) : " إن العولمة تزحف في رداء اقتصادي ثقافي ذي إمكانيات وقدرة على تكييف حاجات الجماهير وتوجّهها ـ ثقافة الكولا ، الهامبورجر ، والجينز ـ ، ويلاحظ أنّ هذا الزحف الاقتصادي يجرّ معه زحفاً ثقافياً سلوكياً في التزام أنماط الحياة ... في محاولة لفرض القيَم الغربية "[3]. وهي[🕔] بذلك ترى أنّ الهوية تمنع تمدّدها ، وتحدّ من اكتساحها ، مما يعني في رأي منظري العولمة وملاّك الشركات العملاقة الحرمان من فتح أسواق جديدة ، وعدم الوصول إلى رغبات المستهلكين بالشكل المرغوب . لذلك لا غرابة أن يقع هذا التزاحم والتصادم الشرس بين تيارين متضادّين في الاتّجاه ، وقد يكونان غير متكافئين في القوّة . ولا شكّ أنّ الهدف من وراء هذا التصادم المتوقع هو محاولة العولمة إذابة الفوارق وكسر الحواجز ، بغية الوصول إلى مرحلة الدمج والتوحُّد والتجانس في الرؤى والثقافات والانتماءات ، وهذا ما يشير إليه خالد غازي في كتابه (الطوفان) ، إذ يقول : " إنّ العولمة دائماً تحمل في طياتها جانباً شأنه إذابة الفوارق

---

(١) النعيم ، المرجع السابق ، ص١٠٤ .

(٢) حرب ، حديث النهايات وفتوحات العولمة ومآزق الهوية ، ٢٠٠٠م ، ص٥٢ .

(٣) المنير ، العولمة وعالم بلا هوية ، ١٤٢١هـ ، ص١٧٦ .

(🕔) أي : العولمة .

والتمايزات عن طريق فرض ضوابط ومعايير وقيَم عالمية ، المراد منها أن تكون متجانسة "[(١)].

ومن المؤكّد أنه لن يكون هناك تجانس في الأنماط والأذواق البشرية طالما ظلّ للهويات استقلالها وتواجدها . من أجل ذلك فإنّ العولمة كظاهرة تسعى إلى توحيد الأذواق وتجانس الرؤى في شتى المجالات ، لا يبقى لها خيار والحال على هذه الصورة إلا بتدمير الهويات المخالفة أو نبذ أصحابها الذين ما زالوا متشبثين بهويتهم ؛ لأنّهم بهذا التعلق يمثلون تمرداً على منطق السوق التسليعي الذي هو نفسه منطق العولمة . ففي ندوة عقدت باسم (الواقع العربي وتحديات قرن جديد) يقول الطيب تيزيني :

" إنّ قانون الإمبريالية يتّجه نحو تدمير كلّ الهويات ، ما عدا هوية واحدة ، هي الهوية الاقتصادية السلعية "[(٢)].

بل إن اليحياوي يحذر من مخالفة هذا المنطق ؛ لأنّه يرى أن المخالف سوف يكون هدفاً للتهميش ، وعُرضة للنبذ ، مأخوذاً بجريرة التشبث بهويته المتميزة التي تخالف منطق العولمة ، فهو يقول : " إن من منبوذي السوق وديمقراطية السوق وعقيدة السوق ؛ الدول والأمم المترددة في إدماج هويتها في هوية السوق ، وصهرها لدرجة الذوبان "[(٣)].

إذاً فالعولمة تهدف إلى اختراق الهويات المخالفة ولو أدّى هذا الاختراق إلى النسف والتدمير ، وبالمقابل فإنّ العولمة سوف تعيد صياغة الهويات بما يتلاءم مع منطقها السابق ذي النزعة التسليعية .

يقول الطيب تيزيني : " إن العولمة هي ذلك النظام الاقتصادي والسياسي الذي يعمل على ابتلاع وتقيُّؤ الناس والأشياء ؛ لإعادة إنتاجه سلعاً . إن كل شيء في العالم - بشراً أو أشياء - يجري تقيؤها سلعاً بعد أن يكون هذا الأمر قد ابتلع وأعيد بناؤه وفق الآلية العولمية الجديدة "[(٤)].

ويزيد الأمر وضوحاً وتجلية محمد المنير في كتاب (عالم بلا هوية) ، إذ يكشف عن البديل الذي تطرحه العولمة عن الهويات ذات الخصوصيات

---

(١) غازي ، الطوفان - العولمة فك الثوابت وتحطيم الهويات ، ١٩٩٨م ، ص١٨ .
(٢) الطيب : تيزيني ، الواقع العربي وتحدّيات قرن جديد ، ١٩٩٩م ، ص٢٣٥ .
(٣) اليحياوي ، العولمة أية عولمة ، ١٩٩٩م ، ص١٨١ .
(٤) الطيب : تيزيني ، مرجع سابق ، ص٢٣٥ .

المختلفة ، فيقول : " إن الغرب يريد فرض نموذجه وثقافته وسلوكياته وقيمه وأنماط استهلاكه على الآخرين "(١).

وبما أنّ أمريكا ترى في نفسها اليوم أنها الدولة العُظمى اقتصاداً وقوّةً وسياسة ... فإنها بتلك النظرة وبتلك المؤهلات ترى أنها أيضاً النموذج الذي يجب أن يُحتذى في الثقافة والسلوك ، بل وفي الانتماء لهويتها الخصوصية ، وأنّ على الآخرين أن ينخلعوا من خصوصياتهم الذاتية القيمية وغيرها ... لينصهروا في بوتقة العولمة أو الأمركة . وهذا ما صرّح به الرئيس الأمريكي السابق (بل كلينتون) في خطابٍ ألقاه يوم تنصيبه ، ومما جاء فيه .. " إن أمريكا تؤمن بأنّ قيَمها صالحة لكلّ الجنس البشري ، وإننا نشعر أنّ علينا التزاماً مقدّساً لتحويل العالَم إلى صورتنا "(٢).

إنّ هذه الغطرسة الأمريكية والتضليل باسم الحقّ المقدس المزعوم ، هو ما يؤكّد صحّة الاتّهام أو الفرضية التي يثيرها بعض الباحثين ، والذين يذهبون إلى أنّ حقيقة العولمة ما هي إلاّ خطوات ومحاولات لمشروعٍ ضخم استدراجي يهدف إلى أمركة العالم ، وذلك بترحيل الأنماط الأمريكية - العامّة منها والخاصة - إلى بلدان العالم ، وإرغام العالم على القبول بهذا الواقع والاصطباغ به .

يقول حسن قطامش في كتابه (عولمة أم أمركة) : " وما العولمة - إذاً - سوى سيطرة الثقافة الغربية على سائر الثقافات ، وسيطرة الثقافة الغربية إنما تعني - بتحديد أكثر - سيطرة الثقافة الأمريكية أو ما يُعبّر عنه بأمركة العالم ، وأمركة العالم هي حقيقة تعاني منها حتى أوربا نفسها "(٣).

أما عن وسائل تذويب الهوية الخصوصية ، وبالتالي سحق الهويات العالمية بهدف إعادة صياغتها في نموذج جديد ، إنما يتوسل بوسائل معلومة ، وسبقت الإشارة إليها ، ويأتي في مقدّمتها : الإعلام بكلّ وسائله الأرضية والفضائية - المقروء والمسموع والمشاهَد - ، وكذلك وسائل الاتصال الحديث ، وفي مقدّمتها (الإنترنت) التي حوّلت العالم إلى فضاءات مفتوحة ، فأصبحت الهويات الخصوصية لشعوب العالم هدفاً

---

(١) المنير ، العولمة وعالم بلا هوية ، ١٤٢١هـ ، ص١٢٩ .
(٢) عبد الهادي : جمال ، مجلة البيان ، عدد ١٣٠ ، هويتنا الإسلامية ، ص٤٨ .
(٣) قطامش ، عولمة أم أمركة ، ١٤٢٠هـ ، ص١٥ .

لسهام هذه الوسائل الإعلامية والتكنولوجية ، والذي قد يسلم من التدمير النهائي ، فحتماً لن يسلم من الاختراق الذي يؤدي إلى التشويه .

يقول محمد محفوظ في كتابه (الحضور والمثاقفة) : " مع التطوّر العلمي وما رافقه من تكنولوجيا وتقنيات عالية المستوى ، ودخولها في كلّ مرافق ومجالات الحياة ، باتت الهويات الوطنية لكل مجتمع مهددة بالمسخ والتشويه ؛ لِما يصاحِب هذا التطوّر من عمليات معرفية وحضارية تتّجه وتهدف إلى تغيير النسق العقدي والحضاري الذي تسير على هداه المجتمعات والشعوب "(١) .

إنّ هذه الهوية التي يروّج لها الآن بكلّ وسيلة وفي كلّ مناسبة ، والتي ما زالت تعتمل فعالياتها في أحشاء مؤتمرات العولمة وقنواتها ، ستكون - بحقّ - مولوداً مشوّهاً ، لذلك لا تثريب على مَن يصف هذه العولمة في مجال دمج الهويات بأنها حرب منظمة ومدروسة بعناية ، وإن كانت لا تستخدم أسلحة تقليدية ، وهو ما يذهب إليه محمد محفوظ أيضاً في كتابه (الإسلام ، الغرب وحوار المستقبل) ، إذ يقول : " التحدّي الصعب الذي يواجه الشعوب والأمم ، ويدخلها في حروب ذات عناوين مختلفة ، هو تحدّي الحرب المنظمة لمسخ ذاكرة الشعب الجمعية ، وجعله بلا تاريخ وذكريات ، هذا هو التحدّي الأكبر الذي يواجه الشعوب ، ويجعلها شتاتاً بشرياً اختلافاته ونزاعاته تملأ كلّ حاضرة ، وتعيق كل حركة تطوّر تجيء فيه .

والمقصود بالذاكرة الجماعية هي منظومات القيَم ، وأنماط التفكير ، وضابط السلوك الفردي والجماعي "(٢) .

ولكن كيف يمكن لشعب من الشعوب أن يتخلى عن هويته الخصوصية ، وأن يستسلم بهذه الصورة الهادئة واللاواعية ، بل قد يصل به الحال إلى المفاخرة بهذا الانعتاق من ربقة الهوية وثقافتها ، التي ما فتئت ترضعه بلبانها ردحاً من الزمن .

وهنا يجيب محمد عابد الجابري في (ندوة العرب والعولمة) ، موضِّحاً نوعية الأداة وخطواتها التي أدّت إلى هدم الهوية الخصوصية بقوله : " إن وسيلة السيطرة على الإدراك هي الصورة السمعية البصرية التي تسعى إلى تسطيح الوعي ، وبالسيطرة على الإدراك ، وانطلاقاً منها

(١) محفوظ ، الحضور والمثاقفة - المثقف العربي وتحدّيات العولمة ، ٢٠٠٠م ، ص١١٩ .
(٢) محفوظ ، الإسلام ، الغرب وحوار المستقبل ، ١٩٩٨م ، ص١٦٦ .

يتمّ إخضاع النفوس ، أعني تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق ، والتشويش على نظام القيَم وتوجيه الخيال ، وتنميط الذوق ، وقولبة السلوك "[1].

وهذا ما يحدث بالفعل ، فلقد تحوّل الإعلام ووسائل الاتصال التقني الحديث من أداة بناء وترشيد وتثقيف إلى أداة هدم وتدمير وإتلاف ، وذلك عندما يستولي حفنة من الرأسماليين - الذين لا يفكرون إلا بجمع المال ، فهو دينهم وديدنهم - على وسائل الإعلام ووسائط الاتصال ، ويملكون مع ذلك حق الإنتاج والتوزيع والتوجيه ، فما المانع إذاً لديهم في أن يوظّفوا هذه القوة الرهيبة - القوّة التقنية - في خدمة مصالحهم الاقتصادية ، وتمرير مطامحهم التوسعية ، وبثّ أفكارهم ، ونقل معتقداتهم ، والترويج لثقافاتهم إلى كل صقع من أصقاع العالم ، بغية التمكن من إحكام السيطرة ، ثم العمل على هدم هويته السابقة ، والشروع في بناء هوية جديدة تتفق مع هدف العولمة المعلن ، الداعي إلى التوحد والتجانس ، ولا ريب في أنّ الصورة الإعلامية والوسيلة التقنية الحديثة تمتلك إمكانات وقدرات مهولة في صياغة هوية جديدة وفق مقاسات معينة ، إذ أصبح من المؤكد أنّ الاستحواذ على عقلية المشاهد أو الزائر - بل وجعله مؤمناً بما يشاهد وبما يقدم له من معلومات ذات أهداف معينة - كفيل في حدّ ذاته بأن يجعل هذا المتلقي لديه الاستعداد للانسلاخ من هويته الذاتية وتقمص الهوية التي يريدها صنّاع العولمة ، خاصة إذا كان الشخص المتلقي من دول العالم الثالث ، والذي ما فتئ الإعلام المستغرب يروّج له أن سبب تأخره إنما يعود بالدرجة الأولى إلى تشبث أبناء هذه الدول بهوياتهم الذاتية . لذا فعلى مَن يريد التقدّم أن يلحق بقطار العولمة ، ولينضمّ إلى أتباع الهوية العالمية وثقافتها الكونية . ولا شكّ أن المتأمل في حال وواقع كثير من المجتمعات البشرية اليوم سوف يرى بجلاء مدى الخروقات والتشوهات التي أحدثها تيار العولمة في جدار الهوية الخصوصية لكل شعب أو أمة تعرض لرياح العولمة ، وهذا يتجلى في بعض المظاهر السلبية التي نجمت والتي تُعبّر عن مدى التأثر ومقدار التأثير لهذه العولمة . ومن تلك المظاهر ما يلي :

أولاً : في المجال الديني :

الدين ، ولأنّ الدين الإسلامي بالذات يمايز بين المسلمين وغير

---

(١) الجابري ، ندوة العرب والعولمة ، ١٩٩٨م ، ص٣٠١ .

المسلمين ، ويجعل العلاقة بين المسلمين علاقة أخوّة وولاء . قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. }[1] .

ويقول ﷺ : « إن أوسط عرى الإيمان : أن تحبّ في الله وتبغض في الله »[2] .

كما جعل الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم قائمة على البراء من الكفر وأهله ، فقال تعالى : { لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ .. }[3] .

وبذلك يتضح أن عقيدة الولاء والبراء التي يرسمها الإسلام تمثل الإطار الحامي للشخصية المسلمة من الذوبان ، ويحفظ لها شخصيتها ، ويقيم هويتها المتميزة بين الأمم . وهذا منطق لا ينسجم مع منطق العولمة الداعي إلى الدمج والتوحّد وعدم التمايز ، لذلك لجأ صنّاع العولمة إلى إحداث صدمة وخلخلة في هذا الجدار بهدف اختراقه وتشويه مظهره ، وتذويب هذه العقيدة الراسخة في نفوس المسلمين ، وكسر هذا الحاجز النفسي الذي يقيمه الدين .

يقول القرضاوي في كتابه (المسلمون والعولمة) : " هناك سعي حثيث لعولمة الدين عن طريق نشر العقيدة المسيحية في العالم ، أو ما يسمى بصريح العبارة : (تنصير العالّم) "[4] .

وقد حقق التنصير في هذا الجانب بعض النجاحات أو الخروقات العقدية ، وذلك بتنصير بعض المسلمين وتدمير هويتهم الإسلامية .

يقول القرضاوي أيضاً : " وقد رأينا في بعض بلدان أفريقيا رجالاً - بعضهم وصل إلى رئاسة الجمهورية - يحمل اسماً نصرانياً صريحاً ، ويتعامل على أنه نصراني ، وربما كان اسم أبيه أو جدّه محمداً أو أحمد "[5] !.

ولا شكّ أنّ هذه أسماء من خصوصيات المسلمين الدالة على استقلال

(١) سورة الحجرات : الآية (١٠) .
(٢) ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ١٤٢١هـ ، حديث رقم : ١٧٧٩٣ .
(٣) سورة المجادلة : الآية (٢٢) .
(٤) القرضاوي ، المسلمون والعولمة ، ١٤٢١هـ ، ص٧٤ .
(٥) القرضاوي ، المرجع السابق ، ص٧٥ .

هويتهم .

ومن تلك المحاولات العولمية في مجال الدين أيضاً ؛ ما قامت به إحدى المنظّمات الأمريكية ، وتطلق على نفسها اسم (بذور السلام) ، حيث دعت هذه المنظمة وفداً من الفتيان يتألف من مائة شابّ وفتاة من العرب والإسرائيليين ، ونظّمت لهم حفلات ترفيه وزيارات خاصة ، بهدف كسر هذه الحواجز الدينية ، وامتصاص الشعور بالانتماء إلى دين غير الدين الذي تقيمه العولمة . وقد استقبل الوفد الرئيس الأمريكي السابق (بل كلينتون) ، الذي ألقى فيهم كلمةً قال فيها : " أريد أن أرحّب بكم هنا في البيت الأبيض أيها الشباب من جميع أنحاء الشرق الأوسط ، فلدينا هنا الإسرائيلي والفلسطيني والمصري والمغربي والأردني ، جاء هؤلاء الشباب معاً إلى بلدنا كسفراء يمثلون جيلاً بأكمله "(١).

وإمعاناً في تذويب هوية هؤلاء الشبّان - وكما يذكر أحمد منصور في كتابه (سقوط الحضارة الغربية) - ، " فقد قام الوفد بزيارة لمعبد يهودي ، حيث أقام فيه هؤلاء الشبان المسلمون واليهود صلاة مشتركة !!. ثم قام الوفد بزيارة مركز إسلامي ، وأدّى فيه اليهود والمسلمون أيضاً صلاة مشتركة "(٢).

وهكذا يبدأ الهدم والتدمير بالمجاملات التي تقود إلى الإعجاب بالفكرة ، ثم تبنيها والدفاع عنها ، وهي أمور لا تخفى على هؤلاء المنظمين والقائمين على هذه الجمعيات والمنظمات التنصيرية ، ولا شكّ أنّ هذه الاحتواءات والخروقات سوف تؤتي أُكلها في جدار الهوية الدينية ولو بعد حين ، وإن كانت لن تصل إلى حَدّ الطمس الكامل ، لكنها لا ترضى بأقلّ من الزعزعة والتشويه .

ثانياً : في مجال اللغة :

تعتبر اللغة إحدى سمات الهوية ومرتكزات الخصوصية . وقد فطن دعاة العولمة إلى هذا المرتكز ، فعملوا على احتوائه ودمجه ، وما ذلك إلا لأنّ اللغة هي المعبّر والناطق باسم الهوية . لذلك - وتمشياً مع منطق العولمة الداعي إلى الدمج - فهناك جهدٌ يبذل من أجل عولمة اللغة الإنجليزية ، وجعلها لغة التعامل ولغة العِلْم التي تضع لها بصمات في كل

(١) منصور ، سقوط الحضارة الغربية رؤية من الداخل ، ١٤١٨هـ ، ص١٣٤ .
(٢) منصور ، المرجع السابق ، ص١٣٦ .

مدرسة صغيرة أو كبيرة ، في كلّ قرية أو مدينة تقريباً .

لقد زاحمت هذه اللغة لغات العالم الأخرى ، بل واكتسحت بعضها لتحلّ بديلاً كاملاً عنها .

يقول محمود شاكر في كتابه (هوية الأمة المسلمة) : " مع سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وهيمنتها على أجزاء واسعة من العالم اقتصادياً وسياسياً ، طغت لغتها (الإنكليزية) على تلك الأجزاء ، وانتشر أعوانها والمتفرنجون وأصحاب الشهوات وأعداء الإسلام جميعاً يعملون لطغيان تلك اللغة تحت شعارات ، مثل (لغة العِلْم) و(اللغة العالمية) و(لغة التفاهم العالمي) "[(١)]. وهي شعارات ترويجية لهذه اللغة ، وتفخيم لأصحابها ، وبالمقابل فهي اتهام للغات الأخرى - ومنها العربية - ، ووصفها باللغة الميتة التي لا تواكب العصر ، مما يقذف في نفسية الشباب والسدّج بأنّ لغتهم سبب تخلفهم ، وأن ترصيع الكلام العربي بعبارات وكلمات وجُمل إنجليزية دليل على الثقافة والرقي والتحضر ...

ومن هنا يبدأ تقبّل فكر اللغة وآدابها الذي يخترق الهوية الخصوصية ، ويرحِّل أنماطاً غربية وغريبة على الهويات الخصوصية .

ثالثاً : في مجال التاريخ :

لا شكّ أنّ إخفاء هوية أيّة أُمّة من الأمم - أو محاولة تهميشها على الأقلّ - يكون بإخفاء تاريخ تلك الأمة أو تشويهه والالتفاف عليه ، وهذا ما عمل به صنّاع العولمة من أجل عولمة التاريخ الأوربي والغربي لِمحو ذاكرة الشعوب ، وسلخ هويتها بطمس تاريخها . ومن مظاهر عولمة التاريخ : الخطوة التي أقدم عليها الغربيون ، وهي إقناع العالم كله بأنّ التاريخ ينقسم إلى ثلاث مراحل .

يقول محمود شاكر في (هوية الأمة المسلمة) : " عندما تَمكّن المستعمرون النصارى من تشديد قبضتهم على ديار المسلمين ، وأصبحوا المشرفين على المناهج ، عملوا على ربط التاريخ الإسلامي بالتاريخ الأوربي ، وعدّوا ذلك تاريخاً ؛ كي لا يتميز التاريخ في الأمصار الإسلامية ... "[(٢)].

---

(١) شاكر ، هوية الأمة المسلمة ، ١٤١٤هـ ، ص٤٨ .

(٢) شاكر ، المرجع السابق ، ص٦١ .

ومن مظاهر الالتفاف على التاريخ الإسلامي بالذات ، وتهميشه - بل
وتشويهه - ، فقد قسم الغربيون فترات التاريخ الإنساني إلى ثلاث مراحل ، وهي على النحو التالي :

" ١- التاريخ القديم : ويبدأ منذ معرفة الإنسان الكتابة حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م ، حتى سقوط روما . ويمتاز بقيام أمبروطوريات واسعة ، وظهور حضارات مادّية حسب المفهوم الأوربي .

٢- التاريخ الوسيط : ويبدأ من سقوط روما عام ٤٧٦م ، وينتهي بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م (٨٥٧هـ) على يد السلطان محمد الفاتح . ويمتاز هذا العصر بسيطرة الكنيسة ورجال الإقطاع ، وتفشي الجهل .

٣- التاريخ الحديث : ويبدأ بفتح القسطنطينية ، وينتهي في الأيام التي نعيش فيها . ويتسم بالثورة الصناعية وانتشار العِلْم وقيام الحضارات الحديثة حسب المفهوم الأوربي "(١).

والمتأمل في هذا التقسيم يلحظ فيه التضليل واضح المعالم ، إذ أصبحت كلمة التاريخ الوسيط وفترة التاريخ الوسيط يروّج لها على أنها فترات الجهل وتسلّط رجال الدين النصارى والإقطاعيين على الحياة هناك ، وهذا حقّ بالنسبة لأوربا ، ولكنّ هذا التقسيم ابتلع حقبة التاريخ الإسلامي الزاهي كلّه تقريباً ، وهي فترة ثمانية قرون تقريباً ، كان للإسلام فيها حضارة مستقلّة لا تخفى على بصير ، ولكن هذا الاختزال المتعمد والتضليل للحقائق أدخل هذه الفترة - عن قَصدٍ لا شكَّ فيه - في فترة الجهل الأوربي والانحطاط الغربي آنذاك ، وهذا الاختزال لحقائق التاريخ ، بل والتدمير لذاكرة الشعوب ، تدمير لهويتها ، وحرمان الناشئة من معرفة تاريخها وماضيها الذي يشكل القاعدة لأيّ هوية خصوصية .

كما أنّ من مظاهر عولمة التاريخ - وبالذات الغربي - وإقصاء تواريخ الأمم الأخرى - وبالذات الإسلامية - ، وذلك بهدف تهميش الهوية الإسلامية ، والإلزام باستخدام التاريخ الميلادي - النصراني - للشهور وللأيام ، وحسابهما على حسب نظام الأشهر والأيام الميلادية ، مع

---

(١) شاكر ، المرجع السابق ، ص٦٢ .

تهميش وإقصاء التاريخ الإسلامي الهجري بالذات .

ومن مظاهر عولمة التاريخ أيضاً ؛ عولمة بعض المناسبات الدينية والاجتماعية - العامّة منها والخاصّة - والاحتفال بها وبثّها ، ونقل تلك الاحتفالات إلى جميع أصقاع العالم فضائياً .. مثل أعياد رأس السنة الميلادية ، وضجّة الألفية الثالثة .. وغيرها من الأعياد الغربية التي تأثر بها بعض أبناء المسلمين ، فأصبحوا يحتفلون بها ، ويحيون مناسباتها ، رغم أنها منفصلة عنهم ، بل كانت على حساب أعياد المسلمين الخاصة ، مثل : عيد الأمّ ، عيد شمّ النسيم ، عيد التجلي ... عيد الفصح ... وأخيراً عيد الحُبّ ... وكلها أعياد لم يشرعها الإسلام ، ولا علاقة بينها وبين أمّة المسلمين وهويتهم .

رابعاً : في مجال العادات والتقاليد :

والحديث عن المظاهر العولمية في هذا المجال أشهر مِن أن تُعرَّف ، وأكثر مِن أن تُحصى .

ففي مجال الملابس والأزياء ، أصبحت ملابس الجينز تملأ أسواق العالَم كله ، وتُزاحم ملابس البلاد الأخرى . وملابس الـ (تـ شيرت) ... وأصبحت معارض ومسابقات عارضات وعارضي الأزياء ، وهم يرتدون أو يرتدْنَ الزيّ الغربي تصرخ في كل قناة ، وتتوسط أخبار العارضين والعارضات صفحات الجرائد والمجلات ، وتنقلها قنوات الإعلام ووسائط الاتصال ؛ لإغراء المستهلكين باقتنائها ، مجاراةً للموضة ، ومسايرة للعصر . هذا مع العِلْم أنها تحمل في طياتها أساليب مكشوفة للابتزاز أو الإسراف وهدر الأموال بغير وجه حقّ .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى - وهي الأشدّ خطورة - ؛ أنّ هذه التقليعات العصرية في الملابس يُخشى أن تؤدّي إلى موالاة أصحابها الغربيين ، والسير على خُطاهم بالمتشبه بهم . يقول الله تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }**[١] .

قال الذهبي - رحمه الله تعالى - في كتابه (تشبه الخسيس بأهل الخميس) : " قال العلماء : ومِن موالاتهم : التشبه بهم ... "[٢] .

---

(١) سورة المائدة : الآية (٥١) .
(٢) الذهبي ، تشبه الخسيس بأهل الخميس في ردّ التشبه بالمشركين ، ١٤٠٨هـ ، ص٣٤ .

وقد حذّر الرسول ﷺ أمّته من التشبه بغير المسلمين ، خشية أن يؤدي هذا التشبّه بالمظاهر إلى مشابهة القلوب القلوب ، وهو خطر على عقيدة المسلم . فقال ﷺ : « مَن تشـبَّهَ بقومٍ فهو منهم »[١] .

قال الذهبي - رحمه الله - : " قال حذيفة ﷺ مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم ، ولا يشبه الزيُّ الزيَّ حتى يشبه الخلقُ الخلق "[٢] .

وقال ابن مسعود أيضاً كما ذكر عنه الذهبي أيضاً في المرجع السابق : " لا يشبه الزيُّ الزيَّ حتى تشبه القلوبُ القلوبَ "[٣] .

وهكذا يتّضح أنّ من أساليب امتصاص الانتماء إلى هوية معينة ؛ ارتداء ملابس مخالِفة ؛ لأنّ تقمص هذه الملابس سوف يؤدّي إلى تقمص شخصية أصحابها وسلوكياتهم ، وهذه إحدى وسائل تذويب الهوية الخصوصية .

ومن تلك المظاهر العولمية ؛ مطاعم (الماكدونالدز ، والبيتزاهت ، والهامبرجر ، والكنتاكي ..) ، إنّ هذه المطاعم الغربية وغيرها سوف تسهم في نقل آداب الأكل بما ينشئ تشيؤ لتلك الآداب الغربية والبعيدة عن آداب الأكل المتعارف عليها في بلاد المسلمين ، والتي تربّى عليها جيل المسلمين الأول ، كما أنّ هذه المطاعم سوف تُحدِث خروقات في الهوية الخصوصية الإسلامية في أساليب الأكل وعاداته وطُرقه ونُظمه ، وإن كانت تحسب هذه المطاعم على أنها من مظاهر التقدّم والتحضر ، وهي تسهم بدورها في تنميط المجتمع البشري بأنماط متجانسة أو متوحِّدة في نظام الأكل والشرب ، وذلك مما يجذر سلوكيات العولمة ويساعد على نشرها . وبالمقابل ستعمل على تهميش عادات وآداب الأكل ذات الخصوصية لكلّ شعب ، وبالذات المسلمين منهم .

خامساً : في مجال الحضارة والعمران :

يقصد بالحضارة هنا : الحضارة المادّية ، المتمثلة في الرموز العمرانية . فمما لا شكّ فيه أنّ الرموز العمرانية لكلّ أمة تعكس خلفيتها الثقافية وانبثاقها من واقع البيئة وظروفها ، وذلك يلاحظ في الفنّ

---

(١) ابن حنبل ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٤٨٦٨ .
(٢) الذهبي ، مرجع سابق ، ص٤٩ .
(٣) الذهبي ، المرجع السابق ، ص٥٠ .

الإسلامي أو في العمارة الإسلامية التي أضحت شاهداً لا ينكر على تميز هوية المنزل المسلم ، والتصميم ذي الصبغة الإسلامية في بناء البيت بناءً عمرانياً ، مما يعطي انطباعاً بوجود هوية مستقلة ذات خصوصية تراعي قيَم الدين وأخلاقيات الأسرة المسلمة في تصميم المنزل الذي يضمّ هذه الأسرة . فالشرفات تكون داخلية ، والحجر الخاصة بالنوم داخلية بعيدة عن أعين وممرات الزائرين والضيوف ، والحوائط ساترة لِما بينها ، مانعة للتلصص من خلالها إلى الخارج أو العكس . ومكان إعداد الطعام عادةً يكون في آخر البيت ...

بعكس الوضع في رموز البناء الغربي أو ذي الصبغة الغربية ، فمن خلال المشاهدات يلاحظ أنّ تصميم البيت الغربي يختلف عن تصميم المنزل المسلم ، فالمطبخ لدى الغربي في أوّل البيت ، والممرات مفتوحة على بعضها ، بل ربما سلك الضيف أو الزائر طريقه من خلال غرفة إعداد الطعام ليصل إلى صالون الاستقبال الذي عادةً ما يكون في وسط البيت ، والحواجز لا تستر من خلفها ، وإن وُجدت حواجز فعادةً تكون من الزجاج الذي يسمح بالنفاذ بالبصر إلى داخل الحجرة ، أو حتى داخل البيت . بل شاهد الناس - بكثرة - المنازلَ ذات الواجهات الزجاجية فقط ...

وللأسف فإنه تحت تأثير الإعلام بتصوير رفاهية البيت الغربي ، وأنه يمثل انطلاق الحريات ، فإنه حصل تنميط لكثير جداً من بيوت أبناء الإسلام وفي كثير من بلاد المسلمين بالنمط الغربي أو اليوناني البعيد عن هوية البيئة الإسلامية .

يقول النعيم : " لقد أصبح من الطبيعي أن ترى أشكالاً تقليدية وإسلامية تاريخية ورومانية وأوربية حديثة في مبانٍ متقاربة ، وأحياناً في المبنى نفسه "(١). وهذا دليل على تشوّه الهويات بفعل محاولة الدمج والتنميط القسري الواعي أو اللاواعي ، مما يؤدّي إلى إضعاف البنية التحتية للهوية الخصوصية الإسلامية بشكلٍ عامّ .

سادساً : في مجال الترفيه والتسلية :

حتى هذا المجال لم يسلم من ملاحقة صنّاع العولمة ، بل جعلوه فرصة استقطاب للجماهير بشكلٍ غير مسبوق ، وذلك بجعل وسائل

---

(١) النعيم ، مجلة المستقبل ، عدد ٢٦٣ ، يناير ٢٠٠١م ، ص١١٩ .

الترفيه الرياضي تتوحّد في قوانينها على مستوى العالم ، والملاعب تصمم على طراز متوحّد تقريباً ، وزمن المباريات أصبح عالمياً . وذلك مظهر من مظاهر العولمة يهدف إلى ابتزاز الأموال من المشاهدين عبر القنوات التي تتنافس على السبق ، بنقل أيّ حدث رياضي وبثّه . كما أنّ شركات التسويق والسياحة وجدت فرصتها في استقطاب المشجعين ، حتى لقد أصبح عدد مشاهدي إحدى المباريات يُعدّ بالملايين إذا أخذ في الاعتبار مَن يحضرها شخصياً داخل الملعب أو مَن يشاهدها من خلف الشاشات . بل وأتاحت وسائل الاتصال الحديث التفاعل مع أجواء المباريات مباشرة ، سواء مع اللاعبين أو المدرّبين ، مما يساهم في حجم الاستهلاك الذي سوف يدرّ دخلاً لا يغفل من جانب صنّاع العولمة ، بالإضافة إلى تنميط العالم بنمط رياضي وترفيهي واحد .

هذا في حدود الترفيه البريء إذا حَسُن ظننا به !! ولكن ماذا لو أزحنا الستار عما يدور باسم الترفيه ؟!.

إذا أزحنا الستار عما يدور باسم الترفيه ، سنجد من يبرز هذا الانحدار الأخلاقي والتلوّث القيمي باسم الترفيه ، ويسميه تحضّراً ورُقياً ، وذلك إمعاناً في التضليل . ينقل لنا صاحب كتاب (أفيقوا أيها المسلمون) هذه العبارة عن أحد المستشرقين : " إنّ علامات التحضر أن يعرف الرجل وأن تعرف المرأة الرقص الغربي ، وأن يمارساه بالفعل "[١].

هذا ، ناهيك عن ألعاب الفيديو وألعاب التليفزيون وألعاب الكمبيوتر المعروفة باسم (البلاي ستيشن) ، والتي تستقطب حولها أعداداً مهولة من الشباب - بل ومن الشيّب من الجنسين - ، ويمضون معها وتحت تأثيرها الساعات الطوال ، مما يعود بالإدمان والإلف لهذه العادة التي تهدر الوقت ، بالإضافة إلى كونها أسلوب من أساليب استنزاف الطاقات وهدرها فيما ليس فيه فائدة تُرجى . بل إن هذا الوقت المهدر عادةً ما يكون مقتطعاً من حساب الدراسة بالنسبة للطلاب .. والأهمّ من ذلك أنه بالنسبة للمسلمين غالباً ما يؤثر على أداء العبادة ، وبخاصة الصلاة . وهو أمر في غاية الخطورة على عقيدة المسلم وسلب هويته .

❍ ❍ ❍

(١) شلبي ، أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية ، ١٤٠٦هـ ، ص٧٩ .

المبحث الثالث : تحديات العولمة الثقافية في مجال الإعلام ووسائل الاتصال :

تشكل المنظومة الثقافية العالمية أحد أبعاد العولمة وطموحاتها البعيدة ، فمتى ما تحقق للعولمة احتواء الثقافات الإنسانية ، ومِن ثَمّ دمجها في نموذج واحدٍ أو قريبٍ منه ، عند ذلك تكون العولمة قد حققت أهدافها ، ورفعت لواء سيادتها على العالم ، بالإضافة إلى كون هذا الاحتواء ينسجم مع منطق العولمة القائم على الربح ، فإن احتواء الثقافات وتسليعها يُعدّ مكسباً عظيماً لأرباب العولمة ، حيث سيتمكّنون - وعبر بوابة الثقافة - من الولوج إلى أسواق العالم كلّه ، واستقطاب أعداد هائلة من المستهلكين ، سواء للسلع أو للأفكار ، لذلك لجأ صنّاع العولمة إلى التفكير في الوسيلة الآمنة والسريعة التي تمكنهم من الاطّلاع على رغبات المستهلكين ، كما تمكنهم من إيصال الخدمة إليهم بأسرع وقتٍ وأقلّ جهد وكلفة .

فدلّهم تفكيرهم على امتطاء صهوة وسائل الإعلام كافة ، وبالذات منها التلفزيون ، سواء عبر محطاته الأرضية أو الفضائية ، كما دلّهم تفكيرهم إلى استغلال المنجز الحضاري الآخر ، والذي لا يقلّ أهمية عن الإعلام ، وهي وسائل الاتصال ، وبالذات منها الشبكة العالمية - الإنترنت - ، لذلك فإن الإعلام بكلّ وسائله والاتصالات بكلّ وسائطها هي في الحقيقة لسان العولمة الناطق ، وقلبها النابض ، وأداتها الفاعلة لفرض منطقها ، وتحقيق أملها ، وتفعيل واقعها ، وما ذلك إلا لما تميزت به هذه الوسائل من قدرات هائلة في اقتحام الحدود الزمانية والمكانية والسياسية والشرعية والنفسية ...

ولقد نجحت قنوات البثّ الإعلامي - التلفزيون - الأرضي أو الفضائي في استقطاب المشاهدين ، وجعلهم يدمنون مشاهدة الشاشة الصغيرة ، كما قد نجحت شبكات الإنترنت بالذات على تحقيق الاتصال المباشر ، والتفاعل مع الحدث بالصوت والصورة ، بل والتدخل في توجيهه أحياناً من داخل غرف المنزل ، بل من أيّ مكان ، حتى من الأماكن الخلوية ، بل ومن داخل السيارة ...

يقول مصطفى حجازي : " إن نهاية القرن أعادت تشكيل العالم من خلال انهيار حدود الزمان والمكان ، وذلك بفضل تكنولوجيا المعلومات

المتسارعة في نموّها "[١].

وبطبيعة الحال فإنّ هذا الاقتحام قد ساهمَ في تدفّق سيل من المعلومات التي بدأت تضخّ عبر وسائل الإعلام وعبر وسائل الاتصال ، وهذا ما يؤكده محمد خضر ، إذ يقول : " أدّت التطوّرات التكنولوجية الكبيرة في مجالّي الاتصالات والمعلومات خلال السنوات القليلة الماضية إلى تدفّق هائل للأفكار والقيَم والعادات والمعلومات ، وباتّجاه واحد من الدول المتقدّمة ذات القدرة التقنية المتميزة لإنتاج المادّة الإعلامية تجاه الدول الأخرى "[٢].

وبسبب مقدرة كل من الإعلام والتقنية - التكنولوجيا - الاتصالية على تجاوز الحدود المختلفة ، وبما يملكان من أساليب الإقناع أو الالتفاف والتضليل أحياناً ، فقد أوكل إليهما مهمة نقل الثقافة المراد تعميمها وعولمتها ، وتجسيد معنى العولمة ، وتجذير الإحساس بواقع العولمة . وفي ذلك يقول تركي الحمد : " إن الثورة التقنية الأخيرة أو الثورة الثالثة في تاريخ البشرية في وسائل الاتصال والمعلومات ، جعلت العولمة ظاهرة واضحة للعيان أكثر من أيّ وقت مضى "[٣].

وينحو السيد نصر الدين منحى الحمد السابق ، موضحاً أثر هذه التقنيات في فتح العالم واقتحام حدود الزمان والمكان ، فارضة منطقها ، ومحدثة بذلك انقلاباً نوعياً في وضعية الثقافة ، حيث يقول : " تفعل الآلة الجديدة بسِماتها غير المسبوقة فعلها في تغيير بنية المجتمع البشري بطريقة فاقت ما سبقها مِن آلات . لقد أقامت هذه التكنولوجيا حضارة المدينة العالمية ، وذلك بمقدرتها على تجاوز الحدود السياسية والجغرافية "[٤].

لذلك نجد أنّ المهيمنين على وسائل الإعلام ووسائط الاتصال هم في الحقيقة صنّاع العولمة ، وهم في الغالب ملاّك الشركات المتعدية للجنسيات .

دور الشركات الإعلامية في عولمة الثقافة :

---

(١) حجازي ، مرجع سابق ، ص٥٤ .
(٢) الشريف ، مجلة معلومات دولية ، عدد ٥٨ ، ١٩٩٨م ، ص٩١ .
(٣) الحمد ، مرجع سابق ، ص٧ .
(٤) السيد ، الآلة والحاسوب وحضارة الإنسان ، عدد ٤٠ ، ٢٠٠٠م ، ص٢٥ .

يذكر مالك الأحمد في دراسة له عن عولمة الإعلام ، أنّ ستّ شركات عملاقة كبرى تهيمن على وسائل الإعلام العالمي ، وبالذات منها القنوات التلفزيونية ، وهي على الترتيب التالي :

١) مجموعة تايم ورنر (Time Warner) :

" وهي أكبر شركة إعلامية في العالم ، إذ تفوق مبيعاتها (٢٥) بليون دولار ، ومن أنشطتها الإعلامية التي تملكها : (٢٤) مجلة ، ثاني أكبر دار للنشر في أمريكا ، شبكة تلفزيونية ضخمة ، دور عرض للسينما (١٠٠٠ شاشة عرض) ، تملك أكبر كيبل تلفزيوني مدفوع في العالم ، مكتبة ضخمة من الأفلام بها حوالي (٦٠٠٠ فلم) ، وعدد (٢٥,٠٠٠) من البرامج التلفزيونية ، بعض القنوات التلفزيونية ، مثل : (CNN) ، (NT) ، (HBO) "[(١)].

٢) مجموعة برتلزمان (Bertels mann) :

" وهي أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا ، ثالث أكبر مجموعة في العالم ، دخلها السنوي يجاوز (١٥) بليون دولار ، وتتميز بأن لها تحالفات وتعاوناً مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية في أوروبا واليابان ، ولها العديد من الأنشطة الإعلامية ، منها قنوات تلفزيونية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ، إضافة إلى استديوهات سينمائية متعددة ، مجموعة من الإذاعات الأوروبية ، وتمتلك (٤٥) دار نشر للكتب بلغات أوروبا المختلفة ، وأكثر من (١٠٠) مجلة في أوروبا وأمريكا "[(٢)].

٣) مجموعة فياكم (Viacom) :

" وهي مجموعة إعلامية قوية في أمريكا ، وربع دخلها السنوي (١٣) بليون دولار من خارج أمريكا ، ولها نشاط محموم للتوسع ، وتمتلك (١٣) محطة تلفزيون في أمريكا ، إضافة إلى شبكات بثّ فضائي ودولي ، منها : شوتايم ، وهذه القنوات من أخطر القنوات الفضائية ، حيث تتميز بأنّ

---

(١) الأحمد ، مجلة البيان ، عدد ١٤٨ ، ١٤٢٠هـ ، ص١١٤ .
(٢) الأحمد ، المرجع السابق ، ص١١٦ .

الانحلال والتعرّي جزء رئيسي من سياستها لاقتحام البيوت ، وكذلك قنوات تكلدون ... ، وتمتلك هذه المجموعة إنتاج سينمائي وفديوي وموسيقي ، وكذلك شركات لنشر الكتب "[1].

٤) مجموعة دزني (Disny) :

" وهي أكبر متحد لمجموعة تايم ورنر في العولمة الإعلامية ، ولها دخل يفوق (٢٤) بليون دولار ، ولها حضور في مجتمع الأطفال ، بل تعتبر أكبر منتج لموادّ الأطفال في العالم ، ولها عدد من الأنشطة المتنوّعة ، حيث تمتلك استديوهات تلفزيونية ... وسينما وفيديو وشبكة (ABC) التلفزيونية الضخمة في أمريكا ، وعدد من الإذاعات ، ولها محلات تجارية تحمل اسمها ، ومراكز ترفيه وألعاب حول العالم ، ودور لنشر الكتب ، وصحف يومية ، وشركات لإصدار المجلات ، ولها تحالفات مع عدد من المؤسسات الإعلامية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، كذلك شركات بثّ واتصالات متعددة الجنسيات "[2].

٥) مجموعة نيوزكور بريشن (News Corporation) :

" خامس أكبر مجموعة إعلامية من حيث الدخل ، لكنها أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم . ومن أنشطتها (١٣٢) صحيفة ، (٢٥) مجلة في أستراليا وبريطانيا ، وتمتلك شركة فوكس للإنتاج السينمائي والتلفزيوني ، وشركة فوكس للبثّ التلفزيوني بالإضافة إلى (٢٢) محطة تلفزيون ، وتمتلك شبكة ستار للبثّ الفضائي حول العالم ، وشبكة سكاي ، وعدد من دور النشر للكتب . ومن أهمّ خصائص هذه المجموعة أنها تبثّ برامجها بلغات البلدان المختلفة "[3].

٦) مجموعة (T.C.T) :

" وهي مجموعة إعلامية متخصصة بالبثّ التلفزيوني عبر الكابل ، وكذلك عبر الأقمار الصناعية من خلال نظام الاشتراكات ، وتمتلك قمرين

---

(١) الأحمد ، المرجع السابق ، ص١١٦ .
(٢) الأحمد ، المرجع السابق ، ص١١٦ .
(٣) الأحمد ، المرجع السابق ، ص١١٧ .

صناعيين للبثّ حول العالم "[١].

هذه تقريباً أشهر وأضخم الشركات الإعلامية العالمية ، وإن كان هناك عدد من الشركات الإعلامية الصغيرة ، لكنها لا تصل إلى مستوى هذه الإمبراطوريات الإعلامية السّتّ السابقة ، وذلك من حيث الانتشار ، أما من حيث المضمون ، فتكاد جميع هذه القنوات الصغيرة والكبيرة تتّفق حوله ، وهو في الغالب الأعمّ : ضخّ الثقافة الأمريكية ، ربما ذلك يعود بحكم هوية ملاكها ، كما لا يخفى أن الخلفية العقدية والفكرية والاجتماعية والثقافية لملاك هذه الشركات لا بدّ أن تتسرب خلال مضامين إنتاجهم مهما ادُّعي له من الموضوعية والنزاهة ، بل هو واضح جلي . وهذا مما استثار حفيظة بعض الدول الأوروبية ، ومنها : فرنسا وكندا وغيرها من الدول التي ضجت من هيمنة وغزو الشركات والمنتجات الإعلامية الأمريكية ، حتى في عقر دارهم ، مما يعني صراحة إزاحة الثقافة المحلية ، وإحلال الثقافة الأمريكية مكانها ، فرفعت كثير من الدول شعار (الاستثناء الثقافي) ، وذلك من بنود منظمة التجارة العالمية .

ومن تلك الصرخات المستغيثة : ما حدث إبان انعقاد " المؤتمر الدولي للسياسات الثقافية الذي تنظّمه اليونسكو في المكسيك ، حيث ندد وزير الثقافة الفرنسية ووزير الثقافة اليونانية بمواقف الولايات المتحدة التي تبذل جهوداً كبيرة لنشر الثقافة الأمريكية واستعمال الوسائل جميعها المتاحة لتحقيق هذا الغرض ، وحذّرا من تهديدها للبنية الثقافية الوطنية ومنظومة القيَم لبلديهما "[٢].

هذا في المجال الإعلامي بكلّ وسائله ؛ المقروء منها والمسموع والمشاهَد .

دور شركات الاتصالات في العولمة الثقافية :

في مجال تكنولوجيا الاتصال ، هناك عدد محدود أيضاً من الشركات العملاقة ، وأعظمها - بل ربما جميعها - أمريكية تهيمن على هذا القطاع صناعةً وإنتاجاً وتسويقاً ، وهي بذلك تكمل دور الإعلام ، وتعزز نفوذه في بثّ الثقافة الأمريكية . ومن أبرز هذه الشركات المتعدية

---

(١) الأحمد ، المرجع السابق ، ص١١٨ .

(٢) الشريف ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

للجنسيات في مجال الحاسبات والاتصالات :

" إمبروطورية روبرت مردوخ ، إمبروطورية بيل غيتس ، شركة ديزني ، إمبروطورية تيد ترنر ... "[١] .

كما يضاف إليها شركة ميكروسوفت ، وهي أمريكية ، وكذلك شركة الأمازون ، وهي أمريكية أيضاً .

ونظراً لِما بين وسائل الإعلام من جهة ووسائل الاتصال من جهة أخرى من علاقة عضوية تكاملية ، فلقد أصبح كل واحد من هذه الإمبروطورويات الإعلامية أو المعلوماتية يكمل دور الآخر ، لذلك ظهر هناك العديد من التحالفات بين هذه الشركات ، تأكيداً على ما يربط بينها في الأساس من قواسم مشتركة وأهداف متحدة ، فإحداهما بمثابة مَن يُعبِّد الطريق ، والأخرى بمثابة مَن يستعمله ويسير عليه .

ومن الأمثلة التطبيقية على هذه الإجراءات التحالفية التكاملية ، " ما حدث من تحالف بين كلٍّ من شركتَي ميكروسفت - التقنية - لصناعة الحاسبات من جهة ، وشبكة (**NBC**) التلفزيونية من جهة أخرى على إنشاء قناة أخبارية ضخمة تُبثّ عبر الشبكة العالمية - الإنترنت - ، وذلك لتنافس شبكة (**CNN**) ذات الشهرة العالمية "[٢]. وغير ذلك من التحالفات التي تَمّت بين الإعلام والحاسوب ، وليس في هذا إشكال ثقافي من حيث المبدأ والإطار العامّ ، بل إنه لَمِمّا يخدم المتلقي - مشاهداً كان أو زائراً - من حيث إنها توفر له جودة إعلامية في غاية النقاء والوضوح ، مما أصبح يعرف بالعملية الرقمية (**Digital**) ، كما أنّ من شأن هذه التحالفات أنها تسهم بدرجةٍ ما في تخفيض التكلفة على المشاهد والزائر ، وإن كان في المقابل سوف يزداد إقبالاً واستهلاكاً .

وإنما الإشكال - بل والخطورة - في هذا الالتحام تكمن حين تصبح المادة الإعلامية أو المعلومة المتدفقة سلعة تعرض وتروّج على هذا الأساس ، فهي قابلة للبيع والشراء والمساومة ، وتبثّ على هذا الأساس .

وبما أنّ الإعلام هو الناقل الأساسي لثقافة العولمة والمروِّج لها بمساندة شركات الاتصال الحديثة ، فإنهما يهدفان في المقام الأول إلى تحقيق الربح المادّي . ومن هذا المنطلق تصبح الثقافة الوافدة عبر

---

(١) الشريف ، المرجع السابق ، ص٩٢ .

(٢) الأحمد ، مرجع سابق ، ص١١٩ .

الإعلام وعبر شبكات الاتصال راضخة - حتماً - لمقايضات أصحاب الشركات ، ومسايرة لمنطق السوق ، ومستجيبة لرغبات المستهلكين الذين سيصبحون أكثر اندفاعاً كلّما كثر العرض لهذه الثقافة وزاد الإشهار والإغراء والإغواء .

فلقد أضحت الثقافة سلعة مصنعة أدخل عليها أباطرة الإعلام وأباطرة الاتصال كل المشهيات والمحسّنات ؛ لجعلها أكثر جاذبية للمستهلكين ، وأكثر إثارة وتهيجاً للغرائز ، بل وأكثر تضليلاً وتزييفاً للحقائق ، خاصة إذا علمنا أنّ الإعلام - ويمثله التلفزيون - يعتمد في إثبات قوته ونفاذ سياسته على الصورة المتحركة الآخذة بالألباب ، من أجل جذب وشدّ المشاهِد ؛ ليبقى معه أسير قنواته .

وعلى المشاهِد أن يثق في كل ما يضخّ إليه ؛ لأنّ الصورة قد عملت فيه عملها ، فمن خصائص الصورة التلفزيونية أنها تعمل على تخدير وعي المشاهِد ، إن لم نقل تغييبه بالكلية .

يقول ناهد طلاس : " إن الانفعال بالرؤية المباشرة يقضي على التفكير "[١].

ففي غمرة هذا الانبهار بالشكل والجاذبية في العَرض ، والكَمّ الهائل ، والسرعة في الأداء ، يضعف - حتماً - تركيز المتلقي لحقيقة ما يقدم له ، مما يجعله لا وقت لديه لأنْ يدقق ويمحص ويفحص جدوى وجودة المعروض ، وبالتالي فما عليه أمام هذا التدفق الضاغط على الحواس والشد إلى التلقي لكل جديد ، المصاحب بكل فنون الإغراء والإغواء ، فما عليه وليس أمامه أصلاً إلا الخضوع والتسليم والتقمص والارتداء بوعي أو بلا وعي . وهنا يكون قد حصل للمشاهد إجراء عملية خلخلة لثقافته وفكّ لثوابته السابقة ، ومِن ثَمّ إعادة ترميم وصياغة وتركيب سريع لثقافة بديلة أو جزء منها . ويحدث اختراق للبنى الدفاعية الثقافية ، والزحف نحو تدميرها شيئاً فشيئاً ، وهذا عمل لا تستطيع أعتى الجيوش إحداثه ، بينما نجح الإعلام في ذلك بفعل جاذبية الصورة . فالفعل قد يكون بطيئاً ، ولكنّ المفعول أكيد .

يقول عبد الإله بلقيز : " إنّ الصورة غدت اليوم وكأنها المادّة الثقافية المرشحة لأنْ تصبح الأكثر شعبية واستهلاكاً ، والأقدر على الفتك بنظام

---

(١) طلاس ، العولمة محاولة لفهمها وتجسيدها ، ١٩٩٩م ، ص١٥١ .

المناعة الثقافي والطبيعي "[1].

ويقوم الإنترنت - وهو أفضل ما يمثل عصر المعلومات عن شركات الاتصالات - بنفس الدور السابق للتلفزيون من إبهار للزوّار ، وجعلهم أكثر انجذاباً للمواقع ، وبخاصة الساخنة منها ، والتي لا تفتأ تضخّ لهم بالليل والنهار معارف ومعلومات ومغريات ومسلّيات لا يحصيها عدداً إلا الله ، ولا يطيقها العقل البشري ، فيصبح الزائر لهذه المواقع ضحية تدفق هذه المعلومات على علاتها ؛ الصحيح منها والسقيم ، النافع منها والضارّ ، دون تمييز ولا تمحيص ، فما عليه إلا الرضوخ والامتصاص الهادئ لِما يقذف إليه .

ومعلوم أن كثرة ترديد الشائعة بين الناس وكثرة الحديث عنها والترويج لها يقلبها إلى شبه حقيقة ، مع أنها مجرد وهم ، ولكن كثرة الترديد مع التركيز يجعل لذلك الخبر أو المعلومة وقعاً مؤثراً في المتلقي ، ويحتلّ من ذهنية المستقبِل مساحة مكينة .

وهذا - بالضبط - ما تقوم به شركات الاتصال ، فكثرة ترويج المعلومة وبثّها في أكثر من موقع وفي أكثر من زمان وفي أكثر من مكان ، يحدث لها في نهاية المطاف تجاوباً ملموساً ومشاهَداً في سلوك الناس .

يقول صاحب كتاب أساليب الإقناع وغسيل الدماغ عن دور الدعاية : " أنها استخدام رموز معيّنة استخداماً مدروساً ومنظماً بدرجات متفاوتة ، يعتمد فيه بالدرجة الأولى على الإيحاء وما يتصل به من وسائل نفسية . ويقصد منه تغيير الآراء والأفكار والقِيَم والتحكّم فيها ، ثم في النتيجة تغيير الأفعال الظاهرة حسب خطط مرسومة مسبقاً "[2].

إذاً ، فالقلق على الثقافات المحلية الذي يسمع له صدى في أكثر من مكان وعلى أكثر من لسان مِن أُمم الأرض ، له ما يبرّره في ظلّ هذه الهجمة العنيفة من الثقافة الوافدة والمتدفقة عبر شاشات العرض ، لدرجة أنها قد تشكل طوفاناً يكتسح كل ما يقف أمامها من عناصر الثقافات الأخرى .

يقول حمد الناصر الحمدان : " ليس من المتوقع أن تفسح الثقافة

---

(١) بلقيز ، في البدء كانت الثقافة ، ١٩٩٨م ، ص١٢٦ .

(٢) براون ، أساليب الإقناع وغسيل الدماغ ، ١٤٠٨هـ ، ص١٥ .

الكونية والقائدة والمنتصرة أيّ مجال أو حيز لبقية الثقافات العالمية المغلوبة "[١].

وكيف ستسمح هذه الثقافة الجديدة - الموسومة بثقافة العولمة - بوجود مجال لِمن ينافسها من ثقافات الأرض ، وهي إنما تربّت في أحضان وكنف الإمبريالية الجديدة ، التي يقول منطقها : البقاء للأقوى ، وليس للأفضل . إذاً ، فهناك عصر جديد في طور المخاض . يقول : عِشْ أنتَ ولا تفكّر في غيرِك ، فلا مكان للخاملين ، ولا للضعفاء ، ولا احترام لهم ، حتى وإن كانوا يمثلون الأكثرية الساحقة ، إذ ستسحقهم ثقافة العولمة المصنعة في استديوهات هولويود ...

ولا بدّ من الإشارة هنا أنّ هاجس القلق المتنامي بين فئات الشعوب المستهدفة ، ليس مبررة وجود الآلة بذاتها ، بل الآلة نعمة من نِعَم الله على الإنسان سخّرها له لتعينه على مهامّ حياته ، ومفخرة من مفاخر العقل البشري الذي ألهمه الله كيفية صُنع هذه الآلة .

يقول عبد السلام بن عبد العالي عن هذه الثقافة المستحدثة : " إنها ليست شرّاً في ذاته أو خيراً في ذاته ، بل هي مجرّد وسيلة وأداة ، والوسائل لا تتخذ معناها إلا في الاستخدام الذي تستخدم به "[٢].

ولكنّ مردّ هذا القلق هو أن تصبح هذه الآلة الإعلامية أو توأمها الاتصالية أداة قهر واستعباد للبشر تشكلهم حسب مضمونها الذي غذّيت به .

إنّ القلق المتنامي من هذه الآلة ، أن تصبح مقصلة يتمّ من خلالها وأد الثقافات الأخرى ، واغتيال التعددية والحقّ في التميز والاختيار . وهو عين ما تمارسه هذه التقنيات المعاصرة ، وذلك بفعل الالتفاف حول مضمونها ، والخروج به عن الهدف النزيه والشريف ، الذي ربما اختُرِعت من أجله الآلات ابتداءً .

فالمتأمّل لواقع ثقافة (العولمة) الوافدة عبر أجهزة الإعلام ووسائط الاتصال ، يرى أنّها راضخة لمنطق السوق ، مُعلية من شأن الربح والكسب ، ولا شيء غيره .

---

(١) الحمدان ، مجلة النص الجديد ، عدد ٨ ، ١٩٩٨م ، ص٥٣ .
(٢) ابن عبد العالي ، الفكر في عصر التقنية ، ٢٠٠٠م ، ص١١ .

فمعيار الصلاحية والنجاح هو : كم تدرّ هذه الثقافة من مال ؟. وما هو السبيل لزيادة عدد المستهلكين والإقبال عليها ؟. مما جعل البعض يرى أنّ الآلة بهذا الاحتواء والقسر لمضمونها مَنَحَها شخصية اعتبارية وقدرة على صُنع واقعها .

يقول زكي الميلاد لافتاً النظر إلى خطورة الالتفاف على التقنيات الإعلامية أو غيرها ، وتسخيرها لخِدمة أغراض مشبوهة : " التكنولوجيا لا تحدث فقط تحولاً في العالم ، بل إنها تخلق عالمها المجازي أيضاً "(١).

بل إنّ الدكتور جلال أمين يكاد يختزل الظاهرة الكونية - العولمة - في جانب التكنولوجيا ، ليلفت الأنظار إلى خطورة هذه التقنيات في صنع العولمة ، وذلك في مقالٍ له جعل عنوانه : " العولمة هي التكنولوجيا .. التكنولوجيا هي الخطر "(٢).

والمهمّ في الأمر أن هناك جهداً كبيراً يبذل من أجل صناعة ثقافة جديدة ، أو إعادة صياغة لمنظومات الثقافات الأخرى بفعل الآلة ، وعلى مقاس ورغبات أصحاب الشركات الذين يسلعون كل شيء .

يقول ناهد طلاس مؤكّداً ما ذهبَ إليه الباحث : " يتمّ حالياً بناء الثقافة العالمية على أسس السوق الشاملة ... إنها ترضي التجّار "(٣).

وإذا أردنا الاقتراب أكثر من تحديد هوية العولمة وثقافتها المقذوفة إلينا عبر شبكات الاتصال وشركات الإعلام ، نورد ما ذكرته جريدة الجارديان البريطانية ، ونقلته عنها جريدة الوطن السعودية ، يقول الخبر : " إذا ما غصنا في الأعماق وفي داخل لفظ العولمة ، سنكتشف تماماً أنها لا تعني اليوم إلا تلك اليد النافذة لثقافة الكاكاكولا ، وديزني ، وروبرت ميردوخ "(٤).

وهذه أسماء لشركات أمريكية متعددة الأنشطة والاختصاصات ، لكنها تَزرع لها في كل صقع من العالم موقعاً ، وعن طريق ترويج وتسويق بضاعتها والإشهار لها عبر الإعلام المسير بيد أصحاب هذه

---

(١) الميلاد ، مجلة النص الجديد ، الفكر الإسلامي وقضايا العولمة ، ١٩٩٨م ، ص٣٨ .
(٢) أمين ، كتاب مجلة المعرفة السعودية ، عدد ٧ ، ص٩١ .
(٣) طلاس ، مرجع سابق ، ص١٦٠ .
(٤) جريدة الوطن ، عدد ٥٢ ، شعبان ١٤٢١هـ ، ص١٥ .

الشركات ، يتمّ تقمص الدور الأمريكي والشخصية الأمريكية والذوق الأمريكي ، وأسلوب التسلية على الطريقة الأمريكية . وماذا يعني ذلك سوى الذوبان في خضمّ الثقافة الأمريكية المتواجدة في كلّ مكان .

وقد مرَّ بنا سابقاً قول الصحفي الأمريكي الشهير (توماس فريدمان) الذي حدد هوية العولمة صراحة بقوله : " العولمة من الناحية الثقافية هي إلى حدٍّ بعيد ، ولكن ليس بصورة شاملة ، انتشار للأمركة " . ويظهر أن عدم تعميمه للشمولية هو أن الأمركة أو العولمة تُواجه تحدٍّ قويّ في الوقت الحاضر ، ولكن الضغط نحو فرض هذه الثقافة الأمريكية وعولمتها يزداد على مدار الساعة .

أما عن هدف هذه العولمة الثقافية في ثوبها الأمريكي ، أنها تميل إلى العنصرية والانفرادية ، وهو ما يراه عبد الإله بلقيز الذي يقول : " لقد كشفت الثقافة العالمية عن نزعتها المركزية الذاتية في أشدّ مظاهرها المرضية وضوحاً ، والتي لا تقبل بأقلّ من إنكار الخصائص القومية للثقافات الأخرى ، ومن نزوع إلى دمجها القسري في منظومتها "(١) .

ولا بدّ لهذا الزخم الثقافي المندفع عبر شاشات البثّ والاتصال من مظاهر تعكس توجّهه لصياغة ثقافة جديدة تتلاءم مع طموحات صانعيها ومروّجيها .

يقول محمد الخضر :

> " أدّت التطورات التكنولوجية الكبيرة في مجالّي الاتصالات والمعلومات خلال السنوات القليلة الماضية إلى تدفق هائل للأفكار والقيَم والعادات والمعلومات ، وقد أدّت تلك الوسائل دوراً مؤثراً في التأثير على الثقافات المحلية للشعوب . فالتلفاز والمحطات الفضائية والسينما والحواسيب والإنترنت تساهم بدرجات متباينة في ظلّ الهيمنة الأمريكية على أسواق الاتصالات في توحيد الأذواق والرؤى بين الشعوب المستهلكة للمادّة الإعلامية ، بل تخلق عادات وميولاً جديدة تدريجياً بدلاً عمّا هو سائد "(٢) .

---

(١) بلقيز ، في البدء كانت الثقافة ، ١٩٩٨م ، ص١٢٠ .
(٢) خضر ، مجلة معلومات دولية ، عدد ٥٨ ، ١٩٩٨م ، ص٩١ .

وعموماً فإنّ ظاهرة العولمة وثقافتها الوافدة سوف تضع تحدّيات في مواجهة المتعاملين معها أو ضدّها تحدّياتٍ ذات وجهين : أحدهما حسن إيجابي ، والآخر كالح سلبي . ولكن يجب التعامل مع كِلا الوجهين بنفس المستوى ، ويعامل التحديان ؛ الإيجابي والسلبي بما يتلاءم مع طبيعة كل منهما . فليس كل شيء في ثقافة العولمة خير فيقبل على علاته ، وبالمقابل ليس كل ما في العولمة وثقافتها شرّ فيرفض كله ، بل لا بدّ من حُسن التعامل مع معطيات ومفرزات الظاهرة بحذر ، مع البعد عن المواقف المسبقة والخلفيات السالفة ، إلا ما تقتضيه ضروريات الموقف الشرعي ، فهو المعيار والمحك لِما يقبل أو يُردّ ، استجابة لقول الله تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }**[(١)] .

قال السعدي - رحمه الله تعالى - : " ثم أمر بردّ كل ما تنازع الناسُ فيه - من أصول الدين وفروعه - إلى اللهِ والرسول ، أي : إلى كتاب الله وسنّة رسوله ، فإنّ فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية "[(٢)] .

وهذا هو الموقف الواجب أن تتخذه التربية الإسلامية والثقافة الإسلامية من قضية تمسّ صميمها ، وهي العولمة الثقافية ، مما يستدعي تضافر جهود ذوي الاختصاص للتصدي لدراسة هذه الظاهرة بأن يؤخذ من مظاهرها ما صفا ، ويُحذَّر مما كدر ، أو يوجه الوجهة الحسنة . ولعلَّ هذا ينسجم مع قوله تعالى : **{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }**[(٣)] .

يقول السعدي - رحمه الله - : " وفي هذه الآية أيضاً دليل وإرشاد ، وتنبيه لطيف لفائدة مهمّة ، وهي : أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدّوا لكل مصلحة من مصالحهم العامّة مَن يقوم بها ، ويوفِّر وقته عليها ، ويجتهد فيها ، ولا يلتفت إلى غيرها ؛ لتقوم مصالحهم ، وتتمّ منافعهم ... "[(٤)] .

وهذا العمل والفعل هو من أولويّات رجال الفكر والثقافة الإسلامية

---

(١) سورة النساء : الآية (٥٩) .
(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ص٢١٤ .
(٣) سورة التوبة : الآية (١٢٢) .
(٤) السعدي ، مرجع سابق ، ص٤٦٨ .

والمربّين المسلمين الذين تقع عليهم مسؤولية حفظ ثقافة الأمة ، وصيانة تراثهم الثقافي من الدَّفن ، وعقول الناشئة من الاختطاف أو التدجين الذي يتعرّضون له صباح مساء . وعلى ذلك فإنّ هناك بعض النقاط التي استخلصها بعض الباحثين والمفكرين ، تُعدّ دلائل وإشارات لبعض مظاهر العولمة الثقافية بشقّيها ؛ الحسن الإيجابي ، والكالح السلبي . فمن تلك المظاهر ما يلي :

مظاهر العولمة الثقافية الوافدة عبر التقنية :

أولاً : مظاهر العولمة الثقافية الإيجابية الوافدة عبر التقنية :

رصدت نجوى الفوال بعض تلك المظاهر في النقاط التالية :

١- تعاظم قدرة المتلقي الفرد على تجاوز الدائرة الضيقة للإعلام الوطني في ظلّ الثورة التكنولوجية للاتصال المرئي ، وإتاحة فرصة التفاعل مع عدد كبير متكاثر من محطات البثّ الفضائي التلفزيوني ، تتنوّع فيها اللغات واللهجات والثقافات الاتصالية بمستوى تنافسي عالٍ .

٢- اتساع مساحة الحرية المتاحة أمام المتلقي ، وتزايد قدرة القنوات الفضائية غير الحكومية على مناقشة جميع القضايا بطرح الرأي والرأي الآخر ، بحيث صارت تلك القنوات ساحات للممارسة الديمقراطية التي تفتقدها على مستوى الواقع أغلب دول الجنوب .

وإن كان الباحث يرى أنه قد توسعت القنوات الفضائية في استخدام مصطلح الحرية بدرجة خرجت عن حدود الذوق الرفيع ، وأصبحت هذه الحرية منفلتة لا ضابط أخلاقي ولا أدبي لها . لقد أصبحت الحرية مطية للتفلّت من الحدود الأدبية والأخلاقية ، وهي كلمة حقّ أُريد بها عكس ذلك ، كما هو الحال في بعض القنوات الفضائية .

٣- أدّى وجود ساعات طويلة ومتنوّعة للبثّ التلفزيوني الأرضي والفضائي إلى نشأة الحاجة الملحّة إلى إنتاج إعلامي يسمح بتغطيتها ، مما أدى إلى تنشيط الصناعات المختصة للاتصال المرئي ، وفتح مجالات للعمل أمام العمالة المتخصصة . مع العِلْم أن الباحث لديه تحفظ على هذه المزية الإيجابية ؛ لأنّ المشكلة

هي مضمون المادة الإعلامية التي نريد بها شغل الوقت ، فليس المهمّ هو مجرّد شغل الوقت ، بل بماذا يُشغل الوقت . والمُلاحَظ أنّ صناع القرار في ظاهرة العولمة استغلّوا فترات الفراغ لملئها بأدوات الترفيه البريء ونقيضه . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنّ الباحث يتحفظ بشكلٍ أكبر على قضية تصنيع الثقافة ؛ لأنّها ستصبح مفصَّلة حتماً على ما يلائم رغبات صناع العولمة ، ومحققة لأرباح هائلة ، ولكن على حساب النوعية من حيث الجودة القيمية والأدائية .

٤- على مستوى الاتصال الشخصي فإن ظهور شبكة الإنترنت وانتشارها عالمياً قد فتح هو الآخر مجالات لا حدود لها للمعرفة واكتساب المعلومات بجانب ما وفّرته من سهولة الاتصال قليل الكلفة بين الأفراد والثقافات[(١)].

ولكن التحفظ السابق يبقى قائماً ، وهو : ما نوعية المعرفة المتدفقة ، وهل كلّ معرفة مفيدة ؟.

هذه بعض التحدّيات الإيجابية التي ينبغي الوقوف أمامها للأخذ بأحسنها من مفرزات العولمة ، وتهذيب ما يحتاج إلى تهذيب ؛ ليرقى من درجة الحسن إلى الأحسن .

وبالمقابل فإن العولمة تشكل - كما سبق - تحدّياً آخر ، وهو الجانب السلبي للعولمة في مجالها الثقافي . وقد رصد عبد الرحمن الزنيدي بعضاً من تلك التحديات السلبية ، وبالأخصّ ما يتعارض مع المفهوم الإسلامي للثقافة .

ثانياً : بعض الآثار السلبية للعولمة في مجال تقنية المعلومات والاتصالات ووسائل الإعلام :

١- أنّ من شأن هذه الثقافة أنها تزيد من شدّة التعلق بمظاهر الحياة المادية وشهواتها الحسيّة ، وإغفال الآخرة ، وازدراء الغيبيات ، وجعلها أموراً مرادفة للخرافة والأساطير .

٢- الاستهانة بالمقدسات الدينية ، مثل : الألوهية ... النبوة .. والتلاعب بمفاهيمهما ، مما يساهم في تحطيم قداسة تلك المفاهيم في نفوس

---

(١) الفوال ، مجلة مال وأعمال ، عدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٩٩م ، ص٥٦ ، بتصرف يسير .

الناشئة ، مما يجرئهم على غشيان حرمات الله وهتك حدوده تحت مسميات فضفاضة ، مثل : الحرية ، والترفيه ، والمتعة ...

٣- التحلّل الخُلقي ، وبالذات في ميدان المرأة والأسرة .

لقد أسرف الإعلام في التبذل والإسفاف في تسليع جسد المرأة ، حتى لقد أصبحت صورتها تلصق على أصباغ الأحذية ... هذا مع العِلْم أنّ صنّاع العولمة يتباكون على وضعية المرأة في المجتمعات الإسلامية والمحافِظة !.

٤- إعلاء شأن الحرية الفردية ، وتجذير الأثرة على حساب الإيثار ، مما يساهم في سحق مفاهيم رفيعة ، مثل الشفقة والرحمة ...

٥- صرف الشباب عن معاني الاستقامة وعلوّ الهمّة إلى مطاردة الهوايات الهابطة والتقليعات التافهة من أنواع تصفيفات الشعر إلى ألوان الأحذية ونوعيتها وانسجامها مع معطيات العصر ، وتناسق ألوانها مع بقية الملابس ... إلى غير ذلك من الأمور التي تشغل الأمة عن الالتفات إلى قضايا مهمّة ومصيرية في حياتها(١) .

وهذه التحديات إنما هي خروقات تشويهية تستهدف خلخلة البنى الثقافية للأمم ، ومنها الأمة الإسلامية ؛ ليتسنى بعد ذلك فكّ الثوابت الثقافية ، وترحيل أنماط ثقافية جديدة .

٦- أنها ثقافة تمجد الاستهلاك لكلّ شيء ، وذلك عن طريق فتح أسواق جديدة ، وذلك تحت غطاء مضلل أحياناً يدّعي بأن زيادة الاستهلاك محرّك قوي لزيادة الإنتاج ، فأصبحت الأسواق ممتلئة بالمنتوجات الاستهلاكية الكمالية قبل الضرورية ، مع زيادة الإشهار لها عبر الإعلانات التجارية والمؤثرات التجميلية التي تلهب حماس المستهلك ، مما يجعله يُقبِل على الشراء والتغيير ؛ مسايرة للعصر أو للموضة . وكل ذلك مما يثقل كاهل الأسرة بالنفقات التي لا مبرّر لها ، أو الديون التي تُغرق صاحبها في هَمٍّ بالليل وذُلٍّ بالنهار ، وباب من أبواب الإسراف والتبذير ، لذا يجب إيقاف هذا النزيف ؛ استجابةً لقول الحقّ تبارك وتعالى : { **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا**

---

(١) الزنيدي ، مجلة الشقائق ، عدد ٣٦ ، ذو القعدة ١٤٢١هـ ، ص١٤ .

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ }[1].

وبهذا يتبيّن أن الإسلام لم يحرّم الزينة أو اتّخاذها ، بل أباحها مالم تكن داخلة في حدود المخيلة والشهرة . إنما الذي حرّمه الإسلام المبالغة والغلوّ في الإسراف ، وأن يتسابق الناسُ في تنافس محموم على ارتياد الأسواق وشراء كل جديد . وقد فهم السلف ﷺ معنى الحدّ بين الإسراف والتقتير ، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يقول لبعض إخوانه من المسلمين : (أكلّما اشتهيتَ اشتريت)[2] ؟!!.

إنّ الاستمتاع بزينة الله التي أباحها لعباده والطيبات من الرزق شيء ، واستنزاف الثروات وهدرها بهذا الشكل الذي تريده ثقافة العولمة شيء آخر .

ذكر أحمد الشرباصي عن عائشة أمّ المؤمنين - رضي الله عنها - قولاً مأثوراً في التوجيه والتربية يُعتبر قاعدة لذوي الأبصار ، فقد قالت : (ما استمتع الأشرارُ بشيءٍ إلا استمتع به الأخيار ، وزادوا عليه رضا ربهم)[3].

فمن حكمة الإسلام أنه ما حرّم شيئاً إلا لضرره المؤكّد على الإنسان ، ومع ذلك يقدم له البديل الطيب . ومن أمثلة ذلك :

الرِّبا ؛ فقد حرّمه الله وأباح البيع ، قال تعالى : { وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا }[4].

والنكاح متعة ، فحرّم الله الزّنا ، وأباح الزواج الشرعي ؛ ليضمن تصريفاً شريفاً للغرائز ، ويحفظ الأنساب ، ويحمي المجتمع . يقول تعالى : { وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً }[5]. وفي المقابل قال تعالى : { فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ }[6].

فأين هذا السموّ ممن يدّعون بأنّ الإسلام كبت الغرائز ، وهو

(١) سورة الأعراف : الآية (٣١) .
(٢) عن محاضرة دينية مسجّلة .
(٣) الشرباصي ، الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية ، ١٤٠٧هـ ، ج٢ ، ص٢٧٧ .
(٤) سورة البقرة : الآية (٢٧٥) .
(٥) سورة الإسراء : الآية (٣٢) .
(٦) سورة النساء : الآية (٣) .

إنما نظمها حتى لا تنفرط كالمسعورة لا تلوي على شيء ، فتُهلك الحرث والنسل . وهذا أمر لا يفكّر فيه المتاجرون بجسد المرأة عبر شاشات العرض وإغراءات الصورة .

٧- أنها ثقافة تمهد للعنف ، بل وتغرسه في نفوس الناشئة ، فكثير من حوادث الإجرام المنظم - الجماعي منه والفردي - تعلّمها أصحابها ومرتكبوها خلال مشاهدتهم لتطبيقات لها عبر وسائل الإعلام أو المعلومات بُثَّت لهم عبر شبكات الإنترنت . والإعلام المستغرب أو المتأمرك يروّج للعنف بطريق مباشر أو غير مباشر ، فهذه أفلام مثل : الفك المفترس ، ودراكولا ... وكلها أفلام دموية تطفح بالعنف ، وتجعل المشاهد يستمرئ هذا الأمر ويعتاده ، فلم يعُد يؤثر فيه رؤية الدم أو أنين المصابين ، ولم تَعُد تُزعجه أشلاء الضحايا . وهذه مسابقات تروّج للعنف وتشجّع عليه ، وتجعل له هِبات وعطايا سَنية ، مثل : مسابقات ومباريات المصارعة والملاكمة .

وهذه أفلام تصوّر كيف يتمّ اختلاس مبالغ من المصارف أو من حسابات الشركات والدوائر الرسمية . وكل هذا يعمل عمل الدورات التدريبية للمشاهِد الذي سيخرج إلى مجتمعه وحشاً مفترساً ، بعد أن تشبّع بالفكرة التي أوحى له بها الإعلام وزيّنها له ، وأغراه بَريقُ الدراهم . وهذا أغلب ما تقذف به ثقافة العولمة التي يزداد إقبال الناس على مشاهدة أفلامها .

٨- أنها ثقافة تروِّج الإباحية الأخلاقية ، مما يلهب الغرائز لدى المراهقين والمراهقات ، ويعجل باستثارتها قبل نضجها لديهم ، وفي هذا من الآثار الصحيّة الشيء الكبير ، كما أنها تجعل هذا المستثار لا يفكِّر إلا في تصريف هذه الشحنة في أيّ مصرف ، حتى ولو كان متنافياً مع القيَم الدينية والأعراف الاجتماعية .

٩- أنّ هذه الثقافة المبثوثة عبر الإعلام تمتهن كرامة المرأة ، وتجعل من جسدها وسيلة للإغراء والإغواء ، وتصوّر المرأة بأنها سلعة للتبذل والإسفاف . وكثيراً ما تُعرض المرأة في الأفلام على أنها خائنة للزوج ، مضيعة للأطفال وللبيت ، ومهدرة للأموال ، فينغرس ويتجذر كُره المرأة في نفوس الناشئة ، سواء كانت أُمّاً

أم أختاً أم زوجة ؛ لأنّ الإعلام قد سكب في روعهم أنّ هذه هي حقيقة كل النساء .

١٠- أنها ثقافة تضليلية محرِّفة للحقائق والمفاهيم ، فهي لا تفتأ تعرض على المشاهد حقائق مزيفة بفعل البهرج الإعلامي ، فتجعل المتلقي يؤمن بما لا يدع مجالاً للشكّ لديه بأنّ النموذج الذي يجب أن يُحتذى في كل شيء هو النموذج الأمريكي ، بدءاً من الهيئة إلى طريقة الحياة إلى الثقافة ... وقد ذكرت إحدى الدراسات التحليلية لبعض البرامج التلفزيونية أنّ من نتائج الدراسة :
" أنّ البطل يكون أمريكياً غنياً وأنيقاً وأبيضاً ، وهو يجول العالم ناشراً السلام والعدالة "[(١)].

وهذا تضليل متعمّد ، الهدف منه ازدراء المتلقي ، خاصة من أبناء العالم النامي - الثالث - لرموزه العلمية ولهيئته في الأكل والشرب ، وطريقة التعامل ، فيخرج باحثاً عن وسيلة يحقق بها الوصول إلى مستوى ذلك النموذج الذي شاهده . فكثيراً ما نرى من أبناء المسلمين مَن يتناول طعامه على حسب الطريقة الأمريكية ، بل ويفاخر بها بين مَن لا يجيدون ذلك . وكثيراً ما نرى مَن يرصع كلماته بعبارات أجنبية من لغة أجنبية للتدليل على أنه يعيش في مستوى معين ، وهو واهم .

١١- أنها ثقافة لا تؤمن إلا بما هو مادّي بحت ، ويكون ذلك على حساب نفي وإخفاء كلّ ما هو داخل في باب الإيمان بالغيب مما يؤثر في عقائد المتلقين ، وخاصة أبناء المسلمين .

١٢- أنها ثقافة احتكارية ليس فقط للأسواق ، بل وحتى للأفكار . ومن الأمثلة على ذلك : بنود منظمة التجارة العالمية ، والذي يسمى ببند (حماية الملكية الفكرية)[(٢)]، فلا يسمح لأصحاب الكتب والفنانين وغيرهم من المؤلفين ترويج بضاعاتهم إلا عن طريق مجموعات خاصة (شركات) ، وهذا لو طبق فإنه سيعود بالفعل بالخسارة الفادحة على أصحاب الحقّ من مؤلفين وغيرهم ؛ لأنّ أفكارهم بدأت تسلع بما يدرّ على أصحاب الشركات ثراءً فاحشاً .

---

(١) السماك ، تبعية الإعلام الحرّ ، ١٤١١هـ ، ص٢٥ .
(٢) غروس ، استراتيجية العولمة ، بتصرف .

❍ ❍ ❍

المبحث الرابع : قنوات العولمة الثقافية :

يدرك الغرب أنّ محاولة اللجوء إلى القوة العسكرية من أجل فرض منظومة فكرية أو ثقافية ، أمر غير مُجدٍ ، بل ربما جاء بنتائج عكسية ، إذ غالباً ما تلجأ الشعوب المستضعفة إلى الالتفاف حول نخبها الثقافية ، وتتحصّن برموزها الفكرية والقيادية والإصلاحية ، وتحتمي بعقائدها وتشريعاتها ، وتتشبث بهويتها الخصوصية بشكلٍ أكثر من ذي قبل ، وذلك متى ما شعرت بأنّ هناك حالة قسر وإكراه لها ، مما يعني فشل هذه المحاولات العسكرية في الوصول إلى أهدافها .

لذلك فضّل الغرب اختيار الأسلوب الآمن دون الحاجة إلى لغة السلاح ، فوجدوا أنّ أفضل أسلوب هو أسلوب الاتفاقات والمؤتمرات الدولية ، فاتخذت كوسيلة للترويج لظاهرة العولمة ، وتبرير واقعها ، وتمرير ما يريده صنّاع العولمة الكبار بما يخدم مصالحهم المختلفة . وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد عمارة : " أنه في ظلّ هيمنة الغرب على المؤسسات الدولية ، وخاصة مجلس الأمن الدولي الذي أصبح شبيهاً بمجلس الأمن القومي الأمريكي ، أخذ الغرب يقنن منظومة قيمة في مواثيق يسميها دولية ، ليفرضها باسم الأمم المتحدة على العالَم بأسره "[(١)] .

ومن هذه المؤتمرات العالمية التي عقدت تحت مظلّة الأمم المتحدة ورعايتها ، أو تلك المؤتمرات أو الندوات العالمية التي نظمتها بعض الهيئات العالمية ، والتي تخدم من خلالها ظاهرة العولمة ، كتلك المؤتمرات أو القنوات الفكرية والثقافية التي نادى لعقدها مجلس الكنائس العالمي ، والتي تنسجم في توجهها في خدمة أرباب وصناع ظاهرة العولمة ، خاصة في المجال العقائدي أو الديني .

وسوف يسرد الباحث بعض هذه القنوات ، ثم يختار منها ما يرى أنه ذو علاقة مباشرة بطبيعة هذه الدراسة . ومن تلك المؤتمرات :

مؤتمرات عقدت حول البيئة ، ومؤتمرات حول التنمية ، ومؤتمرات حول الاقتصاد ، وما تمخض عن بعضها من إقامة منظمات عالمية ، مثل : منظمة الجات ، ثم منظمة التجارة العالمية ، وكذلك المنتديات

(١) عمارة ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، ١٩٩٩م ، ص٢٦ .

الاقتصادية العالمية ، كمنتدى دافوس الاقتصادي ، ومؤتمرات عن محاربة الفقر والبطالة ، والعدالة الاجتماعية ، ومؤتمرات حول حقوق الإنسان ، ومؤتمرات عن السكان ، ومؤتمرات عن أوضاع المرأة ، وأخرى عن أوضاع العمال ، وأخرى عن أوضاع الأطفال ... وهي مؤتمرات ذات طابع شمولي في قراراتها وتوصياتها ، بِغضّ النظر عن الخصوصيات الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، فهي تسعى إلى تحقيق شيء من التجانس البشري في كافة المجالات ، وهو منطق أرباب العولمة . إذاً ، فغالب هذه المؤتمرات إنما تكون محصلتها النهائية الإذعان لظاهرة العولمة إن لم يكن بالسلاح العسكري فليكن بالقرارات الملزمة . وفي ذلك يقول الحسيني موضّحاً العلاقة بين هذه المؤتمرات كقنوات تخدم ظاهرة العولمة : " والحقيقة التي لا بدّ من إبرازها هنا أنّ هذه المؤتمرات ... تنطلق من أهداف محددة ، وتحكمها فلسفة واحدة ، وتلتزم استراتيجية طويلة المدى في تطوير وسائلها ، وتستظلّ بمظلة الأمم المتحدة وحراسة النظام العالمي الجديد ... تعمل على مسخ ثقافات الشعوب الأخرى وحضارتها وتهميشها ؛ لتصبح جُزراً صغيرة في المحيط الكبير القائم على التسلط والإغراق "[(١)] .

والغريب في الأمر أنه لكي يمكن تطويع هيئة الأمم المتحدة لتسير في ركاب قطار العولمة ، ولكي تصبح أداة تسعى بكلّ إخلاص في خدمة صنّاع القرار العولمي ، فقد تَمّ اختراق ميثاق الأمم المتحدة نفسه ، وإعادة صياغة بعض بنود هذا الميثاق ؛ ليكون صالحاً لخدمة مصالح موجّهي ظاهرة العولمة .

وهذا ما أشار إليه الأمين العامّ للأمم المتحدة (كوفي عنان) خلال افتتاح أعمال الدورة الخامسة والأربعين للجمعية العمومية للأمم المتحدة ، حيث قال : " إنّ المفهوم التقليدي للسيادة باتَ غير محقق لتطلعات الشعوب في التمتع بحرّيّاتها الأساسية "[(٢)] .

ومعلوم أنّ هذا البند مع بنود هيئة الأمم المتحدة يشير إلى أنّ لكل دولة الحقّ في ممارسة سيادتها الكاملة على أراضيها ، ولكن لأنّ هذا البند بهذه الصيغة يعتبر حجر عثرة في طريق تموضع الظاهرة وتجسّدها ، لذلك لا مانع من تعديله أو اختراقه أو التحايل عليه بغية أن يكون

(١) جاد ، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية ، ١٤١٧هـ ، ص١٨ .
(٢) محمود ، مجلة الشاهد ، عدد ١ ، ٢٠٠٠م ، ص١٢٩ .

منسجماً مع منطق العولمة الذي لا يقرّ بوجود عوائق إقليمية أو وطنية أو دينية ... أو جغرافية .

لذا لجأ الكبار إلى محاولة تهميش شأن السيادة الذاتية من أجل أن تصبح القرارات الدولية التي تنسج خيوطها في مؤتمرات الأمم المتحدة مسوغاً للتدخل في الشؤون الداخلية لأيّة دولة من أجل فرض رؤى العولمة ، وقد حصل شيء من هذا القبيل في بعض المؤتمرات الدولية ، حيث استخدمت هذه المؤتمرات كأدوات للتنفيذ ، واستخدمت هيئة الأمم المتحدة كمظلة يختفي خلفها صنّاع العولمة ، بغية إضفاء صفة الشرعية الدولية على ما يصدر من قرارات ، ولا شكّ أنّ في اتّباع هذا الأسلوب درجة عالية من الدهاء ، إذ أصبح من الممكن امتصاص حماس الشعوب ضدّ بعض أفكار العولمة ، وذلك بإشعار الرأي العامّ بأنّ ما صدر من قرارات إنما جاء بناءً على رغبة دولية ، ولمصلحة شمولية عالمية ، والحقيقة أنّ بعضاً من هذه القرارات إنما يصبّ - في الأول والأخير - في مصلحة صنّاع العولمة .

ولعلّ من أهمّ القنوات الثقافية أو المؤتمرات الدولية التي يرى الباحث أنها ذات علاقة مباشرة بهذه الدراسة - إما من الناحية الثقافية ، أو من الناحية التربوية - هي تلك المؤتمرات المتعلقة بوحدة الأديان ، وكذلك المؤتمرات التي تناقش حقوق الإنسان ، كمؤتمر حقوق الإنسان الذي عقد في فيينّا بالنمسا سنة ١٩٩٣م ، والمؤتمرات الخاصة بالسكان ، كمؤتمر السكّان والتنمية ، والذي عُقد في القاهرة سنة ١٩٩٤م ، والمؤتمرات التي تناقش وضع المرأة والأسرة بالمفهوم الحديث ، مثل : مؤتمر المرأة الرابع ، والذي عُقد في بكين سنة ١٩٩٥م ، وكذلك المؤتمرات المتعلقة بالملكية الفكرية المنبثقة عن قرارات منظمة التجارة العالمية .

والمدهش في الأمر أنه قد نجح المستفيدون من وراء هذه المؤتمرات ، والمسيرون لظاهرة العولمة في تعبئة الذهنية الشعبية لدى عامّة الناس - إما اقتناعاً أو تضليلاً - ، ووصل مدى القناعة بأهمية هذه المؤتمرات وما تمخض عنها من قرارات إلى حدّ المطالبة بإلحاح في التسريع بتحقيق هذه المظاهر العولمية ، وهو ما يوحي بأهمية الإعلام الذي روّج لهذه المؤتمرات وبثها مباشرة إلى بقاع الأرض ، فقد أدى دوره على أكمل وجه في إقناع الخاصة والعامّة بأهمية ما يُطرح من أفكار وجدوى الأخذ بها . وهذا ما أشار إليه التوم وزميله ، حيث قالا :

" دُفِعَت قطاعات المجتمع في بعض الدول النامية للتعبئة الشعبية والكفاح من أجل مزيد من الحقوق المدنية ، وحقوق الأقليات ، والمرأة ، والتنظيم السياسي والنقابي "[١].

لذلك عقدت كثير من المؤتمرات استجابة لبعض الضغوط الاجتماعية المدفوعة بقوّة إعلامية كبيرة لإعطاء شيء من التبرير المنطقي لأهمية هذه المؤتمرات ، واستصدار قرارات يتمّ الترويج لها مسبقاً عبر الإعلام وغيره من قنوات الاتصال التي أوجدت شيئاً من التواصل العالمي . ومن تلك القنوات الثقافية ما يلي :

أولاً : قنوات من أجل عولمة الدين (النصراني) :

من المنظمات التي شاركت في صياغة فكر العولمة ، والتي كان لها وجود فاعل في ساحة ظاهرة العولمة : مجلس الكنائس العالمي بالفاتيكان ، والذي يُعدّ المرجعية الروحية لدى عامّة النصارى ، حيث كان لهذا المنبر التنصيري حضوره الفاعل والمؤثر ، وبرزت جهوده واضحة للعيان ، وذلك بما يخدم مصالح العولمة ، وبالذات في الجانب العقائدي والديني . فقد اضطلع هذا المجلس بمهمّة السعي الحثيث من أجل عولمة الدين النصراني ، ويبدو أنّ حلم تنصير العالم وضمّه تحت عرش الفاتيكان حلمٌ قديم متأصّل لدى مجلس الكنائس ، بل إن هذه الفكرة تنطلق من أحد النصوص التي توجد في أحد أناجيل النصارى ، إذ يقول النصّ مخاطباً عامّة النصارى : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس "[٢].

ومعلوم أن التعميد هو أحد مظاهر التنصير ، ويلاحظ أن الخطاب جاء بلفظ العموم (جميع) ، إذ لم يستثنِ أحداً من البشر ، فهي دعوة صريحة لدمج العالم في نموذج ديني واحد ، ألا وهو النصرانية . وقد كان لهذا النصّ التنصيري أثرٌ كبير في تكوين الخلفية الفكرية لجهود البابا (يوحنا بولس الثاني) ، والذي يعتبر من أنشط البابوات في هذا العصر ، ومن وسائله في هذا المجال : تنظيم اللقاءات والمؤتمرات والاحتفالات ، كتلك الاحتفالات التي أُقيمت في روما في الفترة من ١٥ إلى ٢٠ أغسطس عام ٢٠٠٠م ، والمتضمّنة إقامة تجمّع شبابي عالمي ، أسموه بـ (اليوم العالمي

---

(١) التوم ، وآدم ، العولمة دراسة تحليلية نقدية ، ١٩٩٩م ، ص١٧ .
(٢) الحقيل ، مجلة البيان ، عدد ١٥٦ ، شعبان ١٤٢١هـ ، ص١١٠ .

للشباب) . وقد ألقى البابا في هذا التجمّع كلمةً ذات دلالات عدّة ، فقد خاطبَ هذا المنصر المجتمعين ، والذين قُدِّر عددهم بنحو مليوني شابّ وشابّة قدِموا من كلّ بلدان العالم للمشاركة ، قائلاً لهم : " عزيزي الشابّ : ليكن عندك طموح لتصبح قديساً كما أن عيسى قديس . يا شباب العالم في كلِّ قارة ، لا تخشوا أن تصبحوا قديسي هذه الألفية "[١].

ولا يخفى ما تضمّنه الخطاب من دلالات عميقة ومتعددة الجوانب ، فهو بمثابة ورشة عمل من أجل تهيئة هؤلاء الشباب - ذكوراً وإناثاً - ليكونوا منصّرين ؛ ليسهموا بدورهم في تجسيد ظاهرة العولمة من الناحية الدينية .

وقد أهالت وكالات الإعلام العالمية - بصفتها الناطق باسم العولمة - على هذا البابا من الصفات التقديسية الشيء الكثير ، واصفة إياه بأنه " بابا الأديان كلها "[٢].

ومعلوم أنّ الإسلام دين لا يقرّ بهذه الرهبنة المبتدعة ، ولا يقرّ بوجود البابوية ، ولكن منطق العولمة المسيطر والموجّه للقنوات الإعلامية وأساليب التضليل استغلّت حاجة البابا إلى الشهرة ، فوظفته لخدمة مصالحها ، وإن اصطبغت بصبغة دينية مزيفة .

ولا يوجد وصف يطابق حال هذا البابا ومَن يَسِير وراءه أو أمامه من صنّاع العولمة أصدق من قول الحقّ تبارك وتعالى : { وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً }[٣].

ومن هذه المؤتمرات التنصيرية الداعية إلى تنصير العالم - أو محاولة ذلك على أقلّ تقدير - : مؤتمر (كلن آير) الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية في ولاية كولارادو ، وذلك من أجل دراسة مسؤوليات نصارى أمريكا الشمالية نحو العالم الإسلامي بالذات . فقد جاء في كتاب (التنصير خطة لغزو العالّم الإسلامي) عن هذا المؤتمر أنه قد تَمّ " اختيار المشاركين في المؤتمر من بين قطاع واسع من التقاليد الكنسية والتجارب التنصيرية والدوائر المهتمّة في مجال التدريب المتخصص ، والالتزام

---

(١) الحقيل ، المرجع السابق ، ص١١١ .
(٢) الحقيل ، المرجع السابق ، ص١١٣ .
(٣) سورة النساء : الآية (٨٩) .

بالعمل من أجل التنصير ، حيث انصبَّ اهتمام الجميع على مهمّة تنصير المسلمين "[1].

ولا شكّ أنّ هذه المؤتمرات يدعمها الإعلام بشركاته العملاقة ، كما تتدفق عليها الأموال والهبات بشكلٍ كبير .

كما أنه يواكب هذه المؤتمرات التنصيرية زخم سياسي فاعل ، تتمثل في العديد من القرارات الدولية المؤيدة لهذه المؤتمرات ، والتي تخرج من تحت مظلة الأمم المتحدة باسم الدعوة إلى التقريب بين الأديان أو الوحدة بين الأديان ، مثل : المؤتمر الذي دعت إليه الأمم المتحدة في هذا الصدد ، والمعروف باسم مؤتمر الأديان ، فقد جاء في مجلة البيان الخبر التالي : " في سابقة خطيرة ، وقبل القمة الألفية التي جمعت زعماء العالم ، عقد في الأمم المتحدة ما يسمى بمؤتمر الأديان ، وقد انطوى المؤتمر على دعوة كفرية انتهت بتوقيع زعماء العالم الدينيّين على أنّ كلّ الأديان سواء "[2]. وفي هذا تضليل سافر ، وتزييف للحقائق .

ومن هذه القنوات العولمية الفاعلة ، والتي تتخذ من الدين وسيلة لتبرير موقفها ؛ بعض المعاهد والكليات والجامعات ، ولعلّ من أهمّها ما يُعرف باسم (معهد قرطبة) ، فقد جاء في سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ، تقرير عن هذا المعهد ، إذ يقول جارودي عن دور هذا المعهد في تفعيل فكرة الإبراهيمية التي نادى بها مسبقاً والوحدة بين الأديان : " إن هذا المعهد سيكون له توجّهات عالمية لنشر تعاليم ونتاج الثقافات الثلاث : اليهودية ، والنصرانية ، والإسلامية "[3].

ومن هذه القنوات التي تغذي فكر العولمة في المجال الديني ؛ جماعة أمريكية تطلق على نفسها " الشباب المتديّن ، وهي جماعة أُنشئت في نيويورك ، وهي تمثّل إحدى حلقات محاولات وحدة الأديان ، وهي تخاطب الشباب . ومن شعاراتها التي ترفعها : من أجل عالَم يسوده السلام ، ومن أجل تآلف بين الأديان "[4].

---

(١) دار مارك ، التنصير خطّة لغزو العالَم الإسلامي ، ١٩٧٨م ، ص٤٥ .
(٢) الحقيل ، مرجع سابق ، ص١٢٧ .
(٣) ندوة حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية ، تقرير وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالكويت ، ١٩٨٧م ، ص١٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص١٠٠ .

والمتأمّل في هذه المؤتمرات واللقاءات والندوات وجميع أشكال القنوات السابقة ، سوف يلحظ أنها تلتقي مع ظاهرة العولمة في صميم هدفها ، وهو محاولة دمج البشرية في نموذج واحد أو متجانس إلى أبعد حَدّ على أقلّ تقدير . والمجال الديني مجال حيوي يسعى من خلاله صنّاع العولمة إلى إضفاء صفة القداسة على ما يقررون وما يصدرون ، بالإضافة إلى أن العولمة وإن كان محركها الأول هو الاقتصاد ، إلا أن رجال الاقتصاد المسيّرون لظاهرة العولمة لم ولن يتخلّوا عن خلفيتهم الدينية . وللتدليل على ذلك فإن أحد رؤساء البيت الأبيض كان منصراً ، وقام بدور تنصيري بعد خروجه من البيت الأبيض في إحدى دول شرق آسيا ، ولكن رغم ضخامة الجهد التنصيري المبذول من أجل دمج العالم في منظومة عقائدية نصرانية ، ورغم قتامة المستقبل في وجه الأجيال المسلمة في ظل زعامة العولمة ، إلا أن ما وعد الله به باقٍ ، ووعيده نافذ متحقق ، وهو القائل سبحانه : { كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }[١]، والقائل سبحانه : { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ }[٢].

هذا فيما يتعلق بالمجال الديني ، حيث حاول الباحث من خلال هذا الجزء من البحث أن يسلط شيئاً من الضوء على بعض هذه القنوات التي تمرر من خلالها فكرة ظاهرة العولمة .

أما المجال الآخر ، فهي القنوات الخاصة بحقوق الإنسان :

ثانياً : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

كانت نهاية الحرب العالمية الثانية فرصة لميلاد الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان ، وذلك في عام ١٩٤٥م ، وتَمّ عرض المشروع على الجمعية العامّة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٨م في باريس .

وعن مرجعية حقوق الإنسان التي وردت في هذا الإعلان ، يقول صاحب كتاب الثقافة والعولمة :

" يرى الفرنسيون - الغربيون - من جهة نظرهم أنّ هذه الحقوق تستمدّ مشروعيتها من مشروعية الحقّ باعتباره سِمة

(١) سورة المجادلة : الآية (٢١) .
(٢) سورة الصف : الآية (٨) .

لازمة للإنسان ، كما تستمدّ المشروعية من الإرادة الإنسانية إذا اجتمعت إرادة البشر ورغبتهم في احترام هذه الحقوق وصيانتها والمحافظة عليها . أما الجانب الإسلامي ، فقد ذهب إلى أن مشروعية هذه الحقوق ليست منحة من أحد ، لا من حقّ الفرد ولا من الإرادة البشرية ، وإنما تستمدّ مشروعيتها من الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي خلق الإنسان وأعطاه كافة الحقوق "[١] .

ولا شكّ في أنّ خالق الإنسان هو الذي له حقّ التشريع ، وما على بقية المخلوقين إلا الإذعان والتنفيذ ، وذلك لأنّ الحقوق الإنسانية بالمفهوم الإسلامي حقوق تراعي مصالح البشر كافة في كل زمان ومكان ، ولا تخضع لأهواء البشر وأمزجتهم المتقلبة ، فهي حقوق تمتاز بأن مصدرها رباني ، لذلك فهي تمتاز بالثبات والاستقرار والانسجام مع الفطرة السليمة .

لذلك لا بدّ من الإشارة هنا أنه بهذه المعطيات والخصائص التي تنفرد بها حقوق الإنسان في الإسلام لا مجال لمقارنتها مع ما أعدّه الغرب برجالاته من حقوقٍ أسموها حقوق الإنسان ، وكأنّ الإنسان وُلد وخُلق بدون أن يكون له حقوق وعليه واجبات ، مما يحتم على الثقافة الإسلامية وتربيتها أن تجذر الشعوب بهذا المبدأ الإسلامي ، وأن لا تقبل المساومة عليه ، أو حتى مجرّد عقد المقارنة ؛ لأنّه مقارنة حقوق الإنسان في الإسلام بما أسماه الغرب في إعلانهم السابق بحقوق الإنسان ، إنما هي مقارنة باطلة وزعمٌ زائف ، إذ كيف يسوغ مقارنة الحقّ بالباطل ؟!. فهذا - كما يقول علماء أصول الفقه - : قياس مع الفارق ، وهو قياس باطل .

ومما يثبت فساد هذه الحقوق التي تَمّ الإعلان عنها في عام ١٩٤٨م من على منبر الأمم المتحدة ، أن الدول التي شاركت في صياغة أو التوقيع على هذه الحقوق اضطربت مواقفها ، وتباينت وجهات نظرهم ، وكان لهم أربعة مواقف حيال هذه الحقوق التي أصدروها ، وهذا يكفي دليلاً على عدم جدوى هذه الحقوق ، وهذه المواقف التي راوحت آراء الدول حولها وتمحوَرت حولها كما يلي[٢] :

---

(١) حارب ، الثقافة والعولمة ، ٢٠٠٠م ، ص٣٢ .
(٢) الحقيل ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ١٤١٤هـ ، ص٧٨ .

١- يرى أصحاب هذا الرأي أنّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ملزمة قانوناً لكافة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، باعتبار أنه مكمّل لميثاق الأمم المتحدة .

٢- يرى أصحــاب هذا الرأي أن الإعلان يُعدّ مخالفاً لمبدأ سيادة الدول ، وخرقاً لهذا المبدأ .

٣- يرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّ حقوق الإنسان تخرج عن نطاق الاختصاص الداخلي للدولة ، وأن لها صفة دولية تدخل في اختصاص هيئة الأمم المتحدة .

٤- ينظر أصحاب هذا الرأي إلى أنّ الإعلان لحقوق الإنسان ليس إلا مجرد تصريح صادر عن الأمم المتحدة ، وأنه غير ملزم قانوناً .

إذاً ، ليس هناك اتفاق دولي ملزم على شرعية حقوق الإنسان الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة ، بل إنّ الأمر فيه سعة ، وراجع لمصلحة كلّ دولة حسبما تراه مناسباً لها . إلى هنا والأمر في شأن الحقوق الإنسانية بالمفهوم الغربي شأن داخلي ، حتى وإن أقرّت به ووقّعت الدول عليه ، فالإقرار بالشيء لا يعني ضرورة العمل به ، وهذا يشير إلى أن هذا الإعلان لم يدخل في مناخ العولمة ؛ لأنّه ما زال غير مندمج وغير متجانس وغير متوحّد عملياً ؛ لأنّ تفسيرات هذا الإعلان متعددة ومتباينة ، ولكن بحلول تاريخ " ٣١ كانون عام ١٩٩٢م ، عقدت قمة الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي من أجل تنشيط دور الأمم المتحدة ، فاقترح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (جورج بوش) تعديل ميثاق الأمم المتحدة من ناحية ممارسة حقوق الإنسان لكي تصبح من اختصاص الأمم المتحدة لا لكلّ دولة ، فوافقت جميع دول القمّة ، ما عدا الصين "[(١)] .

والذي دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى التقدّم بهذا الاقتراح ، إنما هو ما تراه في نفسها من كونها دولة عُظمَى وحيدة على الساحة ، وترى أنّ هذه الصفة تبرّر لها أن تكون قائدة ومتبنية لفكرة النظام العالمي الجديد ، والذي يعتبر من المترادفات الاصطلاحية لمفهوم العولمة . وهذا ما أكّده طراف ، حيث قال : " ومن الواضح أنّ الاقتراح الذي تقدّم به رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يقضي بإخراج حقوق الإنسان

---

(١) طراف ، أخطار البيئة والنظام الدولي ، ١٤١٨هـ ، ص٧٠ .

من مفهوم الشؤون الداخلية للدولة إلى الشؤون الدولية ، مما يشكّل معالم النظام الدولي الجديد "[١].

وهكذا أصبحت بنود هذا الإعلان بيد الدول الكبرى ، وعلى وجه التحديد الدولة صاحبة السيادة ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تملك توجيه هيئة الأمم حسبما تريد هي ، ولم يكن بيد الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة من حولٍ ولا قوّة إزاء هذا التدخّل الأمريكي السافر ، إلا أن يقدم تبريراً سطحياً ، بل وربما ساذجاً ، حيث قال : " إن المفهوم التقليدي للسيادة بات غير محقق لتطلعات الشعوب في التمتع بحرّياتها "[٢].

وبهذا يصبح إعلان حقوق الإنسان بالمفهوم الغربي - الأمريكي - ملزماً لمن تصل تصل إليهم رياح العولمة ؛ لأنّ أمريكا ستحاسب كل مَن قصّر في تنفيذ هذه الحقوق المتأمركة .

وقد تضمّن هذا الميثاق ثلاثين مادّة ، على الدول الأخذ بها وتفعيل العمل بها . وإن الناظر في بنود هذا الميثاق أو الإعلان لا يخالجه أدنى شكّ في أنها في جلها - إن لم نقل كلها - لا تتفق مع حقوق الإنسان التي جاءت بها شريعة الله ، بل إنها صَدٌّ عن دين الله ، وتشريع ما أنزل الله به من سلطان ، بل هو داخل في معنى قوله تعالى : { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى }[٣].

ثالثاً : المؤتمر الدولي للسكّان :

يزعم بعض خبراء علم الاجتماع أن الزيادة في عدد السكان في القرن الحالي سوف تسبب حالات من المجاعة المروّعة ، بل والمحطّمة لوجه الحضارة المعاصرة .

يقول جوليان هكسلي ؛ المدير العام لليونسكو عام ١٩٤٨م : " لا بدّ من تحقيق التوازن بين السكان والموارد الاقتصادية ، وإلاّ فعلى الحضارة الفناء "[٤].

وتستند هذه الدعوة إلى نظرية القس الإنجليزي (روبرت مالثوس) ، والتي تسمى نظريته بـ (المالثوسية) ، حيث وضع توماس روبرت

---

(١) طراف ، المرجع السابق ، ص٥١ .
(٢) محمود ، " مجلة الشاهد " ، مرجع سابق ، ص١٢٩ .
(٣) سورة النجم : الآية (٢٣) .
(٤) كالن ، عالم يفيض بسكانه ، ١٩٩٦م ، ص٧ .

مالثوس عام ١٧٦٦-١٨٣٤م نظريته في مقالة نشرها عام ١٧٩٨م بعنوان : (تزايد السكان وأثره في تقدّم المجتمع في المستقبل) .

يقول علي البار عن أثر هذه النظرية وما أحدثته : " لقد أثار الفزع بهذه النظرية التي يرى فيها أن السكان يزيدون بصورة متوالية هندسية (٢ ، ٤ ، ١٦ ، ٢٥٦ ...) ، بينما لا تزيد الموارد إلا على هيئة متوالية حسابية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ...) ، ولهذا فإنّ السكان - حسب رأيه - سوف يتضاعفون كل (٢٥) سنة ، بينما لن تزيد الموارد إلا بنسبة محدودة في هذه الفترة (٩%) فقط ، لذلك يرى واضع النظرية أنه إذا لم يكن هناك عوائق أمام ازدياد السكان ، فإنه لا بدّ أن يأتي يوم لا تفي فيه الموادّ بحاجات البشر "[١] .

وخروجاً من هذا المأزق الذي أوجدته نظرية مالثوس ، فقد اقترح الامتناع عن الزواج عن طريق الدعوة إلى الرهبنة النصرانية ، والتي حرّمها القرآن الكريم ؛ لأنّها بدعة مصادمة للفطرة ، كما طالبَ برفع سنّ الزواج ، وهذا أمر مخالف للشريعة الإسلامية الداعية إلى الإسراع في الزواج متى ما تحققت شروط القدرة عليه من جميع الأطراف المعنية .

ولقد جاءت الفرصة لتقنين هذه الاستنتاجات التي طرحتها نظرية مالثوس وتعميم العمل بما توصل إليه صاحبها ، وذلك إبان عقد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ، والذي عُقد في القاهرة في الفترة من ٥-١٣ سبتمبر ١٩٩٤م ، والذي قدّم برنامج عمل يحمل العديد من القضايا المصيرية ، زاعماً بأنّ العالم يتعرّض لأزمة سكانية حادّة تهدد بوجود مجاعات وكوارث دولية ناشئة عن هذه الزيادة المهولة في السكان في هذا العصر ، فهو إذاً ينطلق من معطيات ونتائج النظرية السابقة .

وعن القضية المهمة التي ناقشها المؤتمر ، يقول الحسيني : إنها تتركز حول " الربط بين زيادة السكان وبين الفقر ، واستحالة التنمية ، وأنّ الحدّ من النموّ السكاني هو الطريق الأمثل للتنمية وتحقيق الرفاه الاجتماعي والقضاء على الفقر . لذلك ترى الوثيقة أن السبيل إلى ذلك يتركز في "[٢]:

١- إباحة الإجهاض بأساليب ومسميات متعددة ، مثل : إنهاء الحمل

(١) البار ، الانفجار السكاني ، ١٤١٣هـ ، ص٢١ ، ٢٢ .
(٢) جاد ، مرجع سابق ، ص١٧ ، ١٨ .

... الحمل غير المرغوب فيه ، تخفيف عواقب الإجهاض[١] .

٢- تقديم المعلومات والثقافة الجنسية للمراهقين والمراهقات ، وإباحة الممارسات الجنسية ، وحقّ هؤلاء المراهقين والمراهقات في سرية الأمور وعدم انتهاكها من قِبل الأسرة .

٣- التشجيع على الممارسات الجنسية التي تقع خارج نطاق العلاقات الشرعية .

٤- إلغاء القوانين التي تحدّ من ممارسة الأفراد لنشاطهم الجنسي ، واعتبار أنّ ممارسة الجنس والإنجاب حرية شخصية ، وليست مسؤولية جماعية .

إن من المتناقضات الصارخة التي وقع فيها دعاة العولمة في هذا المؤتمر ، أنهم في الوقت الذي يشنّون حملة شعواء على الإنجاب ، وينادون بتحديد النسل ، نراهم يبيحون جميع أشكال الممارسات الجنسية الآثمة ! فهل يكون الزواج الشرعي وبناء الأُسَر وتربية الأبناء جريمة ، وممارسة العلاقات الجنسية بكلّ حرية عملاً مقبولاً ، ولا تثريب على فاعله ؟!!.

إنّ فعاليات هذا المؤتمر المذموم لم تقاطعه إلا بعض الدول ، ومنها : المملكة العربية السعودية ، بسبب أنها رأت في هذا المؤتمر هجمة شرسة على الدين والأخلاق والعفاف ، وهدم حدود الحياء ، وتَعَدٍّ على حدود الله . وهو ما أشار إليه وأكّده الحسيني ، إذ يقول : " إنّ الحقّ الذي لا مِراء فيه : أن وثيقة مؤتمر السكّان والتنمية المنعقد بالقاهرة أنها أعلنت الحرب على العفّة والأخلاق والشّرَف "[٢] .

كما أن هذا المؤتمر بتوصياته وقراراته قد أشعل سوق وسائل الإجهاض وحبوب منع الحمل بما يخدم مصالح أباطرة العولمة من أصحاب الشركات العملاقة ، الذين وجدوا في هذه القرارات التي تسلع القيَم وتتاجر بالشرَف والفضيلة ، فرصة للوصول إلى أكبر عدد من المستهلكين .

ولا شكّ أنّ الذين شاركوا في صياغة قرارات هذا المؤتمر لم يكن لهم

---

(١) أخذت هذه النقاط من نفس المرجع ، مع شيء من الاختصار .
(٢) جاد ، سلسلة كتاب الأمة ، عدد ٥٣ ، ١٤١٧هـ ، ص٥٥ .

نصيب من هدي القرآن الكريم ، والذي بيّن الله فيه أنّ خالق الأنفس لم يغفل عن رزقها بالقَدر الذي تحتاجه كل نفس . وفي هذا يقول الحقّ تبارك وتعالى : { اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ }[1] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : إنّ الله جلّ وعلا هو " الخالق الرازق لعباده ، ومقدّراً آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم ، فتفاوت بينهم ، فمنهم الغنيّ والفقير ، وهو العليم بما يصلح كلاًّ منهم ، ومَن يستحقّ الغِنى ممن يستحقّ الفقر "[2] .

وفي نفس السياق يقول تعالى مبيّناً أنه تكفل برزق كل نفس خلقها ، إذ يقول تعالى : { قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ }[3] .

إنّ هاتين الآيتين لتسكب في النفس البشرية الطمأنينة والسكون ؛ فيهدأ جزعها ، ويقلّ قلقها على مستقبلها وحاضرها .

ولكن إذا حدث خلل أو مجاعة فليس لأنّ الأنفس البشرية فاقت قدرات الرزق المقدّر لها ، بل لأنّ سوء استخدام الإنسان وجشعه هو الذي ولّد هذه المجاعات بسبب احتكاره لوسائل الإنتاج وللإنتاج ذاته مِن أجل إشباع نهمهُ المادّي الذي جعله لا يرى إلا نفسه ، ولديه استعداد أن يضحي بالآخرين . وهو منطق الرأسمالية التي تتقدم به ظاهرة العولمة المعاصرة . فالعيب والخلل إذاً في مبدأ الرأسمالية القائم على إعلاء شأن الملكية الفردية على حساب الملكية الجماعية .

يقول زيد في مجلّة الثقافة العالمية : " ليست المشكلة هي الإنتاج ، إن المشكلة هي التوزيع "[4] . ولا شكّ أنّ منهج الإسلام هو المنهج الأمثل الذي يجمع بين إقرار الملكية الفردية والجماعية .

رابعاً : مؤتمرات من أجل عولمة وضع المرأة :

من الملاحظ أنه توالت في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الذي

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٢) .
(٢) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٤٦٣ .
(٣) سورة فصلت : الآيتان (٩ ، ١٠) .
(٤) زيد ، مجلة الثقافة العالمية ، الطعام لسكان هذا الكوكب ، عدد ٩٦ ، سبتمبر ١٩٩٩م ، ص٨٩ .

يليه ؛ المؤتمرات العالمية التي تتعلق بشأن المرأة في العالم . ولا ريب في أنّ هذا الاهتمام الدولي المعاصر بقضايا المرأة لم يزد عن كونه امتداد لحركات التمرّد - التحرر - النسائية ، والتي ترمي بجذورها إلى أصول غربية . وعلى هذا تكوّنت الشبكات والتحالفات النسائية ، وكان أول اجتماع لهنّ عُقِد في (كوبنهاجن) في ٨ مارس ١٩٠٨م ، ومنذ ذلك الوقت أصبح ذلك اليوم يوماً عالمياً للمرأة ، بل وأصبح لهنّ وجود فاعل في الهيئات الدولية ، مثل : هيئة الأمم المتحدة ، فقد أنشئت في عام ١٩٤٦م لجنة مركزية في هذه المنظمة تهدف إلى عمل مسوّدات وتوصيات وتقارير خاصة بالمرأة في أنحاء العالم . وفي عام ١٩٥٢م إقرار الجمعية العامّة للأمم المتحدة للاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة . وفي عام ١٩٦٧م صدرَ الإعلان العالمي الخاصّ بالقضاء على التمييز ضدّ المرأة . وفي عام ١٩٧٤م عُقد المؤتمر العالمي الأول للسكان في (بوخارست) . وجميع مؤتمرات السكان تحاول معالجة وضع المرأة والأسرة ...

وفي عام ١٩٧٥م عُقد أول مؤتمر دولي للمرأة في (مكسيكوستي) بالمكسيك ، تحت شعار (المرأة المساواة والتنمية والسِّلم) . وفي عام ١٩٧٩م توقيع اتفاقية القضاء على كافّة أشكال التمييز ضدّ المرأة . ومِن موادّ هذه الاتفاقية : الاعتراف بتساوي الرجُل والمرأة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية ...

في عام ١٩٨٠م عُقد المؤتمر الدولي الثاني عن المرأة في (كوبنهاجن) بالدانمارك . وفي عام ١٩٨٤م عُقد المؤتمر العالمي الثاني للسكان في المكسيك . وفي عام ١٩٨٥م عُقد المؤتمر الثالث عن المرأة في (نيروبي) بكينيا ، والذي شدّد في توصياته على أهداف وغايات العقد الأممي للمرأة وأهميتها في العقد القادم ١٩٨٦-١٩٩٥م .

في عام ١٩٩٤م عُقد المؤتمر الدولي الثالث للسكان والتنمية في القاهرة . ومما لفتَ الانتباه في قرارات هذا المؤتمر بالذات : الدعوة إلى حرّية الجنس للمرأة ، وإعادة صياغة وحدة المجتمع الأساسية من الأسرة إلى العلاقة بين أيّ طرفين ، ونادوا بقانونية الإجهاض ، وإن لم يكن هناك مبرّرات شرعية أو طبّية . ومما يلفت الانتباه : هو اختيار بلد إسلامي عريق ليستظلّ تحته هذا المؤتمر المتآمر على المرأة ، وبالذات منها المرأة المسلمة . وقد قاطعت المملكة العربية السعودية هذا المؤتمر ؛ لِما

فيه من تَحدٍّ سافرٍ لشرع الله ، وخروج عن المألوف من العادات والقيَم الشرعية الإسلامية الأخلاقية ، ولِما فيه من هتك للحياء والعفّة ..

ثم جاءت قاصمة الظهر في المؤتمر العالمي الرابع للمرأة ، والذي عُقد في بكين ، وقد كان من قرارات وتوصيات هذا المؤتمر النقاط التالية :

- المرأة والتعليم : وفيه التأكيد على التعليم المختلط غير القائم على التمييز ، من أجل إثارة الغرائز الكامنة .
- المرأة والصحة : وفيه تشديد على الحرية الجنسية ، وإتاحة موانع للحمل ، وتشريع للإجهاض .
- المرأة وحقوق الإنسان : وتحت هذا المحور أكّد المؤتمر على ضرورة الكفّ عمّا أسموه : النظر للمرأة كجنس ، وأوصى المؤتمرون بالانتقال إلى استخدام كلمة (جندر) أو نوع التي تتحدث عن الجنس البشري عامّة دون وصف الأنوثة أو الذكورة . والهدف من هذا المحور هو الإشارة إلى تكوين الأُسَر المثلية باعتبار أنّ كـلاً من الطـرفين لديه القدرة على القيام بكلّ الأدوار ، وهو - لا شكّ - تحطيم للأسرة الفطرية التي جعلها الله قائمة بين الذكر والأنثى ، وتسفل إلى أحطّ درجات الانحطاط الأخلاقي ، وذلك بتكوين الأُسَر المثلية المتكوّنة من ذكرين أو أنثيين ، وهو إجراء مصادم للفطرة ، وانتكاس إلى حمأة الرذيلة التي تترفع عنها البهائم .

ومما يؤيد خطورة هذا المؤتمر على الفضيلة والدين ، ما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من بيان حول هذا المؤتمر ، والذي جاء فيه : " يُعدّ حلقة من سلسلة حلقات متصلة ترمي إلى ابتداع نمط جديد من الحياة ، يتعارض مع القيم الدينية ، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة دون التفات إلى أنّ هذه القيَم والحواجز والتقاليد هي التي حمت شعوباً ودولاً كثيرة من التردّي في هوّة الفساد الجنسي ، والسقوط في حومة الاضطراب النفسي ومستنقع الانحلال الخُلقي "(١) .

---

(١) مجلة الأزهر ، عدد ١١٥٦٠٢ ، ربيع الآخر ١٤١٦هـ ، ص٦٨ .

وهنا يلتقي هذا المؤتمر وما شاكله مع ظاهرة العولمة في السعي إلى إزالة كلّ الحدود والحواجز والعقبات الأخلاقية والدينية والسياسية بغية فرض نظام عالمي جديد يتّسم بالتوحّد والاندماج ؛ لأنّ من أهداف هذه المؤتمرات المشبوهة : تعميم النموذج الغربي للمرأة ، وإلزام الدول في التسريع بالعمل من أجل تنفيذ هذه القرارات بين شعوبها ، وإلا صنفت هذه الدول المتحفظة والمحافظة على هويتها ، والتي قاطعت هذه المؤتمرات ضمن قائمة الدول الرجعية أو الراديكالية المتخلفة ، بل ربما وصفت هذه الدول التي لم تستجب لقرارات هذه المؤتمرات - وبالذات الأخير منها - بأنها تمارس نوعاً من الإرهاب الفكري ، واتّهمت بمصادرة الحريات والتطرّف ...

والحقيقة التي لا مراء فيها ، أنّ جميع هذه المؤتمرات السابقة واللاحقة المتعلقة بشأن المرأة ، أنها دعوة إلى التمرّد على حدود الفضيلة والحياء ، بل إنها تسييب وتنظيم للإباحية المطلقة .

يقول إدريس هاني : " لا أحد يشكّ في أن التحرر الذي جاء عن بلاد الغرب لم يقدّم للمرأة العربية سوى جسارة على هتك أستار الحشمة والإخلال بأنوثتها "(١) .

ويرى الباحث أنّ هذه المؤتمرات المتعلقة بالمرأة إنما تستند إلى نظرية (فرويد) الإباحية ؛ لأنّ مضمون هذه المؤتمرات يتمحور حول إطلاق العنان للممارسة الجنسية بكلّ أشكالها الفطرية منها واللافطرية . إنها ثورة على القيَم والمبادئ ، وحرب على التقاليد الدينية والاجتماعية ، وتحطيم متعمّد لكل حَدّ من شرع أو عُرف أو فضيلة . وهذا ما أشار إليه محمد قطب عند حديثه عن نظرية (فرويد) ، حيث قال عن فرويد : " إنّ الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي ، وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمّر لطاقات الإنسان ، وهو كبت غير مشروع "(٢) .

ويؤيّد هذا عبد الرحمن الميداني ، ناقداً لهذه النظرية الآثمة الداعية إلى التأكيد على جعل قيمة الإنسان إنما تتحقق بإشباع حاجاته الجنسية فقط ، فالحياة في ظلّ هذه النظرية هي من أجل الجنس وجميع العلاقات

---

(١) هاني ، العرب والغرب أية علاقة أي رهان ؟. ١٩٩٨م ، ص٢٧٤ .
(٢) قطب : محمد ، جاهلية القرن العشرين ، ١٩٨١م ، ص١٥٧ .

الإنسانية الخاصة منها والعامّة ، إنما يعزوها صاحب النظرية إلى غريزة الجنس ، فهي بمثابة حرب على الفضيلة والحياء ، حيث بيّن الميداني أنّ أساس هذه النظرية يقوم على " الإلحاد بالله وإنكار الغيبيات ، وكذلك الإباحية الجنسية ، وحثّ الإنسان على ممارسة رغباته الجنسية بحرية تامّة ، لا تقف أمامها قيود دينية أو أخلاقية أو عادات وتقاليد اجتماعية ، أو أية ضغوط من أيّة جهة كانت "[(١)].

والمتأمّل في مضامين وقرارات وتوصيات هذه المؤتمرات ، سوف يجد أنها تطبيق عملي لهذه النظرية ولأسسها ، وتعميم الأخذ بها بشكلٍ أممي .

ولا شكّ أن التطبيقات العملية لهذه القرارات أشهر مِن أن تُذكر ، وأوضح من أن توصَف ، وأكبر مِن أن تُحصى ، خاصة في الدول الغربية . وسرت لوثة هذه القرارات إلى بعض الدول المستغربة ، وكم تصدّرت الصحف أخبار الشواذّ وتنظيماتهم من الذكور والإناث ، ونقلت بعض طقوس هؤلاء الشواذّ على الهواء مباشرة عبر وسائل الإعلام ؛ اللسان الناطق للعولمة ، بغية الترويج لمثل هذه الأعمال الإباحية التي حيكت حبائلها في هذه المؤتمرات الساقطة ، وأشهرتها وسائل الإعلام دون الشعور بغضاضة أو ذنب ، كما صرّح بذلك وزير الزراعة الإيطالي (الفونسو بيكو راروسكانير) علناً من أنه يقيم علاقات جنسية مع الجنسين ، وقال لعدد من الصحف الإيطالية : " لستُ أعترف بذنبٍ ما ، ولا أشعر بأدنى خجل وأنا أُطالب بأن يتمتّع الجميع بحرية ... وهذه الحرية أنا أمارسها "[(٢)].

إنّ خلاصة هذه القنوات الساقطة ، ما هي إلا تطوير وتقنين وعولمة لِما كان عليه قوم لوط من خُبث الطويّة وشنيع الفاحشة يؤدي - كما يقول إدريس هاني - إلى " تعهر الثقافات والمجتمعات "[(٣)].

وهذه نتيجة طبيعية ومنطقية لكلّ صوَر المُجون والانحلال الخُلقي ، والذي يروِّج له صنّاع العولمة ، ويغررون به البشرية عبر بعض وسائل الإعلام التي امتهنت الإجرام الجنسي وتواطأت على نشره .

---

(١) الميداني ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ١٤٠٥هـ ، ص٢٩٢ .
(٢) قطامش ، مجلة البيان ، عدد ١٥٣ ، ص١١٨ .
(٣) هاني ، العرب والغرب أية علاقة أي رهان ؟. ١٩٩٨م ، ص٢٧٥ .

ومما يؤكّد أن هناك علاقة حميمة بين العولمة كظاهرة اجتماعية ، وبين هذا التفلّت الأخلاقي ، هو أنّ صنّاع العولمة ما فتئوا يُذكّرون بأهمية الديمقراطية والحياة الشاملة في ظلّها ، ومن تلك الديمقراطيات التي يرغب صنّاع العولمة تقديمها : المساواة في كلِّ شيء ، حتى في المجال الجنسي ، وهذا ما أكّده صاحب كتاب (العولمة ، كيف تعيد صياغة حياتنا) ، حيث قال : " إنّ المساواة الجنسية ليست مجرّد مبدأ جوهري بالنسبة للديمقراطية ، إنها ذات أهمية بالنسبة للسعادة وإشباع الذات "(١).

بهذا التسطيح الفكري يُصوِّرون السعادة ، ويحصرها تجار الغرائز في نزوة جنسية عابرة . وصدَقَ الحقّ إذ يقول : { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ }(٢).

ويُخشى أن يكون هذا الإسفاف المبتذل ، والذي تتزعّمه قوى العولمة ، وعلى أرقى المستويات ، لدرجة أنه أصبح يُشاد بالشواذّ من الجنسين ، ويقدّرون حتى من علية القوم في بعض تلك الدول الغربية ، بل إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق (بل كلينتون) كان قد استقبل في مقرّ الزعامة الأمريكية حفنة من هؤلاء الشواذّ احتفاءً بهم ، ورضاءً بما هم عليه .

يُخشى أن تكون هذه بداية النهاية لحضارة قامت وتقوم على الإسفاف والخنا والدعارة الفاضحة ، كيف لا وقد قال الحقّ تبارك وتعالى عن إمكانية ذلك : { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً }(٣).

إننا ـ كمسلمين ـ لسنا ضدّ إعطاء المرأة حقوقها ، بل نطالب بذلك ونؤكّد عليه ، امتثالاً لقول الحقّ تبارك وتعالى : { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ }(٤).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : " أي ولهنّ من الحقّ مثل ما للرجال عليهنّ ، فليُؤَدِّ كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف

(١) جيدنز ، عالم منفلت ـ كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا ، ٢٠٠٠م ، ص٧٧ .
(٢) سورة الحجر : الآية (٧٢) .
(٣) سورة الإسراء : الآية (١٦) .
(٤) سورة البقرة : الآية (٢٢٨) .

"[1].

ولكن هذه الحقوق لا تسلب المرأة طبيعتها ، بل حقوق مُراعى فيها الطبيعة الأنثوية وقدراتها التي تعمل في نطاقها ، فلا شكّ أنّ الإسلام - وهو الدين المنزّل من ربّ الناس خالق الناس ذكرهم وأنثاهم - منح المرأة الحقوق المناسبة لها ، وكلّفها من الأعمال ما يليق بها ويلائم أنوثتها ، ويحفظ شرفها . ولكن صنّاع العولمة أرادوا من وراء الحقوق التي قالوا إنها للمرأة ؛ المتاجرة بجسد المرأة ، وتسليع شرفها .

خامساً : قنوات العولمة الفكرية :

غنيّ عن الإعادة والتذكير أن نشير إلى أهمية الاقتصاد وما يمثله في ظاهرة العولمة من حيث كونه العمود الفقري للظاهرة ، فمن هذا المنطلق راحَ صنّاع العولمة في البحث عن كلّ السُّبل والوسائل التي يمكن لهم من خلالها زيادة الأرباح وفتح الأسواق والهيمنة عليها ، لذا وجدوا في حقوق الملكية الفكرية ساحة خصبة لإدرار الربح والمتاجرة بالأفكار واحتكار المعلومات والمساومة عليها من أجل الحصول على بعض الامتيازات السياسية أو الاقتصادية ... ويقصد بالملكية الفكرية وحقوقها " مجموعة الضوابط التي تنظم حقوق المؤلف للأعمال الفنية والأدبية وما يشابهها من إبداعات ، وحقوق الملكية الصناعية بما تشمله من براءات الاختراع والتصميمات الصناعية والعلامات التجارية ، بحيث تضمن هذه الضوابط احتفاظ صاحب الحقّ أو الإبداع ، سواء كان فنياً أو أدبياً أو صناعياً بكافّة الحقوق المتعلقة باستغلال الآخرين لهذا الإبداع "[2].

إلى هنا والأمر مقبول ، فهو مشروع لحماية أعمال الآخرين وأفكارهم من السرقة ، وهذا إيجابية ومنقبة حسنة . وقد عقد من أجل ذلك العديد من الاتفاقات الدولية ، مثل : " اتفاقية باريس لحقوق الملكية الصناعية عام ١٨٨٣م ، ثم اتفاقية (برن) للمصنفات الفنية والأدبية في عام ١٨٨٦م ، ثم الاتفاقية الدولية لإنشاء المنظمة العالمية للملكية الفكرية عام ١٩٧٦م ، ثم تحوّلت هذه المنظمة إلى إحدى الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة ، وهي المنظمة التي تضمّ في عضويتها حالياً (١٧٤) دولة عضو ، وتشرف على (١٢٣) اتفاقية دولية تتناول حقوق الملكية بمختلف

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٩٠ .
(٢) المجدوب ، الجات ومصر والبلدان العربية ، ١٤١٦هـ ، ص١٤٣ .

جوانبها وإجراءاتها "[1].

وبدخول هذه المنظمة تحت مظلة الأمم المتحدة ، أصبحت ضمن الأنشطة التي يجب عولمتها . ومن آخر هذه الاتفاقيات التي تدور حول حقوق الملكية الفكرية : " اتفاقية التنظيم التجاري الدولي لحقوق الملكية الفكرية ، المعروفة باسم اتفاقية (**Trips**) . وقد وضعت هذه الاتفاقية الحدّ الأدنى من المقاييس الدولية لحماية المعرفة العلمية وحماية حقوق الطبع والنشر والعلامات التجارية والبيانات الجغرافية والتصاميم الصناعية ، وحقوق براءة الاختراع "[2].

ولكن يبقى شيء يجب التنبيه إليه ، وهو إذا كان حفظ الحقوق شيء حسن ويُشكر عمله لمن قام عليه ، فإنّ ذلك شيء ، واحتكار العمل أو احتكار المعرفة تحت مسمى حفظ الحقوق مذمّة وسلبية لا ينبغي التورُّط في مثل هذا العمل أو التوجّه إليه ، لاسيما وأنّ الشواهد الواقعية تشير إلى أن اتفاقيات حفظ الحقوق الفكرية استخدمت من أجل خنق أصحابها ، وتركيع المحتاجين إليها ؛ لينصاعوا إلى إملاءات ملاّك هذه الحقوق ، وهم - في الغالب - أصحاب الشركات العملاقة . وهو ما أشار إليه عبد الكريم بكار بقوله : " إن اتفاقيات الملكية الفكرية سوف تحرم الدول النامية عامّة حقّها في الحصول على المعرفة التقنية ، ومن إجراء كثير من البحوث العلمية والمعرفية ، مما يساهم في تعميق الفجوة التقنية ، نظراً لأنها لا تستطيع دفع ثمن الحصول على أسرار المنتجات التقنية ، نتيجة زيادة أسعارها بعد إطلاق صاحب البراءة وإعطائه قوة احتكارية مطلقة في مجال التصنيع والاستغلال التجاري "[3].

إنّ من الآثار التي من المتوقع أن يتعرض لها العالم النامي أو العالم الثالث والعالم العربي والإسلامي جزء منه ، هو أنّ هذه الدول النامية سوف تقع فريسة أمام أصحاب الشركات المحتكِرة للمعرفة ، كما أنّ من آثار ذلك ، أنّ ذلك سوف يؤدي إلى مزيد من التبعية الثقافية والفكرية للسيد الغربي ، فلن يقدّم خدمة فكرية إلا وقد تنازل المحتاج عن شيء من قيمهِ الوطنية أو الاقتصادية أو ثرواته أو جزء منها .

---

(١) المجدوب ، المرجع السابق ، ص١٤٤ .

(٢) مثنى ، الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية على التجارة الخارجية والدول النامية ، ٢٠٠٠م ، ص١٠٠ .

(٣) بكار ، العولمة طبيعتها وسائلها تحدّياتها ، ١٤٢١هـ ، ص١٠٠ .

فالمحتاج عليه أن يدفع ثمن ما يحتاج إليه ، وهو منطق الإمبريالية الرأسمالية ، والتي تستظلّ بها ظاهرة العولمة .

❍ ❍ ❍

المبحث الخامس : اختزال بعض القيم الثقافية في عصر العولمة :

لقد أصابت حُمّى الدمج والتوحّد وصَهر النماذج في بوتقة واحدة تتسم بالتوحّد والتجانس ؛ الغربَ لكونه القائد والمسير لظاهرة العولمة ، مما نتج عنه اختزال بعض القيَم والمفاهيم الثقافية ، وانتقلت الآثار من التنظير والتقعيد إلى مرحلة أخطر ، وهي مرحلة الممارسة الواقعية قولاً وعملاً .

ومن تلك المظاهر الاختزالية التي يمارسها الغرب ، ويطمح أن يجذر الشعور بها ، وأن يفعّل الأخذ بها إقناعاً أو تضليلاً والتفافاً ، وأن يرحّل هذا التوجّه إلى كل شعوب الأرض .

أولاً : التمركز حول الذات ، بمعنى إعلاء وتعظيم الذات الغربية فقط ، وتهميش بقية الذوات الأخرى .

ثانياً : التمركز حول المعرفة المادّية للعلم .

ثالثاً : التمركز حول الدور الشعائري للدين ، وفصله عن واقع الحياة .

لعلّ هذه أبرز مظاهر التمركز ، والتي تمثل في حقيقتها اختزالات تعسفية آحادية مبتسرة لبعض المفاهيم والتطبيقات الثقافية ، والتي يرى الباحث أنها يمكن أن تتماسّ مع طبيعة هذه الدراسة .

وتفصيلاً لِما أجمل سابقاً سيبدأ الباحث بالحديث عن المختزل الأول ، وهو :

أولاً : التمركز حول الذات :

مما لا شكّ فيه أن كل الثقافات من حقّها أن تعبر عن ذاتها وتتمحور حول نفسها بغية الإحساس بالتميز والتفريق بين (الأنا) و(الآخر) ، خاصة في أوج وازدهار كل ثقافة ، ولكن ليس من حقّ أيّ ثقافة أن تختزل الثقافات الأخرى في جعبتها فقط ، وأن تنظر إلى بقية الثقافات نظرة دونية استعلائية ؛ لأنّ هذا يمثل إقصاء وإلغاء لِحقّ التعددية الثقافية .

ولكن يلاحظ أنه منذ أن أخذت ظاهرة العولمة في التجسد والبروز بعد انهيار الكتلة الشرقية - الشيوعية - ، وانتهاء الحرب الباردة ، صاحبَ ذلك البروز لظاهرة العولمة تمركز عرقي غربي يشير إلى توجّه

عنصري يخبئه مُسيّرو ظاهرة العولمة . وهذا ما يؤكّد عليه حسن حنفي ، فيقول عن هذا التوجّه - الذي تفتعل مكوناته في أحشاء ظاهرة العولمة - : " إنّ العولمة هي أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية الأوربية في العصر الحديث "[١].

ولا شكّ أن هذا الشعور بالاستعلاء نظرة متجذرة بعيدة الأغوار في الفكر الغربي ، والذي يغذي ظاهرة العولمة المعاصرة ، ويشكل النفسية الغربية القائدة لهذه الظاهرة . فعن جذور هذا التمركز العنصري الغربي في ظاهرة العولمة يقول عبد الله إبراهيم : " اقترنت ولادة الغرب الحديث بظاهرة التأصيل العرقي ، أي القول بوجود طبائع محددة ، وخاصة تقف سبباً وراء الحضارة الغربية الحديثة "[٢].

وعلى أثر ذلك ظهرت نظرية العرق القائلة " بتفوّق الجنس الآري "[٣] على بقية الأجناس . والحقيقة أنّ هذه النظرية وما أدّت إليه إنما تستقي معطياتها من أسطورة دينية ترى هذه الأسطورة بأنّ الجنس الأري هو الجنس ذو الشخصية الاعتبارية ؛ لكونه - بزعمهم - " محمّل بجميع الفضائل التي ينبغي على الآخرين السعي لنيلها "[٤].

وبهذه الخلفية الأيديولوجية الإسقاطية ، أصبح الجنس الأري - والذي تمتدّ إليه جذور الحضارة الغربية قائدة العولمة - النموذج الذي يجب أن يُحتذى ، وينضوي تحت راية ثقافته جميع ثقافات الشعوب الأخرى . وبذلك تكون هذه الخرافة الإسقاطية أوحت إلى معتنقيها بهذه النزعة العنصرية ، ومهّدت - كذلك - نظرية العرق الأري للغرب اليوم شرعية الهيمنة على العالم ، وترحيل أنماط الحياة الغربية إلى كل صقع بعد أن تكون هذه الخلفية الفكرية والعقائدية قد قدّمت لصنّاع العولمة تبريراً ذا مرجعية دينية وصِبغة عنصرية .

هذا عن الخلفية الفكرية . أما التبرير الثاني ، فهو المتمثل في الجذور التاريخية لمقولة التفوق الأري العنصري ، فيقول محمد أسد : " كانت الفكرة التي تقوم عليها الإمبروطورية الرومانية هي الاجتياح بالقوة

(١) حنفي ، ما العولمة ؟. ١٤٢١هـ ، ص٤٤ .
(٢) إبراهيم ، المركزية الغربية إشكالية التكوين والتمركز حول الذات ، ١٩٩٧م ، ص٢٢٩ .
(٣) إبراهيم ، المرجع السابق ، ص٢٣٠ .
(٤) إبراهيم ، المرجع السابق ، ص٢٣٠ .

واستغلال الأقوام الآخرين لفائدة الوطن الأمّ ، وفي سبيل الترفيه عن فئة ممتازة لم يَرَ الرومانيون في عنفهم سوءاً ولا في ظلمهم انحطاطاً ، وأن العدل الروماني الشهير كان عدلاً للرومانيين وحدهم "[١].

والمتأمّل في الواقع البشري في ظلّ الهيمنة الغربية على مظاهر الحياة ، يلمح بجلاء سريان هذه الروح العنصرية الغربية خاصة في عصر العولمة ، حيث جعل الغرب من هذه الظاهرة ومن مبدأ الشعور بالتفوق التقني والعرقي ... جعل من هذه الظاهرة فرصة من أجل الهيمنة على مقدرات الشعوب ، وافتتاح أسواق عالمية تروّج لاستهلاك ثقافة وإفرازات ظاهرة العولمة القائمة على إقصاء كل شيء محلّي غير غربي والحلول محله ، مما يعني اختراقاً سافراً للهويات الثقافية لسائر الشعوب ، الأمر الذي تمتدّ خطورته إلى منظومة التراث الثقافي لبقية الأمم ، مما يجعلها عُرضة للاندثار والإلغاء .

يقول هاني يحيى : " إن إلغاء أي تراث تتمسك به أمّة من الأمم هو الخطوة الأولى لإلغاء وجودها "[٢].

ويؤكّد امتداد الشعور بالأنفة العرقية لدى الغربيين اليوم ؛ شمس الدين الكيلاني ، إذ يقول : " فمنذ أن استشعرت أوربا بتفوّقها وقدرتها على التحكّم بمصير الآخرين ، أكّدت لنفسها وللعالم بالأفعال والأقوال أنّ مبادئ القانون الدولي لا تطبق خارج أوربا ... وأن ليس على الشعوب الأوربية التزامات خُلقية عند معاملة الشعوب الآسيوية "[٣]. وهذه صورة متطرّفة جداً في التعنصر للعرق بمبررات غير واقعية وغير منطقية أيضاً ، إذ كيف يمكن أن لا يكون الحقّ حقاً إلا إذا وافق المصالح الغربية فقط ؟!!.

وقد نتج عن خلفية هذه المبررات الفكرية والعقائدية والتاريخية الداعية إلى التمركز حول الذات الغربية والحضارة الغربية ، والادّعاء بأنّ هذه الحضارة بكلّ جوانبها وأشكالها هي النموذج الفريد الذي يجب أن يأخذ به كلّ الناس ، نتج عن ذلك نظريات جديدة تؤيّد ما قالت به النظريات السابقة ، وتمهّد الطريق من أجل تبرير ظاهرة العولمة المعاصرة .

---

(١) أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ١٩٩٧م ، ص٣٨ .
(٢) نصري ، ذهنية الإلغاء ، ١٩٩٨م ، ص١٤ .
(٣) الكيلاني ، مجلة الآداب ، عدد ٤/٣ ، عام ٢٠٠٠م ، ص٥٨ .

ومن أهمّ هذه النظريات ، ما عُرف باسم (نظرية نهاية التاريخ والإنسان الأخير) ، للمفكر الياباني الأصل والأمريكي الجنسية (فوكوياما) . كذلك نظرية (صموئيل هانتيجتون) المعروفة باسم (صدام الحضارات) ، وكلتا النظريّتين تصبّان في خدمة العولمة والترويج - بل والتبرير - لها ؛ لإلغاء كل أنماط الثقافات الأخرى . حيث يرى صاحب النظرية الأولى " أن التاريخ قد انتهى لحساب القوى الرأسمالية والليبرالية الديمقراطية واقتصاد السوق الحرّ ، وأنّ هذا ما يفرضه منطق العلوم الطبيعية الحديثة بعد أن أخفقت كل أشكال الحكم السابقة ، لاسيما الشيوعية ، ووصل العالم بأسره إلى ما يشبه الإجماع بأن الليبرالية الرأسمالية الديمقراطية هي النظام الصالح للحكم "[(١)]. ولكن عند التأمل في هذه النظرية يظهر بجلاء مدى الاختزال المتعمّد الذي تبنّاه واضع النظرية ، حيث إنه يحكم حكماً متسرعاً بفشل كل الأنظمة السابقة ، وبالذات النظام الشيوعي ، ليدعي بأنه لم يعُد هناك مناص من الرضوخ والقبول بالنظام الرأسمالي الديمقراطي ، والذي تتبناه ظاهرة العولمة .

فهو يريد أن يقول أن الواقع يشهد بعد سقوط الشيوعية فراغاً دستورياً ، ولا يملأ هذا الفراغ إلا النظام الرأسمالي .

ولكن كيف يمكن إقناع الناس بصلاحية هذا الوافد من أنظمة الحكم والاقتصاد ... المبني على أقصدة كل مناحي الحياة ، وهو النظام الرأسمالي الحرّ ؟!!.

لقد كان من المفروض أن يقنع واضع النظرية الناسَ بأن الدليل على صلاحية النظام الرأسمالي هو الواقع الذي لمسه الناس ، وأكّد لهم أن هذا النظام الرأسمالي هو أفضل النظم أو النظام الأخير الذي أثبت نجاحه على أرض الواقع ، والذي لا يقبلون عنه بديلاً . ويجعل من الواقع خير شاهد على صدق نظريته . هذا ما كان من المفروض أن يلجأ إليه (فوكويوما) ، وهو مهندس نظرية نهاية التاريخ .

ولكن صاحب النظرية عَكَس الوضع ، حيث إنه انطلق لإثبات نظريته من الواقع المُعاش بعد هروب وانهزام الشيوعية ؛ ليعلن أنّ البديل الصالح - والذي يملأ الفراغ الذي أحدثه سقوط الشيوعية - هو النظام الرأسمالي الليبرالي ، فهو - كما يزعم - أعلى ما توصّل إليه الجُهد

---

(١) القرضاوي ، المسلمون والعولمة ، ١٤٢١هـ ، ص١٠٨ .

الإنساني ، وأنه النظام الذي كان العالم ينتظر مجيئه . أمَا وقد جاء دور هذا النظام ، فقد توقف التاريخ ، وبذلك يكون هذا النظام حاكماً للعالَم ، ولتكن ثقافته سائدة ومهيمنة ، فهو يقول : " سوف لا يبقى في نهاية التاريخ أيّ منافس حقيقي للديمقراطية الليبرالية "[(١)].

ولا شكّ أنّ هذا أسلوب متسرّع مقتضب لقراءة الأحداث قراءة متأنية قبل التسرّع في طرح نظرية ، كما أن مما يثبت فشل النظرية السابقة التي تبرع بها (فوكوياما) هو الواقع نفسه الذي استشهد به ، فها هي المجتمعات الغربية تكتوي بنيران الرأسمالية الغربية . يظهر ذلك من خلال المشاهدات لطوابير البطالة المتضخّمة في المجتمعات الغربية ، وغير ذلك من صوَر الفشل الذريع الذي تعاني منه المجتمعات الغربية وغير الغربية التي أخذت بسياسة السوق .

كما أن من أدلة سقوط هذه النظرية ، أن الفشل الذي منيت به الشيوعية لا يعني أنّ كل النظم الاقتصادية الأخرى فاشلة ، فهناك النظام الإسلامي الذي يمثل منهج حياة متكامل في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ... لم يأخذ دوره ، بل لم ولن يسمح له الغرب بذلك ، فكيف يحكم بعدم جدواه ؟!. إنه النظام الذي ستلجأ إليه البشرية مرغمة بعد أن تكون الرأسمالية قد تآكلت وأفلست ، كما هو واقعها . ولكنّ روح الاستعلاء الغربي - والمشوبة بنفسية حانقة على الإسلام - تعمّدت وتتعمّد إخفاء معالم هذا النظام والحيلولة دون أن يُمنح دوره في حياة الناس ليشكلها وفق شرع الله . وهذا غاية التمركز والاختزال ، والذي تمارسه قوى العولمة اليوم ضدّ الإسلام ؛ لعلمها أنّ الإسلام سيقيم الحدود الشرعية أمام الركض والتكالب المحموم على رأس المال الذي تعست بسببه الأمم والشعوب في ظلّ الشيوعية ، وسوف تزداد تعاستها به في ظلّ نظام السوق المفتوح ، والذي تتبناه العولمة اليوم .

أما النظرية الثانية ، والتي كانت بمثابة نقد لنظرية (فرانسيس فوكوياما)
السابقة ، فهي النظرية التي تمخّض عنها ذهن المفكر اليهودي المعتقد ، والأمريكي التجنس (صموئيل هانتيجتون) ، حيث يرى صاحب هذه الأطروحة أنّ

---

(١) فوكوياما ، نهاية التاريخ والإنسان الأخير ، د.ت ، ص٢٠٥ .

" التاريخ لم ينتهِ ، ولم ينته الصراع ولم تغلق ملفاته بسقوط الاتّحاد السوفييتي وسقوط الخطر الشيوعي معه ، بل لا زال في جعبة التاريخ سهام لم يرمِ بها بعد ، ولا زال الصراع كامناً وأسبابه قائمة ، ولكن أسباب الصراع ليست بسبب الأيديولوجيات المختلفة والمتناقضة كالشيوعية الدكتاتورية والرأسمالية الليبرالية ، ولا بسبب المصالح الاقتصادية المتعارضة للدول المختلفة ، ولكن الصراع الذي يخبئه المستقبل سيكون سببه اختلاف الحضارات أو الثقافات وتناقضها ، ومحاولة كلّ حضارة أن تُثبِت وجودها ، وتفرض رؤيتها للإنسان وللكون والدين والحياة "[(١)].

وقد لخص أحمد القديدي ما انطوت عليه هذه النظرية من أفكار موجّهة بالدرجة الأولى ضدّ الإسلام فيما يلي :

١- أن الديمقراطية نعمة غربية لا يمكن أن يتمتع بها المسلمون ؛ لأنّها باسمها ينصبون في حكم الاتّجاهات المتطرّفة .

٢- أن السلام الدولي يجب أن يقتصر على الغرب ؛ لأنّ انسحابه على العالم الإسلامي يحرم الغرب من بيع السلاح وشفط الاحتياطي من الثروات .

٣- أن تحديد النسل عملية استعجالية للعالم الإسلامي ؛ نظراً لتزايد المسلمين ، واختلال التوازن الديمغرافي مع العالم الغربي .

٤- دعم وتأييد الجماعات الموالية للمصالح والقيَم الغربية في العالم الإسلامي .

٥- تقوية المؤسسات الدولية التي تعكس المصالح الغربية .

٦- تكريس الحضارة اليهودية والمسيحية ذات المبادئ المشتركة بإزاء الحضارة الإسلامية[(٢)].

إنّ المتأمل لهذه الأفكار التي طرحتها نظرية صراع الحضارات سوف يلمح فيها الروح الاستعلائية الغربية ، والمتمثلة في الدعوة إلى تعميم النموذج الغربي ، كذلك سوف يلمح مدى الحقد الذي يكنّه صاحب النظرية للإسلام وأهله ، حيث إنه واضح من النظرية - مفهوماً ومنطوقاً

---

(١) القرضاوي ، مرجع سابق ، ص١٠٨ .
(٢) جميع هذه النقاط أخذت من كتاب الأمة ، للقديدي ، عدد ٤٤ ، ص١٤٠ ، ١٤١ .

- أنها تمثل محاولة تعبئة الرأي العامّ والخاصّ في الغرب ضدّ الإسلام ، واصفةً الإسلام بأنه العدوّ الذي يجب على الحضارة الغربية أن تحذر منه ، وإن لم تتمكن من إزاحته كما أزاحت الشيوعية من قبل فهي نظرية استعلائية عنصرية عدائية .

واللافت للنظر ، أنّ هذه النظرية وإن كانت تمثل رأياً شخصياً ، إلا أنها تفعّل على مستوى كل القطاعات القيادية والفكرية في الغرب اقتناعاً بأنّ الغرب لكي يبقى محافظاً على هيمنته وقوّته ، فلا بدّ أن يخترع له عدوّاً وإن كان وهمياً ، وهو هنا في هذه النظرية يرشح الإسلام . وهذا ما يقوله (صموئيل هانتيجتون) في كتابه (الإسلام والغرب آفاق الصدام) ، حيث قال : " الآن - والحرب الباردة آخذة في الزوال - يعكف خبراء الاستراتيجية الغربيون لتحديد عدوٍّ جديد للغرب ؛ هو الإسلام "[١].

ويرى الباحث أنّ هدف الغرب من صناعة عدوٍّ حقيقي أو وهمي إنما يخدم مصالحهم الاستراتيجية والسياسية والثقافية والاقتصادية ، وإعطاءَهم المبرّر الذي يريدون لدرء هذا العدوّ الذي صنعوه هم بأنفسهم ، كما صاغته لهم ذهنية الاستعلاء الغربية ، وأخرجته إلى الواقع نظرية صراع الحضارات .

وقد كان لمعطيات هذه النظرية وسابقتها ردود فعل - بل وأفعال - قوية في الغرب الأوربي والأمريكي على السواء ، وسُمع لهاتين النظريتين صدىً قويٌّ تمثل في تصريحات بعض المسؤولين الغربيين ، ومنهم الرئيس الأمريكي بوش الذي تقود بلاده ظاهرة العولمة ، حيث قال : " إنني هنا أمثل أمريكا التي تمثل بدورها الحضارة اليهودية والمسيحية التي تقود عالم اليوم بلا منافس "[٢].

وواضح من كلام الرئيس روح الاستعلاء والغطرسة واختزال القيَم في النموذج الذي تتزعّم بلاده قيادته . كما عبّرت رئيسة وزراء بريطانيا السابقة (مارجريت تاتشر) عن روح النزعة العدائية تجاه الإسلام بوصفه خطراً يهدّدهم ، إذ تقول : " يجب المحافظة على حلف الأطلنطي لمواجهة الخطر الإسلامي "[٣].

---

(١) هانتيجتون ، الإسلام والغرب آفاق الصدام ، ١٤١٥هـ ، ص٩٨ .
(٢) أبو شبانة ، النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصوّر الإسلامي ، ١٩٩٨م ، ص٩٧ .
(٣) أبو شبانة ، المرجع السابق ، ص٩٨ .

وأكّد هذا الهلع المفتعل من الإسلام وزيرُ خارجية إيطاليا ، الذي قال : " ما تزال مهمّة حلف الأطلنطي قائمة وضرورية ، فإذا كان الخطر الشيوعي قد انتهى ، وإذا كان حلف وارسو قد ذهب ، فإنّ الخطر الإسلامي باقٍ ولم يذهب "(١) .

كلّ هذه التصريحات في حقيقتها تضخيم غير واقعي ، الهدف منه استمرار الهيمنة الغربية ، وفرض منظومة الغرب الثقافية ، والوصول إلى أسواق استهلاكية لترويج بضاعة الغرب ، والترويج للإذعان لفكر العولمة .

ولقد وصلت حمى الاستعلاء إلى مستوى رَجُل الشارع في الغرب ، حيث شقت العديد من الشوارع هناك مظاهرات ذات طابع استعلائي عدائي غربي مقيت ، بحيث أصبح يعطي الأمر انطباعاً بأنّ هذا الاختزال للذات في النموذج الغربي أمر يتربى عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ، فقد جاء في إحدى المظاهرات في إحدى الدول الغربية التي نظّمت ضدّ المسلمين العبارات التالية : (عودوا إلى بلادكم أيها الشحاذون ، ارجعوا إلى وطنكم أيتها النفايات ، لا نريد مسلمين ، لا نريد مسلمين ، المسلمون هم قمامة العالم)(٢) .

بمثل هذه العبارات التي تفتقد إلى أقلّ القليل من الذوق الرفيع والخُلق الفاضل ، ينظر الغرب بكلّ طوائفه وشرائح مجتمعه إلى المسلمين !. إنها نظرة استعلائية عنصرية عدائية ، يدفعهم إلى ذلك حقد دفين على الإسلام وأهله ، وحُبّ للتسلط والقهر . وقد أخبر القرآن الكريم عن واقع هذه النفوس المدخولة بالعداء والعنجهية ، حيث قال تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }**(٣) .

ولا شكّ في أنّ الردّ المناسب لهذا الاختزال العرقي الذي يمارسه الغرب اليوم ، والذي يُعبّر به عن روح عنصرية تُعلي فقط من شأن العرق الأري وغمط الآخرين وازدرائهم ؛ هو قول الحقّ تبارك وتعالى

(١) أبو شبانة ، المرجع السابق ، ص٩٨ .
(٢) أبو شبانة ، المرجع السابق ، ص١٠٠ .
(٣) سورة آل عمران : الآية (١١٨) .

: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }(١) .

هذا هو منهج التفاضل بين الناس كما يعرضه الإسلام ويذكره القرآن ، منهج يتّسم بالعدل والإنصاف ، قائم على البرّ والتقوى ، وليس على الأعراق والأجناس أو الألوان كما تعرضه وتروّج حضارة الغرب وتزمع قوى العالم إقناع الناس به .

ثانياً : التمركز حول المعرفة المادّية :

لقد انتقلت حمّى الدمج والصَّهر والتمركز إلى مجالات العِلْم والمعرفة وميادينهما ، حيث اختزل الغربيون مصادر المعرفة في مصدر واحد ، وهو (المصدر الحسّي) القائم على الملاحظة والتجريب ، وأهملوا ما سِواه من مصادر المعرفة والعلم .

يقول عبد الرحمن الميداني عن هذا التوجّه الغربي : " اصطلح الغربيون على أن يخصوا طريقة الملاحظة والتجربة الحسية التطبيقية باسم الطريقة العلمية ، مع أنّ العِلْم الصحيح لا تنحصر وسائله في هذه الطريقة ، فالحقّ الذي يقدّمه العقل علم ، والحقّ الذي يقدّمه الحسّ عِلم ، والحقّ الذي يقدّمه الخبر الإنساني الصادق علم ، والحقّ الذي يقدّمه الوحي المؤيد بالمعجزة الربانية علم "(٢) .

ويظهر أنّ الذي حدا بالغربيين إلى اتّخاذ هذا الموقف المتطرّف من مصادر المعرفة وحصرها في مصدر واحد ، هو ذلك الصراع المرير بين الكنيسة والعلماء إبان فترة هيمنة الكنيسة ورجال الإقطاع على مجريات الحياة الغربية ، حيث تعمدت الكنيسة في سبيل ترسيخ موقفها من محاربة العلماء ، وتلفيق التهم لهم ، بل واستعداء السلطة السياسية ضدّ هؤلاء العلماء . وتواطأت السلطة الحاكمة آنذاك مع رجال الدين الذين رأوا مجتمعين أنّ الآراء العلمية التي جاء بها هؤلاء العلماء ستنقض عروش هؤلاء الكهنة والقساوسة ومعهم رجال الإقطاع ، مما يعني سحب الصلاحيات الاستبدادية ، وكذلك حرمان السلطة الدينية والسياسية من مصادر وموارد رزقهم التي تنهال عليهم ، بدعوى الحقّ المقدس بالنسبة لرجال الدين ، أو بحجة العقد الاجتماعي بالنسبة لرجال

(١) سورة الحجرات : الآية (١٣) .
(٢) الميداني ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ١٤٠٥هـ ، ص١٦١ .

الإقطاع والسلطة الحاكمة ، وهي - لا شكّ - حقوق مرجعيتها الخرافة التي هيمنت على أذهان الناس هناك ، حيث شفطت مقادير الأرزاق من أيدي الناس ، وغلفت العقول عن التفكير ، وتراكَمَ الظلم والجور ، وزادَ التخلف والقمع والضغط ، إلا أنه ولّد في نهاية الأمر انفجاراً شعبياً عارماً تمثل في إعلان الثورة الفعلية على الكنيسة ورجالها ، وما لهم من حقوق وثورة على مصادر المعرفة الإلهية التي كانت الكنيسة تتحصّن بها ، وصاحَبَ ذلك أيضاً ثورة عاتية ضدّ رجال الإقطاع والحياة الإقطاعية هناك ، فتنفّس الناسُ الصعداء . ولأنّ مفتاح النصر في هاتين الثورتين ، كان مصدره العِلْم التجريبـي وبقيادة علماء تجريبـيين . عند ذلك أعلن الغرب عداءه السافر للدين الكنيسي ، ولم يعُد يؤمن الغرب إلا بما قاله الإله الجديد ، وهو العِلْم الخارج من المعمل ، أما ما عداه من العلوم والمعارف فهي لا تعدو عن كونِها خرافة وخداع .

ويذكر وحيد الدين خان مراحل التطوّر الفكري الغربي وما آلت إليه الأمور ، فيقول :

" يذهب الفيلسوف الفرنسي (أوجست كونث) الذي نشأ في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، إلى أنّ تاريخ تطوّر الفكر الإنساني ينقسم إلى ثلاثة مراحل ، هي :

١/ المرحلة اللاهوتية : وهي التي فُسِّرت الأحداثُ فيها باسم الإله .

٢/ المرحلة الميتافيزقية : ومنها فسر الإنسان الأحداث باسم عناصر خارجية لا يعلمها ، ولكنه لا يذكر اسم الإله .

٣/ المرحلة الوضعية : وهي التي أخذ الإنسان يفسر فيها الأحداث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامّة يمكن إدراكها بالمطالعة أو بالمشاهدة العلمية ، وفي هذه المرحلة لا تذكر الأرواح والآلهة والقوى المطلقة "[(١)]،

أي الإيمان بما هو مادّي فقط .

ولقد نتج عن هذا الاختزال نتائج خطيرة لم تقتصر آثارها على الميادين العلمية ، بل شملت كلّ المجالات ، حيث بهرت النتائج العلمية

---

(١) خان ، الإسلام يتحدّى ، د.ت ، ص٢٦ .

التجريبية الغربَ بمعطياتها المثيرة ، مما دعاه إلى إلغاء كل مصادر المعرفة الأخرى .

يقول محمد قطب : " إن التجريب هو الطابع الذي يتّسم به العصر الحديث ، وهو يؤثر بإيحاءاته المختلفة على العقلية الغربية كلها ، ولكنه أشدّ بروزاً في العالم الجديد ، حيث يصل إلى درجة المغالاة ، وإذا كانت النتائج التي وصل إليها العِلْم التجريبي من العظمة والجبروت حتى بهرت الناس في الغرب والشرق ، بل وصل الأمر في الغرب خاصة إلى عبادة هذا الكائن الجديد ، والنظر إليه بعين الإيمان المطلق الذي لا تشوبه شائبة من شكٍّ أو جُحود "[١] .

حقاً لقد تأثرت العقلية الغربية بهذا الإنجاز العلمي الخارج إليهم من معامل التجريب والمشاهدة ، وبذلك أسقطوا من حساباتهم كلّ معرفة لا تحمل خاتم ودمغة (التجريب) ، واصفين هذه المعرفة التي لم تثبتها معامل التجريب بالخرافة والأسطورة والتخلّف والرجعية والجمود ... وينسحب الحكم بذلك على الموصوف وأهله .

ولا شكّ أنّ المنهج التجريبي من أفضل البراهين ، ولكنه ليس بأفضلها دائماً ، وأيضاً ليس كل معرفة وكلّ معلومة أو كلّ مفهوم لا يُقبل إلا بعد أن يدخل المختبر ثم تثبت جدواه هناك ، وإلا رُفِض المفهوم أو رُفضت المعرفة . فللتجريب مجالاته وموادّه التي تقبل إجراء التجارب عليها .

والخطأ الفادح الذي وقع فيه الغرب ، هو أنه لم يشأ أن يقف بالتجربة عند هذا الحدّ - أي حدود المادة ، وهو الميدان الأصلي لها - ، بل إنّ الغربيين اندفعوا - وربما في غمرة الانتشاء بالنصر - انطلقوا مندفعين يجربون كلّ شيء ، سواء كان محسوساً أو غير محسوس ، ويخضعون كل مصطلح أو مفهوم للتجربة ، ويبنون على نتائج التجارب تلك تصوّرات ، ويُصدِرون أحكاماً تتعلق بالقبول لهذا المصطلح أو ذلك المفهوم أو رفضهما بناءً على رأي المعمل فقط .

يقول الندوي عن خطورة الوقوع في الإفراط في التجريب : " إنّ فلاسفة أوربا وعلماء الاجتماع والأخلاق منها قالوا علناً جهاراً : أنّ كل حقيقة تستعصي على التجربة ، وكل ما لا يدخل من الكائنات والموجودات

---

(١) قطب : محمد ، الإنسان بين المدنية والإسلام ، ١٤٠٠هـ ، ص٤٧ .

في نطاق الكيل والإحصاء والوزن ، وكلّ الأخلاق التي لا تظهر فائدتها ، لا تصلح للقبول والاعتراف به ، إنهم أنكروا وجود كل شيء غير المادّة والحركة "[1].

ولعلّ من أخطر آثار واختزال المعرفة في مجالها الحسّي ، يلاحظ في العلوم المتعلقة بالجوانب الدينية والأخلاقية والأسرية ، فجميعها مفاهيم لا يمكن إثباتها عن طريق المعمل ، لذلك - وانطلاقاً من قناعات الغرب - فالحلّ أمام هذا المأزق الذي وقعوا فيه بسبب الإفراط في الأخذ بمنهج التجريب ، هو إما بتهميش هذه الأمور وأن لا يُلقى لها بال ، أو برفض الاعتراف بها ، انسجاماً مع منطق المعمل ، أو أن تترك المسألة شخصية عائدة لمستوى قناعة المهتمّين بها ، دون ممارسة ضغوط من أحد على أحد ، ودون الشعور بالإثم أو الذنب في ذلك ، فالمسألة شخصية .

بل وصل مستوى الاستخفاف بهذه المفاهيم لدرجة أن أصبح هناك هوس للتجريب ، حتى عند بناء الأسرة .

يقول مازن مطبقاني : أنّ " القسّ (جاك لازور) اقترح ما أسماه : الزواج التجريبي ، وأن يستمرّ ما بين ثلاثة إلى ثمانية عشر شهراً "[2].

وهكذا تُسلّع الأخلاق ويُتاجَر بالأعراض ، وتُهتك الحُرمات ، وتُحطم القداسات ؛ لأنّها لم تثبت في المختبر ، ولم تنسجم مع دعوى العولمة الداعية إلى نبذ الحواجز والحدود والعوائق الشرعية والأخلاقية بهدف الحصول على الربح المادي .

إنّ خطورة اختزال المعرفة في الجانب المادّي بالإضافة إلى كونه ذريعة لتحطيم كل ما في النفوس من فضائل ومبادئ وقيَم دينية وأخلاقية ، إلا أنه أيضاً في جانبٍ مهمّ آخر يُعدّ حرماناً للبشرية من مصادر معرفية وعلمية أخرى لا تقلّ أهمية عن الجانب التجريبـي ، بل وتتفوّق عليه في مجالات خاصة . ولكنّ الغرب قد أخذ موقفاً متطرفاً من كل مصادر المعرفة ، وحصر العِلْم في مجالٍ واحد ، ورضي بحكم الآلة ، معتبراً أنّ حُكمها حيادي لا يرقى إليه الشكّ . وهذا هو سرّ الابتهاج بمعطيات الهندسة الوراثية وقضية الاستنساخ ، فهو محاولة لعولمة الأخذ

---

(١) الندوي ، بين الدين والمدنية ، ١٣٩٨هـ ، ص٦٠ .

(٢) مطبقاني ، الغرب من الداخل ، ١٤١٨هـ ، ص٥٠ .

بما قدّمه العِلْم التجريبـي ، وتدجين الناس بذلك ، ولكن صدق الله العظيم القائل : { يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }[١] .

لقد أحدث هذا الاختزال لمصادر المعرفة أثراً عميقاً مزدوجاً في عقائد الناس وأخلاقهم ومُثلهم . وهو بذلك يسهم في التجسيد العملي لظاهرة العولمة ، حيث إن هذا الاختزال يؤدي إلى تفكيك ثوابت الناس بما ألِفوه وتعارفوا عليه ، ويزعزع ثقتهم بكلّ ذلك ، ثم يقوم بتركيب جديد يستند إلى العِلْم المخبري الذي تقذف به تقنيات العصر المتطورة التي تَمّ الالتفاف عليها وتسخيرها لخدمة أهداف وأغراض صنّاع العولمة الذين اتّخذوا من العِلْم التجريبـي وسيلة لصدّ الناس عن دينهم الحقّ . يقول تعالى : { وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ }[٢] .

ثالثاً : التمركز حول أداء الشعائر التعبدية :

● **(الاختزال التعبدي) :**

لقد امتدّت عدوى الاختزال في الغرب إلى الدين كأحد العناصر المكوّنة للمنظومة الثقافية . فبعد الصراع الذي شهدته أوربا بين الكنيسة والعلم ، انحسر مفهوم الدين لدى عامّة النصارى ، وبخاصة الذين ما زال لديهم نزوع إليه ، وبدأ يحاصر هذا الدين حتى أصبح مجرّد شعائر تعبدية تؤدّى في مناسباتها وأوقاتها ، ولكنها فارغة المضمون ، ودون أن يكون للدين أثر أو علاقة بما عليه حال المجتمع خارج محيط الكنيسة ، وهو بداية نشوء فكر اللادينية أو العلمانية المعاصرة الذي ينادي بفصل الدين عن الحياة ، بمعنى اختزال الدين في مجموعة الطقوس التعبدية فقط .

يقول محمد قطب مُعرّفاً بالعلمانية : " هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها "[٣] .

ومِمّا تجدر الإشارة إليه هنا أن الغرب المغرم بالتمركز حول ذاته ، حاولَ أن يضيف مذهب اللادينية أو العلمانية تحت إنجازاته فقط ، مسجّلاً

(١) سورة الروم : الآية (٧) .
(٢) سورة النمل : الآية (٢٤) .
(٣) قطب : محمد ، مذاهب فكرية معاصرة ، ١٤١٢هـ ، ص٤٤٥ .

بذلك كسباً دعائياً لنفسه وإعلاءً لذاته ، وذلك حين يصف حركة العلمانية بأنها حركة نشأت مع الثورة الغربية ضدّ سلطان الكنيسة والإقطاع . ومن باب إيضاح الحقائق فقط ، فإنه ينبغي الإشارة إلى أن هذا المذهب لم يكن في الحقيقة - كما يدّعي الغرب - وليد حركة التمرّد ضدّ رجال الكنيسة ورجال الإقطاع ، بل إن للعلمانية أو اللادينية جذوراً تضرب بأعماقها في أحقاب التاريخ الإنساني . فقد حدّثنا الله - جلّ ذِكره - في القرآن الكريم عن أمّة من الأمم الغابرة استهجنت هيمنة الدين على مناحي الحياة كلها ، واستنكرت هذه الأمة ربط مصالحها الدنيوية بالأوامر الشرعية ، فقد قصَّ القرآنُ علينا ذلك الحوار الذي دارَ بين أحد أنبياء الله - وهو شعيب عليه السلام - مع قومه حين دعاهم إلى ترك ما هم عليه من عبادة الأوثان ، وتطفيف المكيال ، فأجابوه مستنكرين دعوته : **{ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ }**(١) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " يقولون له على سبيل التهكّم - قبّحهم الله - : أصلواتك - قال الأعمش : أي : قراءتك - تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا - أي : الأوثان والأصنام - ، وأن نفعل في أموالنا ما نشاء ، فنترك التطفيف عن قولك ، وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد "(٢) .

والمتأمل في النصّ القرآني الكريم - حكايةً عن قوم شعيب - ، وما يعنيه من دعوة للفصل بين الدين والحياة ، سوف يلحظ أنه متفق مع منطق العلمانية اللادينية التي يفخر الغرب بأنه أنجزها . وسوف يأتي في المبحث اللاحق حديث موسّع عن العلمانية وعلاقتها بالعولمة .

---

(١) سورة هود : الآية (٨٧) .
(٢) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٤٩٩ .

المبحث السادس : المشترك الثقافي في عصر العولمة :

يأمل الباحث - من خلال عقد هذا المبحث - في إلقاء الضوء على نوعية الثقافة التي يرغب صناع العولمة في بثها بين الشعوب كافّة من أجل رؤية العالم وهو ينتمي إلى ثقافة متوحّدة في الشكل والمضمون تومئ إلى أصحاب الرأي والنفوذ صناع العولمة ، والذين هم في الواقع المنظور أصحاب الحضارة الغربية ، وبأكثر ترميزاً وإيماءً أصحاب الحضارة الأمريكية على وجه الخصوص . محاولاً الكشف عن المخبوء للبشرية تحت عناصر ذلك المشترك الثقافي الذي يقدّمه اليوم صنّاع العولمة ... ومن عناصر ذلك المشترك ما يلي :

أولاً : الدين :

من المعلوم أنّ الدين والرغبة في التدين من الأمور التي فطرت عليها الأنفس البشرية منذ الأزل . يقول الحقّ سبحانه وتعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }(١) .

ولكن كيف أصبح الغرب المعاصر اليوم ينظر إلى الدين ؟. وما هو الإله أو الدين الجديد لديه والذي يرغب في تقديمه للبشرية ؟.

هذا ما سيحاول الباحث - قدر جهده ومدى علمه - إيضاحه هنا ...

أقول مستعيناً بالله :

إذا تجاوزنا بعض فترات التاريخ الغربي لنصل بسرعة إلى فترة التاريخ الوسيط - كما يسميها الغربيون أنفسهم - ، وهي الفترة التي يؤرّخون لها من سقوط (روما) عام ٤٧٦م ، وتنتهي بفتح القسطنطينية على يد السلطان المسلم محمد الفاتح عام ١٤٥٣م (٨٥٧هـ) ، فإنّ الغرب يعتبر هذه الفترة من أسوأ فترات تاريخه ، ويسمها بأنها فترة تخلّف وجهل وخرافة . والغرب محق في ذلك إذا نظر إلى واقعه هو فقط ؛ ذلك لأنّ هذه الفترة كانت فيها الكنيسة المتسلطة آنذاك قد أفسدت عقول الناس بما فرضته عليهم من عقائد خرافية ، مثل عقيدة التثليث ، والعشاء الرباني ، وصكوك الغفران ... والحقّ المقدس الذي كانت تمارس باسمه الكنيسة

---

(١) سورة الروم : الآية (٣٠) .

أبشع صور الظلم والطغيان ، فحاربت العِلْم والعلماء الخارجين عن سلطانها ، وتعاونت الكنيسة مع رجال السلطة آنذاك على نهب أموال الناس بما فرضته عليهم من ضرائب وإتوات للكنيسة أو بالسخرة والعمل بلا أجر لدى أصحاب السلطة أو الإقطاع ، وهو نظام الحُكم الذي كان سائداً آنذاك تحت مسمى العقد الشرعي ... فعاش الناس في الغرب في تلك الحقبة الزمنية في ضنك العيش وتوجّس الخوف من محاكم التفتيش التي كانت تتعقب الخارجين عن سلطة الكنيسة أو سُلطة الحكم الذي كان يعمل مستظلاً بآراء رجال الدين الذين أوحوا إلى الناس بأنّ لديهم سُلطة ممنوحة من الله ، وتفويضاً منه في شرعية ما يقولون وما يفعلون ... مما جعل الناس هناك يحقدون على ذلك الوضع المتردي ، ويأملون في الخلاص ممن صنع فيهم هذا الصنيع الذي استعبدهم ، وهو في ذهن الناس الدين الذي يتمسح به رهبان الكنيسة ، ويستند إليه رجال الإقطاع ، لاسيما وأنّ هذا الدين قد بدأ يفقد مصداقيته أمام حقائق العِلْم التجريبي التي كان العلماء يتجرّؤون ويُظهرونها للناس ، فيكون جزاؤهم الموت إمّا حرقاً أو شنقاً ، أو طليهم بالقار ثم إشعال النار في أجسادهم ، ليكونوا مصابيح ومشاعل في الطرقات ، أو يكون جزاء هؤلاء العلماء هو إلقاؤهم طعاماً للوحوش الضارية الجائعة أمام أعين المشاهدين في الساحات ؛ ليكونوا عِبرة لغيرهم[١] .

وقد رصد محمد قطب بعضاً من خصائص و(سِمات)[٢] ذلك الدين الذي كانت تفرضه الكنيسة على الناس وترغم الناس على اعتناقه ، مع أنه يصادم الفطرة ويصادم العقل البشري ، وتلك الخصائص والسِّمات هي :

١- أنه دين أخروي يهمل الحياة الدنيا وعمارتها .

٢- أنه دين يحقر الإنسان بدعوى تمجيد الله .

٣- أنه دين يحارب العِلْم .

٤- أنه دين يؤمن بالثبات المطلق على أنه مشيئة الله ، فيحارب الحركة والنموّ وما يصاحبهما .

---

(١) أخذت هذه المقدمة والأفكار من عدّة مصادر ، ومنها : كتاب العلمانية ، سفر الحوالي ، العلمانيون والإسلام ، محمد قطب ... وصيغت بأسلوب الباحث .

(٢) قطب : محمد ، العلمانيون والإسلام ، ١٤١٥هـ ، ص٣١ .

٥- دين يحقر الجسد بدعوى تخليص الروح .

٦- وفوق كلّ ذلك طغيان الكنيسة الروحي والمالي والسياسي وفي كلّ مجال .

لقد كانت هذه الخصائص والسِّمات السابقة لذلك الدين الذي تتزعمه الكنيسة وتفرض تشريعاته على الناس بالبطش ، مبررات كافية جداً ، بل ومقبولة أيضاً للثورة ضدّ هذا الدين وضدّ مصدريه : الكنيسة ، والسلطة المدنية .

لقد ولّد هذا الضغط الذي صنعته الكنيسة مشاعر محتقنة لدى الشعوب الغربية ، وكانت هذه المشاعر التي كان يعبّر عنها الغرب آنذاك ببعض الثورات التي سرعان ما تكبت لضعفها وقوة الكنيسة ، إرهاصات لميلاد ثورة عارمة مكتسحة لسلطان الكنيسة والسلطة التي كانت تسير في فلكها ، وهم رجال الإقطاع .

إنها الثورة التي نشأ عنها وأنجبت فكر العلمانية أو اللادينية . وهذا إجراء كان متوقعاً في ظلّ ذلك الوضع المتردّي الذي كان سببه دين محرف له سِمات وخصائص لا يقبلها عقل ، ولم ينزل بها شرع .

يقول الجندي : " كانت العلمانية خطوة طبيعية في الفكر الغربي نتيجة قصور المفاهيم الدينية التي كان يحملها رجاله عن مجاراة النهضة ، فكان هذا القصور مع تلك الحملة الضخمة التي شنّتها الكنيسة الغربية على العِلْم مصدراً من المصادر الهامّة في زيادة التحدي الذي ردّ به رجال النهضة بإقصاء الدين كلية عن محيط الفكر والمجتمع الغربي "[(١)]. فماذا وراء عصر النهضة ؟!!

يعتبر الغربيون أنّ عصر النهضة من الناحية التاريخية جاء مع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ، والذي شهد نشوب الثورة العارمة ضدّ سلطان الكنيسة ودينها ورجال الإقطاع . فقد ثار الغرب على ذلك الواقع المأزوم ، وانفجرت تلك المشاعر المكبوتة ، وبدأت تظهر في الأفق ملامح دين جديد !!.

لقد رأى الغرب أن النصر الذي حققه على الكنيسة ورجال السلطة جاء بفضل العِلْم والعلماء ، فخلعوا على مذهبهم مسمى العلمانية التي

---

(١) الجندي ، سقوط العلمانية ، ١٩٨٠م ، ص١٤ .

تقابل اللادينية ، ووسموا عصرهم الجديد بأنه عصر النهضة ، والذي يقابل عصور التخلف السابقة .. فولدت حينئذٍ العلمانية . وهو أمر لم يكن مستغرباً ، فماذا تعني هذه اللفظة ، وما أبعادها ؟..

جاء في كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة تعريفاً لهذه الفكرة " العلمانية بالإنجليزية **Secularism** وترجمتها الصحيحة : اللادينية أو الدنيوية ، وهي الدعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين ، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم ، وهي اصطلاح لا صِلة له بكلمة العِلم **Science** والمذهب العلمي **Scientism** "(١) .

ويعرفها محمد البهي أيضاً بقوله : " العلمانية تنسب على غير قياس إلى العالم أو العالمية ، وهي نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كلّ صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية ، وهي اعتقاد بأنّ الدين والشؤون الإكليريكية (اللاهوتية والكنسية) والرهبنة لا ينبغي أن تدخل في أعمال الدولة "(٢) .

وقد سبق أن ذكر في هذه الدراسة قول محمد قطب : أنّ نسبة العلمانية للعلم نسبة لا تصحّ ، إذ علاقتها قائمة مع الدين على أساس سلبي .

والذي يودّ الباحث الإشارة إليه هنا ، أنّ هناك خطأ في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، حيث إنّ المعنى الصحيح لكلمة **Secularism** هو اللادينية . وربما كان هذا الخطأ مقصوداً ، وهو إضفاء صفة العِلْم على هذا المذهب ليكون مقبولاً لدى عامّة الناس ، خاصة في الدول الإسلامية ، وليكون بذلك مبرراً لنبذ الدين ، حتى لو كان ذلك الدين صحيحاً ، كالإسلام ، فيتمّ قبول العلمانية على حساب الدين ، ولكن بأسلوب خفي ، وتحت شعار العِلْم . المهمّ في الأمر أن الغرب اقتنع الآن بضرورة المذهب الجديد العلمانية أو اللادينية ، وهو محقّ في ذلك ؛ لأنّ دينه المحرّف أركسه في ضلالات الجهل والتخلف ، وكان يحارب العِلْم ويحرق العلماء ، فلماذا يحرص عليه الغربيون وهو سبب تخلفهم ؟. فلا غرابة أن يتشبث الغربيون بالمنقذ الجديد ، وهو العلمانية أو اللادينية .

---

(١) موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٠٩هـ ، ص٣٦٧ .

(٢) البهي ، الإسلام في حلّ مشاكل المجتمعات الإسلامية ، ١٤٠١هـ ، ص١٤ .

ومن الملاحظ أنّ العلمانية الغربية قبل أن تتجسد بواقعها الحالي مرّت بمراحل ، وكان لكلّ مرحلة دوافع ، وهذا ما ذكره محمد البهي ، حيث قسم - رحمه الله - تلك الحقبة التي مرّت بها العلمانية إلى مرحلتين على النحو التالي :

١- <u>المرحلة الأولى : العلمانية المعتدلة</u> :

يقول البهي عن هذه المرحلة : " هي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وتمتاز هذه المرحلة بأن الدين يعتبر أمراً شخصياً لا شأن للدولة فيه . فإن على الدولة مع ذلك أن تحمي الكنيسة وبالأخصّ في جباية ضرائبها ، وإن طالب التفكير العلماني في هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فإنه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها "[(١)].

والذي يظهر للباحث أنّ الدافع وراء هذا النوع من العلمانية المعتدلة - كما صنفها البهي - هو قوة التنازع بين الكنيسة والدولة على السُّلطة . لذا كانت العلمانية المعتدلة هي الحلّ إذا قدم الغربيون حلّهم لذلك النزاع بالفصل بين السلطتين وتوزيع المهامّ بينهما على النحو التالي كما ذكره البهي : " كان الحلّ النظري للنزاع الحاصل بين الدولة والكنيسة في توزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين ، حيث يكون للدولة الشؤون السياسية والاقتصادية والتعليم وبعض الأمور التشريعية التي لا تمسّ بسيادة الكنيسة ، ويكون للكنيسة شؤون الأسرة في مراسيم الزواج وطقوس الوفاة ونظام الرهبنة (الإكليروس) "[(٢)].

ويرى الباحث أن الغرب بهذا التصرف الإجرائي باسم العلمانية لم ينبذ الدين من واقعه ولم يستبعده من حياته ، ولكنه حاصره في بعض الشعائر ، ومنح لنفسه بعض الصلاحيات التي كانت ممنوحة للكنيسة ، واستمرّ الوضع على ذلك ، ولكن كان يحدث بسببه كثير من العودة إلى النزاع بين الكنيسة والدولة بسبب تظلم إحداهما من تدخل الأخرى في شؤونها ، وبدأ الدين يقلّص أكثر فأكثر ، فما للدين والسياسة ؟. وما للدين والاقتصاد ؟. وما للدين وملابس المرأة ؟. وما للدين ولحرية الإنسان

---

(١) البهي ، المرجع السابق ، ص١٦ ، ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٦ .

الشخصية ؟. وما للدين ولحرية التفكير ؟. وللأدب ... وفي كلّ مرة يقتص جزء من صلاحيات الدين ... وكانت هذه الأعمال مقدّمة لمجيء المرحلة الثانية من العلمانية كما يصنفها البهي ويسمها بأنها :

٢- المرحلة الثانية : العلمانية المتطرفة :

بدأت هذه المرحلة في القرن التاسع عشر ، واستمرّت إلى ما بعده ...

يقول البهي : " وهي مرحلة العهد المادي أو ما يسمى بالثورة العلمانية ، وهي مرحلة الجناح اليساري ، ويعتبر (فيرباخ) أهمّ المؤسسين لفكر الثورة العلمانية في القرن التاسع عشر "(١).

ووسمت هذه المرحلة بالمتطرفة - كما يظهر للباحث - ؛ لأنّها أعلنت صراحة عداءها المباشر للدين والمناداة بإلغاء وجوده وسحب كلّ الصلاحيات الممنوحة للكنيسة . فإذا كانت الخطوة الأولى أو المرحلة الأولى تمثلت في فصل الدين عن الدولة ، فإن المرحلة الثانية لم تكتفِ بهذا ، بل دعت إلى إلغاء مسمى الدين وإبعاده عن مجريات الأحداث ، بل تطرف روّاد هذه المرحلة ، فذهبوا إلى المناداة بنسف الدين من أصله ، وهو محاولة إقناع الناس في الغرب أنّ العِلْم أثبت لهم أنه لا يوجد شيء اسمه دين ولا إله ولا أخلاق ؛ لأنّها لم تثبت مخبرياً ، وذلك خلال الدراسات التي أجريت على الدين ومسمى الإله ... وبالتالي فكلّ ما له علاقة بالدين أو بالإله أو بالجنة أو بالنار ما هو إلا ضرب من الأساطير وبقايا من الخرافات . وقدم الغرب مجموعة من الدراسات التي أسماها - علمية - حول ما سبق ليثبت أنّ كلّ ما له علاقة بالدين لم يشاهد ولم يثبت لديهم ، إذاً فلا وجود له . والذي حمل الغرب على هذا الإجراء التعسفي هو انبهاره بمنجزات العِلْم التجريبي ، فراحَ يدخل كل مفهوم إلى المختبرات النفسية والمخبرية ويدرسها دراسة من منظور مادّي فقط ، فإن ثبتت قُبلت ، وإن لم تثبت تلك المفاهيم رُفِضت .

ومن تلك الدراسات التفسيرية التي أجراها الغرب على الدين وحكم على الدين من خلال نتائج تلك الدراسة ما يلي :

١/ التفسير النفسي للدين :

يقول أصحاب هذا اللون من التفسير وأصحاب هذه الدراسة عن الدين

(١) المرجع السابق ، ص٢٥ .

: " ليس الإله سوى انعكاس للشخصية الإنسانية على شاشة الكون ، وما عقيدة الدنيا والآخرة إلا صورة مثالية للأماني الإنسانية ، وما الوحي والإلهام إلا إظهار غير عادي لأساطير الأطفال المكبوتة "(١).

وزعيم هذه الدعوة الإلحادية هو العالم اليهودي النمساوي (سيجموند فرويد) ، والذي أقام " آراءه وأفكاره على الإلحاد بإنكار الخالق ﷻ وإنكار الدين والأخلاق "(٢).

ويظهر من كلام أصحاب هذا التفسير أنهم يرفضون الدين بحجة أنه لم يثبت مخبرياً ، ثم ليس أمامهم إلا أن يصفوا الدين بأنه مجرد خرافات انطبعت في أذهان الأطفال ، وأساطير ثبتت لديهم ولازمتهم حتى الكبر ، ولا بدّ حينئذٍ - حسب رأي هذه المدرسة - من رفض الدين وكلّ ما له صِلة به ؛ لأنّه مجرد غيبيات لم تثبت مخبرياً ولم تُشاهَد مادياً .

يقول عبد الله نعمة ناقداً هذا اللون من التفسير الإلحادي : " هذا التفسير يحيل على غيبة ترفضها المادية التي لا تؤمن إلا بما يقع للتجربة والاختبار أو للحسّ والمشاهدة "(٣).

٢/ التفسير التاريخي للدين :

وأصحاب هذه الدراسة خرجوا بنتائج تفسيرية للدين بناء على دراسة بعض الأحداث وتاريخها ، وجعلت هذه الدراسة تقنع الناس في الغرب بأنّ ما مرّ بالإنسانية في تاريخها القديم وما لحق بها من أضرار جرّاء السيول والكوارث والزلازل والأمراض التي أحاطت بالإنسان ، كلّ هذه العوامل جعلت الإنسان يفكّر في اختراع إله يلوذ إليه ويحتمي به ، وإلى اختراع دين يردد بعض عباراته ويؤدّي بعض شعائره وشرائعه ليحتمي من هذه الكوارث المروّعة ... إذاً فالإنسان هو الذي اخترع فكرة الدين ، بينما هي - حسب زعم أصحاب هذه الدراسة - مجرّد وهم وخرافة .

يقول أصحاب هذه الدراسة : " إن القضايا الدينية وجدت لأسباب تاريخية أحاطت بالإنسان ، فلم يكن في استطاعته أن يفلت من السيول والأعاصير والطوفانات والزلازل والأمراض ، فأوجد (قوى فرضية) يستغيثها لتنقذه من البلايا النازلة ، وهكذا ظهرت الحاجة إلى شيء يجتمع

---

(١) خان ، الإسلام يتحدى ، ١٣٩٣هـ ، ص٢٨ .
(٢) الميداني ، كواشف زيوف ، ١٤٠٥هـ ، ص٢٩٣ .
(٣) نعمة ، عقيدتنا ... ، ١٤٠٣هـ ، ص٢٠ .

الناس حوله ولا يتفرقون ، فاستغلّ اسم (الإله) الذي تفوق قوته قوة الإنسان ، ويهرع الجميع إلى رضاه "[1]. وواضح أن أصحاب هذه الدراسة يحمّلون الإنسان مسؤولية اختراع الدين وكلّ ما له علاقة فيه . وحيث إنّ العِلْم أثبت بطلان هذا الاختراع ، وأثبت أيضاً اكتشاف مصدر هذه الكوارث وقدرته على السيطرة عليها ، فالنتيجة إذاً : ما الداعي للإبقاء على فكرة الدين والإله ؟. والتي كانت تعبر عن عجز الإنسان وضعفه في فترة سابقة حسب زعم أصحاب هذه الدراسة . إذاً فليلغَ الدين وليهدم ، ولينكر الإله ...

٣/ التفسير الفلسفي - أو الطبقي - للدين :

ينقسم أصحاب هذا اللون من التفسير إلى قسمين :

● أصحاب القسم الأول : ويتزعّمه من علماء الغرب الفيلسوف الألماني (نيتشه فريدويش) ، وخلاصة هذا اللون من الدراسة : " أن الدين والإله من صنع الطبقات المحرومة المستضعفة واختراعاتهم ؛ ليحدّوا به من استغلال الأثرياء وطغيان الأقوياء الحاكمين "[2].

ويفهم من كلام وآراء أصحاب هذه الدراسة أنّ الدين هو من صنع الإنسان بسبب وقوعه تحت ضغط الحاجة ، إذاً فهو خرافة لا يليق أن تبقى ، خاصة وأنّ هناك منظمات مدنية تنادي بحقوق الإنسان ، بالإضافة إلى أنّ هذه الأشياء (الدين والإله) لم تثبت مخبرياً ، بل هي مجرد عواطف وأمنيات ، فلا داعي لبقائها .

● أصحاب القسم الثاني : ويتزعّمه (ماركس) وأتباعه . وخلاصته : " أنّ الدين والقضية الأخلاقية كلّ ذلك من صنع الأقوياء والطغاة ؛ ليخدِّروا به الضعفاء والشعوب المتخلفة ، وليحكموا سلطانهم عليهم ، وليحموا به امتيازاتهم واستغلالهم واقتصادهم "[3].

ويلاحظ على هذا اللون من التفسير الذي جاءت به هذه الدراسة أنه يحمل الأقوياء مسؤولية ابتداع فكرة الدين والأخلاق والإله ، فهو إذاً نقيض التفسير الذي جاءت به الدراسة السابقة ، وإذا كانت الدراستان متناقضتين من حيث تحديد المسؤولية عن ابتداع فكرة الدين والإله

---

(١) خان ، مرجع سابق ، ص٢٩ .

(٢) نعمة ، مرجع سابق ، ص٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٥ .

والأخلاق ... إلا أن بين الدراستين قاسم مشترك واحد ، وهو الدعوة الصريحة إلى هدم الدين وإلغاء وجوده ؛ لأنّه - بزعمهم - من صنع الإنسان ، قوياً كان أم ضعيفاً .

إذاً وصل الغرب الآن إلى نبذ الدين ليس عن واقع الحياة وشؤون السياسة والدولة ، بل حتى في إقصائه من النفوس وتدمير ما بقي في النفوس من نزعة إلى التدين ، ومَن أصرَّ على التدين أو المناداة بأنّ هناك دين أو إله أو أخلاق فسوف يوسم بأنه متخلّف وخرافي ، متحجر ... بل وربما أبله وغبي ... إذاً فما هو البديل ؟!.

الدين البديل لدى الغرب الآن :

أفرزت فترة العلمانية المتطرفة هذه النظرة السوداء عن الدين ومكوّناته ، وسكبت ذلك في أذهان الغربيين ، واقتنعوا بأنّ كلّ مفرزات العلمانية صحيحة ؛ لأنّها في نظرهم هي المنقذ .

يقول محمد قطب : " كانت العلمانية بما تشتمل عليه من إبعاد للدين عن الهيمنة على واقع الحياة وعزله عن النفوذ السياسي بصفة خاصة ، وتقرير حقّ الإلحاد والمنافحة عنه ، وحقّ مهاجمة الدين ومفاهيمه لمن أراد ذلك ، وكانت العلمانية بهذه الصفات هي سبيل الخلاص في نظر أوربا "[١].

وبعد أن رفض الغرب فكرة الدين والإله ... فما هو البديل الذي من حقه أن يحلّ محلّ الإله وأن يشرع ؟... لقد اقتنعت العلمانية بروادها الملحدين بأنّ البديل هو الإنسان ، وهكذا وصل غرور العلمانيين بمنجزات العِلْم إلى درجة دعوتهم إلى تأليه الإنسان ، وهذا ما أكده محمد البهي ، إذ يقول : " إنّ علمانية (فيرباخ) وهي التي تتمثل في مذهبه الإنساني الإلحادي هي إلغاء الدين أي دين ، وليست فصلاً بينه وبين الدولة ، وإحلال (للإنسان العام) جماعة العمل في العبادة محلّ الله "[٢].

وهكذا وصل الغرب إلى إلغاء فكرة إله الكنيسة ليخترع إلهاً آخر ، وينصب في هذه المرة بعلمانيته الإنسان إلهاً جديداً .

ولكن يبقى السؤال قائماً ما دام أن الغرب بعد هذه المحاولات

---

(١) قطب : محمد ، العلمانيون والإسلام ، مرجع سابق ، ص٢١ .
(٢) البهي ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

والدراسات والتفسيرات رجع إلى استخدام فكرة الإله والربّ والتشريع ، فلماذا رفض ربه الأول إذاً ؟. وبالتالي فمِن حقّ الإنسان أن يشرع الأنظمة ويسن القوانين في كلّ مجال حسبما تقتضيه ظروفه المعيشية ، ومن حقّه أن يثور ضدّها إذا رأى أنّ هذه الأنظمة تعوق حريته ...

وهكذا يصبح الأمر بيد الإنسان ؛ لأنّه هو الإله الذي توصل إليه الغرب ، ويريد أن يعمم رأيه على كافة الشعوب في ظلّ مناخ العولمة الداعي إلى الدمج والتوحد ، لاسيما وأنّ الغرب العلماني يقود تيار العولمة ويوجه سيرها . إنّ هذا الإجراء الذي اتخذه الغرب من جعل العِلم هو الإله ، أو الإنسان هو الإله ، ليعبّر بصدق عن أنّ الدين حاجة فطرية لا سبيل إلى اقتلاعها ونزعها من النفوس ، ولكن قد تتشوه وتنحرف هذه الفطرة .

دين العلمانية والعولمة :

يظهر للباحث أنّ هناك علاقة عضوية بين كلتا الفكرتين : العلمانية والعولمة ، من حيث أنهما تنتميان من جهة المنشأ والولادة إلى الغرب ، وتعبران عن فكره ونظره ، وتروّجان لمبادئه .

يقول عبد الكريم بكار مؤيداً ما ذهب إليه الباحث : " بما أن العولمة تعبر في غالب الأمر عن طموحات شعوب علمانية ، أقامت معظم شؤونها بعيداً عن مفاهيم أيّ دين ... وبما أنّ العولمة تعمم معطيات ثقافية دنيوية ومادية بحتة ، دون أيّ اهتمام بمدى انسجام تلك المعطيات مع الإيمان بالله سبحانه وتعالى واليوم الآخر ، فإنه يمكن القول : إنّ العولمة تتنفس في محيط علماني وتنشر الفكر العلماني ، وتؤسس لأرضيات وخلفيات علمانية . وهذا يشكل تحدياً من أكبر التحديات لأمّة الإسلام "[١].

وبما أن العلمانية نبتت في أرضية غربية ، وبما أن العولمة من نفس ذلك المكان ، وتقودهما دولة عُظمى غربية ، فإنّ الباحث يرى - حسب جهده ومدى علمه - أنّ موقف العلمانية والعولمة من الدين موقف واحد لا فرق بينهما . وهذا ما يؤكد عليه أبو بكر ، إذ يقول : " العلمانية تعني الدنيوية أو اللادينية ، وتقوم على العقل والعلم والمناهج والأدوات العقلانية التي تقف موقف التضادّ مع كلّ ما هو دين أو عبادة أو روح ،

---

(١) بكار ، مرجع سابق ، ص٥١ .

ولا بدّ في العلمانية من استبعاد كلّ ذلك من السياسة والاقتصاد والاجتماع ؛ لإنشاء الحياة المعاصرة اللادينية .

بينما العولمة تقوم بهدم الحدود والفواصل وتوسيع فرص التجانس والتوحد بين شعوب العالم ، وتهدف إلى إزالة الفوارق بين الأفراد ، وتشمل مجالات السياسة والاجتماع والفنّ والثقافة ... لتكون الهيمنة للثقافة الدولية وقيم المجتمع الدولي وأخلاقياته "[١].

وربما هذا التلاحم بين العلمانية والعولمة هو الذي دفع الرئيس الأمريكي (بيل كلينتون) إلى القول : " إننا نشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا "[٢]. فيكون هدف الحضارة الغربية هو عولمة العلمانية .

الخلاصة :

يرى الباحث أنّ هناك جملة من النقاط التي يمكن أن تلتقي حولها فكرتا العلمانية والعولمة ، ومن تلك النقاط ما يلي :

١- أن الغرب الأوروبي والأمريكي هو المحضن والراعي الأساس للفكرتين .

٢- أن أساس ولبّ الفكرتين قائم على اتّخاذ موقف عدائي من الدين ، والنظر إلى كلّ دين - حتى وإن كان صحيحاً - بمنظار أسود . ولا شكّ أنّ هذا الموقف المتطرف والعدائي وهذه النظرة التشاؤمية التي تتبناها الفكرتان ومَن وراؤُهما هو إجراء تعسّفي قمعي ؛ لأنّه يحرم البشرية من النموذج الديني الصحيح ، وهو الإسلام .

٣- أن أساس الفكرتين قائم على هدم الدين الفطري من النفوس وتحطيم حدوده وهتك حرماته .

٤- تعظيم شأن العِلْم وتنصيبه إلهاً جديداً ، له حقّ التشريع .

٥- من المشاريع النظرية والعملية في هذا السياق ، إحياء فكرة وحدة الأديان تحت اسم الثقافة الإبراهيمية ، وهي دعوة كفرية عنصرية سبق أن حسمت شرعاً عند ظهورها الأول في عهد

---

(١) أبو بكر ، العلمانية - التاريخ والفكرة ، مجلة البيان ، عدد ١٥٩ ، ذو القعدة ١٤٢١هـ ، ص٣٨-٤٦ .

(٢) عبد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص٤٩ .

النبوة ، ولكنها ندت إلى السطح الآن ؛ لِما رأى المروّجون لها أنّ العولمة الداعية إلى توحّد المجتمعات هي المناخ الملائم لإعادة إحياء هذه الفكرة والمناداة بها . ومن أضرار هذه الدعوة هو زعمها تقديم دين بديل يجتمع عليه الناس جميعاً ، يكون هذا الدين ملفقاً ومجمعاً من الأديان السماوية الكبرى اليهودية والنصرانية والإسلام ، وبناء معبد وكنيسة ومسجد في المرافق العامّة ، كالحدائق والمطارات ، وجمع القرآن والتوراة والإنجيل في كتاب واحد[①]. والهدف من ذلك - بزعمهم - إزالة الفوارق الدينية بين الناس ، أو بمعنى أكثر صراحة : هدم عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين ؛ حتى لا يكون هناك فرق في جميع المعاملات العامّة والخاصة بين مسلم وكافر ، فهي دعوة هدّامة تستهدف الدين الإسلامي على وجه الخصوص .

الرؤية الإسلامية في العلمانية والعولمة :

إذا اعتبرنا أنّ العلمانية والعولمة وجهان لعملة واحدة ، وصفحتان لورقة واحدة ، فبالرجوع إلى السِّمات والخصائص التي كان عليها دين النصارى ، والتي كانت تمثل مبررات كافية لقيام العلمانية ومحاولة إسقاطها على الإسلام ، فإننا سنجد أنّ تلك السمات والمبررات لا تنطبق على الإسلام ، يتضح ذلك من خلال عقد المقابلات بين مبررات العلمانية لدى الغرب وبين الإسلام كما في المقابلات التالية :

أولاً : أنّ الإسلام لم يطالب بإهمال الحياة الدنيا ، كما فعلت الكنيسة آنذاك ، وقيام حضارة الإسلام السابقة في كلّ مجال خير شاهد على رؤية الإسلام للحياة الذي أسس تلك الحضارة .

ثانياً : أنّ الإسلام لا يحقّر الإنسان بدعوى تمجيد الله ، كما زعمت الكنيسة . ومنهج الإسلام صريح واضح ، وهو قوله تعالى : { **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** }[(١)].

(①) للتوسع حول هذه المسألة ينظر كتاب بكر بن عبد الله أبو زيد : الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان . ومِمّن روّج لهذه الفكرة وانتصر لها : المفكر الفرنسي (روجيه الجارودي) ، والذي زعم بعض المسلمين أنه أسلم رغم أنه ينكر ذلك .

(١) سورة الإسراء : الآية (٧٠) .

ثالثاً : أنّ الإسلام لم يحارب العِلْم والعلماء كما فعلت الكنيسة ، بل إنّ أول آية نزلت في القرآن تحمل دلالة بليغة في هذا المعنى ، وهي قوله تعالى : **{ اقرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بالقلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ }**(١) .

وقد استأنس علماء المسلمين بهذا النداء إلى العِلْم ، فاستجابوا له استجابةً شهد الواقع حضورها ، وسجل التاريخ تميزها ، فلم يكن بين الإسلام والعلم عداءً البتة ، كما عرفته القرون الوسطى في أوربا .

رابعاً : أنّ الإسلام راعى متغيرات الحياة وتجدّد الأحداث فيها ، فلم ينادِ بالثبات المطلق كما كان عليه الحال في الغرب إبان حُكم الكنيسة ، بل دعا الإسلام صراحة إلى فتح باب الاجتهاد في إطار النص ، وهذه مفخرة المسلمين شاهدة ، والمتمثلة في الفقه الإسلامي وعلومه وأصوله التي ما وضعت إلا لمراعاة ظروف الحياة البشرية وإقامتها وفق شرع الله ، فكان هذا الاجتهاد على يد علماء المسلمين من باب التوسعة على الناس ، وليس التضييق عليهم كما فعلت الكنيسة .

خامساً : أنّ الإسلام لا يحقر الجسد ولا يكبت غرائزه ويحرقها داخله ، بدعوى تخليص الروح كما زعمت الكنيسة ، حين حرمت على الناس أموراً لم يحرمها الله سبحانه وتعالى .

يقول محمد قطب : " إنّ الإسلام ينظر إلى دوافع الجسد على أنها في ذاتها نظيفة ، وأن الله خلقها لتعمل وتؤدي مهمّتها التي خلقت من أجلها لا لتقتل ولا لتكبت ، وإنما المستقذر هو الفاحشة "(٢) .

إذاً الذي فعله الإسلام هو أنه نظم غرائز الجسد ، وضمن لها المصرف النظيف ، أما ما فعله الغرب بدعم من الكنيسة ، فإنه قد ظلم الجسد حين دعاه إلى كبت غرائزه بدعوى التطهر ، ففاحت رائحة الفضائح الأخلاقية حتى من داخل الكنيسة التي ابتدعت نظام رهبنة لم ترعه حقّ الرعاية ، **{ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلاَّ ابْتِغَاءَ**

---

(١) سورة العلق : الآيات (١-٥) .
(٢) قطب : محمد ، العلمانيون والإسلام ، مرجع سابق ، ص٣٥ .

رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا }[١] .

وما زال ظلم الغرب للجسد سارياً حتى الآن في ظلّ العلمانية حين أباحت له كلّ صور الحريات بلا قيود ولا ضوابط .

وخلاصة القول :

أنّ العلمانية لا مبرر لها في حياة المسلمين العامّة والخاصة لبراءة الدين الإسلامي من كلّ سبب كان صالحاً للعلمانية في الغرب ، ونظراً لِما بين العلمانية والعولمة من تكامل وتكاتف من حيث أنهما نشأتا في بيئة واحدة ، وتشبعتا بفكرة واحدة ، محصلتها هي الثورة على الدين والفضائل والأخلاق . فإنّ الحكم على العلمانية بعدم الصلاحية ينسحب على العولمة أيضاً ، في المسائل الدينية بالذات ، وإن كان في العولمة عروض يمكن الاستفادة منها فلا بأس ، شريطة أن يبقى الحكم في ذلك للإسلام شريعة وعقيدة .

ثانياً : الحرية :

أما ثاني عناصر المشترك الثقافي والتي تحاول قوى العولمة جمع البشرية على الأخذ به ، وذلك وفق النموذج الغربي بصورته المتأمركة ، فهو مصطلح : **الحرية** . والحرية كمفهوم إجرائي ليست منجزاً بشرياً ، بل هو منحة إلهية ، فكلّ البشر لديهم قَدر من ذلك الحقّ الفطري الذي وهبه لهم خالقهم . ولقد أعلن الإسلام صراحةً هذا الحقّ في أخطر قضية ، وهي قضية العقيدة ، حيث يقول الله تبارك وتعالى : { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ }[٢] .

ولكن الحرية بالمنظور الإسلامي لها ضوابطها الشرعية وحدودها الأخلاقية ، وهذا أمر طبيعي ، فما دام أن الحرية هبة ربانية ، فمن حقّ الواهب جلّ وعلا أن يضع الضوابط والحدود لهذه الحرية ، حتى لا تنفلت وتنفرط ، وتصبح نقمة على البشرية بدلاً من كونها نعمة . ولكن الجديد في شأن الحرية التي تريد قوى العولمة تقديمها للبشر أنّ هذه الحرية تستند إلى فلسفة اقتصادية بحتة .

يقول عبد العزيز كامل : " نشأ الفكر الليبرالي عن فلسفة اقتصادية

(١) سورة الحديد : الآية (٢٧) .
(٢) سورة البقرة : الآية (٢٥٦) .

وسياسية أفرزت قناعات ثقافية وممارسات اجتماعية تؤكّد جميعها على حقّ الإنسان في أن يكون (حرّاً) في صياغة سعادته الدنيوية "(١).

وبهذا التصور الفلسفي منح الغرب للفرد حقّ إشباع غرائزه بعيداً عن التدخل من أيّ جهة أخرى .

وهذا هو ما رسمه وسنّه بعض الفلاسفة الغربيين إذ تقول : النظرية " ليس المرء حراً ما دام ثمة أشخاص آخرون يستطيعون تقييده ومنعه عن عمل يرغب الإتيان به "(٢).

أما المرجعية التي يستقي منها الغرب هذا الحق أو هذه الحرية ، فهو أمر في غاية العجب ، إذ أنّ الغرب جعل من الإنسان نفسه هو المرجعية التي يستوحي منها شرعية عمله بحرية مطلقة ، وهذا ما يؤكد عليه مكيافللي ، إذ يقول : " إنّ الفرد هو الحكم الفصل في أعماله "(٣).

ويظهر للباحث أنّ الذي دفع الغرب إلى اتّخاذ هذا الموقف المتطرف من مسألة الحرية فأطلق لها العنان ، هو الممارسات القمعية التي كانت تمارسها الكنيسة ضدّ مبدأ الحرية ، حيث صادرت الكنيسة إبان حقبة القرون الوسطى كثيراً من الحريات لدى الناس . لذلك عندما أتاحت الثورة الفرنسية وما أعقبها من ميلاد فكرة العلمانية ، راح الغرب يفرط الحرية من كل عقال ، ولكنه لم يفتح للحرية الباب ، بل كسر ذلك الباب ، فاندفعت الجماهير الغربية تمارس حرياتها بعيداً عن أية ضوابط دينية أو أخلاقية ، فالكلّ حرّ ، والحرية لديه هي مدى حصوله الذاتي على السعادة ، بغضّ النظر عمّا يمكن أن يلحق بالآخرين من ضرر . وبهذا تكون الحرية في الغرب بعد الثورة الفرنسية أخذت أبعاداً أخرى ، إذ أصبحت تعني الثورة ضدّ أيّ قيد أو حدّ من دين أو عقل ... وهذا ما يؤكّد عليه مكيافللي أيضاً بالقول : " مسألة الحرية أخذت أبعاداً جديدة بعد قيام الثورات الفرنسية والإنكليزية والأمريكية والصناعية "(٤).

لقد حمل هذا الإسراف في استخدام كلمة الحرية بلا عقال ولا عقل ولا شرع أن أصبح الغرب وما زال يمارس نوعاً من ألوان العبثية

---

(١) مكيافللي : نيقولو ، الأمير ، ١٤١٩هـ ، ص٣٢٦ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق ، ص٣٢٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص٣٢٨ .

والفوضى في بعض السلوكيات ، وبالذات ما يتعلق منها بالجوانب العقائدية والتشريعية والأخلاقية ، فراح يهدم كل فضيلة ، ويهتك الحرمات ، بحجة أنه حرّ ، وليس لأحد عليه سبيل ، فالحرية هي من إنجازاته ، وسعادته تكمن في إشباع حرياته ، وهو قياس باطل لا يصحّ عقلاً ولا شرعاً . بل لقد بلغت الإساءة في استخدام لفظ الحرية واتخاذه وسيلة وليس غاية وذريعة وحجة لممارسة كلّ أصناف الشهوات لمجرّد التلذذ أحياناً بسعادة وهمية . ولقد بلغ هذا الانفراط في ممارسة الشهوات حدّ التذمّر والسخط على هذا الشكل من الحرية المتفلتة ، كما عبّر عنه بعض عقلاء الغرب هناك بالقول : " إنّ الإفراط في ممارسة الحرية في مجتمعنا (أمريكا) تجاوز كلّ الحدود ، وتخطى كل الأنماط السلوكية التي يمارسها الفرد "[١].

بل لقد صرح باحث أمريكي بشكوى مريرة من مغبة انفراط عقد الحرية وما أحدثه من انعكاسات سلبية هناك . كما نقل مازن مطبقاني عن أحدهم قوله : " إن مجتمعنا مصاب بالفساد والفوضى ، كثير من الأمريكيين يتجاهلون مسألة الصح والخطأ (الحقّ والباطل) ، إنهم يهتمّون بمنافعهم الذاتية ، ويبررون سلوكهم الأخلاقي "[٢].

وهكذا يظهر أنه انقلب السحر على الساحر - كما يقول المثل العامي - . فالغرب الذي كان يتنفس بصعوبة الحرية ، فجرها في كل مكان ، فكانت النتيجة أنهم جنوا على أنفسهم من حيث أرادوا مصلحتها .

ويظهر للباحث أن السبب في هذه الفوضوية والعبثية التي يعيشها الغرب اليوم ناجم أصلاً من بطلان مرجعيته التي أقامها الغرب ونصّبها حكماً على مشروعية أخلاقه ، وكانت النتائج أن انفجرت الشهوات ، وهتكت الحُرمات ، وتعددت الحريات ، فأهلكت الحرث والنسل ، وهذا ما يريد الغرب عولمته .

والملاحظ بين كلّ أشكال وفنون وأنواع الحريات التي يتغنى الغرب اليوم بأنه رائدها في كلّ مجال . يلاحظ أنها جميعاً تلتقي حول هدف واحد ، وهو نبذ الحدود والحواجز أيّاً كان مصدرها وأياً كانت مرجعيتها طالما أنّ الهدف هو تحقيق سعادة الإنسان فقط ، ولكن الغرب لم يسأل نفسه

---

(١) البشر ، السقوط من الداخل ، ١٤١٥هـ ، ص٨٥ .
(٢) مطبقاني ، مرجع سابق ، ص٨٦ .

كيف يحقق الإنسان سعادته ، ونسي الغرب في غمرة نشوته بالفوز على الكنيسة أن يضع إطاراً وضوابط لهذه الحرية ولا لأنواعها ، بل أطلقها من كلّ قيد وعرف وفضيلة ، خاصة فيما له علاقة بالجوانب التعبدية والأخلاقية ... بل وصل الحال إلى المستوى الإداري والتنظيمي . ومن الحريات التي تفنن الغرب في اختراع أسماء لها ويرغب في تعميم نموذجه ذلك ما يلي :

١- الحرية المدنية :

ويعرفها أحمد زكي بدوي بأنها : " الحريات التي تتيح للمرء أن يعمل بوحي نفسه دون أن يتقيد بما يحظر أو يضيق عليه عمله نسبياً "[١].

ويلاحظ ملازمة المرجعية السابقة - وهي الإنسان - لهذا التعريف ، وعبارات الانفلات من القيود جلية في هذا التعريف الإداري الذي يمسّ حريات كلّ شخص ، ومع ذلك يرغب الغرب وأمريكا على وجه الخصوص زعيمة العالم الحرّ - كما تقول - أن تروّج نموذجها السابق . والغريب أن نجد صدى هذا التعريف يتمثل في إحدى موادّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، حيث تنصّ المادّة رقم (٢٣) من ذلك الإعلان على أن " لكلّ شخص الحقّ في العمل ، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية "[٢].

ولكن ما هو الضابط الأخلاقي لذلك العمل ؟. وما هي الضوابط الشرعية ؟. وهل ينسجم العمل الذي يوفره صاحب الشركة أو المؤسسة العامة أو الخاصة لطبيعة المتقدم من حيث كونه ذكراً أو أنثى ؟. كلّ هذه التساؤلات ضرب الغرب عنها صفحاً ، وأعلن أنه لا يأبه بها أصلاً ، المهمّ هو الحصول على عمل . أما عن طبيعة ذلك العمل من حيث كونه شريفاً أم غير شريف ، فلا يهمّ طالما أنّ صاحبه قبله ، وطالما أنه يدرّ عليه مالاً ، وهو المهمّ .

ولكن مع ذلك وفي ظلّ مناخ العولمة الذي تسيره الشركات العملاقة وملاكها ، هل التزم الغرب بهذا الحقّ وتنفيذه ؟.

الجواب نجده مُشاهداً وملموساً لدى جحافل المطرودين من أعمالهم من

---

(١) بدوي ، مرجع سابق ، ص١٦٨ .
(٢) الحقيل ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٧٥ .

هذه الشركات ، ونجده لدى الأعداد الهائلة من طوابير البطالة الذين سرحتهم الشركات والمؤسسات بسبب أو بافتعال سبب . فصاحب الشركة حرّ ، ومَن الرقيب ؟. هذا هو مستوى الحرية ونوعها التي تتقدم بها العولمة اليوم ، وتطمح في دمج العالم كله تحت هذا النوع من الحرية بهذه الصورة .

٢ـ الحرية الفكرية :

يقول أحمد بدوي ـ أحرار الفكر ـ : " يطلق هذا الاصطلاح على المفكرين الذين يؤمنون بحرية الفكر واستقلاله ، والذين يعارضون الفكر الذي يستند على العقائد أو المبادئ الدينية .. كما يؤمنون بقواعد المنطق والمنهج العقلي وفلسفة العلوم "(١) .

وتحت هذا النوع من الحرية هتك الغرب حدود الدين وهدم القيم بحجة أنه يريد إظهار إبداعه الفكري ، وأي حد من دين أو خُلق أمام عمل المبدع أو المفكر يُعتبر قتلاً للإبداع ، ومصادرة للرأي الآخر ، وهو ضدّ الحرية . ونتج عن هذا من الإبداع المزعوم نظرية أو مقولة (الفنّ للفنّ) ، فبفعل هذه النظرية المنفلتة خرج الفنّ بكلّ أشكاله ومجالاته بلا أدب ولا ذوق ، ولا حتى فنّ ، بل فوضى وعبثية ، وكفر صريح في كثير من الإنتاجات الفكرية ، بحجّة ممارسة الحرية وإظهار الإبداع . وكأنّ الإبداع هو في محاربة الدين وهتك حُرمات الحياء وتجاوز المألوف من الشرائع والعبادات الصحيحة . وكأنّ الإبداع في قلة الذوق وانعدام العفة . هذا هو مستوى الإبداع الذي يروّج له الغرب . وقد حرّم الإسلام هذا التفلت باسم الحرية ، وأعطى للعقل مساحته التي يتحرك فيها من غير الاعتداء على الذات الإلهية ، وبدون الشطحات التي تتبدد بسببها الطاقات بلا فائدة تُرجى ، حيث قال تعالى : { وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }(٢) .

ويدعو الإسلام إلى التفكر وممارسة مجال حرية الفكر في إطار من الشرعية . يقول ﷺ : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله »(٣)، وهذا ليس حجراً على التفكير كما يحلو للبعض أن يصوره بقدر ما هو توجيه

---

(١) بدوي ، مرجع سابق ، ص١٦٩ .
(٢) سورة الإسراء : الآية (٣٦) .
(٣) الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٩٥ .

لهذا العقل في أن يعمل في إطاره وداخل حدوده حفظاً على طاقاته من التبديد الذي لا طائل من ورائه إلا الضياع ، كما هو عليه الحال لدى أصحاب الإبداعات الغربية التي جنى بها على نفسه وعلى غيره ، لسبب بسيط وواضح ، وهو امتطاء صهوة الحرية بغير زمام ، فأضرّ بنفسه ويريد أن يضرّ معه غيره عبر برنامج العولمة .

٣- الحرية العقدية :

يعرّف هذا المصطلح أحمد بدوي بقوله : " ويشمل ذلك حرية الفرد في الانتماء إلى أحد الأديان أو العقائد باختياره وفي أن يعبر منفرداً أو مع الآخرين بشكلٍ علني أو غير علني عن ديانته أو عقيدته ، سواء كان ذلك عن طريق العبادة أو الممارسة أو التعليم "[(١)].

وتحت هذا النوع من الحرية ترغب بعض قوى العولمة الفاعلة أن تخرج الإنسان من كلّ دين ، فيصبح الإنسان عبداً لشهواته ، وهو ما تنصّ عليه إحدى مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وهي المادة رقم (١٨) ، ونصّها : " لكلّ شخص الحقّ في حرية الفكر والوجدان والدين ، ويشمل هذا الحقّ حريته في تغيير دينه أو معتقده ... "[(٢)].

ولا شكّ أنّ للإسلام مبدأه في حرية الاعتقاد كما سبق في قوله تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }[(٣)]، هذا أمر واضح وجلي ، فلا يَجبر أحداً على الدخول في الإسلام عنوة ، بل الأمر راجع إليه ، وهو مسؤول عن اختياره هذا ، { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً }[(٤)]. وليتحمّل الإنسان تبعية ذلك الاختيار ؛ لأنّه عبد مكلف ، وقد استبان له طريق الهداية وطريق الغواية . فهذه منقبة للإسلام في ضمان هذا الحقّ قبل أن تعلنه مبادئ حقوق الإنسان .

---

(١) بدوي ، مرجع سابق ، ص١٦٩ .
(٢) الحقيل ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٧٤ .
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٦) .
(٤) سورة الإنسان : الآية (٣) .

ولكن الذي لا يرضاه الإسلام ولا يقرّه هو أن يغير المسلم دينه ؛ لأنّ هذه ردّة لا مبرّر لها ، ولا خير فيمن رفض منهج الله . لذا كان جزاؤه أن يُستتاب ، وإلا قُتل ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « مَن بدّلَ دينه فاقتلوه »[1]. وذلك أنّ مَن ذاقَ طعم الإيمان في قلبه فلن يغيّر دينه البتة . أما مَن دخل في الإسلام بغية إفساده من الداخل ثمّ الارتداد عنه ، فهنا يجب قتل هذا الفاعل إذا لم يتب ؛ حمايةً للدين من عبث العابثين ، وتربّص المتربصين ، حتى وإن أزعج ذلك القتل منظمة حقوق الإنسان .

٤ ـ حرية التملك :

يعتبر هذا الحقّ هو شعار العولمة ، بل هو مضمونها ، فالعولمة إنما نشأت فكرتها في أحضان المذهب الرأسمالي الداعي إلى أنّ مِن حقّ الإنسان أن يملك كلّ ما يريد ، وبأيّة وسيلة كانت . والنظام الرأسمالي كما يصفه عبد العليم خضر بأنه " نظام من العلاقات الاقتصادية ينضوي تحته عدد من المشترين والبائعين ، وكلّ منهم يتصرف مستقلاً عن الآخرين للبلوغ بربحه إلى الحدّ الأقصى ... أو هو نظام لا تخضع فيه الأسعار إلا لتفاعل قوى اقتصادية من أيّ قيد يُفرض عليها "[2].

هذا هو منطق العولمة بكلّ صراحة ، وهو تحويل العالم إلى سوق للبضائع ، سواء كانت أشياء أو أفكار أو ثقافات أو عقائد ، فلا بدّ أن ترضخ كلّ تلك الأشياء لمبدأ العرض والطلب ، وأن لا تتستر وتحتمي عن ذلك بأي حدّ من دين أو عُرف أو خُلق ... فالدّهب هو مذهب صنّاع العولمة ، والمال هو ملّتهم ، والملكية الفردية الأنانية هي وسيلتهم لتحقيق غاياتهم . وهذا هو ما صرّحت به رئيسة وزراء بريطانيا ، حيث قالت موضّحة مآل المجتمعات وعقائدها وأخلاقها ودينها في ظلّ نظام العولمة الرأسمالي : " ليست هناك مجتمعات ، ولكن هناك فقط أسواق ، إنّه من البلاهة الاعتقاد بوجود مجتمعات "[3].

بل إنّ زعيم دولة الرأسمالية ـ أمريكا ـ الرئيس بيل كلينتون يتّهم مَن

---

(١) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٨٥ ، حديث رقم : ٨٥٥٩ ، حديثٌ صحيح .
(٢) خضر ، عبد العليم ، أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ، ١٤٠٥هـ ، ص١٩ .
(٣) عبد إسماعيل ، العولمة والعالم الإسلامي ، ١٤٢٢هـ ، ص٤٥ .

عرّف نظام العولمة والرأسمالية بغير التكالب على المال بالغباء ، حيث يقول : " إنه الاقتصاد يا غبي "[1].

وهكذا يريد صنّاع العولمة تقديم العالم على أنه سوق يأكل فيه القويُّ الضعيف ، وهذا يعني أن الرأسمالية التي يعتمل في أحشائها فكر العولمة بكامله تريد العودة بالعالم كله وليس الغربي فقط إلى عصور الإقطاع السحيقة .

يقول محمد قطب : " قامت الرأسمالية في ظلّ جاهلية سمحت من قبل بقيام الإقطاع . والرأسمالية تقوم على نفس القاعدة الجاهلية التي قام عليها الإقطاع من قبل ، وهي حرية التملك بغير حدّ وبكلّ سبيل "[2].

إنّ إطلاق حرية التملك وإقامة نظام الاحتكار لكلّ شيء يعني شيئاً واحداً ، وهو زيادة التوحش البشري ، وهو الأمر الذي سيؤول إليه مستقبل البشرية في ظلّ مناخ العولمة .

يقول أحد المفكرين الغربيين مؤيداً الفكرة السابقة : " إنّ الإجرام والرأسمالية هما المنظمان في أوربا تنظيماً عابراً للحدود "[3].

وصدق الحقّ تبارك وتعالى الذي وصف حالة الإنسان حينما يتهالك على المال ولا يفكّر إلا في نفسه ، فقال تعالى : **{ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً }**[4]. لذلك عدّ رسول الله ﷺ الاحتكار من أسباب استحقاق اللعن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « المحتكر ملعون »[5].

والعولمة لا تقوم إلا على مبدأ الاحتكار والأنانية والانفرادية ، حتى يصبح الإنسان عدوّ نفسه . وهذا نهاية الإفراط في استخدام الحرية التي ظلمت كثيراً .

الحرية الجنسية :

يقول بدوي معرّفاً بهذا النوع من الحرية : " هي علاقات جنسية

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٥ .
(٢) قطب : محمد ، جاهلية القرن العشرين ، ١٩٨١م ، ص١٢٠ .
(٣) عبد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص١٤ .
(٤) سورة المعارج : الآيات (١٩-٢١) .
(٥) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ، حديث رقم : ٩١٧٦ ، وقال : حديثٌ صحيح .

متحررة بدون أن ترتبط بالالتزامات والمسؤوليات المتعلقة بالزواج "[١].

لقد اغتال الغرب تحت هذا المسمى وهذا النوع من الحرية كلّ صور العفاف وهدم كلّ صروح الأخلاق وهتك كلّ حرمات الدين .

إنّ هذا الحقّ الذي تتزعّمه قوى العولمة وتنافح دونه وتنادي به - كما سبق ذكره في هذه الرسالة - عبر منظمات حقوق الإنسان ومؤتمرات السكان والمرأة ، يُعتبر وصمة عار في جبين الحضارة الغربية اليوم حاملة لواء هذه الحرية البهيمية .

وهذا ما صرّح به قائد لواء الغرب المعاصر ، وزعيم أكبر دولة عظمى معاصرة ؛ الرئيس الأمريكي حين أعلن بلا خجل من تاريخ ولا خوف من عقوبة إلهية ، أنه يؤيد كلّ صورَ الإباحية الجنسية حتى بين الشواذّ من الجنسين ، حيث قال : " إنني أؤيد الكفاح من أجل المساواة بين كلّ فئات الشعب الأمريكي بما فيهم الشاذون جنسياً من الرجال والنساء ... لنعمل سوياً لتحويل هذه الرؤية إلى حقيقة "[٢].

إنه انحدار وتسفل وانحطاط قيمي وأخلاقي تترفع عن ممارسته حتى أخسّ الحيوانات وأكثرها تنجساً وخسّة ، ولكن الإنسان الذي أسلم نفسه للشيطان رضي بأن يكون في أقلّ من مستوى الحيوانات . بل إنّ الباحث ليجزم أنّ هذه الحرية إنما هي عودة بالبشرية إلى عهد قوم لوط ، بل إنّ قوم لوط - عليهم من الله ما يستحقون - عندما رأوا من لوط عليه السلام وممن آمنَ معه نفوراً لِما عليه القوم من شنيع الفعل وقبح السجية ، طالبوا بإخراجهم من قريتهم ، كما قال الله عنهم : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ }[٣].

ولكنّ صناع العولمة يطمحون - كما في تصريح زعيم أمريكا السابق - أن يجرّوا العالم كلّه للدخول معهم في قريتهم الكونية ، ليصبح الجميع - وحسبما يطمح صناع العولمة - يعيشون تحت سقف ومظلّة قرية الكفر والدعارة باسم العولمة .

وصدق الله العظيم القائل في وصف سلف المنادين بالحرية الجنسية :

---

(١) بدوي ، مرجع سابق ، ص١٦٩ .
(٢) جريدة الشرق الأوسط ، تاريخ ١٩٩٣/٧/١١م .
(٣) سورة النمل : الآية (٥٦) .

{ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ }[١] .

هذا هو نموذج الحرية التي يرغب الغرب إشراك وجمع العالم عليها ، وهو ما يجري رسمه وتنظيره عبر قنوات العولمة الثقافية المتخصصة في هذا الشأن ، كما سبق إيضاحه . ثمّ تتولى آليات العولمة التي سبق ذكر شيء منها مسؤولية المتابعة والمحاسبة .

ثالثاً : النظرة إلى الإنسان :

أما ثالث عناصر المشترك الثقافي الذي تحمله العولمة وترغب في بثّه والاستناد إليه ، فهو (النظرة إلى الإنسان) ... وما ذلك إلا لأنّ الغربيين يدركون كما يدرك أيضاً غيرهم أنّ نظرة الإنسان إلى نفسه من حيث أصل نشأته ومادّته التي خلق منها ، والإله الذي خلقه ، كلّ تلك الأسئلة وغيرها تلعب دوراً مهماً في تحديد نوعية السلوك الذي سيسير عليه الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، كما أنّ الإجابات عن تلك الأسئلة المثارة حول خالق الإنسان وما ينتج عنها من إجابات صحيحة أو خاطئة ، سوف تحدد علاقة الإنسان بخالقه .

ولأنّ الغرب قد أخذ موقفاً من الدين متطرفاً لأسباب سبقَ ذِكر شيءٍ منها ليس بأقلها بأنّ ذلك الدين الكنيسي مبني على الخرافة ، لذلك راح الغرب يبحث في تراثه عن مصدر آخر يكون بعيداً عن تدخّل الدين الكنيسي لعلّه يجد في ذلك المصدر إجابات شافية لتلك الأسئلة الحائرة في نفس الإنسان الغربي ، ولكن لسوء حظّه فقد وقع الإنسان في الغرب في براثن الخرافة مرتين ، مع أنه رغب الفكاك منها . فكيف حدث ذلك ؟.

يرى الباحث أنّ الغرب وهو يسعى إلى تكوين نظرة خاصة به عن الإنسان ، اقتنع قناعة جازمة بنتائج لنظريتين خرافيتين غربيتين عن الإنسان ، هما :

- أولاً : نظرية النار المقدسة :

تنطلق هذه النظرية من أسطورة مغرقة في القدم والخرافة ، حيث إنّ مضمون هذه النظرية يصوّر العلاقة بين الإنسان وخالقه بأنها علاقة صِراع وتحدٍّ دائم ..

---

(١) سورة الحجر : الآية (٧٢) .

وملخص هذه الأسطورة - النظرية - المسماة بأسطورة (بروميثوس - سارق النار المقدسة) : " أن زيوس إله الآلهة ، أو ربّ الأرباب ، خلق الإنسان من قبضة طين الأرض ، وسواه على النار المقدسة والتي ترمز إلى المعرفة ، ثمّ أهبطه إلى الأرض وحيداً يعيش في ظلام دامس ، رمزاً للجهل الذي كان عليه الإنسان الأول ، ثم أشفق عليه كائن أسطوري يسمى (بروميثوس) فسرق النار المقدسة - المعرفة - وأعطاها له - أي للإنسان - "(١) .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت العلاقة بين الإنسان وخالقه علاقة صراع وتحدٍّ . فالإنسان بحسب هذه الأسطورة يريد أن يشارك الإله في صِفة من صِفاته ، وهي المعرفة ، والإله يريد أن يمنع الإنسان وينتقم منه بسبب هذا الجرم الذي اقترفه ، ويريد الإنسان بعد أن حصل على سرّ المعرفة أن يقهر الإله ويتحدّاه ؛ ليكون الإنسان بعد ذلك هو " الذي يخلق الحياة ، فيصبح هو الله "(٢) .

وبالربط بين ما آل إليه أمر الإنسان بسبب اقتناعه بجدوى هذه النظرية الخرافية وما آلَ إليه أمر الإله في نهاية العلمانية المتطرفة ، يلاحظ أنهما وصلا إلى نتيجة واحدة ، وهي (تأليه الإنسان) ، أو تأليه العِلْم الذي جاء به الإنسان .

وبناء على نتائج هذه النظرية الأسطورية منح الغرب نفسه حقّ التشريع حسبما تقتضيه مصلحته الذاتية ، بل وأيضاً يحقّ لهذا الإنسان أن يثور على هذه التشريعات إذا رغب ؛ لأنّها في نظره تمثّل كبتاً لحرياته ، أو لأنّها من بقايا سُلطة الربّ ...

حقاً لقد قذفت هذه الأسطورة في ذهنية الغرب قناعة وغروراً أوهَمَه أنه كلما تقدّم الإنسان خطوة في المجال العلمي والمعرفي ، كلّما تأخر الإله بالمقابل وهبط خطوة إلى الوراء . وكلما صعد الإنسان عن طريق العِلْم درجة ، هبط الإله مثلها ... حتى وصل الحال في نهاية المطاف إلى قناعة تأليه الإنسان عوضاً عن الإله أو موت الإله . إذاً فلا داعي للشرائع السماوية ، بل والموجود منها الآن يجب أن يحطم ، وهو ما تنادي به قُوى العولمة اليوم ، وهو ما يُراد تنميط العالم به ، بحجّة أنّ الإنسان سيد

---

(١) قطب ، حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ١٤٠٩هـ ، ص٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص٦٥ .

نفسه ، ولا وصاية لأحد عليه .

● ثانياً : نظرية النشوء والارتقاء :

هذه هي النظرية الثانية ، والتي ما زال الغرب يروّج لها ، وبخاصة ما يتعلق منها بحقيقة الإنسان ، وهي النظرية التي جاء بها العالم اليهودي (داروين) .

وملخص نظرية داروين كما يقول أحمد باشميل : " إنّ هذه النظرية تقول : إنّ تكوين الإنسان بدأ بجرثومة صغيرة وُجدت في البيئة المائية ، ثم تدرجت على مَرّ آلاف السنين إلى حياة ثانية حول المستنقعات التي نبتت فيها هذه الحياة ، والتي تدرجت ارتقاءً إلى حياة حيوانية بدائية فأكبر ، فحيوانات ذات فقرات ، فحيوان قريب من الإنسان الأول ، فالإنسان الأول ... حتى وصل إلى درجة الإنسان الحاضر "(١) .

ومكمن الخطورة في نظرية (داروين) أنها تنكر وجود الإله ابتداءً ، وتعيد أصل الإنسان إلى كونه حيواناً لا يقيم وزناً للأديان السماوية ولا يعترف بها ولا بما تمخض عنها من شرائع وأخلاق . وهو ما يؤكّده أيضاً باشميل ، حيث يقول بأنّ هذه النظرية " تربط الإنسان بما على وجه الأرض من غرائز حيوانية ، وميول بهيمية ، وتقطع صلته بما سواها على اعتبار أنّ الإنسان كما هي نظرية داروين (إنما هو حيوان) "(٢) .

وبهذا التفسير المادي للإنسان يضع صاحب النظرية العذر والحجة للإنسان في أن يكون وحشاً كاسراً محطماً للقيم ، هاتكاً للحُرمات ، متبذلاً في أخلاقه ، متسفلاً في ممارسة أفعاله .. ولا تثريب عليه ولا لأحد حقّ الاستنكار أو الإنكار ؛ لأنّ الإنسان إنما يعود بتلك الأفعال والسلوكيات إلى أصله الحيواني .

وهنا تلتقي هذه النظرية مع منطق العلمانية في إعطاء الإنسان كامل الحرية فيما يأتي أو يذر ، وتلتقي أيضاً مع العولمة في كون هذه الظاهرة تريد تجاوز الحدود وتحطيم كلّ ما يعوق تقدّم الرأسمالية المتوحشة ، والتي يعيش في كنفها فكر العولمة .

---

(١) باشميل ، الإسلام ونظرية داروين ، ١٣٨٨هـ ، ص١٢٠ .

(٢) باشميل ، المرجع السابق ، ص٦٩ .

ولعلّ مما يكون ذا علاقة توضيحية هنا ، هو ذلك الابتهاج الذي أبداه الغرب - وعلى كلّ المستويات - بنتائج الهندسة الوراثية ، لا لأنّ هذه النتائج تعتبر فقط إنجازاً علمياً رائداً ، بل لأنها تمثل أيضاً رمزاً من رموز انتصارات الإنسان على الإله الذي حسب زعمهم يريد احتكار المعرفة ، وهو الذي تتحدث عنه النظرية الخرافية الأولى ، وكذلك الحال بالنسبة للنظرية الثانية ، حيث يرى لها أنصار كثير جداً ، وقد عبرت عن ذلك الجماهير الغربية ومَن سار في فلكها عبر المؤتمرات المتعلقة بالسكان ، والمتعلقة بتحديد النسل ، والتي تعالج - بزعمهم - وضع المرأة في العالم ، وما تمخض عنها من تكوين الأسر المثلية الشاذة ، والتي تمثل تفعيلاً لمضمون نظرية داروين .

هكذا ينظر الإنسان الغربي إلى نفسه اليوم ، وهكذا يريد أن يروّج نظرته إلى نفسه ليجعل العالم كلّه - إن استطاع - ينتمي إلى تلك الثقافة التي أفرزتها نظريات الدجل والخرافة ، والتي تولد عنها كلّ صور الانحلال والمجون بشكل غير مسبوق في تاريخ البشرية كله .

النظرة الإسلامية إلى الإنسان :

إذا كانت بضدّها تتميّز الأشياء ، فإنّ الضدّ يكشف حقيقة الضدّ . لذلك هذه بعض النقاط التي توجز نظرة الإسلام إلى الإنسان .

فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق بإرادة الله ؛ القائل سبحانه وتعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }[١]، وهو مميّز بنفخة من روح الله ، القائل : { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ }[٢]. وهو مخلوق من مادّة شريفة ، وهي الطين والتراب ، { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ }[٣]. وقال ﷺ : « كلكم بنو آدم ، وآدم خُلق من تراب » .

وهو مخلوق مكلّف بالعبادة ، مأمور بها شرعاً وعقلاً . قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ }[٤].

أما الحيوانات فهي غير مكلّفة ؛ لأنّها غير عاقلة ، بعكس الإنسان الذي

---

(١) سورة البقرة : الآية (٣٠) .
(٢) سورة الحجر : الآية (٢٩) .
(٣) سورة المؤمنون : الآية (١٢) .
(٤) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .

كرّمه الله بالعقل ، والذي هو مناط التكليف . قال تعالى : { وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }[١].

وهو مع أنه مكلّف مأمور ، إلا أنّ له حقّ الاختيار بعد أن يكون عرف الحقيقة . قال تعالى : { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً }[٢].

وهو عند ذلك محاسَب على أعماله ، وهو مقتضى الحِكمة وتمام العدل . قال تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ }[٣]، ويقول تعالى : { أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً }[٤]. وهو بهذا مكرّم بنصّ من خالقه القائل : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }[٥].

ولكنّ الغرب بنظريتيه السابقتين لا يرغب في هذا التكريم ، بل يرد الإنسان إلى أسفل الدركات . فهذا هو تكريم الغرب المزعوم للإنسان .

ولقد لخص نذير حمدان بعض مظاهر تكريم الله للإنسان في النقاط التالية :

" الإنسان مخلوق ترابي (طيني) روحي ، عاقل ، مفكّر ، مبدع ، عامل ، قادر ، حرّ ، مريد ، عطوف ، قوي بقدراته الحسية والمعنوية ، مسؤول عن تصرفاته ، نزّاع إلى الحقّ والخير ، لديه استعدادات الخير وفطر الإيمان ، منفعل بالسنن الكونية . وتكتمل شخصية الإنسان في شخصية المسلم ... وهو أيضاً ضعيف ، هلوع ، مغرق في حُبّ الدنيا ، طاغٍ بمالهِ وسلطانه "[٦]، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال .



(١) سورة الأنعام : الآية (١٥١) .
(٢) سورة الإنسان : الآية (٣) .
(٣) سورة المؤمنون : الآية (١١٥) .
(٤) سورة القيامة : الآية (٣٦) .
(٥) سورة الإسراء : الآية (٧٠) .
(٦) حمدان ، حكمة القرآن والحضارة ، ١٤١٦هـ ، ص١٥٤ ، ١٥٥ .

الفصل الرابع

(دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة الثقافية)

<u>المبحث الأول</u> : طبيعة البيئة المدرسية في عصر العولمة .

<u>المبحـث الثاني</u> : تفعيل دور الأسرة المسلمة في عصر العولمة .

<u>المبحـث الثالث</u> : الأخذ بمبدأ استمرارية التعليم .

<u>المبحـث الرابـع</u> : الأخذ بمبدأ التعليم التعاوني .

<u>المبحث الخامس</u> : الأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي .

<u>المبحث السادس</u> : إعداد الطالب المسلم لسوق العمل الملائم .

<u>المبحـث السابع</u> : ترشيد وسائل الإعلام .

<u>المبحـث الثامن</u> : المحافظة على الهوية الإسلامية .

<u>المبحث التاسع</u> : إبراز عالمية الإسلام .

الفصل الرابع

(دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة الثقافية)

المبحث الأول : طبيعة البيئة المدرسية في عصر العـولمة :

يدرك محرّكو ظاهرة العولمة أنّ من طبيعتها الشمول والتمدد والاحتواء لكلّ مجال من مجالات الحياة ، لذلك فإنّ المؤسسة التربوية بعمومها ، والمدرسية منها على وجه الخصوص ، هي من أهمّ المجالات التي لا بدّ أن تتأثر وتؤثّر بوجود هذه الظاهرة ، حيث إنه من المتوقع مستقبلاً أن يعتري النظام التعليمي في بيئته المدرسية بكلّ عناصره وأعضائه تأثيرٌ واضح المعالم جرّاء تعرّض هذه العناصر لرياح العولمة .

وقد يختلف التأثر والتأثير واتّخاذ المواقف بين الشدّ والجذب ، أو الرفض والانقباض .

ومن المتوقع أيضاً أن تشهد بيئة المدرسة - بشكلٍ عامّ - تحركات عنيفة ، ليس من حيث الشكل ، بل ومن حيث المضمون أيضاً ، وكذلك الأدوار وتقلّد الوظائف وتبدّل الأساليب ، وهذا ما تؤكّد عليه وثيقة المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف في الوطن العربي ، والتي كان عنوان وثيقته الرسمية : (مدرسة المستقبل) ، إذ جاء في هذه الوثيقة الصادرة عن هذا المؤتمر ما يلي :

" إنّ التوتّر بين عالمي العولمة والمحلية ، والذي من المتوقع أن يزداد ، سيؤدي إلى تقليص كبير في سُلطات ومهامّ وتأثير الدولة القومية ، وسوف لا تستطيع الدولة خاصة في الدول النامية - نسبة لحداثة تكوينها وهشاشة مؤسساتها - أن تصمد أمام هذا التوتّر ، ولهذا تأثير كبير على مستقبل وطبيعة ومهامّ المؤسسة المدرسية في القرن الحادي والعشرين من حيث وضع فلسفة وأهداف التعلم وإدارته ، والسيطرة عليه وعلى مناهجه ومحتواه ، وعلى القِيَم التي ينبغي أن يبثها أو يحافظ عليها النظام التعليمي ، فقُوَى العولمة ستؤثر - بلا شكّ - على مستوى النظام الكلي للمؤسسات التعليمية ، كما أن القوَى

المحلية سيكون لها تأثير على النظام التعليمي "[1].

وبدخول التكنولوجيا كأحد تقنيات التربية والتعليم المعاصرة ، وبشكل غير مسبوق ، فإنه من المتوقع أنّ هذه التقنيات الحديثة ستلقي بظلالها الكثيفة على العملية التربوية والتعليمية ، وسيكون - إذا قدّر الله وشاء - لمفرزات هذه التكنولوجيا المتطورة دور بالغ الأهمية في إحداث نقلات نوعية في العملية التربوية والتعليمية بكلّ عناصرها ومضامينها وفلسفاتها وأهدافها ، وسوف تغير هذه التقنيات المتطورة من أدوار بعض العناصر الفاعلة في العملية التعليمية من ماضيها التقليدي إلى واقع جديد له طابع خاصّ ، بل له أيضاً إستراتيجيات تهزّ الصورة التربوية والتعليمية التقليدية من أركانها . وهذا ما يتحدّث عنه يوسف نصير بالقول :

" إنّ النظرة التقليدية للعملية التعليمية تعتمد على مفهوم نقل المعرفة إلى الطفل أو الطالب ، وإكسابه بعض المهارات الأساسية لتساعده على فهم بيئته والتعايش معها ، وهذا يعتمد على أسلوب الحفظ للمعلومات واستيعاب مفاهيم أساسية يستطيع تطبيقها لحلّ المشكلات التي تواجهه في المستقبل ، إلا أنه وفي عصر المعلومات وثورة المعرفة وانعكاسات ذلك على مختلف مناحي الحياة ، فقد باتَ من الواضح أنّ مثل هذا الأسلوب التقليدي في العملية التعليمية لا يكفي لضمان حياة أفضل لأطفال اليوم ورجال المستقبل ، حيث إنّ هذا النمط أو المنهجية لا يفرز أجيالاً قادرة ومؤهّلة للتعامل مع الأحداث الحياتية إلا من خلال ردود الفعل على تلك الأحداث ، بمعنى معالجة المشكلات بعد حدوثها ، أي أسلوب الصيانة ، أما المطلوب فعلياً ، فهو تهيئة الطالب لمواجهة تحديات القرن القادم من خلال إعطاء الطالب القدرة على وضع إستراتيجيات للوصول إلى الهدف بطريقة سريعة ، وخاصة فيما يتعلق بالاختبارات والعمليات المخبرية ، وإعطاء الطالب القدرة

---

(١) وثيقة المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف في الوطن العربي باسم (مدرسة المستقبل) والمنعقد في دمشق في الفترة من ٢٧ إلى ٢٨ ربيع الآخر عام ١٤٢١هـ ، ص١٣ .

على وضع الخطط اللازمة لمعالجة المستجدّات والتحضير لها قبل حدوثها وزيادة قدرة الطالب على تحقيق الاستقلال الذاتي ، سيما فيما يتعلق باتّخاذ القرار والحُكم على الأمور "[١] .

وهذا يعني أنّ دور المعلم سوف يتغير في المنظور القريب ، وبالمِثل دور التلميذ ، وكذلك سيطرأ تغيير جذري على نوعية الوسيلة التعليمية ، وعن علاقة المدرسة بالمجتمع ، والأهداف التربوية المتوخّاة من المدرسة ، والطرق والأساليب التعليمية ، وعلاقة المعلم بالتلميذ ، وعلاقة كلّ منهما بالمنهج المدرسي أو الكتاب المدرسي ، وهي لا شكّ تغيّرات تأخذ شكل التحدّي بوجهيه الإيجابي والسلبي ، الذي من المحتمل أن تواجهه التربية بشكلٍ عامّ .

وسيحاول الباحث في هذه الدراسة من خلال هذا المبحث تسليط الضوء - على قَدر جهده ومدى علمه - على أهمّ المحاور التي يتوقع - إذا قدّر الله ذلك - أن يطالها شيء من التغيير ، والتأثر بفعل ظاهرة العولمة وتقنياتها التي اخترقت الحواجز والحدود ؛ بغية إيجاد نسيج تعليمي وتربوي متجانس أو متوحّد .

وأوّل المحاور في البيئة المدرسية التي ستكون عرضة للتغيير ، ما يلي :

المحور الأول : رسالة المدرسة :

لم يَعُد مقبولاً من المدرسة في عصر العولمة أن تنأى عمّا يدور خلف جدرانها من أحداث معرفية وتكنولوجية ... بل ستكون المدرسة في قلب المعمعة . ومن المتوقع أن تحدث في رسالة المؤسسة المدرسية تغيرات جذرية . وقد أشارت وثيقة (مدرسة المستقبل) - الصادرة عن المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف في الوطن العربي - إلى هذا التوجّه ، مما حَدا بالوثيقة أن تطلب من المدرسة أن تغيّر مسار رسالتها ، تمشياً مع طبيعة العصر المتّسم بالانفجار التكنولوجي والطفرة المعرفية ، حيث تقول الوثيقة : " فالمعرفة في القرن الحادي والعشرين سيكون ديدنها الزيادة والتفجر والتوسع والتغيير

---

(١) نصير ، ندوة : المدرسة الأردنية وتحديات القرن الحادي والعشرين ، ورقة عمل بعنوان : تكنولوجيا المعلومات والعملية التعليمية ، ١٩٩٩م ، ص١١٣ .

الدائم ، مما يترتب عليه أنّ الإحاطة بها لن تكون دائماً أمراً ممكناً ، وإنما الممكن أن يُهيَّأ المرء لمتابعة حركتها والقدرة على الوصول إليها والاختيار منها ، والتحقق من دقتها "(١). وهذا يستدعي من المدرسة أن تعمل على محورين متلازمين ، وهما : إعداد الطالب لاكتساب المعرفة والوصول إليها من مظانّها الجديدة عبر إتقان استخدام أجهزة الحاسب والتعامل مع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ، وهذا أمر في غاية اليسر والسهولة . أما الأمر الثاني : فهو أن تعدّ المدرسة الطالبَ لِحُسن اختيار المادّة العلمية والمعرفية التي يرغب الوصول إليها ، وهذا يحتاج إلى أن تغرس المدرسة في نفوس الناشئة أسس العقيدة الإسلامية ، وأن تربيهم على مبادئ ومُثل الإسلام ، وأن تكوِّن لدى الطالب الرقابة الذاتية ، وأن تحصنه ضدّ مغريات هذا التدفق المعلوماتي المركز والمغري أيضاً .

وهذا المحور الثاني من صميم عمل المدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى ، ولكنه يتأكّد بشكل أكبر في حقّ المدرسة ، وإن كان (الخرق قد اتّسع على الراقع) ، لاسيما إذا أخذ في الاعتبار قوة الإغراء وشدّة الجذب وأسلوب الترغيب بالغواية ، إلا أنّ ذلك لا يعفي المدرسة من المقاومة والتحصين ، وكذلك الحال بالنسبة لدور ورسالة المدرسة ، مع التغير المتوقع في طبيعة المجتمع ، حيث ستصبح الحدود الزمانية والمكانية شبه مشلولة أو ملغاة أمام حركات السلع والأفكار والخدمات في ظلّ هذا البثّ الفضائي المتتابع ، مما يعني أنّ على المدرسة أن تؤدّي دوراً حمائياً ووقائياً تجاه المجتمع الذي تتبنّى سياسته وفلسفته ، وتحمي عقائده ، وتعلّم شرائعه .

جاء في الوثيقة السابقة عن طبيعة المجتمع في عصر العولمة : " فالمجتمع في القرن الحادي والعشرين سيكون مجتمعاً واسعاً مفتوحاً ، تتغير طبيعته باستمرار "(٢).

وهذا يعني أنّ على المدرسة أن تعي طبيعة التغيرات الاجتماعية وتوجّهاتها وآثارها على الخصوصية الدينية والقومية ... من أجل صيانة ذلك . وعلى المدرسة أن تؤدّي دوراً آخر ، هو توعية المجتمع المحلي بما يدور في فلك المجتمعات الأخرى من تغيّرات عنيفة غيّرت مسار

---

(١) وثيقة المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف في الوطن العربي باسم (مدرسة المستقبل) ، مرجع سابق ، ص٤١ .
(٢) المرجع السابق ، ص٤١ .

وشكل الخريطة الجغرافية والسياسية . ولم يعُد الانعزال عمّا يدور في الخارج ممكناً ، ولا الاندماج لدرجة الذوبان ممكناً أيضاً ، فلا بدّ مِن مَدّ جسور التواصل بين المجتمع وقِيَمه وعاداته وهويته الخصوصية ، وبين المدرسة التي يقع عليها عبء تجذير السلوك المرغوب فيه ، وتنقية الوافد من قيَم وخلافه مما يضير بالهوية الخصوصية ويُحدث فيها ثقوباً واختراقات قد تؤدّي إلى الانهيار بفعل الانبهار وعدم التحصين التربوي والتعليمي الذي تضطلع به المؤسسة المدرسية .

ولا شكّ أنّ التغيير المتوقع لن يقتصر على نوعية المعرفة وطريقة اكتسابها ، أو المجتمع وتشكّله ، بل هناك أمرٌ آخر سيناله شيء من التغيير ، ألاَ وهو الإنسان أو الفرد لإعادة تثقيفه حسب الوجهة التي يرغب فيها صنّاع العولمة ، مما يلقي تبعات جديدة على عاتق التربية ، وبالذات الإسلامية منها ، والمؤسسة المدرسية المنبثقة منها ، فقد جاء في وثيقة (مدرسة المستقبل) ما يفيد أن التغير سيلحق بالفرد في تكوينه الثقافي وولائه ومفاهيمه وقِيَمه ، حيث تقول الوثيقة : " ستتاح للفرد إمكانيات جديدة على مستوى نموّه الفكري والعقلي والوجداني والروحاني ، بل حتى الجسمي . ويترتب على هذا : أن تعيد المؤسسة المدرسية من جديد رسم القدرات والمكونات والقِيَم والمهارات التي تريد أن تنمّيها في الفرد "(١).

إذاً ، فهناك تغيّر كبير سيلحق بطبيعة عمل المؤسسة المدرسية جرّاء هذا التحرّك العالمي الذي بدأ يفرض نفسه عبر تقنيات تضخّ معلومات ومعارف وثقافات تتحدّى المؤسسة التربوية ، وعلى رأسها المدرسة ، التي سيطلب منها أن تُحسن التعامل مع هذه التغيّرات بالقبول أو الرفض ، والتفاعل مع الأحداث بما يساهم في إعداد الطلاب لمتغيرات القرن الجديد ، مع تحصينهم ضدّ كل ما يخالف تربيتهم الإسلامية والأخلاقية .

> يقول عمر الشيخ : " لعلّ أهمّ جوانب التغيير المطلوب ، أن تتّجه المدرسة بجدّيّة وقوة إلى العمل على أن يكتسب الطلبة جملة من المهارات والسِّمات المؤاتية للتنمية الاقتصادية . ومن السِّمات المطلوبة : الريادة الاقتصادية ، والمبادرة التشاركية والتعاونية . ومن المهارات : مهارة الحصول على المعلومات

---

(١) المرجع السابق ، ص٤١ .

الملائمة ، وفرزها وتنظيمها وحُسن استخدامها للغايات الفردية والجماعية ، ومهارات صنع القرار ، ومهارات التفكير العلمي والتفكير التقاني ، ومهارات العمل في مجموعات أو فرق . وحتى تتمكن المدرسة من تكوين هذه السمات والمهارات عند طلبتها ، فليس لها مفرّ من إحداث التغيير في بنيتها المادية والتكنولوجية ، وفي مناهجها وإستراتيجيات التعلّم والتعليم والتقويم فيها "[١].

وهذا يقتضي أن تغيّر المدرسة شيئاً من طبيعة عملها التقليدي الذي كان منصباً على التلقين والحفظ إلى دور آخر وشكل آخر ، هو المشاركة والمفاعلة وإعداد الطالب لكيفية الحصول على المعرفة بدلاً من الأسلوب السابق الذي يعتمد على تقديم المعلومة أو المعرفة إلى الطالب جاهزة ، فأصبح التغيير في صلب عمل المدرسة أن تتحول من أسلوب : ماذا يتعلم الطالب ؟.. إلى أسلوب جديد ملائم لتغيرات وتقلبات وتدفقات المعرفة ، ويعتمد على : كيف يتعلم الطالب ؟. مع الأخذ في الاعتبار بالنسبة للتربية الإسلامية من ضرورة التحصين الإسلامي للطلاب عند تعاملهم مع المعارف والمعلومات والأفكار الجديدة التي سيصلون إليها .

إنّ هذا التوجّه الجديد في رسالة المدرسة لا شكّ أنه قد قلب الموازين حينما جعل الطالب يطارد المعارف والمعلومات عبر بوابات التكنولوجيا ووسائط الاتصال التي يتّسم بها العصر .

وهذا ما يؤكّد عليه يوسف ميخائيل أسعد حينما يحدد دور مدرسة المستقبل بالقول : " إنّ الأساس في التعليم لا ينصبّ على (ماذا) ، بل ينصبّ على (كيف) ، فالفلسفة التربوية التعليمية سوف تركّز همّها مستقبلاً على تعليم التلاميذ كيف يقرؤون وكيف يكتبون وكيف يعملون بأيديهم ، وكيف يتدرّبون على استخدام الأدوات ... "[٢].

إذاً ، أصبح دور المدرسة إعداد الطالب للوصول إلى المعرفة بدلاً من تقديمها إليها ، ولكن هذا لا يعفي التربية - وبالذات الإسلامية - من الدور الوقائي والتحصين ضدّ ما يعارض مبادئ وقيَم وشرائع الإسلام .

---

(١) الشيخ ، مقدمة عن ندوة المدرسة الأردنية وتحدّيات القرن الحادي والعشرين ، ١٩٩٩م ، ص١٨ .
(٢) أسعد ، البشرية والمستقبل الغامض ، ١٩٩٣م ، ص١٤٧ .

إنّ الدور المطلوب من المؤسسة المدرسية - والذي ينتظره مروّجو ظاهرة العولمة والمسيرون لها - ، هو أن تتبنى المدرسة تربية الطلاب على تقبل الشكل الجديد للإنسان العالمي عبر تغيير قناعات الطلاب بأن يتقبلوا كل ما يقذف من معلومات ومعارف جديدة ، تنقلها لهم تقنيات الاتصال ، وتوفّرها أجهزة الكمبيوتر ؛ ليصبح الجميع منضوين تحت مظلة علمية عالمية واحدة ، فما يعرفه طالب في الشرق يدرسه ويعرفه طالبٌ في الغرب ، والعكس بالمِثل ، والبقاء للأقوى الذي يمتلك هذه التقنيات ويسخّرها لخدمة أغراضه .

نعم ، المعرفة حقّ مشاع ، من حقّ كل إنسان أن يصل إليه بجهده وجدّه واجتهاده ، ولكن ليس كلّ المعارف والمعلومات تُقبل ، وليس كلّ أبواب العِلْم تُطرق ، وليس كل ما يُعْرَف يقال أو يُبَثّ ، وإن كان هذا المنطق الحدودي لا يروق ولا ينسجم مع منطق العولمة التي لا ترغب في رؤية أيّ نوع من الحدود حتى تصل إلى تحقيق حلمها وتشكيل نمطها ، وتعميم ثقافتها وتربيتها وتعليمها ومبادئها وقيمها ...

وهذا مما يضاعف المهمة ، ويثقل كاهل القائمين على شؤون التربية والتعليم والتثقيف في البلاد الإسلامية .

المحور الثاني : المعلّم :

يعتبر المعلّم عنصراً لا غنى عنه في المدرسة التقليدية ، وهو كذلك في المدرسة الحديثة وفي مدرسة المستقبل أيضاً . وإن كان الدور المناط بالمعلم سيتغير حتماً بسبب دخول مؤثرات جديدة في العملية التعليمية والتربوية ، وبسبب تعدد مصادر المعرفة داخل المدرسة وخارجها .

وقد جاء في وثيقة استشراف مستقبل العمل التربوي لدول الخليج العربي :

" يُعدّ المعلّم رأس العملية التربوية وسرّ نجاحها ، وهذا يقتضي حُسن اختياره وإعداده وتأهيله وتوسيع إدراكه ؛ لعِظم مسؤوليته عن الرِّضا التامّ ، وتعميق انتمائه لدينه ووطنه وأُمّته ورسالته التربوية ، حيث إن التعليم رسالة أكثر منه وظيفة ، بحيث يتمثل في القائم بها القدوة الحسنة قولاً وعملاً ... وأن يكون قادراً على التعامل بكفاية عالية ، مع التقدّم التقني الذي يشهده العصر الحاضر والمستقبل ، ومع الانفجار المعلوماتي

واستثماره إلى أقصى درجة ممكنة في تحقيق أهداف التربية وغاياتها "[١].

وسوف يكون دور المعلّم عُرضة لتيار التغيير الذي ستجلبه تقنيات العصر المتطوّرة والمتخمة بالمعارف والعلوم .

يقول يوسف نصير : " مع دخول الحاسوب إلى الصف واستخدامه كوسيلة تعليمية فاعلة ، أصبح هناك تغيير في دور المعلّم ... حيث أصبح المعلّم والطالب شريكين في العملية ، فالحاسوب واستخدامه في التعليم يساعد المعلم على إيصال المعلومة للطالب ، كما يساعد الطالب على تفهّم المادّة التعليمية "[٢].

أما يوسف ميخائيل أسعد ، فإنه يحدد دور المعلم في المستقبل ، وهو دور مغاير لِما كان عليه سابقاً ، وذلك بفعل تأثير التكنولوجيا المتقدّمة ونوعية وكمية المعارف والمعلومات التي أصبحت سِمة هذا القرن أو العصر ، فيقول : بالنسبة " لمعلّم المستقبل ، فسوف تكون مهمته مقتصرة على تدريب - ونقول : (تدريب) وليس تعليم - التلاميذ والطلاب على الفنون المختلفة التي يتمكنون بواسطتها من استخدام الأجهزة أو صنع الأشياء ، أو إصلاح الأعطاب ، أو التخطيط للعمليات المتباينة "[٣].

إذاً ، أصبح دور المعلّم - موجِّهاً ومشرفاً - أكثر منه ملقناً ومحفظاً . فلم يعُد ذلك الأمر مُجدياً في عصر انفرط فيه عقد المعلومات ، وسهل الوصول إليها ، وتدفقت من كل حَدَب وصوب ، ولم يعُد من الممكن السيطرة على سيل المعرفة العارم والمتجدد ، والذي يقتضي تغييراً جذرياً في الأساليب والأدوار والوسائل التربوية . ويرى البعض من التربويين أنّ حَسْب المعلم في المستقبل أن يعلّم (كيف) بدلاً من أن يعلّم (ماذا) ، وسوف تتغير خارطة العملية التربوية والتعليمية ، وتتحول إلى تعليم مهارات وإتقانها .

يقول صاحبا كتاب (تربية المعلم للقرن الحادي والعشرين) ، منوّهَين

(١) وثيقة استشراف مستقبل العمل التربوي في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج ، ٢٠٠٠م ، ص٨٣ .
(٢) نصير ، ندوة : المدرسة الأردنية وتحديات القرن الحادي والعشرين ، مرجع سابق ، ص١١٤ .
(٣) أسعد ، مرجع سابق ، ص١٤٩ .

ومنبّهَين إلى الأثر الذي سيحدث - بقدَر الله - في العملية التربوية والتعليمية بفعل المستجدّات الحديثة ، " يرى بعض المربين أنّ هذه التغيرات المحتملة تجعل تعليم الغد مطالباً بتأكيد عدد من المهارات الرئيسية ، مثل : القدرة على التكيّف والمرونة ، والقدرة على التعامل مع الغير السريع ... والقدرة على استشراف التغير والاستعداد له والتهيؤ له للتأثير فيه "(١).

إنّ الدور المطلوب من المعلم في المستقبل أن يكون لديه دراية بالمستجدّات العصرية والتوجّهات الحضارية والثقافية ، وإلمام بالتحدّيات التي تواجه أمّته ، وأن يجعل من الرصيد المعرفي السابق قاعدة الانطلاق للحاضر بتوظيفه عِلمياً وعملياً ، بما يلائم الواقع ويفعّل العناصر .

المحور الثالث : المناهج الدراسية :

يجزم كثير من الباحثين والمفكّرين التربويين وغيرهم على أنّ الثورة العلمية والطفرة التكنولوجية المواكبة لظاهرة العولمة ستلقي بظلالها وتأثيراتها على مؤسسات التعليم ، مما يستدعي من هذه المؤسسات أن " تقوم بتغيير المحتوى بما يتفق والمهارات المطلوبة في ظلّ احتياجات العمل بتكنولوجيا الاتصالات ومستويات المعرفة الجديدة لعصر المعلومات "(٢).

وهذا القول يؤكد أن الثورة التكنولوجية بكلّ أشكالها ووسائطها الاتصالية الحديثة والحاسبات المتطوّرة بما تقدّمه من معارف وعلوم وثقافات سوف تؤثر على سير العملية التعليمية ، مما يتحتم معه النظر إلى المناهج الوافدة ومحتوياتها بعين الناقد البصير والتحليل العميق والإدراك الواعي لِما تتضمّنه هذه التقنيات من محتويات علمية وثقافية ، سوف تكون هي المادة البديلة للمناهج السابقة ، وسوف يتشكل بموجبها تعليم وتدريب الأطفال ، والتي سوف تنحو بهم نحو التوحّد العالمي في المادّة العلمية المقدمة عبر هذه المناهج التعليمية الوافدة ، مما قد يترتب عليه حدوث تجانس فكري وعلمي وثقافي وسلوكي .

يقول يوسف ميخائيل أسعد معبّراً عن المشهد المتوقع - إذا قدّر الله -

---

(١) شوق ، وزميله ، مرجع سابق ، ص٦٦ .

(٢) عبد المنعم ، وقدري ، الدراسات البيئية مدخل لتطوير مناهج التعليم المصري في ضوء العولمة ، ١٩٩٩م ، ص١٣٨ .

لطبيعة المناهج والكتب المدرسية ، والتي يتوقع أن تتغذى عليها عقول الطلاب في المستقبل ، ويسجل ذلك في عدد من النقاط كما يلي :

١- " قد تلغى الكتب الدراسية المقررة بالنسبة لجميع الموادّ الدراسية الحالية ، ولا يستبقى منها سوى كتب التدريبات ... وسوف يكون التركيز على الكتب التي تقوم بتدريس الموادّ التي تتعلق (بالكيفيات) لا بالموادّ ؛ لأنّ كتب المستقبل في ظلّ ثورة المعرفة والثورة التكنولوجية سوف تهتمّ بالجانب الكيفي لا بالمضمون ، يعني بكيفية الأداء وليس الكمّ "[(١)].

٢- " يتوقع أن يكون التركيز على العمل الميداني والاهتمام بجانب التدريب العملي "[(٢)].

٣- " من المتوقع أن يكون شكل الكتاب في المستقبل غير مطبوع ، بل محضراً بالجستتنر ، وسيكون ذلك عن طريق جهاز الكمبيوتر الذي سيكون من السهل أن تجهّز بواسطته المادّة المطلوبة بالتفصيل وبعدد النسخ "[(٣)].

٤- " من المتوقع أن يكون الطلاب أنفسهم قد يعمدون في المستقبل إلى إعداد الدروس ، مع توجيه بسيط من المدرّس ، وبخاصة مع وجود الكمبيوتر وغيره من وسائل يتسنى بواسطتها تحصيل المعرفة وتبويبها وتنظيمها "[(٤)].

في هذه النقاط السابقة قد يظهر تجسيد لشكل الكتاب المدرسي ومحتواه في مدرسة المستقبل ، والذي يتّجه نحو الكيف والتطبيق أكثر من التلقين والحفظ . ويرى الباحث - حسب علمه - أنّ هذه فرصة سانحة بالذات لمعلمي التربية الإسلامية من أجل تفعيل مبادئ الإسلام وقيمه ، وجعل المدرسة ورشة عمل حقيقي من أجل تطبيق هذه المبادئ والقيم وتفعيلها ، ولا بأس من استخدام التقنيات الحديثة حسب الحاجة والضرورة ، وتفعيل العبادات ؛ كالوضوء والصلاة والمعاملات الشرعية ، مثل بعض المعاملات الاقتصادية التي يمكن أن تفعل داخل بيئة المدرسة

---

(١) أسعد ، مرجع سابق ، ص١٥٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٥٩ ، ١٦٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص١٦٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص١٦٠ .

، ويشارك المدرّسون والطلاب في أحداث هذا العمل التعليمي والتربوي في آنٍ واحد ، وأن يدرّب الطلاب على أداء بعض المناسك ، كما قد تساهم التقنيات الحديثة من شرائط فيديو وأشرطة مدمجة (C D) في نقل ومعالجة بعض الأخطاء أو المواقف التي يتعرض لها الحجاج سلباً وإيجاباً .

وتوزيع الزكاة بين ذوي الأصناف الثمانية الذين حددتهم الشريعة ، عملٌ يمكن أن يشارك فيه أكثر من معلم في أكثر من تخصص ؛ ففقهي ، رياضي واجتماعي ...

إنّ هذا المنحى الجديد هو عين ما تدعو إليه مناهج وطرق التدريس الحديثة والمتواكبة مع ظاهرة العولمة المنادية باتّباع أسلوب وحدة المعرفة أو المناهج البينية .

جاء في كتاب (العولمة ومناهج التعليم) عن ورقة العمل المعنونة باسم : (الدراسات البينية ، مدخل لتطوير مناهج التعليم المصري في ضوء العولمة) لنادية عبد المنعم وخالد قدري ، إذ قرّرا " أنه في عصر المعرفة وانفجار المعلومات ينحو العالم بخاصة الدول المتقدّمة نحو وحدة المعرفة ، إذ ينبغي الربط بين العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية فيما يعرف باسم : العلوم البينية ، بدلاً من اعتبار كلّ علم أو مجال وحدة منفصلة "[١].

وعن مميزات هذا الأسلوب المقترح أن تأخذ به مناهج وطرق التدريس المستقبلية في ضوء تأثيرات وتوجّهات العولمة ، يقول الباحثان : " أنه أسلوب ناتج عن حدوث تفاعل بين تخصصيين أو أكثر ، مرتبطين أو غير مترابطين ، وتتمّ عملية التفاعل من خلال برامج التعليم والبحث ، ويمتاز باصطلاحات لغوية وعلاقات مختلفة "[٢].

ويحاول هذا المنهج - حسب تصوّر الباحث - أن يوجد علاقة تكاملية بين جميع فروع المعرفة ، وصياغتها في نموذج واحد ، أو يقدّم بطريقة تدريس تخدم هذا التوجّه ، وهو الدعوة إلى التوحّد المعرفي على نطاق العالم ، وهو ما يتلاءم مع طبيعة ظاهرة العولمة ، ويتقابل معها من حيث الدعوة إلى التجانس والتوحّد ، مع إلغاء جميع الحواجز والفوارق ،

---

(١) عبد المنعم ، وقدري ، مرجع سابق ، ص١٣٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٤٠ .

ويؤكّد هذا التصوّر التعريف الذي ينقله الباحثان السابقان عن منظّمة اليونسكو عن هذا الأسلوب ، إذ يقول التعريف : " أسلوب الدراسات البينية هي طرق تنظيم المنهج كوحدة متكاملة لتدريس مقرر معين ، مع تجاهل الحدود النمطية بين فروع المعرفة ، وتوطيد أواصر جديدة بينها "[1] .

ويرى الباحث أنه إذا كان هذا النوع من المعرفة الداعية إلى الوحدة والتكامل منهجاً يلائم للتربية الإسلامية من حيث الدعوة إلى التفاعل والتكامل والعمل ، إلا أنه لا يعني إغضاء النظر عن مسألة الحدود النمطية بين فروع المعرفة ؛ لأنّها دعوة صريحة لتذويب الفوارق العقدية والأخلاقية بين معطيات العِلْم وحدود الشرع ، وهذا ما يجب أن تتنبه إليه التربية الإسلامية عند تبنيها مثل هذه المناهج وعند تعاملها مع معطيات العِلْم في عصر العولمة .

المحور الرابع : الإدارة المدرسية :

من التغيرات المتوقع - إذا قدّر الله - حدوثها في طبيعة البيئة المدرسية ، والتي من المحتمل أن تحصل في عصر العولمة ؛ التغيرات التي تمسّ الجانب الإداري أو العنصر الإداري في المؤسسة المدرسية . فمن المعلوم أنّ ظاهرة العولمة لا تؤمن بالمركزية بشكلٍ عامّ ، بل تهدف إلى المشاركة العامّة .

وقد حددت وثيقة (مدرسة المستقبل) الصادرة عن المؤتمر الثاني لوزراء التربية في الوطن العربي ، بعض الملامح الهيكلية والأطر المعرفية للإدارة المدرسية المستقبلية . ومن تلك الملامح ما يلي :

١- " التوجّه نحو اللامركزية في الإدارة التربوية على مستوى الإدارة المركزية والإدارات الفرعية " .

٢- " التوسع باستخدام المعلوماتية في تحديث الإدارة التربوية والإدارة المدرسية عن طريق إقامة الشبكات الداخلية فيما بينها والبريد الإلكتروني ، والربط بشبكة الإنترنت ، وهذا يقتضي تدريب عناصر الإدارة مسبقاً " .

٣- " إشراك الطلاب بصورة مناسبة في الحياة المدرسية " بكلّ

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤٦ .

جوانبها ، (مثل : إدارة الصف ، اختيار نوع النشاط اللاصفي ، علاج بعض مشكلات البيئة
أو المجتمع)[١] .

٤- " العمل على إيجاد المجالس التربوية التي يشارك فيها ممثلون من المجتمع المحلي وقطاع الأعمال والمنظمات والجمعيات المعنية وأولياء الأمور ، إضافة إلى بعض المربين العاملين في التربية ، تحقيقاً لمبدأ المشاركة وانفتاح المدرسة على المجتمع "[٢] .

ويرى الباحث أنّ هذه الملامح ذات مردود إيجابي ، فهي تلغي الروح الطبقية في البيئة المدرسية الإدارية ، وتلغي سياسة المكتب أو شخصية المكتب ، أو ما يعرف بـ(البيروقراطية) التي تجعل من المدير صاحب القرار الأول والأخير في المدرسة ، وربما أنّ لهذه الملامح السابقة أصل في التربية الإسلامية ، وهو العمل التعاوني الذي أساسه ينطلق من قول الحقّ تبارك وتعالى : { **وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ** }[٣] .

المحور الخامس : الطالب (الخريج) :

من المحاور المهمّة ، والتي يدور عليها عمل المدرسة قديماً وحديثاً ؛ الطالب ، أو الخريج ، فلم يعُد ممكناً في ظلّ هذا التفجّر المعلوماتي والبثّ الفضائي والغزو الثقافي المصاحب ، والثورة التكنولوجية ، لم يعُد اعتبار الطالب هو ذلك الشخص خالي الوفاض ، والمكتفي بالإصغاء والتلقي لِما يُلقى إليه بلا حراك ولا نقد ولا تفكير ، ولم يعُد مُجدياً أن تعمد المدرسة إلى تزويد الطالب بجرعة معرفية تظنّ أنها تكفي الطالب للتعامل مع معطيات العولمة ومتغيّرات المعرفة ، بل أصبح الدور المطلوب من المدرسة أن تهيّء الطالب مهارياً للحصول على المعرفة من مصادرها المختلفة . وهذا يستدعي من المدرسة أن تعي الدور المرتقب من الطالب لإعداده لحياة متجددة وواقع تفاعلي يكمل بعضه البعض الآخر .

وفي كتاب (التعلّم ذلك الكنز الكامن) أوصت اللجنة الدولية للتربية

---

(١) إضافة توضيحية من الباحث .
(٢) الملامح من (١) إلى (٤) مأخوذة من وثيقة (مدرسة المستقبل) الصادرة عن المؤتمر الثاني لوزراء التربية في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص٥١ ، بتصرف يسير .
(٣) سورة المائدة : الآية (٢) .

بأنّ على المؤسسة المدرسية أن تنظّم خطّتها المستقبلية بغية إكساب الطالب أربعة أنماط أساسية من التعلّم ، هي : أنه على الطالب " أن يتعلم ليعرف - أي : أن يكتسب أدوات الفهم - ، وأن يتعلم أن يعمل بحيث يصبح قادراً على الفعل والتأثير في بيئته على نحو ابتكاري ، وأن يتعلم العيش مع الآخرين ، بحيث يشاركهم ويتعارف معهم في جميع الأنشطة الإنسانية . وأخيراً أن يتعلّم ليكون ... - أي : أن يتمكن من حلّ مشكلاته بنفسه ، وأن يتخذ قراراته ، وأن يتحمل مسؤولياته "[١] .

هذه الأسس الأربع التي يجب على التربية في محيط المدرسة أن تنطلق منها في نظرتها لمستقبل الطالب ، وهو إعداده لدور جديد ، وأن تكسبه المهارات الأساسية التي تمكنه من الدخول إلى عالم المعرفة التقنية بجدارة .

وبنفس الرأي قال صاحبا كتاب (التدريس من أجل تنمية التفكير) ، إذ دعيا إلى ضرورة أن تغير المدرسة من نظرتها إلى الطالب ، وأن تولي اهتماماً كبيراً لمسألة إعداد الطالب إعداداً ملائماً لطبيعة العصر المتسم بالطفرة المعرفية والثورة التكنولوجية ، حيث أيّدا

> " التركيز على التفاعل الصفي الذي يهتمّ بكيفية الحصول على المعلومات أكثر من اهتمامه باستقبال المعلومات وحفظها وتسميعها . إنّ هذه التفاعلات الصفية تحثّ الطالب على إثارة بعض التساؤلات والفرضيات ، وتدعوه إلى المقارنة والتحليل ، وإصدار الأحكام حول المناقشات المطروحة ، وفحص الفرضيات ، والتأكّد من الشواهد ودقتها ، واختيار الأسباب المناسبة والمؤيدة لحلّ المشكلة ، وإثارة أسئلة مفيدة ، والمشاركة في الإجابة عن التساؤلات المطروحة "[٢] .

إنّ التغيرات المحتملة الحصول ، والتحدّيات التي تحملها في جعبتها تربية العولمة ، تضع على عاتق المؤسسة المدرسية مسؤوليات ضخام من هذه الزاوية الخاصة بإعداد الطالب لمتغيرات العصر التقنية والمعرفية ، مما يستدعي من المدرسة أن ترسم لها سياسة متوازية مع حجم هذه المتغيرات ، وفي نفس الوقت تحافظ على رسالتها الخاصة

---

(١) جاك ، وآخرون ، التعلم ذلك الكنز الكامن ، ١٩٩٨م ، ص١٠٦ .
(٢) كييف ، وهريرت ، التدريس من أجل تنمية التفكير ، ١٤١٦هـ ، ص١٧١ .

في حفظ الهوية وصيانة المنظومة الثقافية والفكرية والدينية للأمة . لذلك جاء عن وثيقة (مدرسة المستقبل) والصادرة عن وزراء التربية في الوطن العربي بعض التوصيات التي يجب على المدرسة أن تأخذ بها ، حمايةً للأجيال من الانجراف مع تيار العولمة الداعي إلى التجانس والاندماج في النموذج العالمي في مجاله التربوي والتعليمي .

تقول الوثيقة :

" لتمكين خريج مدرسة المستقبل من التعامل مع مطالب المستقبل وتحدياته ، هناك عدد من الكفايات والمهارات التي ينبغي أن يمتلكها ، مما يستلزم مراعاتها عند تحديد الأهداف التربوية ومحتوى المناهج الدراسية . ومن أهمّ هذه المهارات ما يلي :

١- القدرة على المحافظة على الهوية الوطنية والدينية والتفاعلية محصناً من تأثير العولمة والغزو الثقافي بعد أن أصبح العالم قرية كونية واحدة .
٢- امتلاك مهارة التواصل الثقافي والحضاري في عالم التغير .
٣- امتلاك مفاتيح المعرفة ليصبح الطالب قادراً على التعلّم الذاتي .
٤- القدرة على ضبط الذات وتحمّل المسؤولية ، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية .
٥- القدرة على العمل مع الفريق في إطار روح التعاون والمشاركة ، مع القدرة على الإبداع والمبادرة وامتلاك أخلاقيات العمل .
٦- امتلاك مهارة التفكير الناقد والاستدلال والنقد البنّاء والحوار مع الآخر .
٧- القدرة على حلّ المشكلات ، والقدرة على التخطيط للمستقبل ، وعلى إجراء البحوث وتطبيق البيانات ، وحُسن التعامل مع أجهزة الحاسب الآلي وأنواع

التقنيات الحديثة "[1].

المحور السادس : الاختبارات :

إنّ التغيرات المتوقعة التي ستعصف بماضي البيئة المدرسية جرّاء تعرّض هذه البيئة لرياح العولمة ، تستدعي اعتماد توجّهات جديدة لسياسات وآليات التقويم والامتحانات ، لاسيما في ظلّ وجود وسائل تكنولوجية حديثة ، من أهمّها : الكمبيوتر ، والذي سيتولى كثيراً من أعمال لجان الاختبارات السابقة من حيث رصد الدرجات ، وإظهار النتيجة بكلّ نزاهة وحيادية ، وترتيب الطلاب . بل من المتوقع أن يقوم هذا الجهاز بعملية تصحيح الإجابات ووضع أو تقرير الدرجات المستحقة آلياً ، خاصة عند استخدام طريقة الإجابة عن طريق التظليل ، أو عن طريق تفاعل الطالب مباشرة مع الجهاز ، حيث يقوم الجهاز بالتعرف على الطالب ، ومِن ثمّ إعطاء الطالب نموذجاً خاصّاً من الأسئلة المناسبة حسب مستواه وعن طريق الإجابة والأخذ والعطاء بيد الجهاز يتمّ احتساب الدرجات وتقييم مستوى الطالب فيما يعرف بأسلوب التقويم الذاتي .

يقول يوسف أسعد : " إن الكمبيوتر في المستقبل سيكون مُعيناً للمدرس في رصد الدرجات وترتيب التلاميذ أو الطلاب حسب الدرجات التي يحصلون عليها ، ولسوف تستغني المدارس ولجان رصد الدرجات عن الطرق البدائية "[2].

كما تؤكّد وثيقة (مدرسة المستقبل) على أهمية أن تراعي المؤسسة المدرسية في هذا الجانب عدّة أمور ، منها :

١- " إبراز شمولية التقويم لجانبين أساسيين : تقويم الطالب ، وتقويم العملية التربوية بكلّ مكوّناتها وفق أساليب وأدوات ملائمة .

٢- دعت الوثيقة إلى التركيز في تقويم الطالب على المحاور التالية :

أ / تقويم المهارات والجوانب القيمية ، إضافة إلى

---

(١) مدرسة المستقبل ، مرجع سابق ، ص٤٨ .

(٢) أسعد ، مرجع سابق ، ص١٦٤ .

التحصيل المعرفي .

ب/ التقويم المستمرّ خلال العام الدراسي ، وعدم الاقتصار على الامتحانات النهائية ، وبخاصة في الشهادات العامّة .

جـ/ تقويم التجارب والتطبيقات العملية التي يقوم الطالب بتنفيذها .

د / اعتماد التقويم الذي يهتمّ بتحديد مدى تقدّم الطالب وإتقانه المهارات المطلوبة ، وليس مقارنة أدائه بأداء الطلاب الآخرين .

هـ/ تبني التقويم الذاتي بواسطة الحاسوب "[١].

المحور السابع : المعمار المدرسي :

يعكس المبنى المدرسي وأساليب تنظيم الطلاب داخل الفصول فلسفة التربية وتوجّهها نحو هدف معيّن .

يقول يوسف ميخائيل أسعد : " يخطئ من يغفل أثر المبنى المدرسي في تسيير العملية التعليمية ، بل إننا نجسر فنقرر أنّ المبنى المدرسي هو الذي يحدد أنواع النشاط الذي يُراد للمدرسة أن تنهض بها "[٢].

بل إنّ مؤلّفا كتاب (التدريس من أجل تنمية التفكير) يحمّلان الطريقة التقليدية في ترتيب المقاعد داخل حجرة الدراسة مسؤولية سلبية تنعكس على عملية التعليم والتفكير لدى الطالب ، حيث يقولان : " إن الطريقة التقليدية في ترتيب مقاعد الطلاب وتنظيمها في حجرة الصف لها أثر سلبي على عملية التفكير ، حيث إنّ هذه الطريقة تفرض على الطلاب مواجهة المدرّس على شكل صفوف متساوية ، كما أنها تشجّع على السمع والإنصات للمحاضر ، والاستظهار للمعلومات ، وصبّ الطلاب في قالبٍ واحد "[٣].

ثم يقدّم الباحثان تصوراً واقتراحاً لِما يجب أن يكون عليه وضعية المقاعد داخل حجرة الصفّ الدراسي تمشياً مع طبيعة عملية التعلّم القائمة

---

(١) مدرسة المستقبل ، مرجع سابق ، ص٤٧ .
(٢) أسعد ، مرجع سابق ، ص١٤٥ .
(٣) كييف ، وهريرت ، مرجع سابق ، ص١٧١ .

على وجوب التفاعل والديناميكية ، وتجسيد مبدأ التعاون بين الطلاب والمشاركة ، حيث يقولان : " عند ترتيب المقاعد بشكلٍ يستطيع الطالب من خلاله مواجهة زملائه جميعاً أو مجموعة صغيرة منهم ، فإنّ الطالب والحالة هذه يستطيع أن يتفاعل مع زملائه بشكلٍ أفضل "(١) .

ومما يؤكّد أهمية البناء والمعمار الهندسي لمدرسة المستقبل ، ودوره في العملية التعليمية ؛ ما جاء في وثيقة المؤتمر الثاني لوزراء التربية في الوطن العربي ، المسماة بـ(مدرسة المستقبل) ، حيث دعت الوثيقة إلى الاهتمام بتصميم البناء المدرسي داخلياً وخارجياً ؛ ليوافق طبيعة ونوعية المعرفة العالمية الآخذة في التشكل والتبلور عبر تقنيات التكنولوجيا وتوجّهات العصر ، مما يستدعي إعادة النظر في التصاميم القديمة للمدرسة وفق التصوّر المقترح التالي الذي تطرحه وثيقة مدرسة المستقبل :

١- " مراعاة جودة البناء المدرسي من الناحية النوعية في إطار دراسة الكلفة الاقتصادية ، واستخدام البدائل المناسبة ، وبخاصة المحلية .

٢- التأكيد على إسهام المجتمع المحلي في تحديد مواقع الأبنية المدرسية ، مع مراعاة تطبيق الخريطة المدرسية .

ويرى الباحث ضرورة أن يُراعَى عند تصميم المبنى المدرسي وضعية المتعلمين من حيث الذكور والإناث ، حيث يجب أن يتلاءم شكل المبنى المدرسي مع طبيعة الهوية الخصوصية للتعليم الإسلامي القائم على عدم الاختلاط بين الجنسين في مواقع الدراسة .

كذلك يرى الباحث أنّ من السِّمات التي يجب مراعاتها عند تصميم المبنى المدرسي ؛ نوعية الخدمة ونوعية الأنشطة من حيث توفّر المباني المعدّة للأعمال النسوية ، مثل : قاعات التطريز والحياكة والطهي ، وجميع الأعمال الملائمة لعمل المرأة على وجه الخصوص ، وكذلك الحال بالنسبة للبناء المدرسي المخصص للطلاب

---

(١) المرجع السابق ، ص١٧١ .

، إذ يجب أن يتوفر فيه القاعات والورش العملية والمعامل التي تتلاءم مع طبيعة الذكور ، حتى لا يقع الانزلاق في تيار العولمة الداعي إلى الدمج والتوحّد والتجانس ، وتذويب الفوارق ... وهي مسؤولية مَن يشرف على المباني المدرسية وأهل الاختصاص التربوي الإسلامي ، بما يضفي على المكان تَميّزه ، ويحفظ هويته .

٣- التأكيد على توفير قاعات الأنشطة المتعددة الأغراض ، إضافة إلى توفير قاعات تسهم في التعليم التعاوني على شكل مجموعات تسمح بالحوار المتبادل بين الطلاب أنفسهم ومعلميهم .

٤- تطبيق نظام القاعات الدراسية التخصصية نظراً لِما توفره من بيئة تعليمية وتعلمية مناسبة ، وتسمح باستخدام الثقافات المتوافرة في عملية التعلم .

٥- التركيز على البعدين ؛ الوظيفي والاجتماعي للبيئة ، والاستفادة من مكوّناتها الحية والفنية والمادّية في تصميم البناء المدرسي وتنفيذه واستخدامه .

٦- مراعاة البناء المدرسي لأوضاع الطلاب ذوي الحاجات الخاصة "[١].

المحور الثامن : التمويل :

إنّ من المتغيرات التي من المتوقع حدوثها - إذا قدّر الله - ، أسلوب التمويل الاقتصادي على المدرسة وعناصرها بشكلٍ عامّ .

فإذا أُخذ في الاعتبار أنّ ظاهرة العولمة تنطلق من هدف رأسمالي بحت ، وتدعو في أساسها إلى فتح الاستثمار لكلّ المجالات وتسليع كل شيء ، لذلك فإنه في حكم المؤكد أنه سوف تضغط قوى العولمة - وبالذات الشركات الاستثمارية - على الدول - وبالذات في العالم النامي - من أجل تقليص دورها في تغذية وتمويل قطاع الخدمات بدعوى الخصخصة ، انسجاماً مع منطق الرأسمالية ، وبدعوى تخفيف العبء عن كاهل

(١) الفقرات من (١) إلى (٦) مأخوذة من وثيقة (مدرسة المستقبل) الصادرة عن المؤتمر الثاني لوزراء التربية في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص٥٢ ، بتصرف .

الحكومات ، وبدعوى أنّ أسلوب الخصخصة يمكن من خلاله التسريع في توفير كثير من احتياجات المواطنين ، والمنافسة بين المتقدّمين ، مما يوفر للمستهلك جوّاً من الاختيارات حسب ظروفه المالية .

ومن القطاعات التي - لا شكّ - يسيل لها لُعاب أصحاب الاستثمارات ؛ قطاع التعليم ، بمعنى أنّ تخلي الدولة مسؤوليتها عن هذا القطاع من حيث التوظيف وتوفير الإمكانيات التقنية وبناء المباني المدرسية والجامعية ، ومِن ثَم يتولى أصحاب الشركات مسؤولية ذلك بطريقة استثمارية تجارية بحتة ، وهذا ما يدور في أذهان المسؤولين عن التعليم والتربية في الوطن العربي ، مجاراة للواقع العالمي ، واستجابة للضغط المتزايد من قِبَل أصحاب رؤوس الأموال ، فقد جاء في وثيقة (مدرسة المستقبل) :

" إنّ التحولات والتغيّرات التي سيشهدها النظام التعليمي في القرن الحادي والعشرين ، ومنها الأعداد المتزايدة من التلاميذ ، وتبني سياسات الخصخصة ، وتقليص دور الدولة في تقديم وتمويل الخدمات - ومن بينها التعليم - ، وتزايد المقدرة المالية للقطاع الخاص ، ونفوذه باسم السياسات ، وتزايد دور المجتمع المدني ، والتكلفة المتزايدة في ميزانيات ونفقات التعليم ، تحتّم إعادة النظر في سياسات وأساليب وآليات التمويل للقطاعات التعليمية "[١] .

ويرى الباحث أنه لا شكّ أنّ اتباع أسلوب الخصخصة توجّه عالمي تفرضه ظروف اقتصادية وسياسية ... وله نواحي إيجابية تتفاوت حسب ظروف المستهلكين ، وله أيضاً نواحي سلبية عدّة ومتنوّعة . فهو إذا كان يخفف العبء عن الدولة ، فإنه يلقي بالعبء على كاهل المواطن صاحب الحاجة لجميع أنواع الخدمات التعليمية والصحية والاتصالية ...

أما سلبياته من الناحية التعليمية الأخلاقية ، فإنه من المحتمل بدرجة كبيرة من الصحة أنّ العِلْم سيصبح سلعة تُباع وتُشترى ، والمؤهلات العلمية باختلاف درجاتها العلمية ستصبح مجالاً للمساومة . ونوعية التأهيل والتعليم سيصبح سوقاً يكسب فيه مَن لديه المقدرة على الدفع ؛ ليظفر بتعليم راقي المستوى ، عصري المنجز في بيئة تعليمية متكاملة .

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٣ .

أيضاً فإنه يخشى في ظلّ هذا التوجّه أن تزاحم الآلة التكنولوجية المعلمين والموظفين التربويين في كثيرٍ من وظائفهم ، كما فعلت الآلة بزملائها في مصانع السيارات وغيرها . أما البديل ، فهو الوقف الخيري الإسلامي ، والحمائي والوقائي من الدولة والمجتمع ؛ ليتحقق العدل في أرقى صوره ، وليأخذ كلّ فرد فرصته في العِلْم سواسية مع أبناء الذوات وأصحاب المحسوبيات . وأن يبقى للدولة - وبخاصة في الدول النامية والإسلامية - حقّ التدخُّل المباشر في صياغة الأهداف والسياسات وحقّ الإشراف ، ولا بأس - عند ذلك - من إعطاء دور أوسع للقطاع الخاصّ ؛ للمساهمة في بناء تعليم وتربية أمّته على أساس وواقع وأهداف ومُثل التربية الإسلامية .

❒ ❒ ❒

المبحث الثاني : تفعيل دور الأسرة المسلمة في عصر العولمة :

تحتلّ الأسرة في المجتمع الإنساني بشكلٍ عامّ منزلة رفيعة ، وما ذلك إلا لكون الأسرة - والتي تتكوّن ابتداءً من أبٍ وأمّ ... وأطفال - هم نواة المجتمع الكبير .

فالأسرة هي المحضن الأول الذي يتمّ فيه تعليم كلّ فرد دوره المناط به حالاً والمنتظر منه مستقبلاً . ويرتبط الجميع داخل هذا الكيان الأسري الصغير برباط وشيج من الألفة والسكن والأخوّة والمحبة ، يظهر ذلك كله من خلال استعراض شيء من التعاريف التي تناولت مفهوم الأسرة . ومن تلك التعاريف ما يلي :

الأسرة لغةً :

جاء في تاج العروس قوله : " الأسرة هي الدرع الحصين ، والأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته ، وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون "[(١)].

وجاء في المعجم الوسيط : " الأسرة : يعني القيد ، يقال : أسره أسراً وإساراً : قيّده ، وأسره : أخذه أسيراً "[(٢)].

ومن خلال التعاريف السابقة يظهر أنّ معنى الأسرة يوحي بشيء من الارتباط الوثيق الذي يربط كلّ مَن ينتمي إلى هذه الأسرة برباط قويّ يجعل لكلّ واحد حقوقاً وعليه واجبات ، ويتجلى ذلك من خلال النظر في المعنى الاصطلاحي للأسرة كما يلي :

الأسرة اصطلاحاً :

تعرّف سناء الخولي الأسرةَ اصطلاحاً بأنها : " جماعة اجتماعية أساسية ودائمة ، ونظام اجتماعي رئيس ، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب ، بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك ، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية "[(٣)].

ومما يلاحظ على التعريف السابق ، أنّ الباحث يبدي تحفّظه على

---

(١) الزنيدي ، تاج العروس ، ١٩٦٦م ، ج٣ ، ص١٢ .
(٢) إبراهيم مصطفى ، وآخرون ، المعجم الوسيط ، ١٩٦٧م ، ج١ ، ص١٧ .
(٣) الخولي ، الزواج والعلاقات الأسرية ، ١٩٧٩م ، ص٣٢ .

كون الأسرة هي مصدر الأخلاق ، فهذه العبارة تحتاج إلى ضبط شرعي ، إذ أنّ المصدر الأخلاقي للأسرة المسلمة هو كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ويعرّفها الشيباني بأنّها : " الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة ، ويتمّ داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً ، ويكتسب منها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة ، ويجد فيها أمنه وسكنه "(١).

ويلاحظ على التعريفين السابقين أنهما يميلان إلى التعميم والاتساع ، وهذا ما حدا بالغامدي أن يضع تعريفاً اصطلاحياً للأسرة المسلمة على وجه الخصوص ، حيث يقول : " الأسرة المسلمة هي جماعة اجتماعية إنسانية وأخلاقية وروحية تتكوّن أولاً من رجل وامرأة ، وفي حالات أخرى امرأتين إلى أربع ، يرتبطون برباط عقد زواج إسلامي ينبني عليه حقوق وواجبات وصِلة رحم ، ويسمح لهم بالاتصال الجنسي والتعايش الذي تسوده المودّة والرحمة ، وما ينجبونه من أطفال يعدّ ضمن تكوين هذه الجماعة ، ومن أهمّ وظائفها الإنجاب ، وتهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي الملائم لرعاية الذرية ، وتنشئتهم وتوجيههم ونقل التراث إليهم ، وتربيتهم تربية إسلامية . ويترتب عليهم الالتزام ببرّ الوالدين "(٢).

وينبغي التنبيه هنا أنّ الإسلام استخدم لفظ (الأهل) ليعبر بهذا اللفظ عن معنى الأسرة ، كما ورد ذلك في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . وبناءً على ما سبق فإنّ للأسرة في الإسلام اعتبارها ، فهي المهد الأوّل لأجيال الأمّة الذين يرتضعون منها قيم الإسلام ومثله وآدابه . وفي أحضان تلك الأسرة يتربى الأفذاذ ، ويتخرج منها علية القوم وساداتهم ، الذين يرتبطون بمجتمعهم الإسلامي ارتباط الرأس بالجسد ، والسوار بالمعصم ، فيحرصون على حماية هويتهم الإسلامية التي رضعوا لبنها منذ نعومة أظفارهم ، فشادوا بتميزهم حضارة رائدة أنصت لها الدهر إعجاباً وإكباراً . لذلك لا غرابة أن تكون الأسرة المسلمة هدفاً لسهام التغريب والعولمة وعرضة لرياح العلمانية ... فقد تنبه أعداء

---

(١) الغامدي ، دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها البالغين ، ١٤١٨هـ ، ص٣٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص٣٣ .

الأسرة المسلمة إلى خطورة هذا المنشأ الأسري المتميز ، والذي يعدّ أوّل مصانع رجال الحضارة وبنائها ... فأعدوا للأسرة المسلمة من التدمير والتخريب ما لا قِبل لها به ، ورموها عن قوس واحدة .

وقد اشتدّ هذا التركيز التدميري على الأسرة المسلمة في عصر العولمة في عدة مجالات دينية أو أخلاقية أو اقتصادية أو تربوية ... بغية تفريغ الأسرة المسلمة من دورها الفريد في تربية الجيل القيادي لأمّة الغد ، وسعوا جاهدين إلى سحب واقع الأسرة المسلمة لتسير في ركب الأسرة الغربية وتتبعها في حلوها ومرّها ، وتمشي في كنفها وتحت ظلّها حذو القذة بالقذة ... وقد حدث وتحقق لهؤلاء البغاة كثيراً من أحلامهم ، حيث ظهرت تشوهات كبيرة في كيان الأسرة المسلمة المعاصرة ، بفعل مؤثرات كثيرة لعلّ من أقواها أثراً ثورة التقنيات بشقيها الإعلامي والمعلوماتي التي يسيطر عليها صناع العولمة ، فسخروا هذه التقنيات لخدمة أغراضهم الثقافية والعقائدية والتربوية ... الغربية ، مع إبراز وضع الأسرة الغربية وعاداتها وتقاليدها على أنها النموذج الذي يجب أن يحتذى وأن يسير في ركابه أقطاب وأفراد الأسرة المسلمة . وهذا الاستدراج ، بل والاستلاب الذي تتعرض له الأسرة المسلمة اليوم في كلّ مجال من مجالاتها يفرض على الأسرة المسلمة شكلاً جديداً وخطيراً من أشكال التحدي الحضاري والاجتماعي ينبغي على كلّ فرد في الأسرة المسلمة أن يعي هذه الحقيقة ، وأن يتعامل مع صور الاستلاب والاستتباع للغرب ، والذي تفرض بعض معطيات العولمة بجدية وحزم ، فالأمر مرهون بوجود أمة أو ذوبانها وتلاشيها ، وليس مجرد ترف علمي أو نسج من خيال أو وهم من سراب . وصدق الحقّ إذ يقول : { **فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ** }[1] .

وما أروع قول الشاعر طرفة بن العبد البكري في معلقته المشهورة[2]:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فإذا كانت الليالي حُبالى والدّهر قُلّب ، وإذا كان الرائد لا يكذب أهله ،

(١) سورة غافر : الآية (٤٤) .
(٢) الهاشمي ، جواهر الأدب ، ج٢ ، ص٧٧ .

فإنّ من أولويات عمل الأسرة المسلمة في هذا العصر هو تفعيل وظائفها المناطة بها للحفاظ على تواجدها من الاستلاب وخصوصيتها من الاستتباع إلى الغرب .

ومن الوظائف الأسرية التي ينبغي الحرص على تحقيقها واستخدام الأساليب المناسبة من أجل إبرازها وتفعيلها ، يورد الباحث بعضاً من تلك الوظائف الأسرية متضمّنة بعض الأساليب العملية لها على النحو التالي :

بعض وظائف الأسرة المسلمة وأساليب تحقيقها :

- **الوظيفة الأولى : الأسرة المسلمة تعمل على إشباع الحاجة إلى التدين :**

وذلك حسبما يرى الباحث من خلال النقطتين التاليتين :

أولاً : الحفاظ على سلامة الفطرة من الانحراف أو التشويه :

سبقت الإشارة أن الدين والحاجة إلى التدين أمر فطري لا سبيل إلى انتزاعه أو إلغائه من حنايا النفوس البشرية يتضح ذلك من قوله تعالى : { **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ** }(١) .

ولكن قد يحدث لهذه الفطرة المستقيمة انحراف ، ويعتريها شيء من التشويه بفعل مؤثرات عديدة ، من أقواها البيئة التي يتربى فيها الطفل ، وذلك حين يكون الأبوان قد تنكبا جادة الخط المستقيم ، وجنحا إلى بنيات الطريق ، واستحوذ عليهم الشيطان ، فيعتنقان ما يظنانه ديناً صحيحاً ، ثم يُسقطا هذه القناعة في أذهان أبنائهم ، فينشأ الطفل وقد انحرفت فطرته ، وتغيّر مسار حياته ، وذلك ناجم عن سوء التربية الوالدية . ونجد مصداق ذلك في قول الرسول ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »(٢) .

وهنا يكون الوالدان قد أضرّا بولديهما من حيث أرادا الإحسان إليه ، لاسيما وأن الله سبحانه وتعالى قد زوّده بإمكانية التوجه إلى خالقه بفضل

(١) سورة الروم : الآية (٣٠) .
(٢) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٨٧ ، حديث رقم : ٦٣٥٦ .

الله ثم بفضل الفطرة إذا سلمت هذه الفطرة المستقيمة ممن يعترض طريقها ، فيجتاحها ويخرج بها عن نقائها ، فتضلّ ضلالاً بعيداً ، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ في الحديث القدسي التالي : قال الله تعالى : « ... وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم »(١) .

ولأهمية الحفاظ على الفطرة من الانحراف ذات اليمين أو ذات الشمال ، فإنه يتعين وجوباً على الأسرة المسلمة أن تدرك دورها في هذا المجال ، وتعي مسؤولياتها في هذا المضمار ، فتغرس في نفوس الناشئة قوة التعلق بالله رباً وخالقاً ورازقاً ، لتعزز عمل هذه الفطرة ، وهي من المهامّ الملقاة على عاتق الآباء والأمهات تجاه أبنائهم وبناتهم ، واستخدام الأساليب المناسبة في هذا المقام .

بعض الأساليب المفيدة في الحفاظ على سلامة الفطرة :

إنّ من الأساليب التي يرى الباحث وجوب الأخذ بها في هذا المجال ، والتي يمكن أن تساهم في إشباع الحاجة إلى التدين والحفاظ على سلامة الفطرة ، ما يلي :

١- لفت نظر الأطفال إلى الآيات الكونية ، مثل : الشمس ، والليل والنهار ؛ لغرس توحيد الربوبية في نفوس الناشئة ، خاصة عند القيام بنزهة أسرية أو رؤية القمر والنجوم في الليل أو البحر ...

٢- استغلال أسئلة الأطفال البريئة ، والتي تحركها في الغالب نداءات الفطرة ، حيث يجب أن تُستغلّ هذه الأسئلة من أجل تعزيز الحاجة إلى التدين وربط الطفل بخالقه ، مع ملاحظة أن تكون إجابات الأهل صحيحة وسليمة ؛ لغرس مفاهيم التوحيد الكامل والشامل بصورة صحيحة وهادئة ، واستشعار الأمانة الملقاة على عاتق الأبوين في ذلك .

٣- إثارة انتباه الأبناء وتحفيز قواهم العقلية على الإدراك بأسئلة ذات أهداف وأبعاد تربوية وإيمانية وتعبدية شاملة . مثال ذلك : أن يستغلّ الأبوان نداء المؤذن للصلاة ، فيقولان لابنهما : ماذا يريد هذا أن نعمل الآن ؟. ثمّ يخبرانه . وجميل جداً أن يصطحب الأب ابنه إلى المسجد بعد أن يكون قد أدبه وعلمه على آداب المسجد ...

---

(١) القشيري ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، حديث رقم : ١٦٦ .

إنّ هذا الإجراء على بساطته يحسب الباحث أنه يكون غرساً في ذاكرة الابن لن ينساه ، بل وسوف يؤديه عن قناعة وإيمان ، وهذا هو المهمّ .

٤- استغلال وسائل الترفيه ، وخاصة منها ذات الطابع الإعلامي ، لتكون منابر دعوية إسلامية تسهم بدورها في تغذية عقيدة الطفل ، وتكون هذه الأفلام والموادّ الإعلامية بصيغتها الدينية بديلاً عما تقذف به بعض قنوات الإعلام الغربي أو المستغرب منها ، والتي يتمّ من خلالها هدم عقيدة التوحيد في نفوس الناشئة ، وإثارة البلبلة في أذهانهم ، وزعزعة فطرهم(٥) . وهو مذهب صناع العولمة الذين يرغبون في تحطيم كلّ أنواع الحواجز والحدود ...

ثانياً : الزواج الإسلامي يسهم في إشباع الحاجات الدينية :

المسلم الحقّ يعيش في إطار قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ }[١]، وهذا يعني أنّ كلّ عمل يؤديه المسلم يجب أن يستشعر فيه أنه نوع من أنواع العبادة . لذا عليه أن يضمن هذا العمل شرطي القبول ؛ وهما الإخلاص لله ﷻ ، ثمّ المتابعة في ذلك سنة الرسول ﷺ .

ومن الأعمال الصالحة والقربات التي يتقرب بها الإنسان إلى خالقه : الإقدام على الزواج بصورته الإسلامية ، امتثالاً لقوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً }[٢] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " { **فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً** } فهو في ابتداء أمره نسيب ، ثمّ يتزوّج فيصير صهراً ، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات "[٣] . والآيات في هذا المعنى كثيرة ومتضافرة ، وكلّها تدلّ على أنّ الزّواج إنما شُرع استجابة لحاجات فطرية ، فيجب على المستطيع أن لا يتأخّر عنه ؛ امتثالاً لقول الرسول ﷺ : « يا معشر الشباب ، مَن استطاع منكم الباءة فليتزوّج ، فإنّه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء »[٤] .

---

(٥) للاستزادة عن أثر القنوات على عقيدة الطفل ، ينظر كتاب : بصمات على ولدي ، طيبة اليحيى .
(١) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .
(٢) سورة الفرقان : الآية (٥٤) .
(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣٥٥ .
(٤) صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص١٩٥٠ ، حديث رقم : ٤٧٧٨ .

إنّ في تفعيل الأسرة لهذه الحاجة الفطرية دحر لسهام الغرب الموجّهة ضدّ الإسلام ، واتّهامه بأنه يكبت الغرائز ، بل هو ينظمها ويضمن لها المصرف السوي والنظيف . كما أنّ في الأخذ بهذا المبدأ وتفعيله - وهو الزواج الشرعي - حماية للأسرة المسلمة ولأفرادها من بعض مفرزات العولمة المتمثلة في قرارات مؤتمرات السكان والمرأة ... التي روجت للفاحشة ، وسهلت الوصول إليها ، ووضعت العراقيل أمام الزواج الشرعي . وهنا يكون الزواج قد جاء متوافقاً مع طبيعة الذات الإنسانية ، فيجب تسهيله وربطه أيضاً بتحقيق غايات سامية ، وهي أنّ الزواج في حدّ ذاته يجيء أداءً لعبادة شرعية فرضها الله سبحانه وتعالى على البشر ، وأقرتها عملياً سنة الرسول ﷺ ، كما في قوله تعالى : { وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }(١) .

إنّ في تفعيل الأسرة لهذه الحاجة يُعتبر ردّاً شرعياً على دعاة تحديد النسل ، كما تروّج له نظرية (مالثوس) وتتبناها قوى العولمة ، وتنافح عنها آليات العولمة عبر مؤتمرات سبق الحديث عنها .

ويكفي للدلالة على أن الزواج الإسلامي يحقق الحاجة إلى التدين أنه ينطلق من سنة فعلية للرسول ﷺ ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ، فلما خُبِّروا ، كأنهم تقالّوها ، قالوا : وأين نحن من
النبي ﷺ ؟. قد غفرَ الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر !. قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأُفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوّج النساء . فمَن رغب عن سنّتي فليس منّي »)(٢) .

وكما في النصّ الآخر الذي يبيّن أنّ الزواج الشرعي يكون داخلاً في تحقيق نصر الإسلام وإعزاز المسلمين وإظهار دينهم ، وذلك فإنّ تكثير عدد المسلمين يصبح قربة من القربات إذا كان منطلق ذلك هو قول الحقّ

---

(١) سورة النور : الآية (٣٢) .
(٢) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٥٠٦٣ .

سبحانه وتعالى : { رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً }[1].

وكذلك حديث رسول الله ﷺ : « تزوّجوا الودود الولود »[2].

هكذا يصبح الزواج في حسّ المسلم ، وما يترتب عليه من تربية الأبناء والإنفاق على الزوجة والأولاد عبادة لله ، كما في قوله ﷺ : « أفضل الدنانير : دينار ينفقه الرجل على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله ﷻ »[3].

فليس الغاية من الزواج مجرد المتعة الحسية كما يتوهّم البعض ، بل له غايات جليلة عُظمى ، منها : المساهمة في إبقاء الأمة التي هي خير الأمم ، وكفى بذلك من شرف ، وأنعم بها من نعمة .

أساليب تسهم في تحقيق هذه الحاجة :

١- إنشاء صناديق رسمية أو شعبية تطوعية لمساعدة المحتاجين من المقدمين على الزواج ، بقروض ميسرة .

٢- إقامة الحفلات والزواج الجماعي الذي يختصر كثيراً من النفقات على مستوى أهل القرية أو المدينة أو العائلات .

٣- تقديم أولويات للمتزوّجين ، وبالذات منهم الشباب ، مثل : سرعة حصولهم على وظيفة مناسبة ، بشكلٍ يشجع العزاب على المسارعة إلى الإقدام على الزواج .

٤- تشجيع الراغبين في التعدد بقروض مجانية أو ميسرة ؛ للقضاء على مشكلة العنوسة ، أو غير ذلك من الهبات العينية أو المادية والمعنوية . وهذا بالإضافة إلى كونه يحقق رغبة دينية شرعها الله في قوله تعالى : { فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ }[4]، إلا أنه يجيء رداً مناسباً لمن يحرّم هذا التعدد ، بل ويجرمون فاعليه . أليس من الخير للمرأة أن يكون لها زوج

---

(١) سورة الفرقان : الآية (٧٤) .
(٢) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٥٠٩ ، حديث رقم : ٣٢٨٦ .
(٣) المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٨٨ ، حديث رقم : ١٢٥٢ .
(٤) سورة النساء : الآية (٣) .

وإن كان معها شريك في النصف أو الثلث أو الربع مِن أن تكون بلا زوج أصلاً ؟. أليس ذلك خير مما تدعو إلى فعله بعض مؤتمرات العولمة التي أباحت زواج المثلين ؟. ثم يزعمون أنهم أرادوا كرامة المرأة !!.

● الوظيفة الثانية : الأسرة المسلمة تسهم في تحقيق الحاجات العاطفية والنفسية :

البيت المسلم واحة وارفة الظلال ، ودوحة فيحاء يستظلّ فيه الزوجان والأولاد من فيح الهجير ، ويأوي إليه الزوجان ليجد كلّ واحد فيه السكن الروحي والأمن النفسي والمقرّ البدني . إنه بيت تشعّ المحبة من كلّ نواحيه ، ويأنس كلّ خلّ فيه بخلّه ، فتسكن الروح إلى الروح ، والقلب إلى القلب ، بهذا المظهر الذي يكتنفه البيت المسلم ، يكون لحياة الأسرة المسلمة طعمها المتميز ، ويكون للعلاقات الزوجية معنى راقياً يتجاوز حدود النشوة العابرة إلى تحريك المشاعر والوجدانات وتبادل الأسرار وتقاسم الهموم في جوّ من الألفة والمحبة التي أنشأها واقع الأسرة المسلمة المنبثقة من قوله تعالى : **{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً }**[١] .

إنها عبارات تفيض دفئاً وتسكب ودّاً متى ما تَمّ تفعيلها داخل إطار الأسرة المسلمة كان للكلمة الآمرة سمعاً ، وللتوجيه الوالدي قبولاً سريعاً . فإذا تآلفت الأرواح داخل البيت المسلم اختفت النزاعات التي قد تفتك بهذه الأسرة ، ويكون الواقع العاطفي قد بلغ مداه ...

حديث الروح للأرواح يسري　　فتدركـه العقول بـلا عنـاء

أساليب تسهم في تحقيق هذه الحاجات :

١ـ الاعتراف بدور كلّ فرد في الأسرة والإشادة به ، مما يغرس الثقة ويعزز العطاء ويقوي أواصر المحبة .

٢ـ عدم الاستبداد برأي دون الآخرين ، مثل أن يمنح الزوج زوجته بعض الامتيازات والصلاحيات التي تتحرك في إطارها . فإنّ هذا العمل يجعل سيدة البيت تشعر بدورها ، وتعي مسؤولياتها ، فتحاول إثبات وجودها من غير إخلال بحقّ قوامة الرجل

---
(١) سورة الروم : الآية (٢١) .

الشرعية على بيته .

٣- الاستماع إلى آراء الآخرين وتوجيه الخطأ ، والإشادة بالمصيب . ولا غضاضة في أن يقبل الرجل أو الزوج من زوجته رأياً إذا كان فيه مصلحة له ولأسرته وليس فيه مخالفة شرعية ، بل إنّ ذلك يُعدّ من قوّة شخصية الزوج .

٤- تبادل الهدايا بين فريق الأسرة الواحدة ، امتثالاً لقوله ﷺ : « تهادوا تحابوا »(١). فكم زرعت الهدية من محبة ، وكم جددت من ثقة ، وكم استطاعت الهدية أن تستلّ من النفوس السخائم والضغائن .

وما أجمل قول الناظم(٢):

هدايا الناس بعضهم لبعض	تولّد في قلوبهم الوصالاً
وتـــزرع في الضمير هـــوىً ووُدّاً	وتكســوهم إذا حضــروا جمـــالاً

فحريّ بأفراد الأسرة السعيدة التي تعيش في كنف البيت المسلم أن يفعّلوا هذه المعاني الرفيعة حفاظاً على تآزرهم وتعبيراً عن توادّهم ، حتى يكون لهم تميزاً خاصاً عن هدايا أهل الغرب صنّاع العولمة التي عادةً ما يكون وراء هداياهم البحث عن منفعة أكبر ، فهي صورة من صور الاستدراج ، وليس لكسب الثقة ، وإن كانت محض هدية فهي لا تعدو كونها تعبيراً ومجاملة مدخولة الهدف ، لذلك سرعان ما يزول أثرها كفيء الأصيل ، لتعود الحياة في ذلك البيت الغربي إلى رتابتها وسآمتها ؛ لأنّها لم تؤسس على البرّ والتقوى ، بل أسست على المنفعة واللذة التي سرعان ما تزول ...

● الوظيفة الثالثة : الأسرة المسلمة تدعم الحاجات الاجتماعية :

لقد خلق الله الإنسان وأودع فيه نزعة اجتماعية منذ الأزل ، فهو بذلك لا يطيق العيش بمفرده . لذلك يرى بعض العلماء أنّ هناك سراً لطيفاً في تسمية الإنسان بهذا الاسم ، إذ أنّ هذا الاسم يعبر عن صفة في صاحبه ، وهي حاجته إلى المؤانسة له ولغيره ، فهو يأنس بالاجتماع وينفر من الوحدة .

---

(١) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٥١٨ ، حديث رقم : ٣٣٧٤ .
(٢) أوردهما القرطبي في كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس ، ج١ ، ص٢٨٠ ، ولم ينسبهما لقائلهما .

قال الزمخشري : " إذا جاء الليل استأنس كل وحشي واستوحش كلّ أنسي "[1]. وهي إشارة إلى طبيعة هذا الإنسان وأنّه بحاجة إلى الآخرين ...

وأورد القرطبي[2] هذا البيت في نفس المعنى السابق :

وأوحشني من صديقي الزمان   وآنسني بالعدوِّ الصديق

الشاهد مما سبق ، أنّ الإنسان ميّال بطبعه وسجيته إلى الأنس بغيره ... لذلك نجد بعضاً ممن عرّفوا الإنسان ونظروا له من زاوية علم الاجتماع نعتوه بهذه الخاصية الاجتماعية ، كما قال أرسطو : " الإنسان حيوان اجتماعي "[3].

وفي هذا اللقب الذي تبرع به أرسطو مسألة فيها نظر ، فهي مقولة غير مقبولة من وجهة النظر الإسلامية ؛ لأنّ قائلها زجّ بالإنسان ضمن فئات الحيوانات . لذلك إذا بحثنا عن تسمية أكثر تهذيباً من تسمية أرسطو وينطبق حالها على الإنسان ، فسيكون الإنسان " مخلوق مكلف "[4]. ومناط التكليف هو ما كرم الله به الإنسان من خصائص وسمات راقية لا تتوفر في غيره من المخلوقات . لذلك قال تعالى : { **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** }[5].

وبهذا يتضح أنّ الإنسان نزّاع إلى مجتمع ووسط من بني جنسه يعيش معهم ، وحاجته كذلك إلى تكوين علاقات اجتماعية لينسجم مع طبيعته الأنسية ويتوافق مع ذاته ، وأول هذه العلاقات الحميمة إنما تتكون داخل مجتمع الأسرة الصغيرة ، ومنه ينطلق إلى مجتمع أمته الكبير . فحريّ بالأسرة المنزلية المبنية على أسس شرعية أن ترعى هذا المفهوم ، وأن تصقل هذه الرغبة فتكسبها أفرادها توصلاً إلى إكسابها ونقلها للمجتمع الخارجي ، ولعلّ هذا يكون من معاني قوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ**

---

(١) الزمخشري ، مرجع سابق ، ص١٠ .
(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٦٨٠ .
(٣) العجمي ، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم ، ١٤٠٤هـ ، ص١٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص١٤ .
(٥) سورة الإسراء : الآية (٧٠) .

اللهِ أتْـقـاكُمْ }[1] .

أساليب ووسائل تفعيل هذه الحاجة :

يهدف الإسلام إلى إقامة المجتمع الرباني ، ويمكن أن تسهم النقاط التالية في تكوين ذلك المجتمع ، انطلاقاً من وجود البيت والأسرة المسلمة .

١- تزويج الأكفاء ديناً وخُلقاً من المسلمين ذكوراً وإناثاً ، امتثالاً لقوله ﷺ : « إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخُلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ عريض »[2] .

ويلاحظ في الحديث السابق المعايير التي على أساسها يُقبل الإنسان زوجاً أو يُرفض ، وهي صحّة الدين ، واستقامة السلوك ، أو الخُلق . أما ما عدا ذلك من المعايير الاجتماعية الأخرى فهي تبع لِما سبق ، بل ربما يكون بعضها باطل لا أصل له ، مثل : اشتراط الطبقة أو الغنى أو المنصب ، فكلها مناصب جوفاء لا قيمة لها ، ومقاييس بشرية لا ينبغي التعويل عليها عند إقامة الحياة الزوجية . وهذا المسلك الشرعي الاجتماعي الراقي يحمي من نداءات العنصرية التي تطرحها ثقافة العولمة ، مثل التعنصر إلى اللون أو العرق ...

٢- اشتراط الدين الإسلامي في الزوج ، إذ لا يصحّ زواج المسلمة بكافر ، حتى لا يكون اختلاف الدين بين الزوجين ذريعة لنشوب المشكلات الاجتماعية . والإسلام عندما يضع هذا الشرط وتفعله الأسرة المسلمة فإنه يحمي الأسرة والمرأة بالذات من خطورة الدعوة التي تطلقها قوى العولمة ومؤتمراتها ، والتي تعني إغفال الدين بين الزوجين ، وعدم الاكتراث بهذا الأمر ، رغم خطورته لا تخفى .

٣- الحرص على صلة الأرحام - وهم أقارب الزوج أو الزوجة - ؛ استدامة للودّ واستزراعاً للمحبة ، واستنزالاً للبركة في المال والعمر . كما جاء في أكثر من آية ، منها قوله تعالى : { وَأُوْلُوا

---

(١) سورة الحجرات : الآية (١٣) .
(٢) الترمذي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣٩٥ ، حديث رقم : ١٠٨٥ .

الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ }[١].

ومن الآثار الواردة في ذلك قوله ﷺ : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإنّ صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر »[٢].

ومن ألوان صلة الرحم البرّ بهم ، والصدقة عليهم ، وتفقد أحوالهم ، وكلها معاني تعبدية اجتماعية تسهم الأسرة المسلمة في غرسها وتعاهدها في واقعها وبين أفرادها ، استجابة لقول الحقّ تبارك وتعالى : **{ وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ }**[٣].

ومن البرامج والمشاريع العملية في هذا الجانب : تكوين اللجان ذات العلاقة بالنواحي الاجتماعية وبالمنظور الإسلامي ، مثل :

١/ **لجنة أصدقاء المرضى :** وهي لجنة تهتمّ بشؤون المرضى ، سواء داخل الحيّ الواحد أو الأسرة أو المجتمع ككل ، فتواسيهم وتساعدهم وتقف بجانبهم ، مما يعيد إليهم روح الثقة ، ويسهم في تجاوز محنتهم وتفقد أحوال هؤلاء المرضى وأحوال أسرهم .

٢/ **لجنة إصلاح ذات البين :** وهي من اللجان التطوعية الخيرية التي تتخذ من قوله تعالى : **{ فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ }**[٤]، منطلقاً لها في عملها ، تحقيقاً لقوله تعالى : **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }**[٥]، وذلك رأباً للصدع ، وسدّاً للشقّ الذي قد يجد فيه الشيطان وأعوانه فرصة للوصول إلى مآربهم .

وهناك العديد من اللجان الاجتماعية الخيرية التطوعية التي يمكن أن تسهم بدورها في إقامة المجتمع الإسلامي المثالي ليحتفظ بهويته ، مثل : لجان مساعدة المعسرين الذين غلبهم الدَّين ، بعد دراسة مستفيضة لأسباب ذلك الدَّين .. وسُبل قضائه .

وكذلك لجان مساعدة أو إعادة تأهيل مَن فقد وظيفته الأولى بسبب الإعاقة ، أو بسبب عقوبة جزائية ، حيث يتمّ احتواء هذه الفئات وتشغيلهم

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٦) .
(٢) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٥١٠ ، حديث رقم : ٣٣١٩ .
(٣) سورة النساء : الآية (١) .
(٤) سورة الأنفال : الآية (٩) .
(٥) سورة الحجرات : الآية (١٠) .

.

كلّ تلك اللجان يمكن تكوينها على مستوى الأسرة الصغيرة داخل البيت بالتربية الجادّة ، والتوجيه الحكيم ، بل والممارسة . ثمّ عندما يخرج هؤلاء إلى المجتمع يكونون قد تربّوا على هذه المعاني الأخلاقية الاجتماعية ، فلا يصعب عليهم ممارستها والمشاركة فيها في المجتمع الكبير بفاعلية أكثر . وهنا تكون الأسرة المسلمة قد تجحت في أداء وظيفتها .

● الوظيفة الرابعة : الأسرة المسلمة تساهم في تحقيق الحاجات التربوية :

تضطلع الأسرة المسلمة بدور كبير في هذا الجانب ، فإذا كان تكثير النسل أمراً محموداً شرعاً ، إلا أنه يبقى وسيلة وليس غاية ، إذِ الغاية من تكثير النسل ليس مجرد زيادة العدد ، بل إبراز سِمات هذه الأمة وتميّزها ، والمشاركة في نشر الدين وحمل رايته وبناء الحضارة الإسلامية . وهذا لن يتأتّى إلا بعد إرادة الله وعنايته ، ثمّ بأن تؤدّي الأسرة المسلمة دورها الريادي المطلوب منها خير أداء ، وهو القدرة على تربية الجيل الجديد للأمة . ونلحظ ذلك في حديث الرسول ﷺ ، القائل : « تخيروا لنطفكم ، فأنكحوا الأكفاء ، وانكحوا إليهم »[1].

ويرى الباحث في هذه الدراسة أنّ من مظاهر الكفاءة القدرة على التربية والتوجيه وامتلاك مهارات القيادة التربوية وآلياتها . ومن الوسائل المعينة في هذا الجانب : الظفر بالزوجة الصالحة ؛ لأنّها مؤهّلة أكثر من غيرها على تحقيق الغايات التربوية . وهذا مأخوذ من حديث الرسول ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك »[2].

ومعنى الحديث أن المقدمين على الزواج غالباً يتحينون في المرأة تلك الخصال الأربع ، ولكن مَن سبر غور المستقبل ودَرَس الأمور بجدية وحكمة ، فإنه سيجعل بغيته الظفر والفوز بصاحبة الدِّين ؛ لأنّ دين المرأة شرف رفيع لها ، ووسام سامٍ على رأسها يجعلها من خير متع الدنيا ، كما صحّ بذلك الحديث عن الرسول ﷺ :

---

(١) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣-٥ ، حديث رقم : ٣٢٦٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص٥١٧ ، حديث رقم : ٣٣٧٢ .

« الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة »[١] .

ومن مظاهر صلاحها أنها ستكون نواة خير وبذرة هناء داخل البيت المسلم ، فهي مسدّدة وموفّقة في رعايتها لبيت زوجها وحدبها على أبنائها ليكونوا صالحين ، وهذا ما أشار إليه الحديث التالي : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله ﷻ خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرّته ، وإن أقسم عليها أبرّته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله »[٢] .

ولا شكّ أن المرأة بتلك الصفات الحميدة ستنقل صِفاتها إلى ذريتها ، فعند ذلك يصلح البيت المسلم ، وبصلاحه يصلح المجتمع كله .

ويلحظ في الحديث تلك الإشادة البالغة بالمرأة من حيث اعتبارها من أسباب الخير لزوجها ولأسرتها ولمجتمعها ، وهذا - لعمري - هو عين التكريم وعين التمجيد ، لا كما تتعرض له المرأة الغربية ومَن سار في فلكها من ابتزاز أخلاقي ومتاجرة بشرفها وحرمانها ، حتى من حقّ الشعور بالأمومة كما هو عليه الحال في حضارة وثقافة العولمة التي تسوّق جسد المرأة وتسلعه ، ثم تزعم هذه الحضارة أنها تكرم المرأة ، ولو صدقوا لقالوا : إننا نغتال كرامة المرأة ...

ولعلّ من أبشع صور إهانة المرأة في الغرب - قائد لواء العولمة - هو ما ذكر أخيراً عن إنشاء بنوك تحفظ ماء الرجال لبعض مَن قيل عنهم إنهم عباقرة القرن الحادي والعشرين ... والأمر لا يحتاج إلى تعليق لبيان مدى الإسفاف الذي وصلت إليه حضارة الغرب ، ولكنّ هذا المشروع يذكرنا بما كان عليه المجتمع الجاهلي قبل بعثة الرسول ﷺ ، ذلك المجتمع الذي كان يسود فيه عادةً نكاح الاستبضاع ، كما أورده البخاري (عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أنّ النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها : نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجُل إلى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهُرَت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسّها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجُل الذي تستبضع

---

(١) القشيري ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص٢٧٣ .
(٢) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٤٨٣ ، حديث رقم : ٧٨١١ ، وقال : حديثٌ حسن .

منه ، فإذا تبيّن حملها ، أصابها زوجُها إذا أحبّ ، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ...)[١] .

ولا شكّ أنّ هذا المشروع الذي تطرحه بعض الشركات العالمية في عصر العولمة هو عودة بالبشرية إلى ذلك الوضع الجاهلي وأسوأ مما كان عليه ، وهذا حال ومآل الحرية الجنسية التي يروّج لها الغرب وتتزعّمها قوى العولمة .

بعض الأساليب المفيدة لتحقيق الحاجات التربوية :

١- أن يشعر كلّ فرد داخل الأسرة بذاته من حيث كونه ذكراً أم أنثى ، من غير تفريق بين الأولاد والبنات لمجرد الجنس .

٢- إسناد بعض الأعمال المنزلية الخاصة لكل فرد من أفراد الأسرة بما يتناسب مع جنسه ذكراً كان أم أنثى .

٣- اتخاذ حديث الرسول ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرّقوا بينهم في المضاجع ... »[٢]، قاعدة تربوية يسير وفق هداها البيت المسلم ، بل والتربية الإسلامية ، حيث يجب التفريق بين الذكور والإناث في النواحي التربوية والسلوكية التي لا تخالف الشريعة الإسلامية . ومن المظاهر التي يجب أن يخالف فيها الأبناء البنات : أنواع وأشكال الملابس ، فللذكر ملابسه ، وللأنثى لباسها ذو الصفات الشرعية ، كما هو عليه بالنسبة للولد .

أما ما تطرحه أسواق العولمة والشركات المسيطرة على الملابس ، فإنك لا تكاد ترى فيه فارق بين ملابس الرجل والمرأة . ولهذا الأمر خطورته الأخلاقية والسلوكية ؛ لأنّه يؤدي إلى تشبه أحد الطرفين بالآخر . وهو أمر حذّر منه الرسول ﷺ في حديث : « مَن تشبه بقوم فهو منهم »[٣] . فالمشابهة في الظاهر تقود إلى المشابهة في أمور الباطن ، كالمعتقد ، والأخلاق ...

٤- ومن الأشياء التي ينبغي التفريق فيها بين الأبناء والبنات من

---

(١) العسقلاني ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج٩ ، حديث رقم : ٥١٢٧ .
(٢) السيوطي ، الجامع الصغير ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٣٥ ، حديث رقم : ٨١٧٤ .
(٣) سيأتي تخريجه فيما بعد .

الناحية التربوية والتعليمية : المناهج ، حيث يجب أن يكون لكلّ جنس من الذكور أو الإناث المناهج التربوية والتعليمية التي تلائم طبيعة كلّ جنس ، لا كما تفعله قوى العولمة والعلمانية التي تخلط وتدمج التعليم في مناهج واحدة ، لا تفرق بين طبيعة الطلاب والطالبات ، فيصبح الأولاد يتعلّمون أعمالاً نسوية ، والبنات يتعلّمنَ أعمالاً ذكورية .

ويتميز التعليم في المملكة العربية السعودية بهذه الخصيصة ويتفرد بها بين نظم التعليم الأخرى التي تخلط بين الذكور والإناث في كلّ شيء ، لذلك لا غرابة أن نسمع ونرى بين حين وآخر من صنّاع العولمة أو ممن سار معهم مَن يهاجم نظام التعليم في المملكة العربية السعودية ، بسبب أنّ هذا النظام يفصل بين البنين والبنات في أماكن الدراسة ، وكذلك يراعي طبيعة الطلاب والطالبات عند وضع المناهج ، وهو أمر لا يرغب فيه صناع العولمة . لذلك يطالبون بضرورة تغيير مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية .

● الوظيفة الخامسة : الأسرة المسلمة تحقق الحاجات الاقتصادية :

يمكن للأسرة المسلمة المهتدية بنور القرآن ، والمتبعة لسنة النبي ﷺ ، أن تسهم بدورها في بناء اقتصادها الخاص ، انطلاقاً من قوله تعالى : { **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا** }(١) .

هذه الآية الجليلة تُعتبر قاعدة اقتصادية أسرية يتحرّك في ضوئها البيت المسلم من حيث الإنفاق من غير إسراف ولا تبذير ، مستأنسين بقوله تعالى في هذا الشأن : { **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** }(٢) .

إنه منهج واضح المعالم ، يتميز به الإسلام في كل مجال ، وهو الوسطية ، وهو ما نلمحه في حديث الرسول ﷺ ، الذي يوجه أمّته إلى القصد في الإنفاق ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « ما عالَ مَن اقتصد

(١) سورة الطلاق : الآية (٧) .
(٢) سورة الفرقان : الآية (٦٧) .

» [1] .

وإذا كان الإسلام أوجبَ على الزوج النفقة على امرأته وأسرته ، فإنه حَمّل المرأة مسؤولية الحفاظ على مال زوجها وعدم تبذيره ، فقال ﷺ : « خير نساء ركبنَ الإبل ، صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغر ، وأرعاه على زوج في ذاتِ يده »[2] . ومعنى الحديث : " أي أحفظ وأصْوَن لِمال زوجها بالأمانة والصيانة وترك التبذير "[3] .

ومن قواعد الإسلام الاقتصادية ، والتي ينبغي تفعيلها داخل البيت المسلم ، قوله ﷺ : « التدبير نصف العيش »[4] .

فلا بدّ أن تدرك الأسرة المسلمة حقيقة واقعها ، وأن تعي الظروف والمتغيرات الاقتصادية المحيطة بها ، خاصة في عصر العولمة ، ذلك العصر الذي يقوم على الاقتصاد . وهنا يجب أن تفكّر الأسرة المسلمة في بيئتها الداخلية ، فتنظر لأبنائها ولِبناتها حتى لا يكون همُّ الأبِ أو الأمّ منصبّاً فقط على إشباع حاجاتهما الذاتية فقط ، بل لا بدّ من الاهتمام بالمستقبل الاقتصادي لكلّ أفراد الأسرة ، وبالذات في هذا العصر ؛ عصر العولمة ، حيث أصبحت الحاجات الأساسية للفرد من طبّ وصحّة وتعليم ... وطعام ، بيد أصحاب الشركات الذين لا ينظرون إلا تسويق هذه الحاجات ، فمَن لديه المال تصله الخدمات ، ومَن ليس لديه مال ، فلينتظر في طابور المساعدات والمعونات التي إن جاءت فسوف تكون دون المستوى المأمول !!! لذلك حريٌّ بالأسرة المسلمة أن تعي حقيقة هذا الوضع القادم ، خاصة وأنّ دينها الإسلامي يرسم لها المنهج الصائب لِملاقاة هذه الظروف الاقتصادية الصعبة ، كما في حديث الرسول ﷺ : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون الناس »[5] .

إنّ في تفعيل هذا المنهج النبوي حماية للأسرة من صور الاستهلاك الاقتصادي ، حيث أصبحت بعض الأسر أسيرة لصعقات الموضة ، تطارد كلّ جديد من الكماليات والمظاهر الجوفاء ، والتي غالباً ما تكون على حساب ميزانية الأسرة ووضعها الاقتصادي .

---

(١) السيوطي ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٠٠ ، حديث رقم : ٧٩٣٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٢٩ ، حديث رقم : ٤٠٩٠ ، وقال : حديثٌ صحيح .
(٣) الغامدي ، مرجع سابق ، ص٣٨ .
(٤) السيوطي ، مرجع سابق ، ص٥٥٣ ، حديث رقم : ٣٥٦٩ .
(٥) صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٤٣٥ .

لقد أصبحت تقليعات العصر وأزياء الموضة هي الطعم الذي تستدرج به الأسرة المسلمة وتستنزف به أموالها ، والتي غالباً ما تصبّ في أرصدة أصحاب الشركات العملاقة صناع العولمة .

يجب أن تعي الأسرة المسلمة حقيقة هامّة ، بل وخطيرة ، وهي أنّ الإسراف والتبذير الذي لا مبرر له ولا طائل من ورائه ، والمتمثل في مطاردة إنتاج البضائع الاستهلاكية ، إنما يعود بالضرر على الأسرة المسلمة في عدّة نواحي ، منها :

١- أنّ هذا الاستنزاف هو شفط لأموال الأسرة وجعلها صريعة للموديلات والموضات ، فأصبحت هناك ألبسة وأزياء لكلّ مناسبة ، بل ولكل مناسبة ملحقاتها من أحذية وحقائب ... ولكلّ ظرف زمني أزياء ...

٢- أنّ هذا الوضع الاستهلاكي يصيب المجتمع المسلم بالترهّل والخمول ، فيصبح هذا المجتمع مجرّد سوق استهلاكية لكلّ ما تقذف به المصانع الغربية ، مما يعطل إنتاج الدول الإسلامية ويصيبها بالإفلاس المبكر ، بل والشيخوخة الفكرية المبكرة ؛ لأنّها لم تتعوّد على الإبداع والإنتاج ، بل أسلمت نفسها ومدّخراتها ، وفتحت خزائنها للمستثمر الغربي الذي يرغب في رؤية الضحية تطلب المزيد وتمجد الجلاد . وهذا حال المستهلك في الدول النامية ، فالمنتجات المحلية مهمشة ، والإقبال على صناعة الخواجة أمر جلي وطبيعي ، حتى تحطّمت في نفوس بعض الأسر الثقة بكلّ شيء محلي ، وتكوّنت عقدة الخواجة التي أصبحت بعض الأسر المسلمة ضحية لها .

٣- أنّ من الآثار الدينية والعقائدية لهذا الاقتصاد المنهزم والمبهور بكلّ غربي ، أنّ الأسر التي تحرص على شراء كل شيء صُنع في الغرب ، إنما هي تدعم - بوعي أو بلا وعي - تسلّط الشركات الكبرى وهيمنة الغرب على مقدرات الشعوب . ويخشى الباحث أن تكون هذه الأموال الهارية من المجتمعات الإسلامية والمستقرة في بنوك الغرب وشركاته هو الحبل الذي يتقوى به الغربيون صنّاع العولمة على أمّة الإسلام والمسلمين ، والذي ورد ذِكره في قوله تعالى : { **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ**

مِنَ النَّاسِ }[1]. فالعبرة بعموم اللفظ ، وليس بخصوص السبب ، لاسيما إذا أدركنا أنّ الاقتصاد هو أقوى حبال العولمة ، فلا بدّ من قطع هذا الحبل ، ويكون ذلك بتشجيع الإنتاج المحلي فقط .

٤- أنّ إنفاق المال وهدره وإضاعته بلا فائدة يجعل صاحب المال عُرضة للسؤال الذي ينتظره يوم القيامة ، كما ورد ذلك في حديث الرسول ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن مالهِ من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما علم »[2] .

إنّ المتأمّل في هذا الحديث يجده مليئاً بالآداب والمبادئ الإسلامية الرفيعة ، فكلّ ساعة من ساعات العمر أمانة لدى الإنسان ، وسوف يُسأل فيما عمّر به وقته كلّه ، والمال رِزق ومنحة من الله ، وسوف يُسأل صاحبه عن مصدر رزقه وعن وجوه إنفاقه . وكذلك العِلْم هل أثمر العمل ، وهل بذله وسخّره في الخير ؟..

إنها مبادئ تضمّنها هذا الحديث الشريف ، حريّ بالأسرة المسلمة أن تقف معها وأن تتدبرها وأن تفعلها وتجعل تلك المبادئ والمُثل واقعاً ملموساً في سائر شؤون حياتها ؛ لتكون هذه الأسرة قد أدّت الأمانة التي استأمنها الله عليها .

هذه بعضٌ من وظائف الأسرة المسلمة ، والمطلوب تفعيلها وفق المنظور الشرعي ، وبخاصة في هذا العصر . وما زال هناك العديد من الوظائف الأسرية لم يتمّ التطرّق إليها في هذه الدراسة ؛ أخذاً بقول الحكيم : (حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق) ..

❒ ❒ ❒

(١) سورة آل عمران : الآية (١١٢) .
(٢) الترمذي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص١٣٥ .

المبحث الثالث : الأخذ بمبدأ استمرارية التعليم .

أشار كثير من الباحثين والمفكرين والمتابعين لظاهرة العولمة إلى أنّ من سمات ومكوّنات عصرها التجدد والتنوّع ، وبخاصة في المجال المعرفي والعلمي ، فكما هو مشاهد ، فإن العولمة تتخذ من العِلْم وتقنياته المتطورة وسائل تقتحم بها الحدود الزمانية والمكانية ... وهذا يعني أن المعرفة في زمن العولمة في تطور ، بل وفي تضاعف غير مسبوق ، لدرجة أنه يصعب على الإنسان ملاحقة كل جديد في سوق العِلْم والمعرفة ، حتى إنه ليكاد يختلط عليه الأمر بين الجديد والأجدّ منه . وهذا وضع يشي بسباق رهيب وتدفق معرفي وعلمي يصعب اللحاق به ... وهذا الوضع المعرفي والعلمي يطرح - بل ويفرض - على التربية في كل مكان تحدياً من نوع آخر ، وهو أنّ على التربية أن تواكب كل جديد ، وهو مطلب قد يبدو في الوهلة الأولى يسره وسهولته ، ولكنّ الواقع يثبت عكس ذلك . ففي الوقت الذي تحتاج فيه التربية إلى دراسة أثر من آثار التقدّم العلمي على بعض مجالات الحياة مثلاً ، وتدرس ما له وما عليه وسلبياته وإيجابياته ، تجد أنّ هذا النوع قد أصبح قديماً جداً ، فقد حدثت تطورات علمية ذات تأثير أعنف ، وكمثال توضيحي فإنه عندما ظهر جهاز التلفزيون لأول مرّة ، شكّك البعض في أثر هذا الجهاز ، وأنه له انعكاسات على تربية النشء ، وبدأت الدراسات تُعدّ ، والبحوث تُطرح ، والمؤتمرات تُعقد لمعرفة نوع التحدي التربوي لهذا الجهاز ، وماذا يجب على الأسرة والمؤسسات التربوية الأخرى أن تعمل لمواجهة ذلك التحدي ؟.

وفي خضمّ هذا العراك بين السلب والإيجاب ، يصحو الجميع على تحدٍّ أعنف ، وهو البثّ المباشر والرقمي والحواسيب المتطوّرة والشبكات العنكبوتية ... والاستنساخ والهندسة الوراثية ... الأمر الذي أوجد تراكماً من التحديات ليس على المستوى المحلي ، بل وعلى المستوى العالمي ، مما زاد في اتّساع الفجوة وتعميق الثغرة بين التربية - كسلوك - وبين معطيات العِلم الذي أنتجته التربية أيضاً .

وإذا كانت المؤسسات التربوية تشكو من هذه الثورة المعرفية والتدفق الإعلامي والمعلوماتي ، فإنّ التربية الإسلامية سوف يكون نصيبها من هذا التحدي أضعاف مضاعفة في المجال العلمي والمعرفي ، إذ سيطلب

منها أن تواكب هذا التطور ، وأن تشارك فيه بفاعلية وإبداع ، كما سيطلب منها أيضاً أن تتنبه إلى ما في هذه الثورات المعرفية والعلمية والتكنولوجية من تحديات سلوكية ينبغي على المؤسسات التربوية الاحتياط لها .

ويرى الباحث - كغيره من الباحثين - أنّ أسلم طريقة هو الأخذ بمبدأ استمرارية التعليم ، أو ما يسميه البعض التربية مدى الحياة ، أو التربية المستمرّة ، أو التعليم المتواصل .. وغير ذلك من المسميات التي سيفرضها تفجر المعرفة ، ويمتاز بها عصر العولمة .

ومن أجل توضيح مدلول عنوان المبحث ، فإن هناك العديد ممن عرف هذا النوع من التعليم ، مثل : فوزية علي ، التي تعرّف التعليم المستمرّ بما يلي :

" التعليم المستمرّ مدى الحياة طراز عالمي من التعليم ، يستهدف تنشئة المواطن الواسع الأفق ، الذي يجمع بين المواطنة الصالحة في بيئته المحلية أو الوطنية والمواطنة العالمية "(١).

كما تعرفه ابتسام زعتري بقولها : " إعادة تأهيل وتطوير الكفاءات والقدرات الخاصة بالأفراد في مراحل حياتهم المختلفة بما يرتفع بهم إلى مستوى مناسب من الجودة والإتقان والتفوّق في عملهم "(٢).

ويرى الباحث أن التعليم المستمر هو عملية تطويرية لقدرات الفرد واستغلال أكبر لإمكانياته وخبراته تستغرق الحياة كلها ، مما يحقق للفرد حياة مستقرة في الدنيا ، ويزيد من حصوله على العِلْم النافع الذي يدفعه إلى العمل الصالح .

والتعليم المستمرّ ليس نوعاً غريباً على التربية الإسلامية ، وليس بدعاً فيها ، بل هي آخذة بناصيته منذ أن نزل قوله تعالى : { **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ..** }(٣)، فهو شعار تربية الإسلام سعت إلى تفعيله ، فهي سباقة إلى هذا النوع من التعليم الذي يعود العالم اليوم إلى الأخذ به وعدم الاكتفاء بالمؤهل الجامعي أو المدرسي ...

ومن الأدلة الشرعية الحاثة على الأخذ بهذا النوع من التعليم وتفعيله ،

---

(١) إبراهيم ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، د.ت ، عدد ٧ ، ص٣٥ .
(٢) زعتري ، التعليم المستمر ، ١٤١٨هـ ، ص٢٤ .
(٣) سورة العلق : الآية (١) .

والذي يتأكد وجوب العمل به في ظلّ سمات العصر الحاضر :

أولاً : أدلة من القرآن الكريم :

قال تعالى مخاطباً نبيه - وهو أيضاً خطاب لأمّته ممثلة في شخص الرسول ﷺ - : { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً }(١).

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية : " أي : سل ربك زيادة العِلْم بكتابه "(٢).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عن الآية السابقة نفسها : " عن ابن ماجه - رحمه الله - قال : قال أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ ، أنه كان يقول عليه الصلاة والسلام : « اللهم انفعني بما علّمتني ، وعلّمني ما ينفعني ، وزدني عِلماً ، والحمد لله على كلّ حال »(٣) "(٤).

ومن الأدلة أيضاً : قوله تعالى : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }(٥).

قال الشوكاني - رحمه الله تعالى - : " المراد العلماء والجهال ، ومعلوم عند كل مَن له عقل أنه لا استواء بين العِلْم والجهل ، ولا بين العالم والجاهل "(٦).

ثانياً : أدلة من السنّة النبوية الشريفة :

لقد حفلت السنّة النبوية الشريفة بثلة من الأحاديث الشريفة الصحيحة الداعية إلى تفعيل مبدأ الأخذ بالتعليم المستمرّ ، ومن ذلك :

١- ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن يرد اللهُ به خيراً يفقهه في الدين »(٧).

٢- ما رواه الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَن خرج في طلب

---

(١) سورة طـه : الآية (١١٤) .
(٢) الشوكاني ، " فتح القدير " ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٥٥٦ .
(٣) الترمذي ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٣٥٢٣ .
(٤) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٨٤ .
(٥) سورة الزمر : الآية (٩) .
(٦) الشوكاني ، " فتح القدير " ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٦٤٤ .
(٧) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٦٩ .

العِلْم فهو في سبيل الله حتى يرجع "[١].

٣- وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " .. ومَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة "[٢].

ثالثاً : بعض ما قاله السلف عن التعليم المستمرّ :

لقد كان لسلفنا الصالح - رحمهم الله جميعاً - عناية بالغة بتفعيل هذا المبدأ ؛ استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى ، المتضمن في قوله تعالى : { **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** }[٣]، وامتثالاً لأمر رسوله ﷺ ، كما تبيّنَ من النصوص السابقة .

وقد حفظت لنا كتب السلف أقوالاً رائعةً وآراءً سديدة في النصح والتوجيه للأجيال من بعدهم من أجل حثهم على الأخذ بهذا المبدأ قولاً وعملاً ؛ لِما يحتويه من مضامين تربوية وعلمية وعقائدية هامّة . ومن تلك الأقوال ما يلي :

١- يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (منهومان لا تنقضي نهمتهما : طالب علم ، وطالب دنيا)[٤].

٢- قيل لابن المبارك - رحمه الله تعالى - : " إلى متى تطلب العِلْم ؟. قال : حتى الممات إن شاء الله "[٥].

٣- قال مالك بن أنس ﷺ : (لا ينبغي لأحد يكون عنده العِلْم أن يترك التعلم)[٦].

٤- قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أَوْلى بها وأنفع لها في معادها "[٧].

● زمن التعليم المستمرّ :

يتّخذ زمن التعليم المستمرّ من اسمه مؤشراً عليه ، فالتعليم المستمرّ

---

(١) الترمذي ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٦٤٧ .
(٢) المرجع السابق ، حديث رقم : ٢٦٤٦ .
(٣) سورة طـه : الآية (١١٤) .
(٤) القرطبي ، جامع بيان العِلْم وفضله ، ١٤١٥هـ ، ص١١٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص١١٥ .
(٦) نفس المرجع ، ص١١٤ .
(٧) ابن القيم ، الفوائد ، ١٤٠٣هـ ، ص٤٠ .

زمنه الحياة التي يعيشها الفرد على هذه الأرض ما دام لديه القدرة والاستطاعة والرغبة .

جاء في كتاب (التعلم ذلك الكنز الكامن) عن زمن التعليم المستمرّ ما يؤكّد ما أشار إليه الباحث قبل قليل :

" أصبح زمن التعليم المستمرّ هو زمن الحياة كلها ، وينتشر ويتسع في كل ميدان من ميادين المعرفة ، ويمتدّ إلى ميادين أخرى ويثريها ، وأصبحت التربية مع مقدم القرن الحادي والعشرين من التنوع في مهامِّها وأشكالها ، بحيث تتناول جميع الأنشطة التي تمكن الناس - من الطفولة إلى الشيخوخة - من اكتساب معرفة بالعالم وبالآخرين وبأنفسهم معرفة حية وعائشة "[1].

● علاقة هذا النوع من التعليم بظاهرة العولمة :

إنّ سمات العصر المعرفية وإيقاعاته التكنولوجية وتطبيقاته المتسارعة فرضت على الشعوب والأفراد النظر بجدية إلى مستواهم التعليمي ونظامهم فيه وما أصبح عليه العالم اليوم بفعل هذه الثورة التكنولوجية التي فرضت متطلبات جديدة ، وفتحت أنماطاً حضارية وثقافية حديثة ، وأنشأت طرازاً من الأعمال والأسواق العالمية الحديثة . لذلك فإنّ هناك - كما يرى الباحث - علاقة طردية بين عدّة متغيرات ، فكلما زاد التطور التكنولوجي إنتاجاً زادت الحاجة إلى أيدي تحسن التعامل معه كباراً وصغاراً ، وكلما زادت فرص العمل التقنية زادت الحاجة إلى الأيدي المدربة ، وكلما توسعت فروع الشركات العالمية زادت الرغبة لديها في استقطاب الأيدي العاملة المدربة على نوع إنتاجها في المكان الذي تصل إليه .

لذلك فإن هذا النوع من التعليم ربما جاء استجابة بشكل يحقق فيه رغبات أصحاب الشركات العملاقة ، وهم من الأيدي القوية والمؤثرة بدرجة عالية في تحريك ظاهرة العولمة .

ومما يؤكد هذا الرأي ؛ ما جاء في كتاب (التعلم ذلك الكنز الكامن) ، حيث يقول التقرير الذي أعدّته اللجنة الدولية للتربية للقرن الحادي والعشرين ، المنبثقة عن منظمة اليونسكو : " إنّ هذه التربية المستمرّة هي - إلى حدّ كبير - استجابة لمطلب اقتصادي ، وهي تمكن الشركات

---

(١) جاك ، وآخرون ، مرجع سابق ، ص١٢٤ .

من اكتساب المهارات الأعظم التي تحتاجها ... ويمضي التعليم طوال الحياة إلى أبعد من ذلك في عالم يؤدي معدل التغيير المتسارع فيه والعولمة السريعة إلى تحويل وتشكيل علاقة كلّ فرد بكلّ من الزمان والمكان "[1].

ولا يرى الباحث أنّ هناك تعارضاً بين رغبة ملاّك الشركات العملاقة أو الكونية في استقطاب أكبر عدد من الأيادي المدربة تدريباً متطوّراً ، وبين منطق أصحاب هذه الشركات ، والداعي إلى تخفيض الإنفاق باطراد ؛ سعياً إلى زيادة الربح المالي . وذلك عبر الاستغناء - قَدر الإمكان - عن هؤلاء العمال ببعض الآلات التكنولوجية ، فالأمر سيكون مسألة وقت فقط ، فكلما وُجدت الآلة ، سارعَ ملاّك الشركات إلى تسريح أكبر عدد من العمال والموظّفين ، وكلما اقتضت مصلحة أصحاب الشركات زيادة العمال لغرض الإنتاج ، جيء بهم بأزهد الأجور وأبخسها ، وبذلك يقع العمال تحت رحمة وشفقة ملاّك الشركات العالمية ، الذين سلّعوا كرامة الإنسان ، حيث جعلوا قيمته تساوي آلة صمّاء .

● دواعي التعليم المستمرّ :

تظافرت مجموعة من الأسباب الداعية إلى وجوب الأخذ بمبدأ التعليم المستمرّ ، وبخاصة في عصر العولمة . ومن هذه الدواعي ما يلي :

١- **التطوّر العلمي والتكنولوجي :** تقول فوزية علي : " فالمعرفة الإنسانية تواجه نمواً متضاعفاً ؛ نظراً لاكتشاف الجديد من القوانين والوصول إلى الحديث من المعارف "[2].

٢- **الحراك الاقتصادي والاجتماعي :** لقد أحدثت تطبيقات العولمة - المتمثلة في تجاوز الحدود وتخفيض الجمارك وتسهيل الانتقال للأشخاص وللأشياء - نوعاً من التحركات داخل البنَى الاجتماعية والهياكل الاقتصادية .

تقول فوزية علي : " أصبح الحراك سِمة العصر ، فالإنسان يعيش اليوم في عالم متحرك ، ويتمّ الحراك نتيجة لأسباب كثيرة ومتنوعة ، فقد يكون للهجرة بحثاً عن فرص أفضل للعمل ، أو نتيجة للتهجير لبعض الظروف المحلية أو العالمية

---

(١) المرجع السابق ، ص١٢٥ .

(٢) إبراهيم ، مرجع سابق ، ص١٠٢ .

، أو ظروف كونية (سيول ، زلازل) ، ... أو متغيرات سياسية . هذا الحراك الاقتصادي والاجتماعي يتطلب تغييراً في الأدوار التي على الفرد أن يلعبها وأنماط السلوك المتوقعة . كما تصحبه تغيير في التقاليد والعادات . وهنا يلعب التعليم المستمرّ دوراً فاعلاً وبارزاً ، فهو يكسب الفرد المرونة لتقبل التغير والقدرة على التكيف والسرعة على مواءمة نفسه مع المستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي أصبح ينتمي إليه "(١).

وهنا يرى الباحث أن مبررات التعليم المستمرّ أكثر إلحاحاً ، لاسيما في عصر العولمة الذي سهل فيها الانتقال من مكان إلى آخر ، مع ضرورة حُسن الإعداد بالتحصين الثقافي والتربوي لنوعية هذه المتغيرات ، فليس المهمّ أن يتكيف المرء مع كل الظروف الملِمّة به ، بل عليه أن يتفهم نوعية هذا التغير وعلاقته بالثوابت التي لا تقبل المرونة .

٣- **تغيير التخصص الوظيفي :** نتيجة لتفجر المعارف وتدفق المعلومات وتطوّر التكنولوجيا الذي يكاد يأخذ بالألباب ، أصبحت الأعمال - كما تقول فوزية علي - " مستقرة ثابتة ، وأصبح التنقل بين المهن المختلفة أمراً عادياً ، فالمعرفة متغيرة ، وتكنولوجيا الصناعة والآلات متغيرة ، ومواصفات العمالة في المجتمع متغيرة ... لذلك فعلى المدرسة أن تركّز اهتمامها لتأهيل التلاميذ ، وأن تزوّدهم بأساس صلب المعرفة ، وذلك عن طريق التعليم المستمرّ مدى الحياة "(٢).

٤- **زيادة وقت الفراغ :** لقد ساعدت التقنيات الحديثة في توفير مساحة من الوقت لدى الإنسان ، لكن هذه المساحة كوّنت له مشكلة ، فأصبح الإنسان يفكّر فيما يملأ هذا الفراغ ، والذي أحدثته هذه الآلات ، حيث أصبح لديه فائضاً من الزمن والجهد ...

تقول فوزية : " يعيش إنسان اليوم عصر الفراغ - فراغ نجح في إيجاده - ، وما زال حائراً في ملئه وشغله . فالثورة

---

(١) المرجع السابق ، ص١٠٣ .
(٢) نفس المرجع ، ص١٠٤ .

الصناعية الأولى قد أحلّت الآلة محلّ الجهد العضلي للإنسان ، والثورة التكنولوجية المعاصرة قضت على الجزء الباقي من العمل اليدوي ، ثم جعلت الآلة تقوم بكثير من الأعمال الذهنية للإنسان ... ويعتبر الفراغ مشكلة كبيرة تتمثل في مشكلة الوسائل المناسبة لاستغلال هذه الثروة بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه ، وإلا أصبح نقمة بدلاً من أن تكون نعمة . وهنا يبرز دور التعليم المستمرّ مدى الحياة كحلّ جريء ومباشر وفعّال ، حيث يفتح للفرد آفاق الاستزادة من المعرفة بلا حدود زمنية ولا مكانية "(١).

ومع وجود هذه المبررات والدواعي للأخذ بمبدأ استمرارية التعليم ، تظهر أهمية هذا النوع من التعليم في بعض النقاط ، منها :

● أهداف التعليم المستمرّ :

التعليم المستمرّ ليس مجرد مظهر حضاري أو ثراء معرفي ، وإنما يجب أن ينبثق من حاجة فعلية لدى المتعلم كفرد ، ولدى المجتمع كأمّة تريد إمّا اللحاق بمن سبقها وتقدم عليها ، وإما مواصلة هذا التقدم حتى لا يتقدم عليها أحد . لذلك يترتب على الأخذ بهذا المبدأ بعض الأهداف التربوية لهذا النوع من التعليم ، منها - على سبيل المثال - ما ذكره فيما يلي أحمد كمال عاشور :

١- " التحقيق بين حاجات الفرد التعليمية وبين متطلبات سوق العمل المتغيرة .
٢- إتاحة فرصة تربوية متكافئة للفرد بدلاً من نظام الاختيار والرفض .
٣- إيجاد التكامل والتنسيق بين مراحل التعليم النظامي من ناحية ، وبينها وبين التعليم المدرسي بكافة مؤسساته من ناحية أخرى "(٢).

● مجالات التعليم المستمرّ :

---

(١) نفس المرجع ، ص١٠٤ .
(٢) عاشور ، مجلة التربية المستمرة ، التعليم المستمرّ والتنمية الاقتصادية ، ١٩٨٣م ، عدد ٦ ، ص٤٢ .

يصعب تحديد مجال معين للتعليم المستمرّ ، خاصة في ظل الثورة المعرفية التي تحتاج كل المجالات ، وإن كانت النسب متفاوتة بين المجالات .

وترصد (زعتري) بعضاً من تلك المجالات على النحو التالي :

١- " مجالات الثقافة العامة ونشر الوعي بين المواطنين .

٢- مجالات خاصة بالقوانين والأنظمة ، مثل : قوانين العمل وأنظمة المرور ... والإقامة ...

٣- مجالات خاصة بالتدريب المهني للارتقاء بمستوى الأداء وزيادة الإنتاج .

٤- مجالات تنمية وإكساب المهارات ، مثل اللغات الأجنبية واستخدام الحاسبات .

٥- مجالات العلوم الإدارية والمكتبية والمحاسبة .

٦- مجالات التدريب الفني والزراعي والصناعي والتجاري ... "[١] .

● كيفيات - آليات - تفعيل مبدأ التعليم المستمرّ :

يرى الباحث أنّ هناك مجموعة من النقاط التي يمكن أن تسهم بدورها في بيان الكيفية التي يتمّ من خلالها تفعيل هذا المبدأ على النحو التالي :

أولاً : لا بدّ أن تضطلع الجامعات في الدول العربية والإسلامية بدورها كاملاً في دراسة الحاجات الفعلية للأخذ بهذا المبدأ ؛ لأنّ الجامعات هي من مراكز الإشعاع الفكري والعلمي في المجتمع ، وذلك بما تمتلكه من قدرات مالية وكوادر بشرية مدربة ، فهي بذلك الأقدر والأجدر على تلمس حاجات المجتمع لهذا النوع من التعليم ، والأقدر على تفعيل هذا المبدأ أيضاً من خلال ما تقدمه من دراسات وبحوث واقعية ، وبثّ الوعي العلمي والثقافي بين أفراد الشعوب ؛ للمساهمة في الأخذ بهذا المبدأ .

ثانياً : مراكز التدريب الحكومية ، حيث تضطلع هذه المراكز بمهمة تزويد الموظف لديها بالخبرات الجديدة في مجال تخصصه وهو على

---

(١) زعتري ، المرجع السابق ، ص٣٠ .

رأس العمل ، عن طريق الدورات التدريبية وإعطاء الشهادات التشجيعية ، وصرف المكافآت للحاصلين على تلك الدورات ، وتسليمهم مراكز قيادية .

ثالثاً : مراكز التدريب - غير الحكومية - ، وهي فرصة استثمارية لأصحاب رؤوس الأموال في استثمار أموالهم داخل دولهم ، وذلك عن طريق فتح مراكز تعليمية تقنية تدريبية ، مع فرض رسوم على الراغبين في الدراسة في هذه المراكز التي تقدّم للملتحقين برامج تعليمية وتدريبية تكون مواكبة لطبيعة عصر العولمة(١).

هذه أبرز النقاط التي يمكن أن تسهم في تفعيل هذا المبدأ حسبما يراه الباحث .

❐ ❐ ❐

---

(١) أخذت هذه النقاط من نشرة مركز تدريب قيادات الكبار - تعليم الكبار - ، بحث بعنوان : معوقات العمل في مجال التعليم المستمرّ ، إعداد : عمر عبد الحميد ، بتصرف .

المبحث الرابع : الأخذ بمبدأ التعليم التعاوني .

التعاون على البرّ والتقوى سِمة من سِمات المجتمع الإسلامي ، وخصيصة من خصائص المسلمين يشعرهم بوحدتهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، وينزع من النفوس دخنها أو انطواءها على شيء من الغلّ أو الحسد ، ويبذر فيهم روح الفريق الواحد والأمة الواحدة والانسجام التامّ الذي يكوِّن الإطار العامّ والقويّ على الاختراق ، كما يحمي المجتمع من خطر الذوبان في غيره ، وكذلك يحميه من الاضطرار إلى اللجوء إلى الآخرين لسدّ حاجاته ، بل إنّ المسلمين في تكاملهم وتكافُئِهم وتعاونهم يمثلون جسداً واحداً وقوةً عصية على الخضوع والإذلال والتبعية ، وذلك لا يمكن أن يتحقق إلا إذا فعّل المسلمون وحققوا هذا المبدأ ، لذلك لا غرو ولا غرابة أن يكون التعاون أبرز أهداف التربية الإسلامية ؛ لِما له من دور ريادي فاعل في حفظ كيان الأمة ، وإبراز تميزها وانتشالها من الضياع والذوبان ...

ولأهمية هذا المبدأ ، فقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بالعديد من النصوص التي تدعو إلى الأخذ بهذا المبدأ وتفعيله ، ومن ذلك :

أولاً : القرآن الكريم :

١- قوله تعالى : { وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ }(١) .

٢- قوله تعالى : { وَالعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }(٢) .

٣- قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ }(٣) .

ثانياً : الحديث النبوي الشريف :

١- عن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : ((مَن جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومَن خلف غازياً في أهله

(١) سورة المائدة : الآية (٢) .
(٢) سورة العصر : الآيات (١-٣) .
(٣) سورة الجمعة : الآية (٢) .

بخير فقد غزا »[1].

٢- عن أبي سعيد الخدري ، (أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لحيان من هذيل ، فقال : « لينبعثن من كلّ رجلين أحدهما والأجر بينهما »)[2].

٣- عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « فضل العالِم على العابد كفضلي على أدناكم » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « إنّ اللهَ وملائكته وأهل السماوات والأرض ، حتى النملة في جُحرها ، وحتى الحوت ، ليَصلُّون على معلّمي الناس الخير »[3].

٤- عن ابن مسعود قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « نضّرَ اللهُ امرءاً سمع منّا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامع »[4].

٥- وعن أبي هريرة قال : سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن سئل عن عِلمٍ فكتمه ، أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نار »[5].

والمتأمل في هذه النصوص الشرعية ، يلمح فيها فارقاً جوهرياً مقارنة مع غيرها من الدعوات التي يصنعها البشر ويُلبِسونها ثوب التعاون .

فهذه النصوص الإسلامية يرى أنها تدعو إلى التعاون في كلّ مجالات الحياة بين المسلمين ، ولكن هناك شرطاً في أساس هذا التعاون الإسلامي ، وهو أن يكون تعاوناً على البرّ والتقوى ، على الخير والمنفعة للفرد وللجميع ، تعاون يستفيد منه كل أفراد المجتمع ، وهو شرط ربما لن نجد له مثيلاً في أغلب الدعوات التي يطلقها البشر اليوم ، وخاصة ما يصدر منها تحت مظلة النظام العالمي الجديد أو الشرعية الدولية ... وهي ميزة للتربية الإسلامية التي تحمل هذا المبدأ على غيرها من نظم التعليم والتربويات الأخرى يجب على التربية الإسلامية أن تسعى إلى تفعيل هذا الشرط ، والمتضمن داخل هذا المبدأ ، إذ ليس كل تعاون يكون محموداً .

---

(١) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٨٤٣ .
(٢) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٤٩٠٤ .
(٣) الترمذي ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٦٨٥ .
(٤) المرجع السابق ، حديث رقم : ٢٦٥٧ .
(٥) أبو داود ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٣٦٥٨ .

وبهذا يتضح أن مبدأ التعليم التعاوني مؤصل في شريعة الإسلام ، وما على التربية الإسلامية إلا البحث عن الكيفية المناسبة لتفعيل هذا النوع من التعليم ؛ لِما يتميز به التعليم التعاوني من غايات سامية وأهداف نبيلة وقيَم فاضلة .

ولقد قام بعض الباحثين بوضع تصوّر للتعريف بالتعليم التعاوني . ومن تلك التعاريف ما يلي :

● **التعليم التعاوني :**

١- يقول الحازمي معرّفاً بالتعليم التعاوني : " هو نظام تجمع فتراته بين الدراسة النظامية - التعليم الصفي - والخبرة العملية المنظمة ذات الصلة بالمنهج التعليمي في مجال الحقل المراد دراسته والتخصص فيه "[١].

٢- يقول مؤلّفوا كتاب (التعليم التعاوني) معرّفين بهذا النوع من التعليم بأنه : " هو الاستخدام التعليمي للمجموعات الصغيرة ، بحيث يعمل الطلاب مع بعضهم بعضاً لزيادة تعلمهم وتعلم بعضهم بعضاً إلى أقصى حَدّ ممكن "[٢].

● **أهمية التعليم التعاوني :**

لقد أثبتت الدراسات الميدانية التي أجريت لمعرفة أهمية وتميز هذا النوع من التعليم على غيره من أنواع التعليم الأخرى ، وكان من ضمن هذه الدراسات التي أجريت في هذا المجال : دراسة كل من (جنسون) وزملائه ، وخلصوا " إلى النتائج التالية "[٣]:

١- التعليم التعاوني " يؤدّي إلى التحصيل والإنتاجية " .

٢- أنّ التعليم التعاوني " يؤدي لبناء علاقات إيجابية تعبر عن الالتزام والدعم والاهتمام " .

٣- أنّ التعليم التعاوني يؤدي إلى " تحقيق الصحة النفسية والكفاية الاجتماعية وتقدير الذات " .

إنّ خلاصة هذه الدراسات التي أجراها الباحثون ترفد وتُعاضد موقف

---

(١) الحازمي ، مجلس القوى العاملة بالمملكة العربية السعودية ، التعليم التعاوني .. ، ١٤١٧هـ ، ص١٢ .
(٢) جنسون ، وآخرون ، التعليم التعاوني ، ١٩٩٥م ، ص٥ .
(٣) المرجع السابق ٦/١ .

التربية الإسلامية للأخذ بهذا النوع من التعليم ، لاسيما وأنّ لهذا النوع أصولاً إسلامية سابقة . فالمطّلِع على طريقة وأسلوب التعليم في عصور الإسلام السابقة ، يجد أنه كان يعمل بهذا الأسلوب ، ربما تختلف الطرق والوسائل ، لكنّ المضمون يكاد يتّفق أو هو متّفق فعلاً . فالهدف إيجاد الفريق الواحد المتآزر والمتعاون تعليمياً ... وهو ما نجد أساسه في حديث الرسول ﷺ التالي : فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً »[(١)].

وكذلك في الحديث الآخر ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى »[(٢)].

وهذا يعني ترسيخاً لمبدأ الوحدة الإسلامية القائمة على التعاون البنّاء والتكاتف الشامل من أجل مصلحة الجميع ، وهو ما يعبر عنه في عصرنا بتكوين روح الفريق الواحد . فإذا أردنا أن نصل إلى هذا الفريق ، فلا بدّ أن نأخذ التربية الإسلامية بمثل هذا النوع من التعليم ، وأن توجد له آلية التطبيق المنسجمة مع أهداف التربية الإسلامية ، مستفيدة من خبرات الآخرين في هذا المجال .

ومن خصائص هذا النوع من التعليم ، أنه يهتمّ بأمر التغذية الراجعة سواء من الطالب أو البيت ... من أجل معالجة نقاط الضعف وإصلاح الخلل الذي سببه سوء التطبيق ، وليس خللاً في المبدأ نفسه ، وهذه الخاصية تنبثق من قول الرسول ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكفّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه »[(٣)].

ولإبراز أهمية هذا النوع من التعلّم بشكل أوضح ، فقد قام ويفيد جنسون وزملاؤه بعقد مقارنة تعليمية بين نظام التعليم الجماعي التعاوني ونظام التعليم التقليدي ، وخلصوا إلى بعض النقاط التي يمكن من خلالها معرفة الفرق بين هذين النوعين من التعليم كما يلي :

- **الفرق بين التعليم التعاوني الجماعي والتعليم التقليدي**

(١) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٤٤٦ .
(٢) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٦٥٨٥ .
(٣) أبو داود ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٤٩١٨ .

(الفردي)[1]:

١- **التفاعل الإيجابي المتبادل :** حيث يقوم التعليم التعاوني على أساس التفاعل الإيجابي المتبادل بين أعضاء مجموعة التعليم التعاوني ، حيث تصاغ أهداف التعليم التعاوني بطريقة تراعي اعتماد الطالب على أداء بقية المجموعة أكثر من اعتماده على أدائه الخاصّ .

٢- **المسؤولية الفردية :** تحدد مجموعات التعليم التعاوني مسؤولية معينة لكلّ فرد في المجموعة ، حيث يسند إلى كل طالب دور خاص يتمثل في تفوّقه العلمي في المادة التعليمية . ولتحقيق هذا يزود كل طالب بتغذية راجعة إلى تقدّمه نحو تحقيق هذا الهدف .

٣- يختلف أعضاء المجموعة الواحدة في خصائصهم الشخصية وقُدراتهم في حالة مجموعات التعليم التعاوني ، وذلك عكس الحال في مجموعات التعليم التقليدي .

٤- **قيادة المجموعة :** يقود المجموعة جميع الأعضاء ، بعكس الحال في مجموعة التعليم الفردي .

٥- **التدعيم والتشجيع :** يكون المتعلم في مجموعة التعليم التعاوني مسؤولاً عن تعليم غيره .

٦- **أغراض الطالب :** تتلخص الأغراض التي يرمي الطالب الحصول عليها في التعليم التعاوني إلى الوصول إلى أقصى درجة من علاقات العمل مع الطلاب . أما في حالة مجموعات التعليم التقليدية ، فالتركيز ينصبّ على إتمام المهمّة فقط .

٧- **المهارات الاجتماعية :** لكي يعمل الطالب بشكل تعاوني ، فإنه يحتاج إلى بعض المهارات الاجتماعية ، مثل : مهارة القيادة ، مهارة الاتصال ، مهارة إثارة الآخرين ، مهارة إدارة الصراعات .

أما في حالة التعليم الفردي ، فالطالب لا يحتاج مثل هذه المهارات ، بل يحتاج إلى مهارات شخصية تعلم في أغلب الأحوال بطريقة شخصية .

---

(١) ديفيد ، وآخرون ، التعليم الجماعي والفردي ، ١٩٩٨م ، ص٣٤ ، ٣٥ .

● **دور المعلّم في التعليم التعاوني :**

المعلّم هو حجر الزاوية في العملية التربوية والتعليمية مهما تطوّرت أساليب وطُرق التدريس والعوامل المساعدة له ، مثل : الحاسبات ، والتلفزيون التعليمي ... إلا أنّ المعلم سيظلّ محتفظاً بدوره الأساس ، لكن هذا الدور قد يتغير من ملقن ومحفظ ومقدم للمعلومة جاهزة إلى الطالب إلى موجّه ومشرف ومثير للتساؤلات التي تدفع إلى التعلم .

والمعلم في التعليم التعاوني يصبح دوره دور المشرف أو الموجّه للمجموعة .

يقول بهجات : " يقوم المعلم في مجموعات التعليم التعاوني بملاحظة أعضاء المجموعة وتحليل المشكلات التي تواجههم أثناء العمل ، ثم إبلاغهم بالتغذية الراجعة المتعلقة بالكيفية المثلى لإدارة العمل "(١).

وبنفس الرأي يقول مؤلّفوا كتاب (التعليم التعاوني) ، حيث إنهم يؤيّدون ما ذهب إليه بهجات بالقول عن دور المعلم التعاوني : " يجب على المعلم أن يختار دور الموجّه ؛ لأنّ التحدي في التعليم التعاوني ليس تقديم المادة للطلاب ، بل إنه يتمثل في الكشف عنها ... كما أنّ على المعلّم أن يقوم بتشكيل المجموعات التعليمية وتعلّم المفاهيم والإستراتيجيات الأساسية وتفقد عمل المجموعات "(٢).

● **علاقة التعليم التعاوني بظاهرة العولمة :**

يرى الباحث - حسب اجتهاده ومدى علمه - أنّ هناك أموراً تستدعي الأخذ بهذا النوع من التعليم ، ذات علاقة بموضوع الدراسة ، وهو ظاهرة العولمة . ومن ذلك ما يلي :

١- أنّ العولمة ظاهرة تُعلي من شأن تعزيز الذاتية ؛ لكون هذه الظاهرة أصلاً إنما نشأت في أحضان النظام الرأسمالي الذي يعلي من حقّ الملكية الفردية على حساب الملكية الجماعية ، وهذا التوجه قد يغرس في نفوس الطلاب شيئاً من حُبّ الذات والأثرة وإهمال الآخرين .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٥ .

(٢) نفس المرجع ١/٢ .

٢- إنّ من مظاهر العولمة تلك التكتّلات العملاقة من الشركات العالمية التي تعتبر المحرك الأول للظاهرة . وهذا يؤدي إلى احتكار السلع والأسواق ، لذلك فإنّ التعليم التعاوني - حسب رأي الباحث - يخفف من غلواء احتكار المعلومة ، ويجعل الجميع يشارك في الوصول إليها ، وكذلك يشارك في الاستفادة منها .

٣- إنّ من سِمات عصر العولمة وفق المفاهيم الغربية التي تغذيه ، أنه لا يقيم وزناً لبعض المفاهيم الأخلاقية والتربوية والإنسانية إلا بمقدار ما يستفيد مادياً من وراء تلك المفاهيم . لذلك يرى الباحث أنّ على التربية الإسلامية أن تأخذ بهذا النوع من التعليم ؛ لتغرس في نفوس الناشئة مجموعة من القيم والمبادئ والأخلاق التربوية الإسلامية ، سعياً إلى تكوين الأمة الإسلامية المتميزة ، والمنبثقة من قوله تعالى : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }[١] .

ويرى الباحث أنّ تعزيز هذه المبادئ الإسلامية الرفيعة المتمثلة في حُبّ الإيثار على الذات وإشاعة جوّ الشفقة والأخوّة ، والشعور بوحدة المصير والأهداف المشتركة ، وغرس ذلك كله في وجدان الطلاب ، وتعويدهم على ممارسته بشكلٍ عملي يعود بالنفع على الطالب وعلى مجتمعه في المدرسة أو خارجها ، حيث ستحمي هذه المبادئ الإسلامية حاملها من غلواء الانفرادية والأنانية التي تحملها تربية العولمة ذات النزعة الرأسمالية النفعية الفردية . كما أنّ من شأن هذه المبادئ التعاونية الحفاظ على صورة الأخوّة الإسلامية من الانصهار في تيار العولمة .

❒ ❒ ❒

(١) سورة الحشر : الآية (٩) .

المبحث الخامس : الأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي .

إنّ مما يتحتم على التربية الإسلامية تفعيله والالتزام به ، هو مبدأ التكافل الاجتماعي .

إنّ هذا المبدأ قد وضع الله أساسه في القرآن الكريم وطبقه الرسول ﷺ في سنته المطهرة .

وبداية هذا تعريف لغوي واصطلاحي موجز عن هذا المبدأ .

التكافل لغة :

جاء في كتاب (أساس البلاغة) للزمخشري : " (ك ف ل) هو كافيه ، كافله ، وهو يكفيني ويكفلني : يعولني ويُنفق عليّ "[١].

التكافل اصطلاحاً :

(التكافل الاجتماعي) فيقول أحمد زكي بدوي : " التكافل الاجتماعي (Symbiosis) (Symbiose) مصطلح حديث الاستعمال نسبياً في الدراسات الإنتربولوجية الإنسانية يشير إلى الحالات التي يعتمد فيها مجتمعان أحدهما على الآخر اعتماداً كبيراً "[٢].

ولقد وردت الإشارة إلى هذا المبدأ في القرآن الكريم عند قوله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَـةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُـمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانـاً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْـهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[٣]، وكذلك في قوله تعالى : { إِنَّمَا الْـمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[٤].

أما في السنة النبوية ، فمن ذلك :

١- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ

---

(١) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ١٤٠٢هـ ، ص٣٩٦ .
(٢) بدوي ، مرجع سابق ، ص٤١٨ .
(٣) سورة آل عمران : الآية (١٠٣) .
(٤) سورة الحجرات : الآية (١٠) .

واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم »[(١)].

وهي صورة عملية رائعة من صور التلاحم الحيّ والتكافل الاجتماعي الراقي الذي أسّسه الإسلام ، وأيّده نبي الله ﷺ وسَنّه للأمّة بعده . إنها صورة قلَّ أن نجد لها مثيلاً في المجتمعات الإنسانية اليوم ، وخاصة بعد أن غلب على الناس حُبّ الذات وعدم الاكتراث بالآخرين ، بسبب طغيان روح الحضارة المادية التي همشت القيم الفاضلة ولم تعبأ بها .

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ ، إذ جاء رجلٌ على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « مَن كان معه فضل ظهر فليعد به على مَن لا ظهر له » ، فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حقّ لأحد منا في فضل)[(٢)].

إنها صورة رائعة أخرى من صور وتطبيقات الإسلام العملية ، تمثل نفي كل صوَر الاحتكار الذي حرّمه الإسلام ، من أجل إيجاد المجتمع المتكافل المتكامل الذي يشعر كل فرد فيه بحاجة أخيه ، فيواسيه مادياً ومعنوياً ، وهي صورة تكاد تنعدم في مجتمعات الغرب التي طغى على واقعها النظام الاقتصادي الرأسمالي ، مما جعل البشرية اليوم ترى وتسمع عن الصور المروعة من صوَر المجاعات والكوارث التي يقف المجتمع البشري أمامها متفرجاً ، وإن تحركت لدى الغرب مشاعر الشفقة تجاه هؤلاء المحرومين - وبالذات منهم المسلمين - فإنّ الغرب المسيّر لظاهرة العولمة سيعمد - حتماً - إلى استغلال هذا الواقع المأساوي متذرعاً بتقديم العلاج والطعام أو التعليم المجاني ، ولكنه - وفي نفس الوقت ، وتحت ضغط الحاجة والجهل - يقوم بالترويج لمعتقداته التنصيرية وبثّ لثقافته الغربية التي تمثل ثقافة العولمة .

حقاً لقد صنعت الرأسمالية الغربية من النفوس البشرية التي تربّت وتغذّت بهذا النظام وُحوشاً ترتدي أزياء ناعمة ، يدلّ على ذلك

(١) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٤٨٦ .
(٢) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٤٥١٧ .

شعار العولمة الذي انبثق من وراء تحريك الرأسمالية له ، وهو الشعار الذي يردّده الرأسماليون اليوم ؛ ليبرروا نظامهم ، ويجسدوا واقع العولمة ، وهو " وهو إما أن تأكُل ، وإما أن تُؤْكَل "[1].

أين هذا المبدأ من مبادئ الإسلام التكافلية التي غرسها الرسول ﷺ في أمّته ، وربّاها على هذه المبادئ والتحلي بها قولاً وعملاً ، ومعايشتها واقعاً وليس مجرد شعارات ترفع ، ويكشف الواقع زيفها ، بل عايشت البشرية واقعية هذه المبادئ التكافلية وشاهدَتها تطبّق وتُمارس في مجتمع الإسلام ؛ استجابة لحديث الرسول ﷺ في هذا الشأن : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه »[2].

وهكذا يلاحظ أنه لأهمية هذا المبدأ في حياة المسلمين ، ربطه الرسول ﷺ بحقيقة الإيمان ، ولم يترك الأمر خياراً لمن أراد .

التكافل الاجتماعي في المجال التربوي والعـلمي .

من الأمور التي شملها مبدأ التكافل الاجتماعي - الإسلامي - ، المجالين : التربوي والتعليمي ، لذلك حري بالتربية الإسلامية أن تبرز معالم هذا المبدأ ، وذلك بغرسه في نفوس الناشئة ، وتعويدهم الأخذ به ، والعمل به في حياتهم الخاصة والعامة ، ليتميز المجتمع المسلم عن غيره .

ثم تبرز التربية الإسلامية هذا المبدأ بتفعيله في نظامها التعليمي امتثالاً لقول الحقّ تبارك وتعالى : { لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً }[3].

وامتثالاً لقول الرسول ﷺ القائل : « العالِم والمتعلم شريكان في الأجر ، ولا خير في سائر الناس بعد »[4].

إنّ هذين النصين الكريمين يستهدفان تأصيل مبدأ التكافل الاجتماعي والعناية به ؛ لأنّ في تفعيل هذا المبدأ حماية للفرد من الأثرة والأنانية والشحّ وحبّ الذات ، وحماية للأمّة من التشرذم والانفصال بين الواقع

---

(١) هانس ، وهارالد شومان ، مرجع سابق ، ص٢٦ .
(٢) الألباني ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٢٩ .
(٣) سورة النساء : الآية (١١٤) .
(٤) ابن ماجه ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٢٨ .

والمثال ، فلا يكفي إعلان المبادئ ، بل لا بدّ من تفعيلها وإنزالها إلى أرض الواقع .

بل وصل اهتمام الإسلام بغرس هذا المبدأ والعناية به ، وتأصيله في أبناء الأمة ، ودعوتهم إلى الأخذ به ، لدرجة أن رسولَ الله ﷺ يعاتبُ فئاماً من الناس على تقصيرهم في هذا الجانب ، فيقول عليه الصلاة والسلام في إحدى خُطبه : « ما بالُ أقوامٍ لا يُفقّهون جيرانهم ولا يعلّمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم ؟. وما بالُ أقوامٍ لا يتعلّمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟. واللهِ لَيُعلّمنَّ قوم جيرانهم ويفقّهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلّمنّ قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون ، أو لأعالجنهم العقوبة »[1].

إنها نصوص شرعية معصومة تدحض كلّ الشبهات التي تثار حول عناية الإسلام بالضعفاء والمعوزين وأصحاب الحاجات المادية والعلمية ...

أهمية الأخذ بهذا المبدأ في عصر العولمة .

يرى الباحث أنّ أهمية هذا المبدأ تتأكّد ضرورته ويجب تفعيله ، وبخاصة في عصر العولمة الذي من سِماته أنه يوجد واقعاً تسوده شريعة لا رحمة فيها بالضعفاء ، بل إما أن تأكُل أو يأكُلك الآخرون ، وهو منطق شريعة الغاب ، وهو الذي تتبناه العولمة كظاهرة اقتصادية تريد تسليع كلّ شيء ، ونبذ قيم الشفقة والرحمة بالضعفاء .

ويزداد تأكد الأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي الإسلامي بغرسه في النفوس وتطبيقه عملياً ؛ لأنّه أصبح من الملاحظ أنّ المجتمع العالمي الذي يريد صنّاع العولمة بناءه اليوم ، يتقزز هذا المجتمع ويأنف من رؤية الضعفاء والبسطاء والذين لا يجدون ما يسدّ رمقهم ، ويسكن آلامهم ، ويذهب عنهم كابوس الجهل والخرافة ، لذلك يرى صنّاع المجتمع المتعولم أنّ هذا الصنف من الناس لا يُستفاد منهم ، فهم عبء على المجتمع العالمي أو مجتمع العولمة ، لذلك يجب التخلص منهم .

يقول محمد أمحزون : " إنّ آليات السوق التي تقوم عليها الفكرة الأساس للرأسمالية أو الليبرالية ، هي أنّ مَن لا يستطيع كسب قوّته يجب

(١) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ١٣٨٨هـ ، ج١ ، ص٦٠ .

أن يموت !! فهناك أصوات في الغرب تنادي بأنّ المليار من فقراء العالم الثالث زائدون عن الحاجة ، وعليه فلا مسوغ لوجودهم ، ولا حاجة إليهم .. "(1) .

أو تقديم المساعدات الغذائية والكسائية والعلاجية التي تنبع من السياسة التي طرحها مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس (جيمي كارتر) ، وهو (زبجينيو برجنيسكي) ، وهي أنه من أجل إسكات الفئات الكبيرة المحرومة ، والذين يمثلون ثلثي سكّان العالم ، ينبغي أن تتبع سياسة (الحليب الفائض عن ثدي الأم المرضع) ، " فبخليط من التسلية المخدرة والتغذية الكافية يمكن تهدئة خواطر سكان المعمورة المحبطين "(2) .

إنه - حقاً - مجتمع الثلث والثلثين الذي يقسم البشرية إلى أثرياء في القمة يملكون كل متع الحياة وكمالياتها ، ويمثل هؤلاء ثلث سكان العالم ، بينما يعيش ثُلثا سكان العالم لا يملكون من ضروريات الحياة إلا ما يكفيهم ويسدّ رمقهم . هذه هي صورة المجتمع الذي تقيمه العولمة .

يقول مؤلفا كتاب (فخ العولمة) : " لقد رُسِمت في فيرمونت الخطوط العريضة للنظام الاجتماعي الجديد : بُلدان ثرية من دون طبقة وسطى تستحق الذكر "(3) .

إنه منطق الرأسمالية الذي يصادر ملكية كل شيء وكل قطاع ويؤممه ، ثم مَن أراد الحصول على خدمة فعليه أن يدفع ثمن هذه الخدمة التي تُقدَّم له ، ومَن لا يملك المال فلا حاجة له إذاً بالخدمة ، ولا حقّ له في التمتع بها ؛ لأنّ قطاع الخدمات أصبح استثمارياً بين الشركات ، فمن يكون جائعاً ويريد الأكل ، فعليه أن يدفع ثمن الطعام والشراب ، وإن لم يملك المال ، فعليه بأن ينتظر دوره في طابور المساعدات ، ومَن يريد العلاج لمرض ألَمّ به ، فعليه أن يدفع قيمة أتعابه العلاجية ، وإلا فلا حاجة له بالعلاج ...

ويصف صاحب كتاب (عولمة الفقر) واقع المجتمعات في ظلّ تسيّد منطق العولمة السابق بالقول :

---

(١) أمحزون ، مجلة البيان ، عدد ١٤٥ ، ١٤٢٠هـ ، ص١٢٨ .

(٢) هانس ، وهارالد شومان ، مرجع سابق ، ص٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٦ .

" ستدخل نهاية القرن العشرين التاريخ العالمي باعتبارها فترة إفقار عالمي اتّسمت بانهيار النظم الإنتاجية في العالم النامي ... فقد ظهرت في التسعينات مجاعات على المستوى المحلي في أفريقيا ، جنوب الصحراء ، جنوب آسيا ، وأجزاء من أمريكا اللاتينية ، وأغلقت العيادات الطبية والمدارس ، وأنكر على مئات الملايين من الأطفال الحقّ في التعليم الابتدائي ، وظهرت الأمراض المعدية ، ومن بينها : السلّ ، الملاريا ، الكوليرا من جديد في العالم الثالث وأوروبا الشرقية والبلقان "[١].

إنها مناظر مؤسفة حقاً ومخجلة للواقع الاجتماعي الذي يريد صنّاع العولمة فرضه على العالم تحت مسمى النظام العالمي الجديد ...

منظر مزعج مقلق أن يموت إنسان من الجوع والمسغبة ، ويموت الآخر بطنة وتخمة وترفاً . لكنها تناقضات يجمعها ويبرر وجودها مجتمع العولمة الذي لم يهتدِ بنور الإيمان الذي جاء به الإسلام .

إنّ هذه المناظر المحزنة والمؤسفة التي يسجلها التاريخ ، تظلّ نقاطاً سلبية سوداء في صفحات القرن العشرين الذي تقوده الحضارة الغربية . إنّ هذا الواقع المؤلم لم تعرفه البشرية يوم أن كانت دولة الإسلام تحكم الأرض بشرع الله ، بل كان الناس يبيتون في عيشٍ رغيد ؛ لأنّ الإسلام كفل لهم حقّ الحياة الكريمة . وهذا ما سجّله التاريخ المشرق للإسلام إبان حكمه المجيد .

يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، فيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد ، ولم يبنِ مدرسة قبلها مثلها ، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً وأربعة معيدين ، ومدرس لكل طائفة ، وشيخ حديث ، وقارئان ، وعشرة مستمعين ، وشيخ طبّ ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطبّ ، ومكتب للأيتام ، وقدّر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكلّ واحد "[٢].

أين هذا الواقع الذي بناهُ الإسلام وعاشه الناس واقعاً تفيّؤوا ظلاله في

---

(١) تشودوفيسكي ، عولمة الفقر ، ٢٠٠٠م ، ص٣٠٦ ، ٣٠٧ .
(٢) ابن كثير ، " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج١٣ ، ص١٣٩ .

دوحة وارفة الظلال بنعيم الحياة الكريمة الهانئة ؟. أين هذا مما قاله الأمين العام للأمم المتحدة وهو يصف واقع حال المجتمع الذي تتبناه العولمة وتسعى لإيجاده ، حيث جاء في تقرير عن هيئة الأمم المتحدة بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية على لسان الأمين العامّ للأمم المتحدة ، يقول فيه :

" الواقع أنّ معظم فوائد العولمة لا تصل إلى أكثر من نصف سكان العالم ، أي : ثلاثة بلايين شخص يعيشون على أقل من دولارين من دولارات الولايات المتحدة اليوم ، وقد اتّسعت الفجوة بين أغنياء العالم وفقرائه ...

- ويضيف قائلاً - : إنه على الرغم من كلّ ما يقال عن العولمة ، فإنّ أغلبية سكان العالم لا تزال إلى حدّ بعيد خارج دائرة المستفيدين منها !!.

- ويضيف التقرير - : ... لا تكون العولمة بالنسبة إلى الكثيرين عاملاً يؤدي إلى التقدّم ، بل قوة مسببة للاضطرابات تشبه الإعصار في قدرتها على حصد الأرواح وتضييع الوظائف وهدم التقاليد بين غمضة عين وانتباهتها ، وقد تكون العولمة مؤدّية إلى مزيد من عدم المساواة "[١].

وهو كلام من رجُلٍ عليم ببواطن الأمور مما يدور خلف كوابيس هيئة الأمم التي تزعم بأنها تسعى لتحقيق حقوق الإنسان !!.

إنّ هذا الكلام الصريح يضاعف المسؤولية على التربية الإسلامية من أجل أن تبرز البديل الاجتماعي إلى العالَم ، والمتمثل في النموذج الإسلامي لإنقاذ البشرية من ويلات العولمة ومن شرورها .

❒ ❒ ❒

(١) Http . \ WWW - UN - or \ arabic \ ga \ s-24-2-2000 .

المبحث السادس : إعداد الطالب المسلم لسوق العمل الملائم .

تمهيد :

ليس ثمة من شكّ في أنّ الإسلام دين متوافق مع الفطرة البشرية فيما فطرت عليه ، لذلك فقد راعى الإسلام حاجات الإنسان كلها ، بل جاء لإشباع هذه الحاجات وتنظيم ذلك وفق ما شرعه الله سبحانه وتعالى .

ومن تلك الحاجات الفطرية التي حثّ الإسلام على العناية بها هي حاجة الإنسان إلى العمل . يقول الحقّ سبحانه وتعالى : { **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ** }(١) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهذه الآية : " { **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ** } ، أي : ابتدأ خلقكم منها ، خلق منها أباكم آدم ، { **وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** } ، أي : جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها "(٢).

أهمية الإعداد الجيد لسوق العمل .

فمن هذه الآية نلمح أن غاية العمل في الإسلام إنما هو عبادة الله جلّ وعلا بعمارة الأرض بالطاعة وطلب الرزق من مظانه التي شرع الله . فالعمل مع كونه حاجة نفسية وغريزة فطرية ، إلا أنه يأخذ في الإسلام بُعداً آخرَ ، حيث يمثل طاعة الله وعبادة له ، وهو ملمح فريد تنفرد به الشريعة الإسلامية في نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان .

بل إنّ السنة النبوية الشريفة جعلت أفضل الكسب للإنسان ما كان نتيجة عمل يؤدّيه فيطعم به نفسه ويطعم مَن يعول ، وهذا مما ربّى الرسولُ ﷺ عليه هذه الأمة ، حيث قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عنه المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما أكل أحدٌ طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإنّ نبيّ الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »(٣) .

---

(١) سورة هود : الآية (٦١) .
(٢) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٤٩٣ .
(٣) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٠٧٢ .

وفي هذا الحديث النبوي الشريف توجيهات تربوية ثمينة ، فمن ذلك ما يلي :

١ـ تربية المسلم على العفة والعزّة وعدم اللجوء إلى سؤال الناس .

٢ـ تقدير الذات الإنسانية ، فالمسلم الذي يؤدي عملاً طيباً مطلوب منه أن يتقن هذا العمل ، مما يسكب في نفسه شعوراً بالراحة والثقة وتحمّل المسؤولية .

٣ـ الدعوة إلى العمل اليدوي الشريف والاحتراف بحرفة نزيهة يتكسب من ورائها ، وهو مأخوذ من ضرب المثل بنبي الله ـ داود عليه السلام ـ ، فمعلوم أنّ جميع الأنبياء إنما يأكلون من عمل أيديهم ، ولم يكونوا عالة على أحد من البشر ، ولكن نبي الله داود مثالٌ لصاحب حرفة ، وهو أنه كان حداداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فعدّ النبي ﷺ حرفة داود عليه السلام مثالاً يُحتذى في طلب الرزق ، ولم يعيّره أحد بهذه الحرفة الفنية .

والجدير بالذكر أنّ الإسلام حرّم المسألة لغير ذي حاجة حقيقية ملحّة ، بل نجد أن النبي ﷺ رهّب وحذّر من اتخاذ التسوّل وسيلة ومهنة للتكسب ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم »[١] .

وهو توجيه نبوي كريم لعدم اتخاذ الحرف الدنيئة والوضيعة مصدراً للتكسب ؛ لأنّ في ذلك إذلالاً لكرامة الإنسان ، ودفق لماء وجهه في الدنيا ، ناهيك عما يحصل يوم القيامة من تحقير أشدّ ، ومنظر أبشع تشمئزّ من رؤيته النفوس المستقيمة ، وهي دعوة نبوية وتوجيه تربوي يتضمّن دعوة المسلمين إلى وجوب البحث عن مصادر للرزق الشريف الذي ليس فيه إذلالٌ للإنسان ، وليس من المكاسب المحرمة ، مثل المتاجرة في المخدرات ، أو التجارة بما يسمونه اليوم (الرقيق الأبيض) ، وهو إيماء إلى المتاجرة بالجنس ، فكلها مكاسب محرمة ديناً وخُلقاً وعرفاً . فواجب على التربية الإسلامية أن تغرس في نفوس الناشئة أن يربَؤوا بأنفسهم عن التذلل لغير الله ، وتعودهم على العزة والكرامة ، وتوجّههم إلى مصادر الرزق الحسنة الحلال ، وأن تعوّد الفرد على أن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع عن طريق احترافه لعمل يؤدّيه يعفّ به نفسه ،

(١) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٣٩٦ .

ويكسب احترام الآخرين له ، ويصقل من خلاله مهاراته ، ويكتشف قدراته ، فينميها بما يخدم مصلحته ومصلحة أمّته ، ويساهم بجهده في تحقيق حاجاته وحاجات الأمة ، حتى لا تبقى الأمة الإسلامية في موقف المتفرج على الإنجازات العالمية الحضارية ، وحتى لا تبقى خيرات هذه الأمة منهوبة من بين يدي أبنائها لتذهب إلى مجتمعات الغرب أو الشرق . وهذه من المهامّ التي يجب أن تضطلع بها التربية في البلاد الإسلامية وجميع المؤسسات التربوية فيها .

يقول السيد شحات : " والمسلم المتذوق لدينه له منظور خاص للعمل ، وإتقاناً وشوقاً وإخلاصاً ، فهو يخرج لعمله مدفوعاً بعقيدته وغير مساق إليها سوق القطعان ، وغير واقع تحت قهر أو ضغط أو تهديد "(١) .

إن العمل النزيه الشريف يحمي الأمة من مخاطر البطالة وما يترتب على ذلك من جرائم السطو والاعتداءات والغشّ و... ، لذا واجب على التربية الإسلامية أن تغرس في الناشئة حُبّ العمل والإخلاص فيه ، وذلك عبر المؤسسات التعليمية بدءاً بالمدرسة الابتدائية ، وانتهاءً بآخر درجات السلّم التعليمي ، كما تشجعهم على الإبداع والابتكار .

يقول مازن بليلة : " إن نظام التعليم يصبح هو وزارة الدفاع الأولى ، هي الوزارة التي تدافع عن اقتصادك ومستواك الدولي في العلوم والتكنولوجيا والصناعة والاقتصاد "(٢) .

فالمسؤولية تقع بالدرجة الأولى على النظام التعليمي والتربوي ، إذ يتحتّم عليه أن يوجّه أبناءه إلى مصادر العمل التي يحتاجها البلد ، والتي تتلاءم مع طبيعة وتوجّهات المسلم فكراً وسلوكاً وأخلاقاً وذوقاً وفنّ تعامل ، وهي مهارات يتحتّم على راغب العمل أن يكتسبها علماً في مقرّ دراسته ، ويمارسها واقعاً في مقرّ عمله .

كما يجب على النظام التعليمي أن يكون دائم التطوير لمكوّناته ومخرجاته ، وأن يراقب ما حوله من نظم تعليمية كيف نهضت بأممها وشعوبها ، وكيف تخلّفت أمم كذلك بسبب ضعف نظامها التعليمي أو تأخّره عن غيره .

فمطلوب من التربية والنظام التعليمي الإسلاميَّين أن يعي كلّ واحد

---

(١) شحات ، تعليم الصنائع ، كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي ، ١٩٨٧م ، ص٨٥٤ .
(٢) بليلة ، من المدرسة إلى العمل ، ١٤١٧هـ ، ص٨٤ .

منهما طبيعة العصر وإيقاعاته ونوعية العمالة المطلوبة في السوق ، والمهارات التي يحتاجها سوق العمل ، حتى يخرج الطالب وهو معدّ لتقلد عمل وظيفي ، ويتخرج ويجد له مكاناً في سوق العمل . هذا إذا كان النظام التعليمي كما يجب أن يكون عليه مواكباً لحالة العصر وتطلعاته ، أمّا إذا كان النظام التربوي والتعليمي قد توقّف عن تطوير نفسه على نفس المستوى الذي أسّس عليه قبل عشرات السنوات ، فسوف يصدم المجتمع بأنّ لديه جيشاً آخرَ من البطالة المقنعة(١)، وهم أولئك الخريجين الذين يحملون مؤهلات ربما جامعية ، ولكنها في تخصصات قد عفا عليها الزمن ، وأصبحت في ذاكرة التاريخ ، أو هُم أولئك الذين يحملون تخصصات ناقصة ، وهذا الوضع بالإضافة إلى عواقبه الوخيمة من الناحية الاقتصادية ، حيث إنّ هؤلاء يمثلون صورة من صور الهدر الاقتصادي الذي لا يمكن استرجاعه . وبالإضافة إلى كون هؤلاء الملتحقين إلى طوابير البطالة يكونون مشكلة وقلقاً أمنياً وأخلاقياً للمجتمع ، مما يعمق المشكلة بالإضافة إلى ذلك كله ، فإنّ هناك المشكلة النفسية ، أو الصدمة النفسية التي سيقع فيها الخريج ، وهو يحمل وثيقة لا يستفيد منها ، فيشعر بخيبة أمل ، واغتيال لآماله وطموحاته . لذلك يجب أن يكون إعداد الطالب والمسلم إعداداً منسجماً بين حاجة السوق وطموحات الطالب وآماله ، وهذا يفرض على النظام التربوي والتعليمي أن يأخذ بنظام الموجّه الاجتماعي ، وهي وظيفة هامّة يقول عنها مازن بليلة : " أصحبت من أهمّ وظائف الموجّه الاجتماعي بالمدرسة هو إضاءة الطريق الوظيفي للطالب "(٢).

ويترتب على هذا دراسة التخصصات التي يحتاجها سوق العمل ، وتوجيه الطالب إلى ذلك ، وبخاصة ما تفرضه طبيعة العصر المتّسم بالانفجارات العلمية والتكنولوجية والحرفية العالمية .

إنّ مما يجب على التربية أن تعمله ، هو أن تصحح النظرة إلى الأعمال الحرفية لدى الطلاب ، وبخاصة في بعض البلاد الإسلامية ، والعربية على وجه الخصوص ، إذ ما زالت هناك رواسب فكرية مثبطة

---

(١) هناك مَن يرى أن مفهوم البطالة المقنعة ينطبق على أولئك الذين على رأس العمل من موظفين غير منتجين (موظف صوري) ، وينضّم إليهم أصحاب المؤهلات الناقصة ، أو التي لا يحتاجها سوق العمل ، وتكون عدم الإنتاجية قاسم مشترك بين الطرفين .

(٢) بليلة ، مرجع سابق ، ص٨٥ .

من عزائم الشباب ، حيث تنظر هذه المجتمعات أو بعضٌ منها إلى العمل الحرفي اليدوي نظرة دونية ، ولا شكّ أنّ هذا العمل بالإضافة إلى كونه انحرافاً فكرياً غير مشروع في الإسلام ، إلا أن له ارتدادات نفسية كبيرة على إقدام الشباب إلى سوق العمل المهني . كما أنّ من واجب التربية الإسلامية في هذا المجال أيضاً حماية المواهب الإسلامية من الهرب إلى البلاد الأخرى ، فهذه النخب المفكرة والمبدعة والمبتكرة إذا لم تجد ما يشجّعها في بلادها ، ويشدّها إلى بلادها ، فسوف تكون - حتماً - مهيأة للتعرض للخطف من قراصنة العقول ، وهو ما يعبّر عنه بهجرة العقول أو الأدمغة .

لقد أدّى تخلف النظام التربوي والتعليمي في بعض فتراته المتأخرة في البلاد الإسلامية إلى هروب كثير من العلماء والمفكّرين والباحثين إلى دولٍ أخرى يجدون فيها ما يشبع رغباتهم من حيث توفر سوق العمل ، ومن حيث توفر المراكز البحثية المتطوّرة والمعامل والمختبرات التي تستخدم أرقى ما توصّل إليه الإنسان من كشوفات وتجارب .. لذا ، تقع مسؤولية الحفاظ على هذه الثروة النادرة على النظام التربوي بالدرجة الأولى ، وإن كان هناك أسباب وعوامل أخرى ، كما يشير سليمان المنذري : " لقد بات واضحاً أن مشكلة هجرة العقول العربية إلى خارج الوطن العربي هي مشكلة ذات جذور اقتصادية واجتماعية وتعليمية وثقافية ، ولها أبعادها التاريخية والاجتماعية "(١).

وفي سياق الإعداد لسوق العمل ، فإنّ واجب النظام التعليمي والتربية الإسلامية أن يكونا على علم كامل بالمهارات المطلوب توفّرها في الخريج ؛ ليكون مؤهلاً لتقلد العمل الشاغر ، والذي يتلاءم مع طبيعته كإنسان مسلم ملتزم ، وكذلك كشابّ له طموحات عصرية وآمال عريضة . ومن ضمن المهارات التي ينبغي على النظام التعليمي والتربية الإسلامية تزويد الطالب بها ، ما يلي :

المهارات التي ينبغي تزويد الطالب بها :

١ - القدرة على المحادثة الشفوية بلباقة :

---

(١) المنذري ، السوق العربية المشتركة في عصر العولمة ، ١٩٩٩م ، ص١٥٨ .

لا بدّ من تدريب الطالب المسلم لأنْ يكون قادراً على التحدث بأسلوب مقنع لبق ومهذّب مع مَن يتعامل معهم .

يقول صاحب كتاب (إعداد الطلاب للقرن الحادي والعشرين) : " لا يعد الاتصال الشفوي والمكتوب تأميناً للوظيفة فحسب ، بل هو وسيلة لتولي وشغل هذه الوظيفة ، لذا يحتاج الطلاب إلى فهم واستيعاب عملية الاتصال "[1] .

وهذا لا يعني بطبيعة الحال التملق والمداهنة أو الاحتيال ، فهذه سلوكيات منحرفة تربأ التربية بنفسها عن القيام بها ، ولكن أن يجيد المتخرج حُسن التخاطب بلُغة راقية كتابةً وتحدّثاً مع الآخرين ، وهو المهمّ .

٢- تعويد الطلاب على التأمل والتفكير الناقد :

مما ينبغي على النظام التعليمي والتربية الإسلامية أن تعدد الطلاب في جميع المراحل الدراسية على اكتساب مهارة التفكير العلمي البعيد عن الخرافات والشطحات التي تستنزف الجهد بدون فائدة تُرجى . وهذا ما أشار إليه المصدرُ السابق بقوله : " هناك نداء مُلحّ حول حاجة الطلاب لإصدار الأحكام بشكلٍ أفضل ، وكذلك حاجتهم إلى التفكير والاستنتاج بكفاءة عالية "[2] .

وهذا لا يعني إطلاق العقل من عنانه ، فيخرج عما حدّد له ، ولا يعني أيضاً التضييق عليه فيما منحه الله من مساحة للتفكير في النفس والآفاق الكونية ، ولكن بضوابطه الشرعية .

٣- إكساب الطلاب مهارة ضبط سلوكياتهم ، وكذلك مهارة تحمّل المسؤولية :

وهي من المهارات التي ينبغي توفّرها في الخريج الذي يريد أن يمارس أعمالاً تتّسم بعدم الاستقرار في مكان ولا زمان معين ، حتى يحافظ على مصدر رزقه .

٤- القدرة على استخدام التقنيات الحديثة من حواسب وغيرها ،

(١) أتشايدا ، إعداد الطلاب للقرن الحادي والعشرين ، ١٤١٩هـ ، ص٥٩ ، مترجم .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٠ .

والتعامل معها بمهارة عالية :

إنّ من سِمات العصر ومن مظاهر عصر العولمة ، هذه التقنيات المتطورة ، التي قلبت موازين كثير من المفاهيم ، واقتحمت حدود الزمان والمكان ، لاسيما وأنّ نظام التعليم أصبح يعتمد على أسلوب منح الطالب القدرة على كيفية الوصول إلى المعلومة فقط .

يقول (دونا أتشايدا) عن هذه التقنيات : " إنها تعود علينا بالفائدة من خلال السماح للطلاب بالبحث عن المعلومات ... "[(١)].

٥- القدرة على تكوين العلاقات الحسنة مع زملاء العمل :

إنّ مما يعين على النجاح في العمل - بعد توفيق الله - للإنسان ، هو بأن يكون الإنسان صاحب خُلق فاضل في كل مكان ، وبالذات مع الأشخاص الذين تربطهم به علاقات معينة ، مثل : علاقات العمل ، حيث يجب أن يكون لدى الخريج وطالب الوظيفة شعور بأنه لن يعيش منعزلاً عن الآخرين ، فعليه أن يحسن مخالطتهم والتعامل معهم ؛ ليكون مقرّ العمل أكثر استقطاباً للموظف .

يقول صاحب كتاب (إعداد الطلاب للقرن الحادي والعشرين) عن هذه المهارة : " من المحتمل جداً أن تتطلب فكرة الحصول على وظيفة وكذلك المحافظة عليها في القرن الحادي والعشرين ، التمتع بمهارة القدرة على إقامة علاقات جيدة بين الأفراد في العمل "[(٢)].

٦- أن يتعوّد الطلاب على تقدير المواقف :

بمعنى أنه يجب تدريب الطلاب على حُسن التعامل في تلقي التعليمات من الرؤساء ، وكذلك إصدارها إلى غيرهم ، وهو ما يسميه (أتشايدا) : " التكيّف والمرونة "[(٣)].

٧- القدرة على إدارة الجلسات وفضّ النزاعات :

من المهارات التي ينبغي أن يكسبها النظام التربوي والتعليمي لخريجيه ؛ قدرتهم على فضّ المنازعات الإدارية بأسلوب حكيم ، وبعيد

(١) المرجع السابق ، ص٦٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٣ .
(٣) المرجع نفسه ، ص٦٥ .

عن الجور والميل مع أحد ضدّ الآخر ، بمعنى أن يتعوّد الطلاب على قول الحقّ ، والحُكم بالعدل فيما يستطيعون .

٨- أن يكون لدى الخريج مهارة كتابة الدراسات ، وإجراء البحوث ، وتفسير البيانات وتطبيقها :

حيث يحتاج سوق العمل - في أيّ قطاع - إلى التطوير الدائم والمستمرّ ، والمراجعة الدؤوبة للنظام من أجل تحسين مستواه باستمرار ، وهذه المهارة تستدعي أن يكون الموظف أو المتقدّم للوظيفة على دراية كاملة بكيفية كتابة البحوث وإجراء الدراسات حسب المناهج العلمية المتبعة في كتابة البحوث . كما على الخريج أن يكون ممن يحسنون القراءة ويحبونها من أجل تطوير أنفسهم .

٩- امتلاك أكثر من لغة :

بما أنّ سوق العمل في زمن العولمة يطلب من الموظف الانتقال إلى مقرّ جديد للشركة أو لفرع العمل في بلد يتحدّث بلغة أخرى غير لغة الموظف الأصلية ، وهذا يعني أنّ على النظام التربوي والتعليمي إكساب الخريج مهارات اللغة الأكثر رواجاً في السوق ، ولكن لا يكون ذلك على حساب لغة الطالب الأصلية ، وإنما تعتبر كوسيلة مساعدة الأداء .

❒ ❒ ❒

<u>المبحث السابع</u> : ترشيد وسائل الإعلام .

<u>تمهيد</u> : بعض خصائص عصر العولمة :

يعدّ الإعلام أحد أذرع العولمة بشكل عام في المجال الثقافي والتربوي ، حيث يعتبر الإعلام لسان العولمة الناطق ، فعن طريق الإعلام بكلّ أشكاله ؛ المقروء منها والمشاهَد والمسموع يتمّ نقل الثقافات وتوجيه الأفكار وترحيل الأنماط . ومما ساهمَ في إعطاء الإعلام هذا الثقل المؤثر ، هو ما يتميز به عصر العولمة من خصائص ولّدتها ثورة التكنولوجيا المتطوّرة والصناعات الحديثة ، ومن بين تلك الخصائص ما ذكره (نور الدين محمد)[1]، حيث حدد بعض سِمات وخصائص العصر في النقاط التالية :

١- **سرعة التغيير** : حيث كان التغيير الحضاري في الحضارات السابقة يحدث ألفياً ، ثم تقلص الزمان فأصبح التغيير يحدث قرنياً ، وهو في عصرنا الحالي يومياً ، بل ساعة بعد ساعة .

٢- **الانفجار السكاني** : لقد ازداد عدد السكان من ٢,٥ بليون في عام ١٩٥١م إلى (٤) بليون عام ١٩٧٦م ، ومن المحتمل أن يصل الرقم إلى (٦) بليون في عام ٢٠٠٠م .

٣- **الانفجار المعرفي** : يؤكّد الباحث أن ثلاثة أرباع المعلومات الحالية لم تكن متوفرة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

٤- **وقت الفراغ** : لقد ساهمت أنظمة العمل وقوانينه - وكذلك المخترعات - في توفير مساحة من الوقت للإنسان .

٥- **الأزمة في أنماط الحياة والعلاقات** : في هذا العصر اهتزّت نماذج الحياة ، وظهرت في بعض الأقطار - وخاصة بين الشباب - أشكال متعددة من التمرّد الناجم عن الإحساس بالضياع .

ولا شكّ أنّ مما ساهمَ في إيجاد أو صنع هذه الخصائص هي التقنيات الحديثة ، والإعلام جزء منها إن لم يكن أهمّها على الإطلاق .

ومن المتوقع - والعلم بيد الله - أنه سوف يكون لهذه الخصائص انعكاسات خطيرة على الواقع الثقافي والتربوي بشكلٍ خاص ، مما

---

(١) محمد ، ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ؟. ١٤٠٦هـ ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

يستدعي من المسؤولين عن الجهازين ؛ الثقافي والتربوي الإسلاميَّين العمل على حُسن اختيار المضامين الإعلامية ، أو إنتاج مضامين وبرامج إعلامية مكافئة لِما تقدّمه قنوات الإعلام ذات الوجهة الغربية ، أو التي تكون غربية أصلاً .

ولا بدّ من الاعتراف بأنّ الإعلام أصبح قوّة فاعلة ساكنة ، وتفرض نفسها على مَن تصل إليهم وتؤثر فيهم بحسب نوعية وتوجهات مضامين المواد التي تعرضها إليهم . فليس من المجدي الانكفاء على الذات أو اتباع سياسة النعامة ، أو بمنع وسائل الإعلام ، فهذا أمر غير منطقي وغير مقبول أصلاً .

ولكن لا بدّ من تحديد مصدر الخلل ، هل هو الوسيلة ، أم مضمون الرسالة ؟.

والملاحظ أنّ الخلل والخطر ليس ذات الآلة الإعلامية ، بل هو ما ينبعث من هذه الآلة من آراء وأفكار مختلفة لا شكّ أنها سوف تُحدث تصدّعات في الثقافات الأقلّ تقدّماً والأقلّ تحصيناً ، إن لم يكن على مستوى الأمّة ، فسوف يكون على مستوى الأفراد حتماً ، وإن لم تكن هذه التغيرات الثقافية في المستقبل القريب ، فستكون آثارها أكثر بروزاً في المستقبل البعيد ، إلا أن يشاء الله شيئاً آخر . وهذا ما أشار إليه حامد عبد الواحد ، إذ يقول : " والبالغ السوء حين يتخذ الإعلام وجهة غير بنّاءة أو وجهة متجرّدة من المثل والقيم العليا "(١).

ولا شكّ أن هذا الجوّ المضطرب وغير المنسجم - بل وربما المتناقض - بين هدف الوسيلة الإعلامية ومضمون مادّتها التي تبثّها ، سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مشاهَدة ، سيلقي بتبعات كبيرة ومهامّ جسيمة على دور التربية الإسلامية ؛ لمواجهة أثر الإعلام الغربي على السلوك ، لاسيما إذا أخذ في الاعتبار أنّ الإعلام أحد قنوات التثقيف ، وأحد المؤسسات التربوية الفاعلة في المجتمعات الإنسانية اليوم ، فلا شكّ أنّ هناك قواسم تربوية مشتركة بين الإعلام من جهة ، وبين التربية من ناحية اخرى . وهذا ما يؤكّد عليه نور الدين محمد ، إذ يقول : " بين التربية والإعلام أرضية مشتركة ووشائج قوية لدرجة يمكن معها أن نقول : أن العملية الإعلامية في بعض جوانبها عملية تربوية ، وأن التربية هي

---

(١) حامد ، الإعلام في المجتمع المسلم ، كتاب دعوة الحقّ ، عدد ٣٣ ، ١٤٠٤هـ ، ص٢٧ .

في بعض جوانبها عملية إعلامية . لذا يمكن القول : إن التربية عملية توجيهية ، والإعلام كذلك .

والخلاصة : أنّ بين الإعلام والتربية أرضية مشتركة يمكن أن نحددها في مجالات ، هي : عملية الاتصال ، وسائل الاتصال ، خدمة المجتمع "[١] .

وكمثال تطبيقي لإظهار مدى التلازم والتأثير المتبادل بين الإعلام والتربية ، يضرب (عبد الجبار ولي) مثالاً على ذلك بالتلفزيون ، إذ يقول :

" من الجوانب الهامة التي يمكن أن يستخدم فيها التلفزيون ، هو إثارة الوعي والتوجيه والإرشاد العام ؛ لأهميته الفائقة في الإقناع ، وأثره في تعزيز الاتّجاهات . وكثيراً ما استخدم التلفزيون في مجالات التدريب المختلفة والعديد من الفئات ، كتدريب مجموعات كبيرة من المعلمين قبل أو أثناء الخدمة ، وخصوصاً بالنسبة للدول التي تشكو من نقص في المعلمين أو في المعلمين الأكفاء ، حيث لا يتيسر لها القدرة على جمعهم وتدريبهم بالإمكانيات المتاحة ... ومن ناحية أخرى ، فبإمكان التلفزيون أن يقدم برامج تعليمية موجّهة لكافة الدارسين ، سواء كان ذلك داخل أو خارج المدرسة "[٢] .

وحيث إنه قد اتّضح أنّ للإعلام دوراً تربوياً وتثقيفياً كبيراً جداً ، ومن أجل أن يتمكن الإعلام من أداء دوره على الوجه المطلوب منه تربوياً وتثقيفياً ، فإن السياسة الإعلامية العالمية - حتماً - تنطلق من وراء نظريات تحكم توجّه الإعلام وتسخّر إمكانياته ، وتغذي مادّته الإعلامية ، وهو ما يعرف بنظريات الإعلام . ولكلّ نظرية من هذه النظريات خلفيات فكرية وعقائدية وسياسية عُليا خاصة به ، ويسعى الإعلام كوسيلة لبثّ وإيصال مادّته الإعلامية ، والتي تكون قد تَمّ موافقتها وملاءمتها لإحدى نظريات الإعلام التالية :

١- **نظرية السلطة :** " هي نظرية استندت إليها الحكومات الأوروبية

---

(١) مكتب التربية العربي ، " ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين " ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٢٧ .

(٢) مكتب التربية العربي ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص١٢٩ .

في عصر النهضة ؛ لتفرض الولاء على رعاياها . وكان الإعلام بمقتضى هذه النظرية يمثل صوت الحكام ، ويصادر حرية التعبير لمن سواهم "[1]، وهي نظرية قهرية تجعل الإنسان مسلوب الإرادة والكرامة ، مضيّقاً عليه إلى أبعد حدّ .

٢- **نظرية الحرية :** " قامت هذه النظرية على أكتاف النظام الاقتصادي الرأسمالي . وقد كانت وليدة حركة الرأسمالية في مواجهة الإقطاع الأوروبي والسلطة الاستبدادية المطلقة للحكام ... وقد رفعت (نظرية الحرية) شعار حرية التعبير إلى أقصى حَدّ ، وقد أدّى ذلك إلى ظهور نوع من الفوضى الإعلامية ، والتي انعكس أثرها على البنيان الاجتماعي في معظم دول أوروبا "[2].

إنه تحوّل من النقيض إلى النقيض ، وكِلا طرفي النقيضين ذميم . فالخطأ الذي وقعت فيه نظرية الإعلام التسلطية الجبرية ، أدّى إلى انفجارٍ عارم ، وبالتالي قدّم نظرية خاطئة أخرى ، حيث أطلقت هذه النظرية الإعلامية الحرية من معتقلها الذي كانت تكبت فيه ، فتولّد عن هذا الانطلاق والإطلاق ارتكاب كل ما كان ممنوعاً إلى أبعد حَدّ . وهو مسلك غير سليم ، كما أنّ سابقه لم يكن سليماً أيضاً ، والمنهج الوسط الذي من المفترض أن يتبناه الإعلام الإسلامي هو أنه لا إفراط ولا تفريط ، ولا ضرر ولا ضرار . وبذلك يمكن ترشيد وسائل الإعلام وتوجيه مادّته الإعلامية الوجهة المستقيمة ، التي تهذب وتثقف وتناقش الآراء ، ويتسع صدرها للنقد البنّاء والحوار الهادف من غير تشهير ولا تجريح ، ومن غير مداهنة أو مصانعة لأحد . بل الحقّ مبتغى الإعلام ، والقصد منهجه ، والذوق الرفيع أسلوبه ، والحشمة والعفاف شعاره وواقعه .

٣- **نظرية المسؤولية الاجتماعية :** " جاءت هذه النظرية كردّة فعل لنظرية الحرية الإعلامية ، حيث ظهرت قوانين النشر والصحافة ، والتي قصد بها تحقيق التزام الإعلام بمفهوم (حرية الإعلام) ،

---

(١) حامد ، مرجع سابق ، ص٤٠ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٤١ .

على أنها حقّ وواجب ومسؤولية يُحاسَب رجل الإعلام بمقتضاها أمام الهيئة الاجتماعية ، لكن هذه النظرية لم تستطع تحقيق أهدافها في مجتمعاتها "[1].

إن مما يؤكد خطأ النظريتين السابقتين ، هو هذه النظرية ؛ لأنّها حاولت إصلاح خطأ نظرية الحرية التي أساساً لم توضع إلا لإصلاح خطأ النظرية الأولى ، ولكن الثلاث فشلت ، مما يؤكّد - حسب رأي الباحث - أن المشكلة ليست في قضية صياغة نظرية ، بل المشكلة في الخلفية الفكرية والعقائدية والعادات الاجتماعية التي تغذي هذه النظرية ، حتى يتمّ صياغتها . فالواجب - حسب رأي الباحث - هو البحث عن مرجعية فكرية وعقائدية ثابتة شاملة يُصاغ من خلالها نظرية إعلامية أو غير ذلك ، وهذا لا يتوفر إلا في حال وجود مرجع ثابت معصوم ، وهو ليس إلا في الإسلام ، أما فيما سواه ، فما هي إلا تخرصات وظنون ، وما يغني الظنّ وما يفيد سوى سراباً بقيعة .

٤- **النظرية السوفييتية :** ربما يمكن إدراج هذه النظرية ضمن نظريات السلطة ؛ " لأنّ هذه النظرية نشأت مع قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧م ، وهي جزء لا يتجزّأ من النظام الشيوعي ، وهدفها الوحيد يتمثل في الدعاية والترويج لذلك المذهب ، وبمقتضى هذه النظرية تسيطر الدولة على الكلمة والخبر والصورة في كل وسائل الإعلام ومجالاته "[2].

هذه أبرز نظريات الإعلام التي ظهرت منذ أن أصبح الإعلام قوة مؤثرة تربوياً وتثقيفياً . ويلاحظ كيف يتمّ الالتفاف على الإعلام ؛ لِيُغَذَّى بمادة معينة ، فيصبح هو الناطق الرسمي باسم هذا الفكر والمروِّج له . وحيث إنّ العولمة كظاهرة حضارية جديدة ، فإنه من المؤكّد أنّ هناك فلسفات مختلفة وعقائد وأفكار تدفع بهذه الظاهرة إلى التبلوُر والتشكّل وفق فلسفات معينة ، لذلك يجب أن يستخدم الإعلام للترويج لهذه الظاهرة ، وبثّ الثقافة التي تمثل ثقافة العولمة وتربية العولمة ومجتمع العولمة ... وحضارة العولمة . لذلك كله يشير كلّ من فلحوط والبخاري إلى نشوء

---

(١) المرجع نفسه ، ص٤١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٤٢ .

نظرية إعلامية حديثة ذات أبعاد عالمية وأهداف كونية ، فكأنّ المراد من طرح هذه النظرية المسماة : (نظرية المسؤولية العالمية للصحافة)[١]، هو الترويج لظاهرة العولمة إعلامياً ، وتهيئة الرأي العام للاقتناع بفكرة هذه الظاهرة ، وبالتالي المسارعة إلى تبني آراء العولمة في كل مجال ، حتى يتمّ الانصهار في بوتقة مجتمع العولمة ، ويكون الإعلام قد أدّى دوره في تجسيد فكر العولمة بعدما تبنى الترويج لهذه النظرية . ومن خلال استعراض بعض ما تهدف إليه النظرية العالمية الحديثة ، يظهر مدى ارتباطها بظاهرة العولمة ، حيث يذكر المؤلّفان بعضاً من الأهداف التي تسعى النظرية لتحقيقها :

١- ربط أجهزة الإعلام والعامِلِين فيها بقضية الإنسان في كل مكان .
٢- رفع مسؤولية الإعلام إلى مستوى القضايا العالمية التي تحتاج إلى كلمة الحقّ المنزهة عن الهوى وإلى الموضوعية التي تفتقر إليها أجهزة الإعلام في المجتمعات المختلفة .
٣- تحقيق المساهمة الإيجابية لأجهزة الإعلام في معركة الوجود الإنساني نفسه .
٤- نبذ ومحاربة التهديدات الإنسانية المصيرية ، والمتمثلة في الحرب النووية ، والاحتكارات والمصالح الدولية .

ويلخص المؤلّفان فلسفة هذه النظرية بعبارة ذات دلالة واضحة على توجّهها وسيرها في مساق ظاهرة العولمة ، وهي عبارة (حُبّ الإنسان للإنسان)[٢]، وبعبارة أخرى ، فإنّ جميع النظريات السابقة التي صنعها النظام الإقطاعي التسلطي أو الديمقراطي أو الشيوعي أو الأخيرة الإنسانية ، فإنها جميعاً تتفق على قواسم مشتركة وغايات موحّدة ، وهذا ما أكّد عليه حامد عبد الواحد ، فبعد حديثه التفصيلي عن كل نظرية من نظريات الإعلام الأربع ، قال : " بالنظر إلى ما سبق نستطيع أن نتبين أنها جميعاً تتردّد بين منطق فرض السُّلطة ومنطق التمرد على كل قيد وسُلطة "[٣].

ويرى الباحث أنّ هذا القاسم المشترك الذي ذكره عبد الواحد لا

---

(١) فلحوط ، العولمة والتبادل الإعلامي الدولي ، ١٩٩٩م ، ص٤٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص٤٢ .
(٣) حامد ، مرجع سابق ، ص٤٣ .

يقتصر على النظريات الأربع الأولى ، بل هو ينطبق أيضاً على مفهوم النظرية الخامسة التي ذكرها كل من فلحوط والبخاري ، فهي تشترك مع النظريات السابقة من حيث كونها تدعو إلى التمرّد على القيود الشرعية والسلطة الحاكمة بهذه القيود الشرعية . وهذا هو تفسير شعار النظرية السابق (حُبّ الإنسان للإنسان) ، فالحُبّ يقتضي الرِّضا بما عليه المحبوب ، بل وربما المتابعة لِما هو عليه .

وعند محاولة تطبيق هذا الشعار ، نجد أنه يصادم قول الحقّ تبارك وتعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ .. }[1]، إلى قوله تعالى في نهاية الآية : { وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }[2].

إنّ هذا الشعار البرّاق الآخذ بالألباب ، ما هو إلا تذويب لعقيدة الولاء والبراء التي شرعها الله سبحانه وتعالى ، وما هو إلا كسر للحاجز النفسي الذي يقيمه الإسلام بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وهي بالتالي مكيدة تنسجم مع دعوة وحدة الأديان الداعية إلى دمج البشرية في دين مجمّع تذوب فيه الفوارق العقدية والأخلاقية والفكرية ، ويضيع فيه التميز ، ويندثر فيه النموذج الصالح الخيّر ، ويبرز نموذج هجين ملفق تلفيقاً عجيباً ، وبأسماء مضللة .

دور التربية الإسلامية في ترشيد وسائل الإعلام .

يجدر بالتربية الإسلامية أن تعي بحق ما تنطوي عليه النظريات الإعلامية من أفكار دخيلة وعقائد بائدة ؛ لكي تواجه التحدي بإبراز حقيقة الإعلام الإسلامي الذي يتميز عن الإعلام الغربي بمميزات حدّدها حامد عبد الواحد بقوله :

> " إن مما يميز الإعلام الإسلامي ، أنه يقوم على أسس واضحة تنبع من الفطرة الإنسانية ، وتلبي حاجاتها ، وتجعل الاتصالَ بين الناس اتّصالَ خيرٍ وإصلاح ، وتجعل التعارف بينهم تعارفاً على ما ينفعهم في شتى سُبُل حياتهم ... ومن هذه الأسس :

(١) سورة الممتحنة : الآية (١) .
(٢) سورة الممتحنة : الآية (١) .

- الدعوة إلى الخير .
- الدعوة إلى الأمر بالمعروف .
- النهي عن المنكر .

هذه الأسس الثلاثة هي التي تشكّل طبيعة الكلمة الإعلامية في المجتمع المسلم ، وتحدد منبتها ونهجها وغايتها "[١].

بهذه الأسس يكون الإعلام الإسلامي متميزاً عن غيره من حيث أنه منبر للدعوة إلى الله على بصيرة ، ينشر الحقّ والعدل والفضيلة ، وينشر ذلك كله بأسلوبٍ راقٍ رفيع مهذب ، فالكلمة الرعناء لا تجد لها آذاناً صاغية بدعوى حرية الرأي ، والإسفاف والتبذل الأخلاقي ، وإثارة الغرائز بالصورة المغرية لا يسمح له ، والتغرير بالمستهلك عبر صعقات الدعاية المضللة أمر غير مقبول .

هذه بعض أخلاقيات الإعلام الإسلامي الذي يرعى للكلمة قيمتها ، ويرعى للمتلقي - مشاهِداً أو مستمعاً - احترامه وتقديره ، يتخذ من قول الله جلّ وعلا : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }[٢] منهجاً يضبط به كلامه الذي يبثه إلى الناس في أيّ مادّة إعلامية مشاهَدة أو مسموعة أو مقروءة ، ويتخذ من قوله ﷺ : « مَن غشَّ فليس منّا »[٣] منهجاً آخر ليبتعد عن تضليل الناس أو التعمية عليهم أو تغريرهم ؛ لاستنزاف أموالهم بغير وجه حقّ .

كما أنه في سياق ترشيد وسائل الإعلام ، فإنه ينبغي ضبط المفاهيم وتحرير معناها ، وليس مجرد شعارات تُرفع منطلقة من أخلاقياتها ، فعلى سبيل المثال : مفهوم (الحرية) مفهومٌ واسع وفضفاض ، إذا ضبط وقيّد بأخلاقيات شرعية وآداب اجتماعية مرعية كان رمزاً للتكريم وأداة نقد بنّاء ، ووسيلة إبداع وابتكار ، وأسلوب ترفيه نزيه .

أما إذا انطلق هذا المفهوم كالمارد لا يلوي على شيء ، ولا يقف أمامه أيّ عارض ، ولا يحدّه خُلق ولا شرع ، فإنه سوف يكون وسيلة تدمير أهوج ، وأسلوب تبذل وإسفاف ، ومعول هدم .

---

(١) حامد ، مرجع سابق ، ص٦١ .
(٢) سورة ق : الآية (١٨) .
(٣) الترمذي ، مرجع سابق ، حديث رقم : ١٢٣٦ .

والملاحظ على أغلب - بل جُلّ - وسائل الإعلام الغربية منها ، أو التي تسير في ركابها ، أنها اتّخذت من مفهوم الحرية شعاراً لها ، ولكنها أطلقت لهذا المفهوم العَنان ، وألقت له الحبل على الغارب ، فانفرط من كل القيَم والفضائل والأخلاق ، فكانت النتيجة أنه أهلك الحرثَ والنسل ، وأتى على الأخضر واليابس .

ولكي تتضح خطورة الحرية المنطلقة من الضوابط وتوظيفها إعلامياً بهذا الوضع ، يقدّم الباحث الشواهد الإعلامية التالية :

أولاً : الدعاية :

ومعلوم أنّ الدعاية والإشهار للسلَع والأفكار ، فنّ لا يستغني عنه الإعلام الرأسمالي الغربي ؛ لأنّ الدعاية تدرّ على أجهزة الإعلام أموالاً طائلة يتمكن من خلال هذه الأموال تغطية نفقات موادّه الأخرى ... فهي مصدر دخل كبير بالنسبة لقطاع الإعلام . وكذلك الحال بالنسبة لصاحب الدعاية .

ويعرّف محمد جودت الدعاية بقوله : هي " فنّ التأثير على الناس لإغراض معيّنة "[(١)]. ثم يقول في موضع آخر مبيّناً أثر الدعاية ودورها المناط بها ، ليس فقط في الترويج للسلعة التجارية ، بل أيضاً إنها تؤدي خدمة لظاهرة العولمة حين تكون الدعاية وسيلة لتوحيد الآراء والأذواق العالمية ، ودمج ذلك كله وتقديمه في نموذج واحد . حيث يقول المؤلف عن الدعاية : هي " جزء لا يتجزّأ من الإعلام باعتبارها تتخذه وسيلة وطريقة تسلكه للوصول إلى الرأي العامّ ، والتأثير عليه في تكوين الأيديولوجيات لدى الشعوب ، وباعتبارها تساهم في توحيد الآراء وتوحيد الأهداف ، وصَهرها في بوتقة واحدة "[(٢)].

ولا شكّ أنّ الأحداث التي وقعت في الصين ، المعروفة باسم (ثورة الطلاب) كانت بسبب التأثير الإعلامي المركّز حول فضائل الديمقراطية والدعاية لها ، مما جعل فئات كبيرة جداً من الشعب تخرج مطالبة بالإصلاحات الديمقراطية ، وتجمعت الجماهير في مظاهرات عنيفة لم تتمكن الصين من إخماد هذه المظاهرات إلا بالدبابات وآلة القمع الرهيبة ، والتي شاهدَها الجميع عبر شاشات

---

(١) ناصر ، الدعاية والإعلان والعلاقات العامّة ، ١٤١٨هـ ، ص٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٨٨ .

البثّ الفضائي ...

ثانياً : الفكاهة :

أحد فنون الأجهزة الإعلامية والأدبية والثقافية ، وهو في الإعلام يحتلّ مكاناً مرموقاً ، إذ عن طريق الفكاهة يتمّ أولاً استقطاب أكبر عدد من المتابعين والمشاهِدين ، ومِن ثَمّ التأثير عليهم بأسلوب ناقد ساخر ، حيث إنه في ظلّ أجواء المرح والدعابة يتمّ تخدير آلة التفكير لدى الإنسان ، أو استرخاء تلك الآلة ريثما يتمّ إقناعه بالفكرة التي تهدف الفكاهة إلى تبليغها للمشاهِد أو المستمع ...

ولا شكّ أن الفكاهة حتى تتمكن من أداء رسالتها في تنميط الأذواق والسخرية من الفضائل وكسر الحواجز ، لا بدّ أن تمتطي عربة الحرية المطلقة لتصل إلى تنفيذ الوظائف الفكرية والأيديولوجية والعقائدية المطلوبة أصلاً من وراء الفكاهة والدعابة ، بمنعى أنّ الفكاهة وسيلة من أجل تحقيق غاية أكبر ، فليس المهمّ كما يتصور البعض مجرد الترويح عن الإنسان والترفيه له ، بل هناك وظائف فكرية وعقائدية وأخلاقية للفكاهة ، وهذا ما يؤكد عليه صاحب كتاب (سيكولوجية فنون الأداء)[(١)]، حيث بيّن أنه يمكن تلخيص وظائف الفكاهة في النقاط التالية :

١- التخفيف من وطأة المحرمات .

٢- توجيه النقد الاجتماعي .

٣- ترسيخ عضوية الجماعة .

٤- الدفاع ضدّ الخوف أو القلق .

وبالتأمّل في حقيقة هذه النقاط التي تتخذ من الفكاهة والدعابة الساخرة وسيلة ، سوف نجد أنها تخفي وراءها مخاطر جسيمة ، (فوراء الأكمة ما وراءها) !!.

إذ يتضح أنه عند تفعيل البند الأول من وظائف الفكاهة ، يصل المنتجون والمؤدّون لهذا الدور إلى كسر حرمات الدين ، وتدمير الفضيلة والتمرّد على الأخلاق بأسلوب ساخر فكاهي مضحك !!.

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى ، وأشهَر من أن يُشار إليها بالبنان ، لكنها تحتاج إلى متابع يقظ لا تخدعه القهقهة عما يراد من

---

(١) ويلسون ، سيكولوجية فنون الأداء ، ١٤٢١هـ ، ص٢٤٩ .

ورائها .

وفي هذه الوظيفة تكون الدعابة قد قدّمت خدمات كبيرة إلى ظاهرة العولمة من حيث المساهمة في إحداث اختراق للقيم الثابتة ، وبالتالي يسهل استبدالها بما يتناسب مع ظاهرة العولمة التي لا ترغب في وجود حواجز أو حدود شرعية باسم الحلال أو الحرام . ولأنّ هذه حدود مقدسة لدى الإنسان ، يصعب كسرها وتدميرها بصراحة ، فالأسلوب الأمثل والهادئ والمضمون هو الذي يأتي عن طريق الفكاهة .

أما إذا فُعّلت الوظيفة الثانية للفكاهة تفعيلاً دقيقاً ، فسوف يتمّ الاستهزاء بأصحاب القدوات الاجتماعية من الأنبياء والمصلحين والدُّعاة والساسة والمفكّرين والمعلمين ... والمربين والآباء والأمّهات . والنتيجة بعد الاستهزاء بهؤلاء إما بأشخاصهم أو بأفكارهم أو بدعواتهم ، وعبر الدعاية والفكاهة يتمّ التمرّد على قيَم الحياء والأدب والذوق .. والمشاهِد كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً .

أما إذا فعلت وطبقت الوظيفة الثالثة من وظائف الفكاهة ، فيتمّ تهيئة الرأي العامّ العالمي لتقبل فكر العولمة ، حيث يتمّ عن طريق الفكاهة والدعابة توحيد وتجانس عالمي نحو أسلوب التفكه والدعابة حول مضامين فكاهية متوحّدة أو متقاربة أو مشتركة تتخذ من الدين والعادات والأخلاق وأصحاب المبادئ الفاضلة مجالاً تسرح وتمرح فيه ، فتدمَّر الأخلاق ، وتُستباح الحُرمات ، ويُنشر الشرّ في كل مكان عبر وسائل الإعلام التي تتخذ من مفهوم الحرية الفضفاض ذريعة لتحقيق أغراض مَن يسيّرون ويديرون أجهزة الإعلام العالمية .

أما عن طريق تطبيق البند الرابع من بنود وظائف الفكاهة ، فيتمّ اقتلاع وكسر الحواجز النفسية التي يغرسها الدين وتقتضيها الأخلاق . فعن طريق تقديم بعض المشاهد المضحكة ، عن الموت - مثلاً - يتمّ الاستهزاء به وبما وراء الموت من حياة البرزخ في القبر ، ويتمّ إنكار يوم القيامة وإنكار أن يكون هناك حساب للناس على أعمالهم ، مما يعني أنه لا تثريب على الناس فيما يقولون وما يفعلون ، ولا داعي للقلق من هواجس الجزاء والحساب ، كل ذلك يقدم ويبث بأسلوب هدمي ، ولكنه ساخر ، فلا يشعر به إلا مَن وقف مع النصوص الفكاهية وحلّل مضامينها ، ودرسَ أبعادها ، وحلّل وظائف الفكاهة ، فسوف يدرك خطورة تبني

الإعلام لسياسة الإعلام الحرّ فقط . فالإسلام لا يحرّم الفكاهة والترويح عن النفس ودفع الملل ، ولكن لا يكون ذلك على حساب المحرمات وهتك الفضائل ، ولا يكون عن طريق السخرية بذوي الرأي والمنزلة الرفيعة ، ولا يؤدي إلى تذويب الفوارق العقدية ، ولا يجرّئ الناس على المقدسات ؛ لأنّ الفكاهة المتمردة على آداب وأحكام الدين والأخلاق ، كفرٌ صريح ؛ لذلك ، ولِحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى ، ومن باب أخذ العبرة فإنه قد وقع في هذا المزلق الفكاهي الخطير بعض ممن عاشوا مع الرسول ﷺ وشاركوا معه في الغزو ، ولكنهم مارسوا نوعاً من الاستهزاء والسخرية ببعض الرموز الصالحة ، فماذا كانت النتيجة ؟. خروجٌ من ربقة الدين بالكلية .

يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً حال هؤلاء الذين سخروا ببعض القراء المسلمين ، فقال ﷻ : { **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** }(١) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهاتين الآيتين :

" قال أبو معشر المديني : عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء . فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فقال : { **أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ..** } إلى قوله : { **كَانُوا مُجْرِمِينَ** } ، وإن رجليه لتسفعان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بسيف رسول الله ﷺ "(٢) .

وبالنظر إلى ما ختمت به الآيتان من وصفٍ رهيب لهؤلاء { **بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** } قال ابن كثير :

---

(١) سورة التوبة : الآيتان (٦٥ ، ٦٦) .
(٢) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٤٠٤ ، ٤٠٥ .

" أي : مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة "[١].

هذا في حقّ مَن يسخر برموز القراء من المسلمين ، فكيف بمن يسخر ويتفكّه ويستهزئ بالدين ؟. أو بالنبوة ، أو بعالَم الملائكة ؟... كلّ ذلك عبر المسرحيات والمسلسلات .

وتأديباً للأمة المسلمة حتى لا يستهويها الضحك وتغويها الفكاهة المنفرطة من أحكام الدين وآدابه ، فقد حذر الله جل وعلا عباده المؤمنين من مجالسة هؤلاء المجّان الذين يهتكون الحُرمات الشرعية ، ويتجرَّؤون على أقدس ما لدى المسلم ، وهو دينه وشرائعه ، فقال تعالى : { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَّابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً }[٢].

هذه نهاية المطاف لأسلوب الفكاهة والتندر إذا كان وسيلة يمتطى ليُهدم به الدين أو جزء منه .

وماذا يتوقع المربون من شِيب وشباب ، ذكورٍ وإناث ، ارتهنتهم شاشات البثّ الإعلامي المباشر وغير المباشر ، الفضائي أو الأرضي ، لتحقنهم بسيل من الطرائف والدعابات الساخرة التي تتخذ من الحرية المطلقة وسيلة للتعبير ، فلا تقيم للدين حدّاً ، ولا للفضيلة وزناً .

إذاً ، ومن باب السعي إلى توجيه وترشيد وسائل الإعلام ، فالتربية لا تحتاج إلى مجرد أجهزة إعلامية ، بل إلى مضامين إعلامية راقية تقف عند حدود الدين ، وتحترم الفضيلة . وهذا لا يتوفر إلا إذا كان الإعلامُ ذا خصائص إسلامية .

ومن خصائص الإعلام الإسلامي - كما يذكر (حامد عبد الواحد) - فيما يلي :

خصائص الإعلام الإسلامي .

١- **الصدق :** " فالمسلم مأمور بالصدق في النية والقول والعمل ؛ امتثالاً لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ

---

(١) المرجع السابق .
(٢) سورة النساء : الآية (١٤٠) .

الصَّادِقِينَ }[1].

ولما كان الإعلام في كل صوره يقوم على الكلمة ، فلا بدّ أن تكونَ الكلمة الإعلامية صادقة المنبت ، نابعة عن رؤية إسلامية صادقة صحيحة تهدف إلى تحقيق الخير والنفع للمسلمين "[2].

٢- **الواقعية :** " وهي لا تعني الخضوع للواقع ومسايرته ، إنما تعني الواقعية المستمدّة من موافقة المنهج الإسلامي للفطرة البشرية وللحياة البشرية على وجه العموم "[3].

ويُلاحظ أنه قد تَم الالتفاف حول هذا المصطلح ، فأصبح يعني بالأمر الواقع ، وصُوِّر إعلامياً بما يعني الخضوع والاستسلام ، وفي ذلك تضليل كبير وقلب للحقائق ، كما أنه يؤدي - مع كثرة الممارسات - إلى سلب المُشاهِد والمستمع والقارئ حقّ الإرادة وقوة الشخصية ، وهذه مواقف يجب أن يتنزّه ويتميز عنها الإعلام الإسلامي .

٣- **الشمولية :** بمعنى أن يكون للإعلام الإسلامي قدرات وإمكانيات تؤهّله إلى التأثير في الناس واستقطابهم ، وإيجاد البديل الإعلامي الإسلامي لكافة شرائح المجتمع ، وخِطاب كل شريحة بما يلائم حاجاتها الشرعية ، ومستواها التعليمي ، ومركزها الاجتماعي .

٤- **الثبات والمرونة :** يعني أن يكون الإعلام الإسلامي متمسكاً بقيمه ، ثابتاً على غاياته الأخلاقية الشرعية ، والصالحة لكل زمان ومكان ، ولا يساوم ولا يتنازل عنها . أما المرونة فإنها تعني القدرة التفكيرية الإعلامية على الإبداع والابتكار ، تعني أن يكون للإعلام الإسلامي حضوره الفاعل والمؤثر والموجّه والمثقف ، والمتعامل مع مجريات الأحداث العالمية بوعي وإدراك ، وليس مجرد التبعية والترديد[4].

وخلاصة القول ، أنه لا بدّ من ترشيد استخدام وسائل الإعلام للعودة

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٦٩) .
(٢) حامد ، مرجع سابق ، ص٧٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص٧٤ .
(٤) تَمّ أخذ الأفكار من كتاب عبد الواحد ، وصيغت بأسلوب الباحث بشيء من التصرف اليسير .

بها إلى مكانها الطبيعي ؛ لتؤدي هناك دورها المأمول منها ، وهي كونها وسيلة إبلاغ صادق ، واتصال نيّر ، وتثقيف حضاري راقٍ ومهذب ، وكذلك كونها وسيلة تربية وتوجيه وتعليم وإبداع وبناء قبل أن تكون وسيلة إغراء وإثارة فقط أو تضليل وتعمية وترويج مغرض ، هذا مع العِلْم أنّ هناك جهوداً من بعض الدول تبذل باستمرار من أجل استغلال هذا الجهاز - الإعلام - أحسن استغلال ، حيث أنشأت بعض الدول المتقدّمة حضارياً ما يُعرف بالإعلام التربوي ، حيث أوقفت مهامّ هذا الإعلام وبرامجه على المجال التربوي والتعليمي .

وقد نبهت بعض الدول لخطورة الإعلام ، ولأهميته تربوياً ، فأقامت له أنشطة ومؤسسات تربوية وتعليمية مستقلة ، مع أنها أبقت الحبل على غاربه للإعلام التجاري بيد الشركات العملاقة ، وهذا الإعلام التجاري أكثر جذباً واستقطاباً للمشاهِدين والمتلقين ، ولا شكّ سوف يمارس هذا الإعلام التجاري فعالياته الهادفة إلى تحصيل الربح فقط . على طريقة (كل يغني على ليلاه) ، ولا شكّ أنّ هذا الانفصال بين الإعلام التربوي والإعلام التجاري سوف يكون له مردودٌ سلبيّ على عقلية المشاهِدين من الشباب وطلاب العِلْم ، إذ من المتوقع أن يصبح هؤلاء المتابعين للإعلام من هنا وهناك عُرضة وضحايا الفكر الانشطاري الذي يكون سببه انفصال موادّ وأهداف الإعلام التربوي عن موادّ وأهداف الإعلام التجاري أو الترفيهي ، عند ذلك يكون الحال كما قال شاعرنا العربي المسلم :

متى يبلغ البنيـان يومـاً تمامه   إذا كنت تبني وغيرك يهدم

من أجل ذلك لا بدّ أن تتوحد الجهود ، وتتكامل المواقف ، وتتوحد الآراء ، من أجل ترشيد وسائل الإعلام ؛ لتصبح بوابة عبور للحقّ وللخير وللفضيلة الإسلامية . وبذلك يكون للإعلام الإسلامي تميزه الذي يحفظ هويته ، ويبرز شخصيته المستقلة في ظلّ ظاهرة العولمة .

❒ ❒ ❒

المبحث الثامن : المحافظة على الهوية الإسلامية .

الهوية هي دليل وجود الفرد - بل والأمّة - ، فأمّة بلا هوية أمّة غير موجودة ، وشخص بلا هوية إنسان تائه .

ولم يعثر الباحث - على حسب علمه ومقدار جهده - على تعريف لغوي لمعنى الهوية مُوافق أو قريب للمعنى الاصطلاحي ، إلا إشارات خافتة . ومن ذلك قول الزمخشري : " هَوِيَه يهواه ، وهُوَ هَوٍ ، وهي هَوِيَةٌ .

قال الشاعر :

أراك إذا لــم أهْــوَ أمـــراً هـوِيتَــه   ولستَ لما أهوَى من الأمرِ بالهَوِي "[1]

فكأنّ هناك إشارة إلى أن الهوية اتفاق بين شخصين أو أكثر في صفة معينة .

أما في الاصطلاح : فقد سبق تعريف (بكار) للهوية بأنها : " مجموعة الخصائص والمميزات العقدية والأخلاقية والثقافية والرمزية التي ينفرد بها شعب من الشعوب "[2].

كما يعرّفها أحمد بدوي بقوله : " عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره ، أي : تحديد حالته الشخصية "[3].

وحسب رأي الباحث ، فإنه يمكن الجمع بين التعاريف السابقة ، وبذلك تكون الهوية : " الالتقاء والاتفاق حول مجموعة من الخصائص والمميزات المشتركة بين عدد من الأشخاص ، مما يشكل في مجموعه العام ما يميز أمّة عن غيرها من الأمم " .

وبذلك يكون للهوية اعتبارها من حيث إنها علامة فارقة بين أمّة وأخرى ، وشخص وآخر لا يمكن التفريط في مكوّناتها أو المساومة على عناصرها ؛ لأنّ أدنى مساس بها يؤدي إلى إحداث فكّ لمنظومتها ، مما يؤدي إلى تناثر خصائص وتشرذم مكوناتها ؛ لأنّها أصبحت عُرضة

---

(١) الزمخشري ، مرجع سابق ، ص٤٨٩ .
(٢) بكار ، مرجع سابق ، ص٦٧ .
(٣) بدوي ، مرجع سابق ، ص٢٠٦ .

للاختراق وإحداث التشوهات الغريبة في البناء الواحد ، وإحداث تصدعات في جدار الشخصية لأية أمّة من الأمم . ومما يؤكد أهمية الهوية ، محمد البدري ، إذ يقول : " لكلّ أمّة من الأمم ثوابت تمثل القاعدة الأساسية لبناء الأمة ، وفي طليعة هذه الثوابت تأتي الهوية باعتبارها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت ، والذي يستقطب حوله أفراد الأمة ، ولا تستحقّ أمّة من الأمم وصف (الأمّة) حتى تكون لها هويتها المستقلة والمتميزة عن غيرها من الأمم "[١].

ومن وظائف الهوية وفوائدها ، أنها تحفظ تماسك النسيج الاجتماعي للأمة ، وتجعل أفرادها ينضَوُون تحت مظلة واحدة ، تجمعهم قواسم مشتركة وروابط متعددة .

يقول البدري : " ولا شكّ أنه كلما شعر أفراد الأمة بهويتهم ، كلما تعمق انتماؤهم إلى أمّتهم ، وتأكد الولاء بينهم ، وتيسر تعاونهم في سبيل حماية رسالة الأمة والدفاع عنها أمام هجمات الأمم الأخرى "[٢].

وإذا كان من حقّ كل فئة أو أمّة أن تحافظ على هويتها إذا رغبت في إثبات وجودها ، رغم أن بعض الهويات المعاصرة إنما هي اجتماع حول ولاءات هشة تعود إلى الأرض حيناً باسم المواطنة ، وإلى اللغة حيناً آخر ، كالقومية العربية ، أو تتشبث بالعرق والدم ، كالآرية ... أو تتشبث بالتاريخ القومي ، كالأمريكية - مثلاً - ... أو تتعلق بأهداب الجغرافيا ، كالأوروبية ... إلا أن هوية المسلم أعلى وأجلّ من هذه الولاءات ، رغم أهميتها وحيويتها ، إلا أنها لا ترقى إلى مستوى هوية المسلم . فالمسلم يعتبر أنّ هويته الحقة لا يزايد عليها ولا يفخر بغيرها ؛ لأنّها - الإسلام ، وليس شيئاً غيره - هوية تجعل صاحبها دائم الصلة بالله في سلوكه العامّ والخاص ، في كل مكان وفي أيّ زمان .

يقول البدري : " لا شكّ أنّ هويتنا الأصلية هي الإسلام ، وأن الإسلام - كانتماء - هو القاسم المشترك الوحيد لأمّة متكاملة كبرى ولا شيء غيره ...

وإذا ما نحينا الإسلام جانباً ، فمن المستحيل أن نجد قاسماً مشتركاً

(١) بدري ، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة ، ١٤١٤هـ ، ص٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٤٩ .

آخر نتفق عليه وتلتقي عنده الأمة "[١].

وهو ما عبّر عنه الشاعر المسلم بقوله :

أبى الإسـلام لا أبى لي سواه إذا افتخروا بقيس أو بعدنان

حقاً لقد صنع الإسلام لأتباعه مجداً مؤثلاً لم يعهدوه من قبل . إنه مجد يرتقي بأتباعه فوق كلّ الاعتبارات الأرضية ؛ ليربطهم برباط رفيع سامٍ ، ذلك هو الدين الإسلامي ، الذي أخرج الله به هذه الأمة المتميزة ، وخلصها بهذا الدين من ضلالات الهدى وخرافات الجاهلية ، ونقلها به من ظلمات الجهل إلى نور التوحيد ، وهذب أخلاقها ، ورقى سلوكها ، وألّف بينها حتى أصبحت كالشامة بين الأمم .

إنها نقلة نوعية كبرى عرفتها البشرية بهذا الدين ، وهو ما عبر عنه أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ؛ الصحابي الجليل (جعفر بن أبي طالب ﷺ) حين أمر الرسول ﷺ بعض المسلمين بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم ، فقد أورد السهيلي قصته الحوار الذي دارَ بين النجاشي من جهة والمسلمون من جهة أخرى ، وكان المتحدث باسم المسلمين المهاجرين (جعفر بن أبي طالب ﷺ) ، الذي لخص هوية المسلمين يومئذ .

قالت أمّ سلمة - رضي الله عنها - :

(ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ... فلما جاءوا .. قال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟. فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويّ منّا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصِدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصِلة الرحم ، وحُسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام

---

(١) المرجع السابق ، ص٥١ ، ٥٢ .

. قالت : فعدّد أمور الإسلام ...)[١].

إنّ هذه النقلة النوعية الكبرى التي أداها الإسلام تمخض عنها إخراج أمّة لم تكن موجودة أصلاً ، وأقام حضارة لم تكن قائمة ذات خصائص ربانية ومميزات عالمية ، لها شخصيتها المعتبرة والمستقلة ، فكانت حقاً كما أراد الله لها أن تكون ، القائل في وصفها سبحانه : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ }[٢].

وبذلك فإن من أولى الواجبات الحفاظ على الهوية الإسلامية بإقامة شعائر الإسلام ، والاعتزاز بالانتماء إليه ، وحُسن الالتزام بآدابه وأحكامه وأخلاقه وفي جميع شؤون الحياة . فكلّ فرد مسلم مسؤول بحسب موقعه الاجتماعي وإمكاناته العلمية . وتتأكّد المسؤولية وتكبر في حقّ رجال التربية أو القائمين على شأن تربية وتعليم وتثقيف أبناء المسلمين وبناتهم وأجيالهم ، وعلى الأخصّ القائمين على التربية الإسلامية ، وتتضاعف مسؤولية الحفاظ على الأمّة المسلمة بحفظ هويتها في هذا العصر ؛ عصر العولمة الذي يطمح فيه المسيّرون لهذه الظاهرة إلى تذويب الهويات ، وبالتالي دمجها في نموذج واحد ، هو النموذج الغربي ذي الطابع الأمريكي منه على وجه الخصوص .

أدلة الاهتمام بالهوية الإسلامية .

اعتنى الإسلام بالدعوة إلى الحفاظ على هذا التميز للأمة المسلمة . وتجلى عناية الإسلام عن طريق مراجعة بعض النصوص الشرعية من قرآن وسنّة . ومن ذلك قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }[٣].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " قال مجاهد وقتادة والسدي : نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى "[٤].

---

(١) السهيلي ، الروض الأنف ، ١٤٠٩هـ ، ج٢ ، ص٨٧ .
(٢) سورة آل عمران : الآية (١١٠) .
(٣) سورة الأنعام : الآية (١٥٩) .
(٤) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢١٩ .

وعن نفس الآية قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : { **لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** } قال : " أنت بريء منهم ، وهم منك برآء ، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم "[1].

- ومن الآيات الداخلة في معنى الدعوة إلى التميز وعدم مشابهة غير المسلمين ، حفاظاً على الهوية الإسلامية ؛ قوله تعالى - واصفاً عباده المؤمنين - : { **وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً** }[2].

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : { **وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ** } قال : " هو الشعانين . - ثم قال - : وكذلك ذكر عن مجاهد قال : (هو أعياد المشركين) ، وكذلك الربيع بن أنس قال : (هو أعياد المشركين) "[3].

ثم قال - رحمه الله - بعد أن استعرض عدداً من الأقوال في ذلك : " فسواء كانت الآية دالّة على تحريم ذلك أو كراهته أو استحباب تركه ، حصل أصل المقصود ، وهو بيان استحباب ترك موافقتهم أيضاً "[4].

وقال - رحمه الله تعالى - مبيناً خطورة مشابهة غير المسلمين في خصوصياتهم ، كالأعياد - مثلاً - ، قال : " الأعياد هي من أخصّ ما تتميز به الشرائع ، ومن أظهر ما لها من الشعائر ، فالموافقة فيها موافقة في أخصّ شرائع الكفر وأظهر شعائره ، ولا ريب أنّ الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة "[5].

- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : { **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** }[6].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - مفسراً هذه الآية : " ولهذا نهى الله

---

(١) ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ١٤٠٧هـ ، ج٣ ، ص١٠٧ .
(٢) سورة الفرقان : الآية (٧٢) .
(٣) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ١٤٠٦هـ ، ص١٧٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص١٨٠ .
(٥) المرجع السابق ، ص٢٠٤ .
(٦) سورة الحديد : الآية (١٦) .

المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية "[١].

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " قوله : { **وَلاَ يَكُونُوا** } نهي مطلق عن مشابهتهم ، وهو خاص أيضاً في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم ، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي "[٢].

فتبيّن من هذه الآيات أنّ مخالفة هدي غير المسلمين والتشبه بهم فيما يختصون به من أعمالهم وأقوالهم ومناسباتهم ، من الأهداف والمقاصد والغايات التي جاء بها القرآن الكريم .

وقد حقق الرسول ﷺ هذه الأهداف والغايات ؛ استجابة لأمر الله ، الذي وردَ في الآيات السابقة ، بل وأمر ﷺ أمّته بمخالفة الكفار من أهل الكتاب والمشركين ، حتى شعر اليهود بحرصه الشديد - ﷺ - بمخالفتهم ، وأنه - عليه الصلاة والسلام - يتحرّى مخالفتهم في كلّ شؤونهم ، حتى قال بعضهم : (ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفَنا فيه)[٣].

ولا ريب أنّ هذا الحرص منه ﷺ على المخالفة لم يكن لمجرّد المخالفة فقط ، بل كان وراء تلك المخالفة وعدم المشابهة أمراً عظيماً ، وهو تميّز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم .

وقد حفلت سنّة الرسول ﷺ بالعديد من الأحاديث الصحيحة ، والمقبولة عند أهل العِلم المعتبَرين شرعاً ، والدالة على ضرورة مخالفة غير المسلمين في كل شؤون حياتهم ومناسباتهم وجميع خصائصهم ؛ لتبرز الأمة الإسلامية متميزة بهوية ذات سِمات مستقلة وشخصية رائدة متبوعة هي ، وغير تابعة لغيرها .

ومن تلك الأوامر التي وردت في السنّة ، ما يتعلق بأمور العبادة ، ومنها ما يتعلق بالأمور الحياتية الأخرى . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أولاً : الصلاة :

عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال : (اهتمّ النبي ﷺ

(١) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٢٧ .
(٢) ابن تيمية ، " اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم " ، مرجع سابق ، ص٤٣ .
(٣) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٦٩٤ .

للصلاة كيف يجمع الناس لها ؟. فقيل له : انصب راية عند حضور الصلاة ، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً . فلم يعجبه ذلك . قال : فذكر له القنع - يعني الشبور - ، وفي رواية : شبور اليهود[1]. فلم يعجبه ذلك ، وقال : « هو من أمر اليهود » ، قال : فذكر له الناقوس ، فقال : « هو من أمر النصارى » . فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم لهم رسول الله ﷺ ، فأري الأذان في منامه ...)[2].

ويلاحظ كيف رفض رسول الله ﷺ أدوات يتميز بها غير المسلمين للنداء لعباداتهم ؛ حفاظاً على تميز المسلمين ، وليجتهدوا هم ، وليشاركوا في صنع هويتهم ؛ لأنّ ذلك أدعى إلى التمسك بها ، لذلك طلب منهم الرسول أن يفكّروا ويجتهدوا في هذا الأمر .

ومن ذلك قوله ﷺ لعمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : (قلت : يا رسول الله ، أخبرني مما علّمك الله وأجهله ، أخبرني عن الصلاة ؟. قال : « صلِّ صلاةَ الصبح ، ثم اقصر عن الصلاة حين تطلع الشمس حتى ترتفع ، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان ، وحينئذٍ يسجد لها الكفار ، ثم صلِّ ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظلّ بالرمح ، ثم اقصر عن الصلاة ، فإنّها حينئذٍ تسجّر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصلِّ ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ، ثم اقصر عن الصلاة حين تغرب الشمس ، فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذٍ يسجد لها الكفار »)[3].

ومن ذلك قوله ﷺ : « خالِفوا اليهود ، فإنهم لا يصلّون في نعالهم ولا في خفافهم »[4].

ثانياً : الصيام :

فقد ورد الأمر من رسول الله ﷺ بمخالفة غير المسلمين في أسلوب صيامهم ؛ حفاظاً على تميز المسلمين ، وإبرازاً لهويتهم الإسلامية ، فقال ﷺ : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ، أكلة السَّحَر »[5].

---

(١) الشبور : البوق .
(٢) أبو داود ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٤٩٨ .
(٣) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ١٣٧٤ .
(٤) أبو داود ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٦٥٢ .
(٥) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٥٥٠ .

ومعلوم أن الصيام عبادة قد كتبها الله على المسلمين كما كتبها وفرضها على الأمم السابقة ، فقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }(١)، ولكنّ رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ميّز صيام أمّته بهذا الحديث .

فالصيام عبادة مشتركة بين كثير من الأمم ، إلا أن أمّة الإسلام تتميز في صيامها بأكلة السَّحَر ، فيكون صياماً متميزاً ، وأمّة متميزة .

ولم يقتصر أمر المخالفة على أمور العبادات والشعائر ، بل شمل أيضاً الأمور الحياتية الأخرى ، وذلك تدليلاً على أهمية الحفاظ على هوية المسلمين وتميّزهم . ومن تلك الجوانب التي أمرنا بالتميز فيها ، والتي يظهر من خلالها استقلال الهوية الإسلامية ، ما يلي :

أولاً : الأطعمة :

من ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن قبيص بن هلب عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : وسأله رجلٌ فقال : إن من الطعام طعاماً أتحرّج منه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يختلجن في نفسك شيء ضارعت النصرانية »(٢).

والمعنى : لا تتحرج ، فإنك إن فعلتَ ، شابهْتَ فيه النصرانية ، فإنه من دأب النصارى وترهّبهم ؛ لأنّهم حرّموا على أنفسهم أشياء لم يأذن الله لهم بذلك ، فشددوا على أنفسهم برهبانية لم يرعَوها حقّ الرعاية ، لذلك نهى الرسولُ أمّته عن مشابهتهم في ذلك .

ثانياً : الزينة واللباس :

ومن صورَ المخالفة لغير المسلمين : ما جاء في شأن الزيّ واللباس الخاصّ بغير المسلمين ، حيث وردَ النهي النبوي بعدم مشابهة غير المسلمين في زيّهم وزينتهم الخاصة بهم ؛ وذلك حمايةً للهوية الإسلامية وتميّزها ، وخوفاً من أن تؤدّي المشابهة لهم في الملبس أو الزينة إلى المشابهة في سائر الأعمال .

ومن الأحاديث الخاصة بهذا الجانب ، ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : (رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبَين

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٣) .
(٢) ابن حنبل ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢٠٩٥٩ .

معصْفرين ، فقال : « إنّ هذه من ثياب الكفار ، فلا تلبسها »)[١].

وعن أبي أمامة ﷺ قال : (خرج علينا رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم ، فقال : « يا معشر الأنصار ، حَمِّروا أو صفِّروا ، وخالِفوا أهل الكتاب » ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون ، فقال رسول الله ﷺ : « تسرولوا وائتزروا ، وخالفوا أهل الكتاب » ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون ، قال : فقال النبي ﷺ : « فتخففوا وانتعلوا ، وخالفوا أهل الكتاب » ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم[٢] ويوفرون سبالهم[٣]، فقال ﷺ : « قصوا سبالكم ، ووفروا عثانينكم ، وخالفوا أهلَ الكتاب »)[٤].

ويُلاحظ - كما وردَ في الحديث - لفظ : « خالفوا أهل الكتاب » ، وهم اليهود والنصارى ، وفي تكرار هذه العبارة منه ﷺ ، التأكيد على ضرورة المخالفة ؛ لتتميز الأمة ، وتستقل بشخصيتها ، وتبرز هويتها . ومن دلائل ذلك ، هو اهتمامه الشديد ﷺ بالمخالفة حتى في الأمور التي يرى بعض الناس أنها عادية ، ولا تمثل أمراً جللاً ، فالمسألة مسألة إثبات تميّز وإخراج أمّة ، وليست المسألة مسألة هذا أمرٌ بسيط ، وذلك أمرٌ هامّ .

ومن الأدلة الآمرة بمخالفة كلّ أصحاب الملل والنحَل المخالِفة للفطرة ؛ قوله ﷺ : « جزّوا الشوارب وأرخوا اللحى ، خالفوا المجوس »[٥].

وهذا الحديث يدلّ أنّ الهدف من المخالفة والغاية منه ، هو إخراج أمّة تتميز عن أهل الكتاب ، وتتميز عن الوثنيين وعن المجوس وعن كلّ الأمم ، وليس الهدف تحامل ضدّ أمّة معينة ، ولكنّ المهمّ أن يكون للمسلم شخصية مستقلة تقف متميزة عن الشخصيات الأخرى ، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بتفعيل كلّ صورَ المخالفة التي تجعل الهوية تبرز وتعرف ، مع الحفاظ على ذلك الإنجاز الحضاري .

---

(١) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٥٤٣٤ .
(٢) عثانينهم : جمع عثنون ، وهي اللحية .
(٣) السبال : جمع سَبَلَة ، وهو الشارب .
(٤) ابن حنبل ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٢١٢٥٢ .
(٥) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٦٠٣ .

ولخطورة التشبه بأحدٍ من غير المسلمين ، قال ﷺ : « مَن تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم »[(١)].

ثالثاً : الآداب العامّة :

لقد جاء الإسلام بجملة آداب راقية سامية ، وأوّل المتأدّبين بها هو قدوة هذه الأمة محمد ﷺ .

ومما ورد في سنّته ﷺ ، وهو ما يميز أمّته بأدب رفيع وخُلق مهذب ، قوله في التحذير من التأدب بأخلاق وآداب أهل الكتاب ، من ذلك ما رواه عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسلّموا تسليم اليهود والنصارى ، فإنّ تسليمهم بالأكُفّ والرؤوس والإشارة »[(٢)].

ومن الآداب التي أمر الرسولُ ﷺ أمّته بتجنّبها ؛ آداب تتعلق بطريقة النوم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (مرَّ رسول الله ﷺ على رجلٍ منبطح - يعني : على وجهه - فقال : « هذه ضجعة لا يحبها الله عز وجل »)[(٣)].

ومن الآداب التي حثّ عليها الرسول ﷺ ؛ عدم التعرّي ، والأمر بالتستر . ومن ذلك ما رواه المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : (أقبلتُ بحجر أحمله وعليَّ إزار خفيف ، فانحلّ إزاري ومعي الحجر لم أستطع أن أضعه ، حتى بلغت به إلى موضعه ، فقال رسول الله ﷺ : « ارجع إلى ثوبك فخذه ، ولا تَمشوا عُراة »)[(٤)].

لقد استغلّ رسول الله ﷺ هذا الحادث العرَضي البسيط من أجل تربية الأمّة على التميز بالاحتشام وعدم السير عُراة . فأين هذه الآداب الراقية والمهذبة من تلك القوانين التي تصدر في بعض الدول الغربية ، تبيح التعرّي الكامل ، بل وربما يكون هناك أندية لمثل هذا التحلل ، ثم يدّعون أنهم أهل حضارة أخلاقية راقية ، ويرغبون في تعميم ذوقهم وآدابهم وجميع أنماط حياتهم .

---

(١) سبق تخريجه في المبحث السابع من الفصل الثالث .
(٢) أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٨٩ .
(٣) البيهقي ، الآداب ، ١٤٠٦هـ ، حديث رقم : ٩٧٦ ، ص٤٤٢ .
(٤) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٧٧٣ .

ومن الأمور التي نهى عنها ﷺ بهدف التميّز ؛ آداب تتعلق بالأكل ، حتى لا تقع الأمّة في اقتضاء أثر المترفين أو غيرهم من أصحاب الملل والأديان الأخرى .

فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : (أن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج ، والشرب في آنية الذهب والفضة ، وقال : « هنّ لهم في الدنيا ، وهي لكم في الآخرة »)[1] .

ومن الأحاديث التي رهبت من تغيير الانتساب إلى غير الأب اختياراً ؛ ما رواه سعد ابن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَن ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام »[2] .

وهو حال المرأة لدى الغرب اليوم ، فإنّ المرأة بمجرّد أن تتزوّج فإنها تُنسب لديهم إلى الزوج أو إلى عائلة الزوج ، وهذا أمرٌ مخالف للفطرة ، بالإضافة إلى كونه امتهان واحتقار لشخصية المرأة في المجتمع ، الذي يدّعي أنه يريد حرّيتها وكرامتها !.

هذه بعض النصوص الشرعية من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، الداعية - صراحةً - إلى مخالفة كل مظاهر وآداب غير المسلمين قديماً وحديثاً ؛ وذلك حفاظاً على الهوية الإسلامية من الذوبان ، والتيه والانصهار في بوتقة العولمة التي يتشكل منها النظام العالمي الجديد .

لذا ، واجب على كلِّ مسلم أن يشعر بأنه يقف على ثغر من ثغور الإسلام . فحذارِ أن يؤتَى الإسلامُ من قِبله .

إنّ الهوية الإسلامية والحفاظ عليها ، حفاظ على الدين الإسلامي ؛ لأنّها سِمة الدين وشعائره وخصائصه وآدابه وتعاليمه ، فمتى اخترقت الهوية وانساقت خلف كل شعار ، وفرّطت أو تنازلت عن شيء من خصوصياتها ، فإنما هي تهدم جزءاً من دينها ومن آدابه وأخلاقه ؛ لأنّ هذه الشخصية المستقلّة الإسلامية أبانَ معالمها القرآن الكريم ، وطبّق منهجها رسول الله ﷺ .

يقول أنور الجندي :

" هذه الذاتية الإسلامية التي كوّنها القرآن الكريم خلال

---

(١) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٥٦٣٢ .
(٢) البخاري ، المرجع السابق ، حديث رقم : ٣٩٨٢ .

أربعة عشر قرناً على نحو متميز رباني الوجهة ، إنساني الغاية ، من أجل إقامة المجتمع الإسلامي ، وتبليغ رسالة الله إلى العالمين . ولذلك فقد كانت المحافظة عليها من الانهيار أو التدهور أو الجمود أو المداخلة أو الانصهار في الفكر البشري العالمي من الغايات الكبرى ، التي عاش لحمايتها وخدمتها وحراستها جماعة الأبرار من العلماء والدعاة ، ومن أجلها تحمّلوا عزم الأمور والصمود والصبر والمصابرة والمرابطة . ونحن اليوم مطالَبون بأن نصمد في وجه كل هذه المؤتمرات التي تستهدف الفكر والثقافة والتعليم ؛ لإزالة الهوية الإسلامية ، وصَهر الأجيال الحديثة في بوتقة الفكر الأممي ، بعد أن تبيّن أنّ الهدف الحقيقي من وراء المؤامرة التي تقودها القوى العالمية هي تذويب المسلمين في الكيان الأممي العالمي "[1] .

وبذلك يتّضح حجم المسؤولية الملقاة على عاتق التربية الإسلامية من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية ، فإنما هي تحافظ على وجود الأمّة . وكفى بذلك من فخر ، وكفى به من همٍّ وأمانة عظيمة .

❒ ❒ ❒

(١) الجندي ، ما يختلف فيه الفكر الإسلامي عن الفكر الغربي والماركسي ، ١٤٠٦هـ ، ص١٣ .

المبحث التاسع : إبراز عالمية الإسلام .

يأمل الباحث أن يتمكن من خلال هذا المبحث في تسليط شيءٍ من الضوء على عالمية الإسلام في كونه ديناً عالمياً صالحاً لكلّ زمان ومكان ، وأنه بذلك لا غنى للبشرية عنه ، خاصة في هذا العصر الذي أثبت الواقع الصحيح إفلاس جميع القوانين والنظم الوضعية التي صنعها البشر .

وينطلق الباحث في مبحثه هذا من مسلمة لديه ، واضحة الدلالة ، مستمدّة من قوله تعالى - مخاطِباً نبيه ﷺ - : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ }[1].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يخبر - تعالى - أنّ الله جعل محمداً ﷺ رحمةً للعالمين ، أي : أرسله رحمةً لهم كلّهم . فمَن قَبِل هذه الرحمة وشَكَرَ هذه النعمة سَعِد في الدنيا والآخرة ، ومَن ردَّها وجحَدها خسِر الدنيا والآخرة "[2].

كذلك نقل ابن كثير عن الإمام مسلم - رحمهما الله تعالى - ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " قيل : يا رسول الله ، ادعُ على المشركين ، قال : ((إني لم أبعَث لعّاناً ، وإنما بُعِثتُ رحمة)) "[3]. قال ابن كثير : انفردَ بإخراجه مسلم .

قال سيد قطب - رحمه الله تعالى - عند تفسيره للآية السابقة :

" ولقد أرسل الله رسوله رحمةً للناس كافة ؛ ليأخذ بأيديهم إلى الهدى ... إنّ المنهج الذي جاء مع محمد ﷺ منهج يسعد البشرية كلها ، ويقودها إلى الكمال المقدّر لها في هذه الحياة ... ولقد دلّت التجارب البشرية - حتى اللحظة - على أنّ ذلك المنهج كان وما يزال سابقاً لخطوات البشرية في عمومه ، قابلاً لأنْ تنمو الحياة في ظلاله بكل ارتباطاتها نمواً مطرداً ، وهو يقودها دائماً ولا يتخلف عنها ، ولا يقعد بها ولا يشدّها إلى الخلف ؛ لأنّه سابق دائماً على خطواتها ، متسع دائماً لكل

---

(١) سورة الأنبياء : الآية (١٠٧) .
(٢) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٢٢ .
(٣) القشيري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٦٦١٣ .

خطواتها . وهو في تلبيته رغبة البشرية في النموّ والتقدّم لا يكبت طاقاتها في صورة من صوَر الكَبت الفردي أو الجماعي ، ولا يحرمها الاستمتاع بثمرات جهدها وطيبات الحياة التي تحققها ، وقيمة هذا المنهج أنه متوازن متناسق ، لا يعذّب الجسد ؛ ليسمو بالروح ، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد ، ولا يقيد طاقات الفرد ورغائبه الفطرية السليمة ، وكافة التكاليف التي يضعها ذلك المنهج على كاهل الإنسان ملحوظ فيها أنها في حدود طاقته ولمصلحته ...

ولقد كانت رسالة محمد ﷺ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها مِن بعدهِ . لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية ؛ لتلتقي في عقيدة واحدة ، ونظام اجتماعي واحد . وإنّ البشرية لفي أشدّ الحاجة إلى حسّ هذه الرحمة ونداها ، وهي قلقة حائرة ، شاردة في متاهات المادية وجحيم الحروب وجفاف الأرواح والقلوب "[(١)].

إنّ خلاصة دعوة الإسلام أنها دعو إنقاذ للبشرية سابقاً ولاحقاً وإلى قيام الساعة . إنقاذ لها من ضلالات الجهل وتخبطات الخرافة ، هدفها سعادة البشرية في الدنيا ، باتّباع دين الله وتطبيق شرعيته من أجل أن يتحقق لها في ظل هذا الاتّباع والتطبيق الأمن الشمولي الذي سوف تشعر به البشرية في داخل نفسها ، وتشعر به عند أداء معاملاتها على الصفة الشرعية ، وتشعر بالأمن حينما تسير على وجه الأرض ، وتشعر به حين تثق بموعود الله ، فتطمئنّ على مستقبلها في الدنيا والآخرة .

إنها نعمة كبرى من نِعم الله يقدّمها الإسلام لبني الإنسان ، شريطة أن يلتزموا هم بأداء شرائعه وشعائره قولاً وعملاً . عند ذلك يتحقق للبشرية قول الله تعالى : { **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** }[(٢)].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " أي : هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ، ولم يُشركوا به شيئاً ، هم الآمنون يوم

---

(١) قطب ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٢٤٠١ ، ٢٤٠٢ .
(٢) سورة الأنعام : الآية (٨٢) .

القيامة ، المهتدون في الدنيا والآخرة "[1].

ولقد فقهَ الصحابة ﷺ هدف الدعوة الإسلامية ، فانبعثوا في مشارق الأرض ومغاربها ، داعين إليها بصِدق وإخلاص واستعلاء بهذه العقيدة الربانية الشمولية والثابتة ...

فهذا ربعي بن عامر ﷺ يستعلي بدينه على حطام الدنيا الزائل والزائف ، ويُعلن عالمية الإسلام في مشهد مهيب ، إنه يوم القادسية .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - :

" لما تواجهَ الجيشان ، بعثَ رستم إلى سعد بن أبي وقاص أن يبعث إليه برجُل عاقل عالِم بما أسأله عنه .

فبعث إليه سعدٌ أولاً المغيرةَ بن شعبة ﷺ ...

ثم طلب رسولاً آخر ، فبعث ربعي بن عامر ﷺ .

فقال رستم : ما جاء بكم ؟.

فقال ربعي ﷺ : الله ابتعثنا لنُخرج مَن شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومِن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومِن جَور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ؛ لندعوهم إليه ، فمَن قَبِل ذلك قَبِلنا منه ورجعنا عنه ، ومَن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله .

قال رستم : وما موعود الله ؟.

قال : الجنة لمن مات على قتال مَن أبى ، والظفَر لمن بقي "[2].

واستئناساً بعبارة ربعي بن عامر - ﷺ - السابقة ، وما تضمّنته من عبارات بليغة ، وبالأخصّ قوله : (من جور الأديان إلى عدل الإسلام ...) ، فإن من وسائل وقنوات إبراز عالمية الإسلام - حسبما يرى الباحث - هو محاولة تجلية تلك العالمية باتّباع أسلوب المقارنة بين دعوة الإسلام ودعوة ما سواه من الأديان ، وذلك من باب الضدّ يكشف حقيقته الضدّ ، وعلى رأي مَن قال : (بضدّها تتميّز الأشياءُ) . وإن كان الحقّ أبلج ، والنهار لا يحتاج إلى دليل . وعلى ذلك فسوف يختار

(١) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٧١ .
(٢) ابن كثير ، " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص٣٩ .

الباحث بعضاً من النماذج العقائدية والعبادية والأخلاقية ... الإسلامية ، مقارنة بما هي عليه لدى الأمم الأخرى ، وبالذات اليهود والنصارى ، والذين هم قادة الغرب ، ودُعاة العولمة في هذا العصر .

وسوف يحاول الباحث من خلال أسلوب عقد المقارنة ، إبراز ما تميّز به الإسلام كدِين ، وما تميّز به المسلمون كأمّة .

بعض مميزات الأمّة المسلمة .

أولاً : الإيمان بالله وتوحيده :

توحيد الله والإيمان به رباً واحداً لا شريك له ولا ندّ ولا كفء ولا مثيل ولا بديل ؛ هو أعظم خصائص الإسلام ، ومن أميَز صفاته التي يتميّز بها بين شتى الأمم ، فجميع الأمم الأخرى قد انقسمت في هذا الأصل ، وتشعبت شعباً كثيرة .

يقول ناصر العمر : " إن أعظم أصول الإيمان وأعلاها مرتبة هو الإيمان بالله وتوحيده في ربوبيته وألوهيته ، وأسمائه وصفاته . ولقد ضلّت طوائف كثيرة في هذا الباب ، فهم بين إفراط وتفريط ، وغلوّ وجفاء "(١).

ففريق من الناس - كاليهودية - وصفوا الله جلّ وعلا بصفات النقص التي يختصّ بها بعض المخلوقين ، وشبهوا الخالق بالمخلوق ، فقالوا : إنه بخيل - كما أخبر القرآن عنهم بقوله تعالى - : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ }(٢).

وقالوا : إنه فقير ، فكذّبهم الله بقول الحقّ : { لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ }(٣).

وقالوا : إن الله " بعد أن خلق السماوات والأرض ، استراح في اليوم السابع "(٤)، فردّ عليهم فريتهم بقوله العزيز : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

(١) العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ١٤١٣هـ ، ص١٣٧ .
(٢) سورة المائدة : الآية (٦٤) .
(٣) سورة آل عمران : الآية (١٨١) .
(٤) العمر ، مرجع سابق ، ص١٣٧ .

وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ }[1].. إلى غير ذلك من صفات النقص التي لا تليق بالله سبحانه وتعالى .

وفريقٌ ثانٍ من الناس - وهم النصارى - جاءوا على النقيض ممن سبقهم من اليهود ، " فوصفوا المخلوق بصفات الخالق التي يختصّ بها ، حيث شبّهوا المخلوق بالخالق "[2].

ومن جملة مفتريات النصارى ما يلي :

قالت النصارى : إنّ الله هو المسيح ابن مريم ، فكذّبهم الله بقوله الصادق : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }[3].

وقالوا : إن المسيح ابن الله ، فكذّبهم الله بقوله الأعزّ : { وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ... }[4].

وكذلك ردّ الله - جلّ وعلا - فرية النصارى ومَن شايعهم في تلك الفرية السابقة بقوله سبحانه وتعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً ۞ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ۞ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً ۞ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ... }[5].

" وصنفٌ من الناس يعددون الأرباب والآلهة مع الله أو من دون الإيمان بالله ﷻ "[6].

ومن أمثلتهم وبقاياهم اليوم ، فرقة الصابئة المندائية ، وأصحاب هذه الطائفة " يقدّسون الكواكب والنجوم ويعظّمونها "[7].

ومثلهم البوذيون ، أصحاب بوذا ، " الذين يعتقدون أن (بوذا) هو ابن الله ، وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها ، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم "[8].

---

(١) سورة ق : الآية (٣٨) .
(٢) العمر ، مرجع سابق ، ص١٣٨ .
(٣) سورة المائدة : الآية (١٧) .
(٤) سورة التوبة : الآية (٣٠) .
(٥) سورة مريم : الآيات (٨٨-٩٣) .
(٦) الميداني ، " الوسطية في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٢٣ .
(٧) الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٣١٥ .
(٨) المرجع السابق ، ص١٠٧ .

ومعهم الهندوس ، وهي ديانة تتخذ " عدّة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها ، فلكل منطقة إله ، ولكل عمل أو ظاهرة إله ... ويلتقي الهندوس على تقديس البقر "[١].

وأمثالهم ومَن على شاكلتهم كثير من الوثنيين ممن قال الله فيهم مبيناً ضلالهم وانحرافهم عن جادة الطريق المستقيم : { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً }[٢].

ومن الناس فريق فُتنوا بالماديات ، وأنكروا ما سواها ، وهم الملاحدة أو الدهريين ، " الذين يجحدون وجود الربّ الخالق ، ويؤمنون بأزلية المادة ، ويؤمنون بأن الظواهر الكونية كلها - بما فيها ظاهرة الحياة - أشياء ناتجة عن تطوّر المادة في حركتها الدائمة "[٣].

وهم من الذين قال الله عنهم : { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَالَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ }[٤].

وفريق من الناس ضلَّ في باب الأسماء والصفات ، " فهناك مَن أراد تنزيه الله جل وعلا ، فنفوا عنه أسماء وصفات الكمال التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ "[٥]، فشبهوه بالعدم ، وألحدوا في أسماء الله ، فردَّ الله عليهم بقوله الكريم : { وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[٦].

وأثبت الله لنفسه صفات عُليا وأسماء حسنى ، كقوله تعالى : { هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ }[٧].

وعلى النقيض وقفَ فريق المشبهة والمجسمة ، وهم الذين شبهوا صفات الله بصفات المخلوقين ، فقالوا : إنّ لله سمعاً كسمع الإنسان ،

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٣١-٥٣٢ .
(٢) سورة الحج : الآية (٧١) .
(٣) الميداني ، " الوسطية في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٢٤ .
(٤) سورة الجاثية : الآية (٢٤) .
(٥) العمر ، مرجع سابق ، ص١٤١ .
(٦) سورة الأعراف : الآية (١٨٠) .
(٧) سورة الحشر : الآيتان (٢٣-٢٤) .

وبصراً كبصر الإنسان ... فردّ الله عليهم بقوله : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[(١)]. فأثبت الله لنفسه أسماء وصفات ، ونزّه نفسه عن الشبيه والمثيل ، والكفء والندّ ، القائل جلّ وعلا : { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ }[(٢)].

وبعد هذه الجولة بين هذه الأجواء المتلبدة ، والأمواج المتلاطمة بين أصحاب الملل والنحل والأديان قديماً وحديثاً ، يقف الإسلام بشموخه وسطاً بين أهل الإفراط وأهل التفريط ، ووسطاً بين الغلاة والجفاة ؛ ليكون هذا الدين الحق كما أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون ، { ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }[(٣)].

قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية : " أي : هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له ، هو الدين المستقيم الذي أمر الله به "[(٤)].

وبذلك يظهر تميّز وبروز عقيدة الإيمان بالله كما ينبغي أن تكون عليه ، ويبرز بذلك تميّز الإسلام في هذا الباب عن أهل الباطل مما سواهم . ويمتنّ الله جل ثناؤه على البشرية بهذه النعمة التي لم يعرف قَدرها كثير من أهل الأرض ، فيقول جلّ ثناؤه : { وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً }[(٥)].

ثانياً : تميّز الإسلام في التشريع والتكليف والموازنة بين مطالب النفس وشهواتها :

هذه من خصائص الإسلام التي تميّز بها بين أهل الملل والنحل والأديان سابقاً ولاحقاً .

فمن معالم الإسلام أنه جاء باليسر والتسهيل ، ورفع الحرج عن الناس في كثير من أمور التشريعات والتكاليف ، وهذا أمر مقرر في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة .

ومن الآثار الواردة في تأكيد هذه الميزة ، قوله تعالى : { وَمَا جَعَلَ

---

(١) سورة الشورى : الآية (١١) .
(٢) سورة الإخلاص : الآيات (١-٤) .
(٣) سورة يوسف : الآية (٤٠) .
(٤) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٢٥ .
(٥) سورة الإسراء : الآية (٨١) .

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }[1]، وقوله تعالى : { يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }[2]، وكذلك قوله تعالى : { لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا }[3].

وقد جاءت السنّة أيضاً مطابقة لهذا اليسر والسماحة التي أمر الله بها في كتابهِ الكريم . ومن الآثار من السنّة المطهرة المؤكدة لهذا التميّز ، ما رواه الشيخان عن أنس ابن مالك ﷺ قال : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ، فلما خُبِّروا ، كأنهم تقالّوها ، قالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟. قد غفرَ الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر !. قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوّج النساء . فمَن رغب عن سنّتي فليس منّي »)[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (بينما النبي ﷺ يخطب ، إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظلّ ، ولا يتكلّم ، ويصوم . فقال النبي ﷺ : « مره فليتكلم ، وليقعد ، وليتمّ صومه »)[5].

من هذه النصوص الشرعية من قرآن وسنّة صحيحة ، يتبين أن الإسلام جاء بشريعة سمحة سهلة ، لا حرج فيها على أحد ولا غلوّ ولا رهبانية ، بل جاءت شريعة الإسلام رافعة للحرج والآصار التي كانت مضروبةً على الأمم السابقة . من ذلك ، ما ذكره صالح بن حميد ، قال : " ذكر علماؤنا - رحمهم الله تعالى - شيئاً من الآصار والأغلال التي كانت على مَن قبلنا ، منها : .. قطع موضع النجاسة من الثوب أو البدن ، وإحراق الغنائم ، وتحريم السبت ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتعيين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية ، وأمروا بقتل أنفسهم علامة على التوبة

---

(١) سورة الحج : الآية (٧٨) .
(٢) سورة البقرة : الآية (١٨٦) .
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٨٦) .
(٤) البخاري ، مرجع سابق ، حديث رقم : ٥٠٦٣ .
(٥) البخاري ، المرجع السابق ، ٦٢١٠ .

، وطلب منهم ربع المال في الزكاة ، وعدم جواز الصلاة إلا في البيعة ، وحرمة الجماع في أيام الصيام بعد العتمة والنوم ، وحرمة الطعام بعد النوم ... "[1].

إنّ مجرد النظرة العابرة لحال الشرائع السابقة مع ما جاءت به شريعة الإسلام ، سيتبيّن مدى الفرق الشاسع بين يسر الإسلام وسماحة شرائعه ، مقارنةً مع ما كان ديناً وتشريعاً لدى الأمم السابقة ، ويتّضح أنها أيسر الشرائع تكليفاً ، وأيسرها أداءً ، وألصقها بالفطرة البشرية .

ومن يُسر الشريعة الإسلامية ، أنها جاءت موازنة بين مطالب النفس وشهواتها ، فلم تحرم النفس البشرية من رغباتها كلها ، ولم تطلق لها العنان لتشبع تلك الحاجات كيفما اتفق ، بل نظمت ووازنت بين مطالب النفس وما فُطرت عليه ، وبين جموح النفس واندفاعها . قال تعالى في هذا الصدد : **{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ }**[2].

يقول ناصر العمر :

" بما أنّ الميل إلى شهوات الدنيا أمر فطري مركوز في خلق الإنسان ، فإنّ الناس أمام هذه الحقيقة طرفان ووسط .

فهناك مَن وقف أمام هذا الميل موقفاً مغالياً ، فحرم على نفسه الطيبات وغيرها ، ومنعها الملاذّ ، وما فُطرت عليه من الزواج والميل إلى أطايب الملابس والمآكل . وهؤلاء يمثلهم رهبان النصارى وغلاة الصوفية . وابتدع النصارى رهبانية قاسية على النفس ، تحرّم الزواج ، وتكبت الغرائز ، وترفض كلّ أشكال الزينة وطيبات الرزق ، وتراها رجساً من عمل الشيطان . والطرف الآخر المقابل لهؤلاء ، هم الذين انساقوا وراء شهوات أنفسهم ، واعتبروا الحياة الدنيا هي الغاية والنهاية ، وهذا المنهج سقطت فيه الكثير من الأيديولوجيات ، وتبعه ملايين البشر الذين ارتموا في أحضان النفعية الغربية المادية ، أو سقطوا في مخالب المادية الماركسية ..

---

(١) ابن حميد ، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ، ١٤١٢هـ ، ص١٥٨ .
(٢) سورة آل عمران : الآية (١٤) .

وبين هؤلاء وأولئك جاء القرآن بالمنهج العدل الوسط ، فاعترف بحاجة الإنسان إلى تلبية فطرته وتحقيق بعض رغباته دون حجر أو كَبت ، ولكنه لم يترك الحبل على غاربه ، بل وضعَ الضوابط والحدود ، وبيّن أنّ له مهمّة سامية يسعى إليها أشرف من الدنيا وما فيها "[١] .

ويؤكّد ما ذهبَ إليه العمر أيضاً عبد الرحمن الميداني ، إذ يقول :

" نلاحظ أن معظم مذاهب الناس متجهة لحدب الدنيا وزيناتها ومادّياتها ومعنوياتها ، وأن علائق نفوسهم متجهة لتحصيل لذّاتها من متاع الحياة الدنيا ، مهملة أو نابذة التوجّه لتحقيق سعادتها من الأخرويات الساميات الباقيات الخالدات الصالحات . ونلاحظ أن فريقاً من الناس انحازَ انحيازاً مسرفاً لتحقيق لذّات النفس العلوية السامية ، زاهداً بمتاعها من الحياة الدنيا .

أما الإسلام فإنه يدعو إلى ابتغاء الدار الآخرة من خلال استيفاء النفس حظوظها من الحياة الدنيا ضمن ما أباح الله وأذن به ، وإلى عدم إهمال مطالب النفس والجسد من لذّات الحياة الدنيا المباحة "[٢] .

بل إنّ مما يؤكد سماحة الإسلام وانسجامه مع الفطرة البشرية ، وعدم صلاح الإنسانية إلا بالرجوع إلى هذا الدين ، أن الإنسان عندما تمادى في الغرور ، وأراد أن يشرع لنفسه قوانين ينظم بها حياته بعد أن نبذ شرائع الله وراءه ظهرياً ؛ كانت النتيجة أن الإنسان حمّل نفسه ما لا تطيق ، وصادم فطرته ، وأشقى حياته ، فلما أحسّ ببأس ما صنع ، كسر قوانينه التي وضعها ، واعتدى على حُرماته التي شرعها .. والأمثلة والشواهد كثيرة سابقاً ولاحقاً .

يقول عبد الرحمن الميداني ممثلاً بما فعله النصارى من رهبانية : " بترك الزواج والترفع عنه ، فلم يرعوها حقّ رعايتها ، وابتدعوا - بحكم كنسي - عدم تعدد الزوجات ، ووجوب الاقتصار على واحدة . فسقطوا في ممارسات محرمة غير مشروعة سقوطاً واسعاً .

---

(١) العمر ، مرجع سابق ، ص١٧٠-١٧١ .
(٢) الميداني ، " الوسطية في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٢٠-٢١ .

ويدعو العلمانيون الدنيويون إلى الإباحية الجنسية بكلّ صورها ، حتى المثلية البهيمية ، ويدعون إلى التحرر من كل ضابط في هذا المجال "[١].

ويشهد الواقع بهذا الفصام النكد الذي يعيشه الغرب ، فهناك صورَ مورعة من الأمراض الاجتماعية والنفسية الخطيرة من إدمان للمخدرات بشكل مهول ، إلى إسراف في مقارفة الشهوات ، إلى صور بشعة من جرائم الانتحار الفردي والجماعي ، وكلها مؤشرات ودلائل ومحاولات للخروج من هذا الواقع المرير الذي يتخبط فيه الإنسان يوم أن رفضَ بمحض إرادته شريعة الله ، واستبدل عنها شريعة صمّمها من عند نفسه ، واتّبع فيها هواه ، فكانت النتيجة كما أخبر الحقّ سبحانه وتعالى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى }[٢].

إنها نهاية - لا شكّ - مؤسفة أن يتردّى الإنسان إلى هذه الهاوية بفعله ورأيه ونظمه ...

أما الإسلام فإنه يقف في موقف الوسط المتميز ، الذي لم يبحْ كل مظاهر الزينة من مالٍ وأولاد وأثاث ورئيا وأنكحة ، لكنه لم يطلق الحبل على الغارب ، بل وازنَ بين شهوات النفس ومطالب الجسد ، وكانت النتيجة أنّ المسلم يعيش في الدنيا سعيداً قانعاً راضياً مضمئناً ، وأمله في الآخرة أكبر وأنبل ، لم يُطغِهِ المال ، ولم تستعبده الشهوة .

وهنا يحقّ أن نقول : إن الإسلام أثبتَ تميّزه وعالميته في هذا المجال .

ثالثاً : إبراز عالمية الإسلام في العدل ونظام الحُكم :

لقد جعل الله الإسلام بمنهجه الرباني حاكماً لأمور الحياة ، منظماً لشؤون الناس فيها ، ولم يسمح اللهُ لأحد من البشر الخروج عن هذا الحُكم الإسلامي ، سواء ما كان مصرحاً به في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، أو ما كان منه مستنبطاً من ذي كفاءة علمية تؤهّله للاجتهاد والاستنباط . يقول الحقّ تبارك وتعالى - حاثّاً عباده على التحاكم إلى شرعه الحكيم الذي جاء به الإسلام - : { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ

---

(١) الميداني ، المرجع السابق ، ص٢٣٧ .
(٢) سورة طـه : الآيات (١٢٤-١٢٦) .

أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }[١] .

وحذّر الله عباده أشدّ التحذير من رفض التحاكم إلى شريعة الله ، واستبدالها بشرائع البشر الوضعية ، فقال تعالى : { يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ }[٢] .

وقد أمر - جلّ وعلا - بسؤال العلماء الربانيين ؛ أهل الدراية والرواية ، والمؤهلين للفتيا ، المشهود لهم بسعة العِلْم ونزاهة المقصد ، والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية ، وإنزالها على الوقائع والحوادث الدنيوية ، فقال تعالى : { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }[٣] .

قال ابن كثير : " ومعنى { يَسْتَنْبِطُونَهُ } أي : يستخرجونه "[٤] .

وفي هذه الآية دلالة على أهمية الاجتهاد فيما لا نصّ فيه ، ومعلوم أنّ الحُكم أساسه العدل والمساواة بين جميع الأطراف . والعدل في الإسلام مرجعه ومصدره إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ . يقول الله جلّ وعلا : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }[٥] .

إنّ المتأمل لهذه الآية وما اشتملت عليه من معاني يلمح فيها بجلاء واضح منهج العدل الرباني الذي لا يقاربه عدل مما تتمخض عنه أهواء الناس واجتهاداتهم المنفصلة عن كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

يقول الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - مفسراً الآية السابقة :

" ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام بالقسط - يعني بالعدل - . { شُهَدَاءَ للهِ } ، معناه : قوموا بالقسط لله عند شهادتكم على أنفسكم ، أو على والديكم أو أقربيكم ، فقوموا بالقسط والعدل ،

---

(١) سورة المائدة : الآية (٥٠) .
(٢) سورة النساء : الآية (٦٠) .
(٣) سورة النساء : الآية (٢٣) .
(٤) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج١ ، ٥٨٣ .
(٥) سورة النساء : الآية (١٣٥) .

وأقيموها على صحتها بأن تقولوا فيها الحقّ ، ولا تميلوا فيها لغني لغناه على فقير ، ولا لفقير لفقره على غني فتجوروا ، فإن الله الذي سوى بين حكم الغني والفقير فيما ألزمكم - أيها الناس- من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل أولى بهما ، وأحقّ منكم ؛ لأنّه مالكهما وأولى بهما دونكم ، فهو أعلم بما فيه مصلحة كل واحد منهما في ذلك وفي غيره من الأمور كلها منكم . فلذلك أمركم بالتسوية بينهما في الشهادة لهما أو عليهما . { **فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا** } يقول : فلا تتبعوا أهواء أنفسكم في الميل في شهادتكم إذا قمتم بها ، ... ولكن قوموا بالقسط ، وأدّوا الشهادة على ما أمركم الله بأدائها بالعدل لمن شهدتم له وعليه "[1].

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لاَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ...** }[2].

قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - : يعني جلّ ثناؤه : " يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ﷺ ، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله ، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم ، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم ؛ لعداوتهم لكم ، ولا تقصروا فيما حددت لكم في أحكامي وحدودي في أوليائكم ؛ لولايتهم ، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي ، واعملوا فيه بأمري "[3].

هذا غيض من فيض من عدل الإسلام وسماحته في الحكم ، ذلك العدل الذي لم يُحابَ فيه صاحب مالٍ لثرائه ، ولا قريب لنسبه وصلته وعلاقته . ولقد طبّق رسول الله ﷺ أحكام العدل الإسلامي . والسنة النبوية والسيرة النبوية مليئتان بالنماذج ، لعل من أشهرها قصة المرأة المخزومية التي سرقت ، فأقام عليها رسول الله ﷺ الحدّ ، وحدد ﷺ منهج العدل والمساواة أمام أحكام الله لجميع الناس بقوله : « وأيمُ الله ، لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها »[4].

---

(١) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ١٤١٢هـ ، ج٤ ، ص٣٢١-٣٢٢ .
(٢) سورة المائدة : الآية (٨) .
(٣) الطبري ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٤٨٢ .
(٤) سبق تخريجه في المبحث الثاني من هذا الفصل .

ولقد جربت البشرية ردحاً من الزمن العدلَ الإسلامي ، فعاشت في كنفه تستظل بشريعة الإسلام ، فكانت هذه الشريعة وما زالت دوحة فيحاء تعبق بشذى العدل والأمن والأمان ، الذي افتقدته المجتمعات التي حادت عن منهج الله وحاربت شريعته ، واستبدلت بذلك العدل الرباني المنهج الوضعي ، فانتشر الظلم ، وعمّ الطغيان ، وكثُر المقهورون والمحرومون والجوعى والمرضى .

يقول الميداني :

" انشطرت الأنظمة الوضعية البشرية بالنسبة إلى موضع الحكم والإدارة إلى شطرين ، هما :

الديكتاتوريات ، والديمقراطيات .

أما الديكتاتوريات ، فهي قائمة على استبداد فرد له أنصاره ذوو قوة ظاهرة ، أو استبداد عصابة أو حزب بإدارة الشعب والتصرف بكلّ شؤونه ومقدراته المالية والمعنوية .

أما الديمقراطيات ، فهي قائمة على مبدأ حكم الشعب بالشعب وإلى الشعب ، ولكن لا يصل إلى سدة الحكم فيها إلا أصحاب الاجتماع بقوة حزبية ، أو بذل مالي لذوي أصوات انتخابية تتساوى فيها أصوات الفسّاق والفجرة والمجرمين وأصحاب الأهواء والذين لا علم لهم ، مع أصوات صفوة الشعب علماً وعقلاً ورشداً أو استقامة وعدالة . وتنتهي في واقع الأمر إلى ديكتاتورية مقنعة بقناع الديمقراطية ، وربما تنتهي إلى فوضى واضطرابات "(١).

ولا شك أن سبب هذه الاضطرابات والفوضى هو انكشاف حقيقة الشعارات الانتخابية أنها مجرد وعود معسولة ، ووسيلة لجمع الأصوات . لذلك لا غرابة أن ينقلب الولاء إلى عداء وإلى اتّهامات بالفساد ... وعدم الأهلية والقدرة للحكم ... والشواهد كثيرة ، ولعل من آخرها ما شهده العالم من اتّهامات متبادلة بين المرشحَين الأمريكيين : (جورج بوش - الابن -) ، والمرشح الآخر (آل جور) ، وما صاحبَ هذه الانتخابات من اتّهامات لبعضهما البعض ، والتشكيك في كفاءة كل واحد منهما ، واتّهام بالتلاعب بالأصوات ، لدرجة أحرجت سمعة الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) الميداني ، " الوسطية في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٤٦-٤٧ .

صانعة النظام العالمي الجديد ، والقائد السياسي القوي لظاهرة العولمة ، لدرجة أن هناك من ينسب العولمة إلى أنها مشروع أمركة العالم . فإذا كان هذا حال العدل في دولة تريد قيادة العالم وتحلم بصنع حضارة تخلد اسمها ، فكيف يكون حال دول الأطراف إذا تنمطت - برغبة أو برهبة - بنمط الديمقراطية في الحكم ؟. لا شكّ أن عدوى الفوضى ستنتقل إليها ، والإحباطات ستكون أشدّ ، وتتعمق الآلام وتضيع ، بل وتتبخر الآمال ، وتزداد الفجوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهو أمر لم يكن يوماً في قاموس العدل الإسلامي .

رابعاً : عالمية الاقتصاد الإسلامي :

المال ركن من أركان استقرار الحياة النفسية والاجتماعية والأخلاقية لدى الإنسان ، وهو من المسائل العظيمة التي أخذت حيزاً مناسباً لثقلها في الفقه الإسلامي .

يقول ناصر العمر : " قضية المال من القضايا الكبرى التي عني بها الإسلام كسباً وحفظاً وإنفاقاً ، وذلك أن المال عصب الحياة ، وهو بالنسبة للحياة الدنيا كالماء الذي يمشي في غصون الشجر ، وكالدماء التي تجري في عروق البشر "[١].

ونظراً لهذه المنزلة التي يتسنمها المال من شعور الإنسان ومن واقعه ، فقد تباينت مواقف الناس حيال هذا العنصر الحيوي والمركوز حبه في فطرة الإنسان منذ الأزل ، فقد قال تعالى - مُخبراً عن ذلك - : { **وَتُحِبُّونَ المَالَ حَبّاً جَمّاً** }[٢].

ومِمّا قال العمر موضّحاً اختلاف مواقف الناس من المال : " ولقد سلكَ الناس - ولا يزالون - مسالكَ شتى في هذا المال كسباً وجمعاً وإنفاقاً . والكثرة الكاثرة والغالبية العظمى ضلّوا الطريق ، وحادوا عن السبيل "[٣].

ويزيد الأمر وضوحاً عبد الرحمن الميداني ، حيث يشير إلى أن الاختلاف في وجهات النظر الاقتصادية أدّت إلى قيام الأنظمة الاقتصادية المعاصرة التي لا يكاد يخلو منها أو ينجو منها مجتمع من مجتمعات

---

(١) العمر ، مرجع سابق ، ص٢٢٨ .
(٢) سورة الفجر : الآية (٢٠) .
(٣) العمر ، مرجع سابق ، ص٢٢٨ .

الأرض اليوم ، فيقول : " ففريق من الناس أسرفوا في منح الأفراد حرية كسب المال ، ولو بوسائل استغلالية ضارّة بالمجتمع ، كالربا ، والاحتكار ، والمضاربات الظالمة ، والأرباح الفاحشة .. ونجمَ عن ذلك ظلم اجتماعي عظيم ، وفوارق طبقية شنيعة "[١].

ونشأ عن ذلك ظهور وبروز الأنظمة الاقتصادية الرأسمالية التي تقود وتتزعّم ظاهرة العولمة ، وتنسج فكرها ، وتنشر ثقافتها بدافع اقتصادي بحت يعلي من شأن المال ، ولو أدى ذلك إلى أن يبيع الإنسان ما لا يباع من الأعراض والذمم ، أو بشراء ما لا يُشترى . من ذلك كله فالمال في النظام الليبرالي الرأسمالي غاية وليس وسيلة . ومن أجل الوصول إلى تلك الغاية ، فإن الرأسمالية تطلق للفرد العنان في اختيار الوسيلة التي تحقق له تلك الغاية . فالنظام الاقتصادي الرأسمالي يرى أنه لا تثريب على الإنسان إن سرق ، بحجة الوصول إلى المال ، ولا تثريب عليه إذا زوّر ، ولا إنكار عليه إن تاجر في الجنس أو في المخدرات ... طالما أنه يريد الحصول على المال . ولا مانع من التغرير بالمستهلك من أجل استنزاف أمواله عبر الإعلان المضلل والصورة المغرية .

والنتيجة التي سوف تنتهي إليها البشرية في ظل هذا النظام الاقتصادي الليبرالي الرأسمالي الحرّ ، والذي تقيمه أو ترغب في تعميمه ظاهرة العولمة والمسيّرون لها ، لا شكّ أن النهاية هي إقامة مجتمع الخمس ، حيث يتمتع خمس سكان الأرض بحياة كريمة ، وأربعة أخماس يعيشون تحت خطّ الفقر .

أما الفريق الثاني ، وإن كان قد سقط وانسحب من الساحة الاقتصادية بعد أن أثبت الواقع فشله ، ونبذته النفوس البشرية ؛ لأنّه صادم فطرتها الاقتصادية ، هو النظام الشيوعي الاشتراكي .

يقول الميداني : " وفريق من الناس سلبوا الأفراد حقّ الملكية الفردية والكسب لأنفسهم . ونجمَ عن ذلك ظلم اجتماعي كبير ، وانهيار اقتصادي خطير "[٢].

فهذا النظام جاء على النقيض من سابقه ، حيث ضيّق على الفرد حتى في حوائجه الخاصة به ، وصادر الحريات ، فكانت النهاية المتوقعة تفكك

---

(١) الميداني ، " الوسطية في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٤٠ .
(٢) الميداني ، المرجع السابق ، ص٤٠ .

لمنظومة هذا النظام الاقتصادي الذي كان يتربع على ما يقارب نصف الكرة الأرضية ، وإذا به بين لحظة وأخرى ينفرط من منظومته ، ولكنه لجأ إلى عدوّه اللدود فارتمى في أحضان الرأسمالية ؛ ليحترق ويُصطلى بنيرانها كما اصطلى واحترق بنيران الشيوعية والاشتراكية الاقتصادية في ظلّ الاتّحاد السوفييتي البائد .

ومما يجدر ذِكره هنا ، أن سقوط النظام الشيوعي وانهياره إنما حصل في جانب النظام الاقتصادي فقط . وأما الجوانب الثقافية والأخلاقية والفكرية ، فما زالت كما هي تتبنى الفكر الشيوعي الإلحادي . وستدخل بتراثها الثقافي والفكري في المنظومة الرأسمالية أو الليبرالية - الحرّ - ، فالرأسمالية لديها القدرة على استيعاب هذا التراث والورث الشيوعي طالما أنه لا يمسّ الجانب الاقتصادي .

ويأتي المنهج الإسلامي المتميز ليقف بين هذين الطرفين ؛ ليكون هو المنهج الصواب ، والمرجع الذي ستأوي إليه البشرية إن عاجلاً أو آجلاً ولو على كُره ومضض ، ولكنها ستكتشف أنها كانت تحرق نفسها بفعل الانغماس إلى الأخماص في النظام الرأسمالي الجشع ، الذي يريد أن يسلّع كل شيء ، ويرغب في أن يرضخ كل شيء لمنطق حبّ المال ولمنطق المنفعة على حساب الأخلاق والمثل والمبادئ ، بل على حساب الدين كله .

والإسلام إنما يمتلك هذه الميزة البارزة ؛ لكونه جاء بنظام اقتصادي لم يصادر فيه حقّ النفوس البشرية في التملك ، بل أقرّ واعترف بحقّ الإنسان في التملك في العديد من الآيات والأحاديث . وبالمقابل أيضاً ، لم يطلق حرية امتلاك هذا المال بأيّ وسيلة ، بل نظّم ورغّب وهذّب وشذب وأحلّ وحرّم ، حتى استقرّ نظام الإسلام الاقتصادي على قمة النظم الاقتصادية قديماً وحديثاً ؛ لأنّه نظام يحقق للنفوس رغباتها ، ويزكيها عن الإفراط في ذلك .

يقول ناصر العمر : " فالإسلام لا يحرّم جمع المال ، ولا ينهى عن ذلك ، وإنما الأمر المنهي عنه هو الغلوّ في حبّه وتقديسه ، والتوسط في ذلك هو المشروع . كما أنّ الإسلام يبين الخطوط العريضة والمنطلقات الشرعية في كسب المال وتحصيله . إذاً ، فكسب المال مشروع ، ولكن

ليس كل طريق يؤدي إلى ذلك جائز ومحمود "[١].

فمبدأ الإسلام في هذا الجانب واضح ومشهور تشهد به العديد من الآيات الكريمة ، ومنها قوله تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً }[٢].

فالمال في حسّ المؤمن وواقعه وسيلة وليس غاية ، ومحاسَب عليه كسباً وإنفاقاً .

خامساً : عالمية الإسلام في اكتساب التعليم والتربية :

الإسلام دين العِلْم ومنبع العلماء ، فمن أول آية كريمة نزلت أشارت إلى أن العِلْم هو خصيصة هذا الدين . يقول تعالى : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }[٣].

إنّ المتأمل والناظر في فحوى هذه الآيات يلمح فيها أنها تمثل إعلان شيء من مبادئ الإسلام ، حيث إنه دين يقوم على العِلْم ، ويقتضي ذلك أنه دين ضدّ الجهل وضدّ الخرافة والشعوذة ...

وقد انقسم الناس في أسلوب الحصول على المعرفة إلى أحزاب وشعوب ومذاهب شتى .

يقول الميداني :

" فمن الناس مَن يقتصر على اعتماد أدلة العقل ، نابذاً أدلة الحسّ والخبر الصادق ، ومنه الوحي الصادق ... ومن الناس من يقتصر على أدلة الحسّ ، نابذاً ما سواها من براهين العقل والخبر الصادق ، ومنه الوحي ... ومن الناس مَن يكتفي بالتقليد الأعمى للآباء والأجداد وأئمة المذاهب الوضعية دون مستند من أدلة العقل أو أدلة الحسّ أو أدلة الخبر الصادق ، ومنه الوحي ... ومن الناس مَن يعتمد على الظنون الضعيفة والأوهام والرؤى الفكرية الناقصة التي لا تقوى على إثبات حقّ أو إبطال باطل ، ويعرض عن البراهين العقلية والحسية

---

(١) العمر ، مرجع سابق ، ص٣٣٥ .
(٢) سورة الفرقان : الآية (٦٧) .
(٣) سورة العلق : الآيات (١-٥) .

والخبرية ... ومن الناس من يتبع الشهوات ، فيجعلها مستنداً لرفض ما تقوم عليه أدلة صحيحة قوية ، مع أنّ الشبهات التي اتّبعها لا تملك دليلاً صحيحاً أو دليلاً ظنياً يعطيها رجحاناً - ما - . ومن الناس مَن يهزأ بأدلة العقل وأخبار الوحي ، ويتبع أوهام السحَرة وقارئي الأكفّ والعابثين بأصابعهم والمتخيلين ... وبين مسالك الناس في كل مستندات مذاهبهم الباطلة تبرز أصول اكتساب المعرفة في الإسلام الذي يعتمد في اليقينيات على براهين العقل التي تفيد النتائج القطعية وعلى إدراكات الحسّ التي تفيد المعرفة القطعية وعلى الأخبار الصادقة المتواترة التي تفيد علماً قطعياً وعلى الوحي .

ويعتمد في الظنيات على الأدلة المقبولة بالظنّ الراجح من العقل والحسّ والخبر الصادق . ويرفض الإسلام التقليد الأعمى والظنون الضعيفة ، ويرفض الأوهام والخرافات والخزعبلات وألاعيب المشعوذين "[١].

أما في مجال التربية ، فللناس حولها آراء ومشارب .

يقول الميداني :

" يرى فريق من المشتغلين بالتربية أنّ الإنسان يولد مزوّداً بخصائص فطرية ذات ظواهر سلوكية لا يملك المربّون تعديل شيء منها ، ويكون دورهم قاصراً على تنميتها وحسن الاستفادة منها . ويرى فريق آخر أن الإنسان يولد قابلاً لتشكيله بالصورة التي يريدها المربّون بمثابة صفحة بيضاء قابلة لأنْ يَكتب الكاتب عليها ما يشاء . وقد أسرف كِلا الفريقين فيما اتّجه إليه .

أما التربية الإسلامية فذات منهج وسط حكيم ، إذ تدلّ النصوص على أن الإنسان يُطبع على الخلال كلها ، إلا الكذب والخيانة . ودلّت على أن الإنسان قابل لأنْ يكتسب بالتربية أو من البيئة الاجتماعية صِفات نفسية وسلوكية كثيرة . وكلّف الإسلامُ المربين أن يتخذوا الوسائل التربوية للتقويم والإصلاح والتنمية ، وهذا يدلّ على قابلية الناس للاكتساب التربوي في

---

(١) الميداني ، " الوسطية في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص١٥ ، ١٧ .

كل الصفات النفسية والسلوكية ضمن حدود الاستعداد الفطري لكلّ منهم "[1].

والإسلام بهذا المنهج قد زوّد الإنسان بآلية العِلْم ، وأنزل إليه المصدر العلمي الموثوق ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأمره بالتعلّم والعلم واكتساب كل ذلك من بيئته التي يعيش فيها ، ولكنه مع ذلك محاسَب ومسؤول عما بدرَ منه ، وعما عمل .

والمربي ترك له الإسلام مساحةً يبدع فيها ويُنشئ جيلاً عالِماً عاملاً مؤمناً . وهذا منهج متميز بين مناهج التربويات العالمية .

❒ ❒ ❒

(١) الميداني ، المرجع السابق ، ص٦٢ ، ٦٣ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات ، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، وإماماً للمتقين ؛ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد :

فهذه خاتمة لدراسة - متواضعة حقاً - عن موضوع بالغ الأهمية ، بل هو حديث الساعة ، وهو ظاهرة العولمة ، والتي كثُر الحديث عنها في كل مجال وبكل وسائل الإعلام ووسائط الاتصال . وقد بدأ الباحث دراسته هذه على النحو التالي :

الفصل الأول : الإطار النظري :

استعرض الباحث في هذا الفصل بعضاً من مبررات الدراسة ، وكذلك الدوافع التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع .

كما تعرّضَ الباحث في هذا الفصل لعدد من الآراء والتعاريف التي وردت حول مفهوم العولمة ، كما حاول الباحث أن يصل إلى بعض المميزات التي تميزت بها هذه الظاهرة المعاصرة عن المحاولات السابقة الشبيهة لها . وكذلك الأسئلة التي شكلت لاحقاً هيكل الدراسة .

كما تطرّق الباحث إلى بعض الدراسات السابقة عن دراسته . كما حدّد الباحث المنهج العلمي الذي اختاره ، والذي يراه مناسباً لمثل هذه الدراسة . كما تعرّض الباحث بشيء من التحليل اللغوي والاصطلاحي لمصطلحات الدراسة . ثم عرَضَ الباحث مفردات دراسته مقسّمة على فصول الدراسة .

الفصل الثاني : مفهوم العولمة :

في هذا الفصل استعرض الباحث عدداً من المباحث ، منها :

١- المبحث المتعلق بتعاريف العولمة لغةً واصطلاحاً ، ومترادفات العولمة اللغوية والاصطلاحية ، وحاولَ الباحث تحرير معنى كل مصطلح لغوي أو فني ، كما حاول الباحث التجسير بين المعاني اللغوية والاصطلاحية من أجل تجلية حقيقة هذا المفهوم . والذي يراه الباحث ، أن العولمة مشروع حضاري غربي منحاز للأمركة ، يهدف إلى توحيد الأنماط الحياتية في كل مجال بنمط

واحد يتّجه نحو الأخذ بالنموذج الذي يستطيع أن يفرض نفسه ، والذي ظهر للباحث أنه يتمثل في النموذج الأمريكي .

٢- أما المبحث الذي يليه فهو عن مرتكزات العولمة . وقد اختار الباحث أهمّ المرتكزات التي تمثل دعائم تقوم عليها ظاهرة العولمة ، وهذه المرتكزات - كما يرى الباحث - توجد في الاقتصاد بوجهه الرأسمالي الليبرالي ، وثانياً التقنية بشقّيها الإعلامي أو المعلوماتي ، وثالثاً الثقافة ، حيث يتجسد فيها المحصلة النهائية لظاهرة العولمة ، حيث تجلّى للباحث بعد دراسة هذه المرتكزات الثلاث ، أن الاقتصاد الرأسمالي هو المحرك الفعلي لظاهرة العولمة ، ويقوده ملاّك الشركات الكوكبية الذين يطمحون إلى فتح أسواق العالم ، والوصول إلى كل مستهلك ، وتسليع كل شيء .

كما خلُص الباحث إلى أن التقنية بكلّ أشكالها ووسائطها هي الناقل والمجسّد لفكر وواقع العولمة ، عبر أساليب الإقناع تارة ، أو الإغواء والتضليل تارةً أخرى .

كما خلُص الباحث إلى أن العولمة إنما تستهدف الثقافة ؛ لأنّه متى ما تَمّ عولمة الثقافة وبثّ ثقافة العولمة ، فقد تحقق بالفعل تجسيد الظاهرة وتحقيق طموحها الساعي إلى رؤية العالم يتّجه نحو تقمص قيد ثقافي متجانس ، يرمز لثقافة صنّاع العولمة .

٣- أما المبحث الذي يليه فهو عن آليات العولمة . ففي هذا المبحث حاولَ الباحث أن يتعرف على القوى الفاعلة في ظاهرة العولمة ، والمتمثلة في بعض المنظمات الدولية والشركات الكونية ، والتي يرى الباحث أنها وراء ظاهرة العولمة ، وأذرعها التي لا تُلوى ، فعن طريق هذه المنظمات - السياسية منها أو الاقتصادية أو الثقافية - يتمّ فرض منطق العولمة على كافة الدول ، ومَن لا يستجيب من هذه الدول ، فإنه سوف يكون عُرضة للمساءلة ، بل وفرض الرسوم الجزائية ، بمثل الحصار الاقتصادي والعزل السياسي .. أو غير ذلك من أساليب السيطرة التي تتمتع بها هذه القوى ، والمتمثلة في منظمة التجارة العالمية ، التي تمثل بيت الاقتصاد العالمي في ظاهرة العولمة ، أو صندوق النقد الدولي ،

أو أصحاب الاستثمارات الأجنبية ملاّك الشركات العملاقة .

الفصل الثالث : التحديات الثقافية للعولمة :

١- مبحث : مفهوم الثقافة . في هذا المبحث تحدّثَ الباحث عن بعض التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الثقافة قديماً وحديثاً ، ولدى مختلف الشرائح الاجتماعية . وتوصّل إلى أن الثقافة تعني التهذيب والتنميط .

كما حاول الباحث أن يصل إلى نتيجة أنّ ثقافة العولمة ما هي إلا اختراق للثقافات الأخرى عبر منافذ متعددة تؤدي في نهاية المطاف إلى تهميش وإقصاء كلّ صور الثقافات الأخرى - بل ربما سَحْقها وتدميرها - لمصلحة الثقافة الغالبة والمتجهة غالباً نحو الأمركة .

٢- مبحث : الثقافة والتكنولوجيا في عصر العولمة . تحت هذا المبحث حاولَ الباحث إلقاء الضوء على الدور الكبير الذي لعبته التقنيات الحديثة ، ومنها على وجه التحديد : وسائل الإعلام بعمومها ، مضافاً إليها وسائط الاتصال - المعلوماتية - في ضخّ الثقافة المرغوب فيها .

ولاحظَ الباحث أن استحواذ الغرب - وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية - على هذه المنجزات ؛ صناعةً وإنتاجاً ، استغلّ من أجل بثّ ثقافة الغرب ، وبالذات ذات الصبغة الأمريكية ، من أجل تجسيد واقع العولمة الثقافي عبر منافذ الإعلام ووسائط الاتصال .

ويقترح الباحث هنا أن تسارع الدول الإسلامية إلى إيجاد هياكل إعلامية متميزة ونافذة وقوية ، واستخدام كل وسائل ووسائط التقنية الحديثة ذات مضامين إعلامية ومعلوماتية إسلامية من أجل الوقوف في وجه التحديات الثقافية الوافدة .

كما لاحظَ الباحث أنّ الانسحاب الإسلامي من الساحة الإعلامية يعطي مساحة للآخر ولثقافته الغربية أن تحتلّ وتشغل هذا الفراغ ؛ لذلك يقترح الباحث بأن تملأ الساحة الإعلامية بمضامين إعلامية إسلامية وقائية ودعوية وتثقيفية ، كما يقترح

الباحث أن تقوم مؤسسات إعلام إسلامية ببثّ دعوة الإسلام وثقافة الإسلام ومميزات الإسلام إلى العالم الغربي والشرقي ، وذلك بإنشاء قنوات إسلامية تستخدم لغات مختلفة ، وبالذات منها اللغات الأوروبية وغيرها ، حتى لا يكون الإعلام العربي لغة كمن يخاطب نفسه ، والآخر لا يعلم شيئاً عما يقول هذا .

٣- مبحث : قنوات العولمة الثقافية . حاولَ الباحث معرفة السُّبل والطرق التي تتخذ باسم المؤتمرات والندوات ، وتستظلّ تحت سقف بعض المنظمات العالمية الكبرى ، والتي يتمّ خلالها رسم الصورة النظرية لظاهرة العولمة ؛ لتتولى بعد ذلك آليات العولمة التي سبق الحديث عنها مهمّة التنفيذ لما صدر عن هذه المؤتمرات التي تُعقد تحت مسميات مختلفة الهدف ، منها : اختراق الثقافات الخاصة ، وفكّ الثوابت الراسخة ، ومِن ثَمّ إعادة صياغة ذلك صياغةً تخدم منطق العولمة الداعي إلى التوحّد والتجانس والتسويق لكلّ شيء ، من غير وجود حواجز شرعية أو أخلاقية أو حدود سياسية أو جغرافية ، أو أنظمة جمركية ...

وهنا يقترح الباحث أن تعقد مؤتمرات إسلامية فاعلة ومؤثرة ، لاسيما وأنّ العالم الإسلامي بأعداده الهائلة ، وبإمكاناته الاقتصادية ، وبموقعه الجغرافي ، يستطيع أن يؤثر في مجريات الأحداث الدولية متى ما خلصت النوايا وصلح العمل . وأن تستغلّ هذه القنوات الثقافية من مؤتمرات ولقاءات وندوات عالمية من أجل إسماع الآخرين صوت الإسلام بجرأة وفاعلية ، وعرض النموذج الإسلامي بشموله عرضاً يبرز محاسنه وخصائصه ومدى حاجة البشرية إليه ، وذلك من باب الإعذار والإنذار ، امتثالاً لقول الحقّ جلّ وعلا : { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }(١) .

٤- مبحث : اختزال بعض القيم الثقافية في عصر العولمة . في هذا المبحث حاولَ الباحث - وعلى قدر علمه ومدى استطاعته - كشف النقاب عن الجذور النفسية والعقدية الغربية ، بحكم أنّ

---

(١) سورة الأعراف : الآية (١٦٤) .

الغرب هو قائد ظاهرة العولمة ، بل وصانع ثقافتها . وخلُص الباحث إلى أنّ العولمة يُشمّ من بعض تطبيقاتها الفكرية والعقدية إعلاء وتعظيم للعنصر الآري - الغربي - ، بحجة أن هذا العنصر محمّل بجميع الفضائل والخصائص الصالحة لبني البشر . وهي دعوة عنصرية لا غبار عليها ولا شاهد لها ؛ لا من شرع ولا من عقل ، بل إنّ الواقع يكشف حقيقة هذا التزييف والتضليل المخبوء تحت هذه الشعارات .

كما أنّ صوَر الاختزالات التي تحدث في عصر العولمة هو اختزال مصادر المعرفة في الجانب المادّي فقط . ولا شكّ أنّ لهذا الإجراء الاختزالي عواقب وخيمة ، إذ أنه يمثل بالنسبة للمسلمين إلغاءً لعالم الغيب بكلّ مكوناته . والغرب يفعل ذلك بحجة أنّ هذه الأمور الغيبية لم تثبت مخبرياً ، أو لم تخرج مؤيدة بحكم الآلة . ولا شكّ أنّ في هذا ظلم ، ليس للمسلمين فقط ، بل لكلّ البشرية ، حين تحرمها العولمة من مصادر أخرى للعلم ، كالوحي المعصوم - من قرآن وسنّة - الذي يربط الإنسان بخالقه وما لَهُ وما عليه وأين مآله عاجلاً وآجلاً ، بناءً على قربه أو بُعده عن منهج الله المستقيم .

ومن صوَر الاختزال التي يمارسها الغرب ويحاول بثّها عبر ظاهرة العولمة ؛ هو الاختزال الديني بمعنى محاصرة الدين في ركن الشعائر التعبدية باسم العلمانية اللادينية ، وهي دعوة كفرية هادمة لبنيان الدين ، وتفريغ للدين من رسالته الداعية إلى بناء الحياة البشرية في ضوء الدين الإسلامي . ولا شكّ أنّ هذا الإجراء العلماني - والذي تتبناه العولمة - سيكون له آثار سلبية على الواقع السلوكي ، بل وسيكون له آثار سلبية أخرى على نفسية الإنسان حين تتصادم تعاليم الدين مع الواقع الممارس ، مما يسبب المزيد من القلق النفسي والتوتّر العصبي الذي تعاني منه البشرية اليوم بسبب انفصال المثال عن التطبيق .

٥- مبحث : المشترك الثقافي . حاولَ الباحث إلقاء الضوء على أنّ هناك عناصر ثقافية مشتركة بين بني البشر . وقد حاولَ الباحثُ إبراز رؤية الغرب لهذه المفاهيم . ومن أبرز العناصر في هذا المشترك الثقافي - حسب اختيار الباحث - هي :

١/ النظرة إلى الدين : حيث تحاول قوى العولمة صياغة دين عالمي جديد ملفق تلفيقاً عجيباً تحت مسمى : وحدة الأديان ، أو الثقافة الإبراهيمية التي تهدف إلى تمييع الإسلام .

٢/ النظرة إلى الإنسان : وخلُص الباحث إلى أن الغرب - قائد ظاهرة العولمة - ينظر إلى الإنسان أنه مخلوق في حالة صراع دائم مع الإله الذي خلقه ، أو أنه مخلوق حيواني شهواني متمرّد ثائر ومحطم لكلّ شرع وخُلق وفضيلة .

٣/ الحرية : تمثل الحرية غاية العولمة ، وهي تعني إطلاق سيل من الحريات أمام البشر دون ضوابط شرعية ، أو التزامات أخلاقية ، إلا ما تقتضيه المصلحة والمنفعة الاقتصادية . وهذا هو لبّ دعوة العولمة .

٦- مبحث : الثقافة والهوية الخصوصية في عصر العولمة . تحت هذا المبحث حاولَ الباحث الحديث عن أهمية الهوية في الحفاظ على كينونة الأمّة وتواجدها وإبراز ثقافتها . ومما خلُص الباحث إليه ، هو أنّ الهوية الإسلامية معرّضة في عصر العولمة لمحاولات الاختراق والتذويب ، وذلك عبر بعض المناشط التغريبية الثقافية المختلفة ، خاصة في ظلّ عدم وجود خطوط دفاعية ثقافية إسلامية ، سواء كانت إعلامية أو مؤسسات تربوية وتوعية جادّة .

ويقترح الباحث أن تقوم التربية الإسلامية - وعبر كلّ مؤسساتها داخل المدرسة أو خارجها - بدورها المنوط بها من أجل حماية الهوية الإسلامية من التلاشي والانسحاق ، وتعريف المسلمين بكلّ مستوياتهم بخطورة التبعية الثقافية للغرب ، وتحصين المسلمين أفراداً وجماعات وعبر كل الوسائل والوسائط التثقيفية والتربوية ضدّ مخاطر العولمة ، مع الأخذ في

الاعتبار من إمكانية الاستفادة من بعض منجزات العولمة بما يخدم مصالح المسلمين ، ويحقق نصرة الإسلام ، ويقدّم خيراً للإنسانية جمعاء .

الفصل الرابع : دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة الثقافية :

تضمن الحديث في هذا الفصل تسعة مباحث على النحو التالي :

١- **المبحث الأول :** طبيعة البيئة المدرسية في عصر العولمة . في هذا المبحث حاول الباحث أن يوضح مدى التغيرات التي ستلحق ببعض المحاور المدرسية ، ومن ذلك : (رسالة المدرسة ، ودور المعلم والمناهج الدراسية ، والإدارة ...) ، محاولاً ربط ذلك كله بظاهرة العولمة من حيث الاعتماد على التقنية بشكلٍ أكبر ، وما له من تداعيات اجتماعية وأخلاقية ... ونوعية الخريج الذي لا بدّ أن يمتلك مؤهلات مقبولة لدى أصحاب الشركات . والمنهج المدرسي من حيث مفرداته التي يجب أن تتسم بالتجانس والتقارب مع سائر المناهج العالمية ، حتى تتمكن التربية والمدرسة في المساهمة بدور فعّال في توحيد الآراء والأذواق ، بما يخدم صنّاع العولمة .

٢- **المبحث الثاني :** تفعيل دور الأسرة المسلمة . حاولَ الباحث هنا إبراز دور الأسرة المسلمة بالمفهوم الإسلامي ، وضرورة الوعي بذلك ؛ لحماية الأسرة من الاستلاب الفكري الغربي الوافد تحت ستار العولمة ، والهادف إلى تفكيك عرى الأسرة ، وتكوين أسَر غريبة عن الثقافة والبيئة الإسلامية بقيمها وعاداتها وأنماط حياتها .

٣- **المبحث الثالث :** الأخذ بمبدأ استمرارية التعليم . حاولَ الباحث إلقاء الضوء على هذا المبدأ في كونه مبدءاً تعليمياً وتربوياً إسلامياً ، وهو من ضروريات عصر العولمة المتسم بالانفجار المعلوماتي ، مما يعني - حسب رأي الباحث - ضرورة أن تأخذ التربية بمهمة تفعيل هذا المبدأ ؛ لتتواكب مع النظم التربوية الأخرى .

٤- **المبحث الرابع :** الأخذ بمبدأ التعليم التعاوني . وقد حاولَ الباحث أن يبرز ضرورة أن يعتاد الطالب في ظلّ الأخذ بهذا المبدأ على البذل والتضحية والإيثار ؛ ليحتمي - بإذن الله - من مغبة الانفرادية والأنانية النفعية التي ترغب تربية العولمة في تكريسها في ذهن الطالب وسلوكه ؛ ليخرج لا يفكر إلا في ذاته فقط .

٥- **المبحث الخامس :** الأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي . حاولَ الباحث في هذا المبحث إلقاء الضوء على أهمية التراحم والتآخي بين المسلمين ، والتكامل والتكافل ، مما يساهم في حماية المجتمع المسلم من مغبة التكتلات الاقتصادية والسياسية ... التي تصنعها العولمة . ويوصي الباحث بضرورة السعي الإسلامي لإقامة تكتّلات اقتصادية وسياسية وثقافية وعسكرية إسلامية لفكّ الهيمنة الغربية ، أو تخفيض الضغط الوافد من هذه التكتلات الغربية ضدّ المسلمين .

٦- **المبحث السادس :** إعداد الطالب لسوق العمل . يهدف الباحث من وراء هذا المبحث أن تكون التربية الإسلامية في كل المؤسسات التربوية واعية بحاجة المجتمع ومتطلبات السوق ، حتى يجد الخريج له فرصة عمل تحميه من مغبة البطالة .

٧- **المبحث السابع :** ترشيد وسائل الإعلام . حاولَ الباحث في هذا المبحث إبراز أهمية الإعلام في عصر العولمة ، وأنه من أذرعها التي لا تلوى ولا تلين ، وخطورة أن ينسحب المسلمون من الساحة الإعلامية ، لتصبح خلواً لأهل الباطل .

وخلُص الباحث إلى ضرورة أن يكون الإعلام وسيلة توجيه وإرشاد وتوعية بدلاً من أن يكون كما هو الحال عليه في كثير من القنوات التي أصبحت وسيلة ابتزاز وتضليل ، بل وترويع ، مما يعني ضرورة أن يكون هناك إعلام إسلامي فاعل يحترم أذواق المتلقين وعقلياتهم ، ويحافظ على ثقافة المسلمين ، ويدافع عن قضاياهم بدلاً من أن يكون إعلاماً تابعاً مردّداً لِما يريده الغرب ، والأمريكان منهم على وجه الخصوص .

٨- **المبحث الثامن :** المحافظة على الهوية الإسلامية . حاولَ الباحث أن يلفت النظر إلى أن الهوية الإسلامية مستهدفة بالذوبان في

عصر العولمة ؛ لأنّها تقف من العولمة موقف الناقد لها ، ولِما تقذفه ثقافة العولمة من سموم ، تحدث ثقوباً وتشوّهات في بناء الأمّة المسلمة ، مما يعني أنّ على التربية الإسلامية ضرورة الوعي بالمخاطر التي تحيط بالهوية الإسلامية في عصر العولمة .

٩- **المبحث التاسع :** إبراز عالمية الإسلام . حاولَ الباحث أن يصل إلى أنّ على التربية الإسلامية واجب إبراز خصائص رسالة الإسلام ، وأنه دين عالمي صالح لكلّ البشر ولكل زمان ومكان ؛ لأنّه إرادة الله . ومَن رغِب عن ذلك فهو من الخاسرين دنيا وآخرة ؛ لأنّه إنما يخسر النموذج الصحيح للإنسان الصالح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ..

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا

محمد المبعوث رحمةً للعالمين ..

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

فهرس الأحاديث والآثار .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

۞ ۞ ۞

فهـرس الأحاديث والآثـار

طـــرف الحـــديث	ص

(الهمزة)

(التاء)

طـــرف الحـــديث	ص

(اللام)

(الميم)

طـرف الحـديث	ص

(النون)

(الهاء)

(الواو)

(الياء)

❁ ❁ ❁

قائمة المصادر والمراجع

(أ) القـرآن الكريم وعلومه :

- **القـرآن الكريـم .**

١- ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي ، (١٤٠٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ .

٢- ابن كثير : إسماعيل ، (١٤١٣هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، الرياض ، دار السلام ، دمشق ، دار الفيحاء ، ط١ .

٣- الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد ، (١٤١٢هـ) ، مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان ، دمشق ، دار القلم ، ط١ .

٤- السعدي : عبد الرحمن بن ناصر ، (١٤١٨هـ) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنـّان ، الرياض ، دار الصميعي ، الكويت ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، ط١ .

٥- السيوطي : جلال الدين ، (١٩٧٩م) ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ، ط٢ .

٦- الشوكاني : محمد بن علي ، (١٤١٢هـ) ، فتح القدير ، تحقيق : سعيد اللحام ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ .

٧- الطبري : محمد بن جرير ، (١٤١٢هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

٨- عبد الباقي : محمد فؤاد ، (١٤١٤هـ) ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت ، دار الفكر ، ط٤ .

٩- قطب : سيد ، (١٤٠٢هـ) ، في ظلال القرآن ، بيروت ، دار الشروق ، ط١٠ .

(ب) كتب الســنّة :

١٠- ابن الأثير : أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني ، (د.ت) ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، القاهرة ، دار العلم .

١١- ابن حنبل : أحمد بن محمد ، (١٤٢١هـ) ، مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، إشراف : شعيب الأرناؤوط .

١٢- ابن ماجه : محمد بن يزيد ، (١٤٢٠هـ) ، سنن ابن ماجه ، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة ، الرياض ، دار السلام ، ط١ .

١٣- أبو داود : سليمان ، (١٤٢٠هـ) ، سنن أبي داود ، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة ، الرياض ، دار السلام ، ط١ .

١٤- الألباني : محمد ناصر الدين ، (١٤٠٥هـ) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط١ .

١٥- البخاري : محمد بن إسماعيل ، (١٤٢٠هـ) ، صحيح البخاري ، موسوعة الحديث الشريف ، الرياض ، دار السلام ، ط١ .

١٦- البيهقي : أحمد بن الحسين ، (١٤٠٦هـ) ، الآداب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

١٧- الترمذي : محمد بن عيسى ، (١٤٢٠هـ) ، جامع الترمذي ، موسوعة الحديث الشريف ، الرياض ، دار السلام ، ط١ .

١٨- القشيري : مسلم بن الحجاج ، (١٤٢٠هـ) ، صحيح مسلم ، موسوعة الحديث الشريف ، الرياض ، دار السلام ، ط١ .

١٩- المنذري : عبد العظيم بن عبد القوي ، (١٣٨٨هـ) ، الترغيب والترهيب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ط .

٢٠- الهيثمي : علي بن أبي بكر ، د.ت ، مجمع الزوائد ونبع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د.ط .

المصادر والمراجع الأخرى

(أ) الكـتب :

٢١- إبراهيم : عبد الله ، (١٩٩٧م) ، المركزية الغربية إشكالية التكوين والتمركز حول الذات ، بيروت ، مركز الثقافة ، ط١ .

٢٢- الإبراهيم : موسى ، (١٤١٨هـ) ، ثقافة المسلم بين الأصالة والمعاصرة ، عمّان - الأردن ، دار عمّان ، ط٢ .

٢٣- ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، (١٤٠٦هـ) ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، جدة ، دار المدني ، د.ط .

٢٤- ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، د.ت ، مجموع الفتاوى ، جمع : عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم ، د.ك ، د.ط .

٢٥- ابن حميد : صالح ، (١٤١٢هـ) ، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ، الرياض ، دار الاستقامة ، ط١ .

٢٦- ابن خلدون : عبد الرحمن ، (١٩٧٨م) ، مقدّمة ابن خلدون ، بيروت ، دار القلم ، ط١ .

٢٧- ابن عابدين : محمد أمين ، (١٤١٥هـ) ، ردّ المحتار على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار لخاتمة المحققين ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

٢٨- ابن عبد العالي : عبد السلام ، (٢٠٠٠م) ، الفكر في عصر التقنية ، بيروت ، أفريقيا الشرق ، ط٢ .

٢٩- ابن القيم : محمد بن أبي بكر ، (١٤٠٣هـ) ، الفوائد ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

٣٠- ابن القيم : محمد بن أبي بكر ، (١٤٠٧هـ) ، تحفة المودود بأحكام المولود ، تحقيق : بشير عيون ، دمشق ، مكتبة البيان ، الطائف ، مكتبة المؤيد ، د.ط .

٣١- ابن القيم : محمد بن أبي بكر ، (١٤١٣هـ) ، شفاء العليل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ط .

٣٢- ابن القيم : محمد بن أبي بكر ، د.ت ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، القاهرة ، دار الحديث ، د.ط .

٣٣- ابن القيم : محمد بن أبي بكر ، د.ت ، مدارج السالكين ، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية ، د.ط .

٣٤- ابن كثير : إسماعيل ، (١٤٠٥هـ) ، البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ط٥ .

٣٥- ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ، د.ت ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، د.ط .

٣٦- ابن نبي : مالك ، (١٤٢٠هـ) ، مشكلة الثقافة ، بيروت ، دار الفكر ، ط٤ .

٣٧- ابن هشام : عبد الله جمال الدين يوسف ، (١٣٩٩هـ) ، أوضح

المسالك إلى ألفية ابن مالك ، د.ك ، د.ط .

٣٨- أبو راشد : عبد الله أحمد ، (١٩٩٩م) ، العولمة والنظام العالمي والشرق أوسطية ، اللاذقية ، دار الحوار ، ط١ .

٣٩- أبو رية : سوزان ، (١٩٩٩م) ، الخصخصة والبعد الاجتماعي ، سلسلة كتاب الأهرام ، عدد ١٤٢ .

٤٠- أبو زعرور : محمد سعيد ، (١٤١٩هـ) ، العولمة ، ماهيتها ونشأتها ، ط١ .

٤١- أبو زيد : بكر بن عبد الله ، (١٤١٧هـ) ، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ، الرياض ، دار العاصمة ، ط١ .

٤٢- أبو شبانة : ياسر ، (١٩٩٨م) ، النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصوّر الإسلامي ، القاهرة ، دار السلام ، ط١ .

٤٣- أبو صقر : كامل ، (٢٠٠٠م) ، العولمة التجارية والإدارية والقانونية رؤية إسلامية ، بيروت ، دار الوسام ، ط١ .

٤٤- أبو لاوي : أمين ، (١٤١٩هـ) ، مَعْلَم الثقافة الإسلامية ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط١ .

٤٥- أبو لوز : علي بن حسين ، (١٤١٨هـ) ، دعوى وحدة الأديان .

٤٦- أتشايدا : دونا وآخرون ، (١٤١٩هـ) ، إعداد الطلاب للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة السيد محمد وإبراهيم رزق ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط١ .

٤٧- أسد : محمد ، (١٩٩٧م) ، الإسلام على مفترق الطرق ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١ .

٤٨- أسعد : يوسف ميخائيل ، (١٩٩٣م) ، البشرية والمستقبل الغامض ، القاهرة ، تحفة مصر ، ط١ .

٤٩- إسماعيل : عبد سعيد ، (١٤١٦هـ) ، أزمة المديونية الأجنبية في العالَم الإسلامي ، بيروت ، دار ابن حزم ، ط١ .

٥٠- الأشقر : عمر سليمان ، (١٤١٨هـ) ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، عَمّان ، دار النفائس ، ط٦ .

٥١- أمين : جلال ، (١٩٩٩م) ، العولمة والتنمية العربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ .

٥٢- باشميل : محمد أحمد ، (١٣٨٨هـ) ، الإسلام ونظرية داروين ، د.ك ، ط٢ .
٥٣- باقارش : صالح سالم ، عبد الله علي الآنسي ، (١٤٠٦هـ) ، مشاهير الفكر التربوي عبر التاريخ ، الطائف ، دار الحارثي ، ط١ .
٥٤- البيلاوي : حازم ، (١٤٢١هـ) ، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٢٥٧ .
٥٥- بدري : محمد محمد ، (١٤١٤هـ) ، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة ، مكة المكرمة ، دار الرسالة ، ط١ .
٥٦- بدوي : أحمد زكي ، د.ت ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط١ .
٥٧- براون : جي إي ، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، أساليب الإقناع وغسيل الدماغ ، ترجمة : عبد اللطيف الخياط ، الرياض ، دار الهدى ، ط١ .
٥٨- البشر : محمد سعود ، (١٤١٥هـ) ، السقوط من الداخل - ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي ، الرياض ، دار العاصمة ، ط١ .
٥٩- بشور : معن وآخرون ، (١٩٩٩م) ، ندوة : الواقع العربي وتحدّيات قرن جديد ، عمّان ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، ط١ .
٦٠- البغدادي : الخطيب ، د.ت ، اقتضاء العلم والعمل ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي .
٦١- بكار : عبد الكريم ، (١٤٢١هـ) ، العولمة طبيعتها وسائلها تحدّياتها ، الأردن ، دار العلم ، ط١ .
٦٢- البكر : عبد المحسن وآخرون ، (١٤٢١هـ) ، الثقافة الإسلامية والعولمة ، ندوة مسجّلة ، تلفزيون المملكة العربية السعودية .
٦٣- بلقيز : عبد الإله ، (١٩٩٨م) ، في البدء كانت الثقافة ، بيروت ، دار أفريقيا الشرق ، ط١ .
٦٤- بليلة : مازن عبد الرزاق ، (١٤١٧هـ) ، من المدرسة إلى العمل ، جدة ، دار رهام ، ط١ .
٦٥- البهي : محمد ، (١٤٠١هـ) ، الإسلام في حلّ مشاكل المجتمعات الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط١ .
٦٦- بيجو فيتش : علي عزّت ، (١٩٩٤م) ، الإسلام بين الشرق والغرب

، الكويت ، دار المجتمع ، ط١ .
٦٧- توفلر : الفين ، (١٩٩٠م) ، صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد ، ترجمة : محمد علي ناصف ، القاهرة ، الجمعية المصرية ، ط٢ .
٦٨- التوم : عبد الله عثمان ، عبد الرؤوف محمد آدم ، (١٩٩٩م) ، العولمة دراسة تحليلية نقدية ، لندن ، دار الدفاق ، ط١ .
٦٩- التويجري : علي بن محمد ، (١٤١٨هـ) ، الفكر التربوي المعاصر مساحات للتفكير وفضاءات للحوار ، الرياض ، دار الإبداع ، ط١ .
٧٠- الجابري : محمد عابد وآخرون ، (١٩٩٧م) ، ندوة : وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحدّيات ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ .
٧١- جاد : الحسيني سليمان ، (١٤١٧هـ) ، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، سلسلة كتاب الأمة ، عدد ٥٣ .
٧٢- جاك : ديلور وآخرون ، (١٩٩٨م) ، التعلم ذلك الكنز الكامن ، ترجمة : جابر عبد الحميد ، القاهرة ، اللجنة الدولية للتربية للقرن الحادي والعشرين ، عن منظمة اليونسكو ، دار النهضة ، د.ط .
٧٣- الجرجاني : علي بن محمد ، (١٩٧٨م) ، كتاب التعريفات ، بيروت ، مكتبة لبنان ، د.ط .
٧٤- الجر : خليل ، (١٩٧٣م) ، المعجم العربي الحديث ، كندا ، مكتبة لاروس ، د.ط .
٧٥- الجندي : أنور ، (١٤٠٦هـ) ، ما يختلف فيه الفكر الإسلامي عن الفكر الغربي والماركسي ، مكة ، سلسلة دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي ، عدد ٥٢ .
٧٦- الجندي : أنور ، (١٩٨٠م) ، سقوط العلمانية ، دار العلم ، بيروت .
٧٧- جنسون : ديفيد وآخرون ، (١٩٩٥م) ، التعليم التعاوني ، نشر وترجمة مدارس الظهران الأهلية ، الظهران ، ط١ .
٧٨- جيدنز : أنتوني ، (٢٠٠٠م) ، عالم منفلت - كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا ، ترجمة محمد محيي الدين ، القاهرة ، دار مريت ، ط١ .
٧٩- الحاجي : محمد عمر ، (١٤٢٠هـ) ، العولمة أم عالمية الشريعة

الإسلامية ، دمشق ، دار المكتبي ، ط١ .

٨٠- حارب : سعيد ، (٢٠٠٠م) ، الثقافة والعولمة ، العين ، الإمارات العربية المتحدة ، دار الكتاب الجامعي ، ط١ .

٨١- الحازمي : حسين بن عمر ، (١٤١٧هـ) ، التعليم التعاوني ، الرياض ، مجلس القوى العاملة ، ط٣ .

٨٢- حجازي : مصطفى ، (١٩٩٨م) ، حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية ، بيروت ، ط١ .

٨٣- الحجي : أنس بن فيصل ، (١٤٢١هـ) ، العولمة والوطنية عند مالك بن نبي ، سلسلة كتاب المعرفة ، عدد ١٠ ، وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .

٨٤- حرب : علي ، (٢٠٠٠م) ، حديث النهايات وفتوحات العولمة ومأزق الهوية ، بيروت ، المركز الثقافي ، ط١ .

٨٥- حسان : محمد حسان ، (١٩٨٧م) ، الأهداف التربوية ، بحث ضمن كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي ، الأصول والمبادئ ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٨٦- الحقيل : سليمان بن عبد الرحمن ، (١٤١٤هـ) ، حقوق الإنسان في الإسلام ، الرياض ، وكالة الفرزدق .

٨٧- الحكمي : حافظ بن أحمد ، (١٤١٥هـ) ، أعلام السنّة المنشورة ، الرياض ، مكتبة المؤيد ، تحقيق : أحمد علي علوش ، ط٣ .

٨٨- الحمد : أحمد بن ناصر ، (١٤٠٩هـ) ، العقيدة نبع التربية ، مكة المكرمة ، مكتبة التراث ، ط١ .

٨٩- حمدان : نذير ، (١٤١٦هـ) ، حكمة القرآن والحضارة ، دمشق ، دار الكلم الطيب ، د.ط .

٩٠- الحمد : تركي ، (١٩٩٩م) ، الثقافة العربية في عصر العولمة ، بيروت ، دار الساقي ، ط١ .

٩١- حنفي : حسن ، صادق جلال العظم ، (١٤٢١هـ) ، ما العولمة ؟. دمشق ، دار الفكر ، ط١ .

٩٢- خان : وحيد الدين ، د.ت ، الإسلام يتحدَّى ، ترجمة : ظفر الإسلام ، بيروت ، دار البحوث العلمية ، ط٢ .

٩٣- خضر : عبد العليم ، (١٤٠٥هـ) ، أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ، منشورات رابطة العالم الإسلامي ، كتاب دعوة الحقّ .

٩٤- الخضيري : محسن أحمد ، (٢٠٠٠م) ، العولمة مقدّمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، القاهرة ، مجموعة النيل العربية ، ط١ .

٩٥- خليل : عادل محمد ، (٢٠٠٠م) ، تبسيط الجات ، سلسلة كتاب الأهرام الاقتصادي ، عدد ١٣٩ .

٩٦- الخولي : سناء ، (١٩٧٩م) ، الزواج والعلاقات الأسرية ، القاهرة ، دار العلم ، ط١ .

٩٧- دار مارك ، الأعمال الكاملة لمؤتمر جلين أير ، (١٩٧٨م) ، التنصير خطّة لغزو العالَم الإسلامي ، أمريكا .

٩٨- داريوش ، أوهام الهوية ، (١٩٩٣هـ) ، بيروت ، دار الساقي .

٩٩- الدسوقي : فاروق أحمد ، (١٤٠٦هـ) ، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، لبنان ، المكتب الإسلامي .

١٠٠- دوفسكي : ميشيل ، (٢٠٠٠م) ، عولمة الفقر ، ترجمة : محمد مستجير ، القاهرة ، مؤسسة سطور ، ط١ .

١٠١- ديفيد ؛ وآخرون ، (١٩٩٨م) ، التعليم الجماعي والفردي ، ترجمة : رفعت محمود بهجات ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط١ .

١٠٢- الديك : اسكندر ، (١٤١٣هـ) ، اليونسكو - الصراع الدولي حول الإعلام والثقافة ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، ط١ .

١٠٣- الذهبي : شمس الدين ، (١٤٠٨هـ) ، تشبه الخسيس بأهل الخميس في ردّ التشبه بالمشركين ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد ، الأردن ، ط١ .

١٠٤- الرازي : محمد بن أبي بكر ، د.ت ، مختار الصحاح ، القاهرة ، دار الحديث ، د.ط .

١٠٥- روبرتسون : رونالد ، (١٩٩٨م) ، العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١ .

١٠٦- روستون : ولتر ، (١٩٩٤م) ، أفول السيادة ، ترجمة : سمير عزّت ، عمّان ، دار النسر ، ط١ .

١٠٧- الزرقا : أحمد محمد ، (١٤١٧هـ) ، شرح القواعد الفقهية ، سوريا ، دار القلم ، د.ط .

١٠٨- زعتري : ابتسام ، (١٤١٨هـ) ، التعليم المستمرّ ... ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، رسالة ماجستير ، غير منشور .

١٠٩- الزمخشري : (جار الله) محمد بن عمر ، (١٤٠٢هـ) ، أساس البلاغة ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ط .

١١٠- الزميع : علي فهد ، (١٩٩٥م) ، الهوية الثقافية والتجديد التربوي ، بحث إلى المؤتمر التربوي الرابع والعشرون ، التجديد التربوي مشكلات الواقع وتحدّيات المستقبل ، الكويت ، جمعية المعلمين الكويتية .

١١١- الزّنيدي ، (١٩٦٦م) ، تاج العروس ، مكتبة العلم ، بيروت ، ط١ .

١١٢- الزنيدي : عبد الرحمن وآخرون ، ندوة : مستقبل الأمة التربوي في ظلّ العولمة الثقافية ، مجلة الشقائق ، عدد ٣٦ ، ذو القعدة ١٤٢١هـ .

١١٣- السامرائي : نعمان عبد الرزاق ، (٢٠٠٠م) ، دراسة في المعرفة ، لندن ، دار الحِكمة ، ط١ .

١١٤- السماك : محمد ، (١٤١١هـ) ، تبعية الإعلام الحرّ ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، ط١ .

١١٥- السهيلي : عبد الرحمن بن أبي الحسن ، (١٤٠٩هـ) ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ .

١١٦- السيد : نصر الدين ، (٢٠٠٠م) ، الآلة والحاسوب وحضارة الإنسان ، كتاب العربي ، عدد ٤٠ .

١١٧- السيف : توفيق ، (١٩٩٦م) ، هوامش ثقافية نقدية على واقعنا الثقافي ، بيروت ، دار الكنوز الأدبية ، ط١ .

١١٨- السيوطي : جلال الدين ، (١٤١٠هـ) ، الأمر بالاتّباع والنهي عن الابتداع ، تحقيق : مشهور حسن ، الدمام ، دار ابن القيم ، ط١ .

١١٩- شاكر : محمود ، (١٤١٤هـ) ، هوية الأمّة المسلمة ، بيروت ،

المكتب الإسلامي ، ط١ .

١٢٠- شاهين : عبد الصبور ، (١٤٢٠هـ) ، العولمة جريمة تذويب الأصالة ، سلسلة كتاب المعرفة - نحن والعولمة مَن يربي الآخر ، عدد ٧ ، وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ، رجب ١٤٢٠هـ ، ص٣٥-٤٠ .

١٢١- الشرباصي : أحمد ، (١٤٠٧هـ) ، الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ .

١٢٢- شلبي : عبد الودود ، (١٤٠٦هـ) ، أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية ، جدة ، دار المجتمع ، ط١ .

١٢٣- شوق : أحمد محمود ومحمد مالك محمد ، (١٤١٦هـ) ، تربية المعلم للقرن الحادي والعشرين ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط١ .

١٢٤- الشوكاني : محمد علي ، (١٤٠٤هـ) ، إرشاد الثقاة إلى اتفاق الشرائع ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ .

١٢٥- الشيخ : عمر ، (١٩٩٩م) ، مقدمة عن ندوة المدرسية الأردنية وتحدّيات القرن الحادي والعشرين ، عمّان ، دار الفارس ، ط١ .

١٢٦- شيلر : هربرت ، (١٤١٩هـ) ، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة : عبد السلام رضوان ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٢٤٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط٢ .

١٢٧- صابر : محيي الدين ، (١٩٨٢م) ، قضايا الثقافة العربية المعاصرة ، تونس ، ط١ .

١٢٨- صارم : سمير ، (١٤٢١هـ) ، معركة سياتل حرب من أجل الهيمنة ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط١ .

١٢٩- صالح : عبد المحسن ، (١٤١٩هـ) ، الإنسان الحائر بين العِلْم والخرافة ، الكويت ، سلسلة كتاب عالم المعرفة ، عدد ٢٣٥ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط٢ .

١٣٠- صليبا : جميل ، (١٩٧٩م) ، المعجم الفلسفي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، د.ط .

١٣١- طراف : عمار محمود ، (١٤١٨هـ) ، أخطار البيئة والنظام الدولي ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط١ .

١٣٢- طلاس : ناهد ، (١٩٩٩م) ، العولمة محاولة لفهمها وتجسيدها ، ترجمة : هشام حداد ، دمشق ، دار طلاس ، ط١ .

١٣٣- الطويل : نبيل صبحي ، (١٤١٤هـ) ، بؤس المسلمين المتنامي في عالَم الجنوب ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .

١٣٤- عبد الدائم : عبد الله ، (١٩٨١م) ، الثورة التكنولوجية في التربية العربية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٢ .

١٣٥- عبد الرحمن : أحمد وآخرون ، (١٩٩٩م) ، ندوة : الإسلام والعولمة ، القاهرة ، الدار القومية العربية ، ط٢ .

١٣٦- عبد العظيم : زينب ، (١٩٩٩م) ، صندوق النقد الدولي والإصلاح الاقتصادي ، القاهرة ، سلسلة كتاب الأهرام الاقتصادي ، عدد ١٤٣ ، ط١ .

١٣٧- عبد الغني : وائل وآخرون ، ندوة : هويتنا الإسلامية ، مجلة البيان ، عدد ١٣٠ .

١٣٨- عبد المنعم : نادية وخالد قدوري ، (١٩٩٩م) ، الدراسات البيئية مدخل لتطوير مناهج التعليم المصري في ضوء العولمة ، بحث مقدّم إلى المؤتمر القومي السنوي الحادي عشر ، المنعقد بالقاهرة باسم : العولمة ومناهج التعليم .

١٣٩- عبد الواحد : حامد ، (١٤٠٤هـ) ، الإعلام في المجتمع الإسلامي ، مكة المكرمة ، رابطة العالَم الإسلامي ، سلسلة كتاب دعوة الحقّ ، عدد ٣٣ ، ط١ .

١٤٠- عثمان : عبد الكريم ، (١٤٠٦هـ) ، معالم الثقافة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١٣ .

١٤١- العجمي : أبو اليزيد ، (١٤٠٣هـ) ، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصوّر العلوم ، كتاب دعوة الحقّ ، عدد ٢٢ ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط١ .

١٤٢- عزيز : فريدا ، (١٤١٤هـ) ، النظام العالَمي الجديد والقرن ٢١ ، دمشق ، دار الجديد ، ط١ .

١٤٣- العساف : صالح بن حمد ، (١٤١٦هـ) ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط١ .

١٤٤- العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر ، (١٤٠٧هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدين الخطيب ، القاهرة ، دار الرياض ، ط٢ .

١٤٥- علي : سعيد إسماعيل ، (١٤١٢هـ) ، الأصول الإسلامية للتربية ، القاهرة ، دار الفكر ، د.ط .

١٤٦- عمارة : محمد ، (١٩٩٩م) ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، القاهرة ، نهضة مصر ، ط١ .

١٤٧- العمر : ناصر سليمان ، (١٤١٣هـ) ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، الرياض ، دار الوطن ، ط١ .

١٤٨- العمري : أحمد بن محمد ، (٢٠٠٠م) ، جريمة غسل الأموال ، الرياض ، سلسلة كتاب الرياض ، عدد ٧٤ ، مؤسسة اليمامة ، ط١ .

١٤٩- عيساوي : أحمد ، (١٤٢٠هـ) ، الإعلان من منظور إسلامي ، قطر ، سلسلة كتاب الأمّة ، عدد ٧١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية ، ط١ .

١٥٠- غازي : خالد ، (١٩٩٨م) ، الطوفان - العولمة فك الثوابت وتحطيم الهويات ، القاهرة ، دار الهدى ، ط١ .

١٥١- الغامدي : عبد الرحمن ، (١٤١٨هـ) ، دور الأسرة المسلمة في تربية أبنائها البالغين ، الرياض ، ط١ .

١٥٢- غليون : برهان ، وسمير أمين ، (١٤٢٠هـ) ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط١ .

١٥٣- الفار : إبراهيم عبد الوكيل ، (١٤١٥هـ) ، تربويات الحاسوب وتحدّيات مطلع القرن الحادي والعشرين ، القاهرة ، دار الفكر ، ط١ .

١٥٤- فرحان : إسحاق ، (١٤١١هـ) ، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، الأردن ، دار الفرقان ، ط٣ .

١٥٥- فريدمان : توماس ، (٢٠٠٠م) ، السيارة ليكساس وشجرة الزيتون ، محاولة لفهم العولمة ، القاهرة ، الدار الدولية ، ط١ .

١٥٦- فلحوط : صابر ومحمد البخاري ، (١٩٩٩م) ، العولمة والتبادل الإعلامي الدولي ، دمشق ، دار علاء الدين ، ط١ .

١٥٧- فوكوياما : فرانسيس ، د.ت ، نهاية التاريخ والإنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون ، بيروت ، مركز الاتّحاد القومي ، ط١ .

١٥٨- الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، د.ت ، القاموس المحيط ، بيروت ، دار الجيل ، د.ط .

١٥٩- القديدي : أحمد ، (١٤١٥هـ) ، الإسلام وصراع الحضارات ، قطر ، سلسلة كتاب الأمة ، عدد ٤٤ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية ، ط١ .

١٦٠- القرضاوي : يوسف ، (١٤٢١هـ) ، المسلمون والعولمة ، جدة ، دار المجتمع ، ط١ .

١٦١- القرطبي : يوسف بن عبد البرّ ، (١٤١٥هـ) ، جامع بيان العِلْم وفضله ، تعليق : محمد عبد القادر ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، د.ط .

١٦٢- قطامش : حسن ، (١٤٢٠هـ) ، عولمة أم أمركة ، مصر ، مكتب الطيب ، ط٢ .

١٦٣- قطب : محمد ، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، الإنسان بين المادّية والإسلام ، بيروت ، دار الشروق ، ط١ .

١٦٤- قطب : محمد ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، جاهلية القرن العشرين ، بيروت ، دار الشروق ، ط١ .

١٦٥- قطب : محمد ، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، شبهات حول الإسلام ، بيروت ، دار الشروق ، ط١٦ .

١٦٦- قطب : محمد ، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، جدة ، المجموعة الإعلامية ، ط١ .

١٦٧- قطب : محمد ، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، مذاهب فكرية معاصرة ، بيروت ، دار الشروق ، ط٦ .

١٦٨- قطب : محمد ، (١٤١٥هـ) ، العلمانيون والإسلام ، بيروت ، دار الشروق ، ط١ .

١٦٩- كالن : سير روي ، (١٩٩٦م) ، عالم يفيض بسكانه ، ترجمة : ليلى الجبالي ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٢١٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط١ .

١٧٠- الكريم : صالح عبد العزيز ، (١٤١٨هـ) ، الاستنساخ تقنية فوائد ومخاطر ، جدة ، دار عكاظ ، ط١ .

١٧١- كليش : فرانك ، (١٤٢٠هـ) ، ثورة الأنفوميديا ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٢٥٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط١ .

١٧٢- الكيلاني : ماجد عرسان ، (١٤٠٨هـ) ، أهداف التربية الإسلامية ، المدينة المنورة ، مكتبة التراث ، ط٢ .

١٧٣- كييف : جيمس وهريرت وبلبرج ، (١٤١٦هـ) ، التدريس من أجل تنمية التفكير ، ترجمة : عبد العزيز عبد الوهاب البابطين ، الرياض ، مكتب التربية لدول الخليج العربي ، ط١ .

١٧٤- مثنى : فضل علي ، (٢٠٠٠م) ، الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية على التجارة الخارجية والدول النامية ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ط١ .

١٧٥- المجدوب : أسامة ، (١٤١٦هـ) ، الجات ومصر والبلدان العربية ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ط١ .

١٧٦- مجلة الأسرة ، المؤتمرات العالمية للمرأة هل تمثل نساء العالم ؟. عدد ٩١ ، شوال ٢١ ، موضوع ملف العدد .

١٧٧- مجمع اللغة العربية بمصر ، (١٩٧٩م) ، المعجم الفلسفي ، القاهرة .

١٧٨- محفوظ : محمد ، (١٩٩٨م) ، الإسلام ، الغرب وحوار المستقبل ، بيروت ، المركز الثقافي ، ط١ .

١٧٩- محفوظ : محمد ، (٢٠٠٠م) ، الحضور والمثاقفة - المثقف العربي وتحدّيات العولمة ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي ، ط١ .

١٨٠- المصري : شفيق ، (١٩٩٢م) ، النظام العالمي الجديد ، ملامح ومخاطر ، دار العِلم للملايين ، ط١ .

١٨١- مصطفى : مبروك ، (١٤١٦هـ) ، الكماشة الصهيونية في السيطرة على وسائل الإعلام ، الطائف ، مكتبة الصديق ، ط١ .

١٨٢- مطبقاني : مازن ، (١٤١٨هـ) ، الغرب من الداخل ، أبها ، نادي أبها الأدبي ، ط١ .

١٨٣- مطبقاني : مازن ، (د.ت) ، الغرب من الداخل ، أبها ، نادي أبها الأدبي ، ط١ .

١٨٤- مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (١٤١٢هـ) ، ندوة : الإعلام التربوي في دول الخليج العربي .

١٨٥- مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (٢٠٠٠م) ، وثيقة استشراف مستقبل العمل التربوي في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج .

١٨٦- مكتب التربية لدول الخليج العربي ، (١٤٠٦هـ) ، وقائع ندوة : ماذا يريد التربويون من الإعلاميين .

١٨٧- مكيافللي : نيقولو ، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، الأمير - تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ، ترجمة : فاروق سعد ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ط٢٣ .

١٨٨- المنذري : سليمان ، (١٩٩٩م) ، السوق العربية المشتركة في عصر العولمة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ط١ .

١٨٩- منصور : أحمد ، (١٤١٨هـ) ، سقوط الحضارة الغربية رؤية من الداخل ، دمشق ، دار القلم ، ط١ .

١٩٠- منصور : محمد جميل ، (١٤٠٤هـ) ، قراءات في مشكلات الطفولة ، جدة ، مكتبة تهامة ، الكتاب الجامعي ، عدد ١٠ ، ط١ .

١٩١- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٤٢١هـ) ، وثيقة مدرسة المستقبل ، المنبثقة عن المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف في الوطن العربي ، دمشق ، ربيع الأول ، ١٤٢١هـ .

١٩٢- المنير : محمود ، (١٤٢١هـ) ، العولمة وعالم بلا هوية ، القاهرة ، دار الكلمة ، ط١ .

١٩٣- الميداني : عبد الرحمن حسن ، (١٤٠٥هـ) ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، دمشق ، دار القلم ، ط١ .

١٩٤- الميداني : عبد الرحمن حسن ، (١٤٠٨هـ) ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، دمشق ، دار القلم ، ط٥ .

١٩٥- الميداني : عبد الرحمن حسن ، (١٤١٦هـ) ، الوسطية في الإسلام ، الرياض ، مؤسسة الرياض ، ط١ .

١٩٦- الميلاد : زكي ، (١٩٩٩م) ، المسألة الحضارية - كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ، المغرب ، المركز الثقافي ، ط١ .

١٩٧- ناصر : محمد جودت ، (١٤١٨هـ) ، الدعاية والإعلان والعلاقات العامّة ، عمّان ، دار مجدلاوي ، ط١ .

١٩٨- النحلاوي : عبد الرحمن ، (١٩٨٣م) ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ .

١٩٩- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، (١٤٠٩هـ) ، موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة ، ط١ .

٢٠٠- نصري : هاني يحيى ، (١٩٩٨م) ، ذهنية الإلغاء ، بيروت ، مؤسسة بحسون ، ط١ .

٢٠١- نصير : يوسف ، (١٩٩٩م) ، تكنولوجيا المعلومات والعملية التعليمية ، بحث مقدم إلى ندوة المدرسة الأردنية وتحديات القرن الحادي والعشرين ، عمّان ، دار الفارس ، ط١ .

٢٠٢- نعمة : عبد الله ، (١٤٠٣هـ) ، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة ، بيروت ، مؤسسة عزّ الدين ، ط٢ .

٢٠٣- نوفل : أحمد وآخرون ، د.ت ، في الثقافة الإسلامية ، عمّان ، دار عمّان ، د.ط .

٢٠٤- الهاشمي : السيد أحمد ، (د.ت) ، جواهر الأدب ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ط٢ .

٢٠٥- هانتيجتون : صموئيل بي ، (١٤١٥هـ) ، الإسلام والغرب آفاق الصدام ، ترجمة : مجدي شرشر ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ط١ .

٢٠٦- هانس : بيترمارتين ، وهارالد شومان ، (١٤١٩هـ) ، فخ العولمة - الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة : عدنان عباس علي ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٢٣٨ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط١ .

٢٠٧- هاني : إدريس ، (١٩٩٨م) ، العرب والغرب أية علاقة أي رهان ؟. بيروت ، دار الاتّحاد ، ط١ .

٢٠٨- هاني : إدريس ، (٢٠٠١م) ، المفارقة والمعانقة رؤية نقدية في مسارات العولمة وحوار الحضارات ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ .

٢٠٩- وزارة الأوقاف الكويتية ، ندوة حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة

الإبراهيمية ، مجلة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ٣٣٤ .

٢١٠- ويلسون : حلين ، (٢٠٠٠م) ، سيكولوجية فنون الأداء ، ترجمة : شاكر عبد الحميد ، الكويت ، سلسلة عالّم المعرفة ، عدد ٢٥٨ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط١ .

٢١١- ياسين : السيد وآخرون ، (١٩٩٨م) ، ندوة : العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٢ .

٢١٢- اليحياوي : يحيى ، (١٩٩٩م) ، العولمة - أية عولمة ؟. الدار البيضاء ، أفريقيا الشرق ، ط١ .

الدوريات

(أ) المجـ ـلاّت :

٢١٣- إبراهيم : فوزية علي ، التعليم المستمرّ مدى الحياة ، مجلّة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد ٧ ، ص٩٥-١٣٥ .

٢١٤- إبراهيم : محمود ، حروب القرن المقبل تقودها الأمم المتحدة ، مجلة الشاهد ، عدد ١ ، سنة ٢٠٠٠م ، ص١٢٩-١٣١ .

٢١٥- أبو شامة : عباس ، العولمة وآثارها الأمنية ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد ٥٨ ، صفر ١٤٢٠هـ ، ص٣٩-٤١ .

٢١٦- أبو شنب : حسين ، تقرير عن مؤتمر الإعلام العربي وتحدّياته الأمنية ، مجلة شؤون عربية ، عدد ١٠٢ ، ربيع الأول ١٤٢٠هـ ، ص٢٢٣ .

٢١٧- أبو شنب : عباس ، العولمة وآثارها الأمنية ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد ١٥٨ ، صفر ١٤٢٠هـ ، ص٣٩-٤١ .

٢١٨- الأحمد : مالك ، العولمة في الإعلام ، مجلة البيان ، عدد ١٤٨ ، ذو الحجّة ١٤٢٠هـ ، ص١١٤-١٢٣ .

٢١٩- أمحزون : محمد ، العولمة بين منظورَين ، مجلّة البيان ، عدد ١٤٥ ، رمضان ١٤٢٠هـ ، ص١١٨-١٢٩ .

٢٢٠- بدر : محمد بدر ، الحريات والمجتمع المدني ، مجلة المجتمع ، عدد ١١٢٥ ، ص٤٢-٤٥ .

٢٢١- بدر : محمد ، الحريات والمجتمع المدني ، مجلة المجتمع الكويتية ، عدد ١١٢٥ ، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ ، ٤٢-٤٥ .

٢٢٢- بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر حول انعقاد مؤتمر المرأة الدولي الرابع في بكين ، مجلة الأزهر ، عدد ١١٥٦٠٢ ، في ربيع الآخر ١٤١٦هـ ، ص٤٦٥-٤٧٢ .

٢٢٣- توق : محيي الدين ، التربية المستمرّة ودور الجامعات في تطويرها ، مجلّة رسالة الخليج العربي ، عدد ١٤ ، سنة ١٤١٥هـ ، ص٣-٣٣ .

٢٢٤- حجازي : أحمد مجدي ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٢٨ ، عدد ٢ ، أكتوبر ديسمبر ١٩٩٩م ، ص١٢٣-١٤٦ .

٢٢٥- الحقيل : إبراهيم محمد ، شباب العالم في الفاتيكان ، مجلة البيان ، عدد ١٥٦ ، شعبان ١٤٢١هـ ، ص١١٠-١٢١ .

٢٢٦- الحمدان : محمد ناصر ، ثقافة العولمة ، مجلة النص الجديد ، عدد ٨ ، ديسمبر ١٩٩٨م ، ص٥٠-٥٤ .

٢٢٧- حنتوش : زكي ، الصناعة العربية في مواجهة العولمة ، مجلة شؤون عربية ، عدد ٩٩ ، سبتمبر ١٩٩٩م ، ص١٢٨-١٣٨ .

٢٢٨- خضر : محمد ، مجلة معلومات دولية ، عدد ٥٨ .

٢٢٩- ذياب : محمد ، عولمة الاقتصاد ، مجلة العربي الكويتية ، عدد ٤٩٤ ، رمضان ١٤٢٠هـ ، ص٣٩-٤٢ .

٢٣٠- زيد : ت - ر ، الطعام لسكان هذا الكوكب ، ترجمة : سعيد الحيدري ، مجلة الثقافة العالمية ، عدد ٩٦ ، سبتمبر ١٩٩٩م ، ص٢٦-٢٨ .

٢٣١- الشريف : محمد رشاد ، العولمة والمشروع الشرق أوسطي ، مجلة معلومات دولية ، عدد ٥٨ ، طريف ، ١٩٩٨م ، ص٣٤-٤١ .

٢٣٢- الطيارة : بسام ، الإنترنت : لصوص عباقرة يهزون بورصات العالم ، مجلة الوسط ، عدد ٤٢٣ ، ص٣٦-٣٩ .

٢٣٣- عاشور : أحمد كمال ، التعليم المستمرّ والتنمية الاقتصادية ، مجلة التربية المستمرّة ، عدد ٦ ، ص٥-٤٦ .

٢٣٤- عبد الهادي : جمال ، هويتنا الإسلامية ، مجلة البيان ، عدد ١٣٠ ، ص٤٢-٥٣ .

٢٣٥- الفوال : نجوى ، الأبعاد الجذرية لظاهرة العولمة ، مجلة مال وأعمال ، عدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٩٩م ، ص٥٦-٥٧ .

٢٣٦- القادري : مروان عبد الرحمن ، العولمة وتحدّياتها الثقافية ، مجلة القافلة ، عدد ٥ ، مجلد ٤٨ ، ص٣-٩ .

٢٣٧- أبو بكر : مصطفى ، العلمانية ، التاريخ والفكرة ، مجلة البيان ، عدد ١٥٩ ، ذو القعدة ١٤٢١هـ ، ص٣٨-٤٦ .

٢٣٨- قطامش : حسن ، شذوذ الشذّاذ ، مجلة البيان ، عدد ١٥٠ ، صَفَر ١٤٢١هـ ، ص١٣٠ .

٢٣٩- قطامش : حسن ، صورة من الغرب ، مجلة البيان ، عدد ١٥٣ ، جمادى الأولى ١٤٢١هـ ، ص١١٨ .

٢٤٠- الكيلاني : شمس الدين ، تبادل صور التعارف والتخيلية بين أوربا والعالَم العربي والإسلامي ، مجلة الآداب ، عدد ٤/٣ ، سنة ٢٠٠٠م ، ص٨-١٥ .

٢٤١- الليثي : نضال ، الجيثوم ، الخارطة الوراثية ، مجلة الزمان الجديد ، عدد ٨ ، حزيران ، ص٦-١٦ .

٢٤٢- مدكور : علي أحمد ، العولمة والتحدّيات التربوية ، مجلة العلوم التربوية ، عدد ٩ ، يناير ١٩٩٨م ، ص١٣-٦١ .

٢٤٣- منصور : محمد أحمد ، زيارة البابا لمصر ، دلالات وأبعاد ، مجلة البيان ، عدد ١٥٠ ، صَفَر ١٤٢١هـ ، ص١١٦-١٢١ .

٢٤٤- النعيم : مشاري ، تحولات الهوية العمرانية ثنائية الثقافة والتاريخ ، مجلة المستقبل ، عدد ٢٦٣ ، يناير ٢٠٠١م ، ص٩٧-١٢٨ .

٢٤٥- اليوسف : أحمد إبراهيم ، علاقة التربية بالمجتمع ، وتحديد ملامحها النوعية ، مجلة عالم الفكر ، عدد ١ ، يوليو ٢٠٠٠م ، المجلد ٢٩ ، ص٧-٤٧ .

(ب) الصحف (الجرائد) :

٢٤٦- أبو هيف : عبد الله ، الغزو الثقافي للطفل والمفاهيم المتصلة به ، جريدة الوطن السعودية ، عدد ٦١ ، الأربعاء ١٤٢١/٩/٣هـ ، ص٢٢ .

٢٤٧- بيان هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية حول لعبة (البيكمون) ، جريدة عكاظ السعودية ، عدد ١٢٦٢٧ ، الجمعة ١٤٢١/١٢/٢٨هـ .

٢٤٨- د.ك ، ما هي العولمة ؟. جريدة الوطن السعودية ، عدد ٥٢ ، شعبان ١٤٢١هـ ، ص٦ ، (زاوية صحافة عالمية) .
٢٤٩- عنان : كوفي ، دور الأمم المتحدة ، جريدة الرياض ، عدد ١١٩٩٨ ، الثلاثاء ، ١٤٢١/٤/٢هـ .
٢٥٠- المغربي : عاكف ، منظّمة التجارة العالمية ، جريدة المدينة ، عدد ١٣٥٨٧ ، في ١٤٢١/٤/٣هـ .

كتب أجنبـية :

- The American Herilage Dictianary .

مواقع على الشبكة العالمية للمعـلومات (الإنترنت) :

- www : itcilo. it / english / actrvit Telear / globe / new . htm .
- www : itcilo. it / english . Teleern / glodel / new . htm .
- www : un - or / aradic .

